

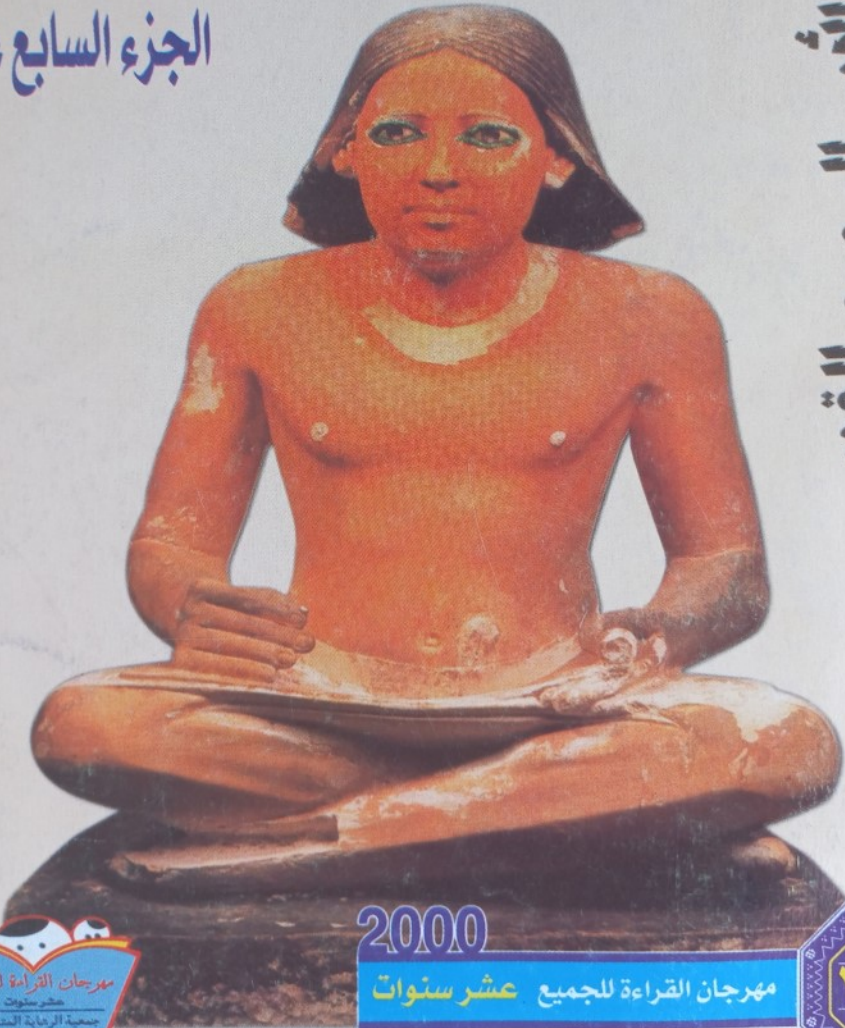
سليم حسن

مصر القديمة

الجزء السابع عشر

الأدب المصري القديم

القصة • الحكم والأمثال • التأملات • الرسائل الأدبية



2000

مهرجان القراءة للجميع عشر سنوات



**موسوعة مصر القديمة
الأدب المصري القديم
الجزء السابع عشر**

الجزء السابع عشر

صورة الغلاف: الكاتب المصرى

التقنية: حجر جيرى ملون

المقاس: الارتفاع ٥١ سم

سقارة، الأسرة الخامسة (٢٤٧٥ ق.م.)، المتحف المصرى

هذا الطراز الجديد من التماثيل لشخصية الكاتب المصرى ظهر فى بدايات الأسرة الخامسة، وهو ينتمى إلى مجموعة المثقفين (النخبة الفكرية الفاعلة). ويتلخص أسلوب التمثال فى الاعتماد على الجلوس حيث يكون الساقان متشابكان على لوح القاعدة، والكاتب يضع ورقة البردى ملفوفة فوق إزاره المشدودة كالوتر بين الركبتين، وقد اتقن المثال طية الأوراق فى مهارة وبراعة فائقتين، أما الرأس فتعلوه باروكة ذات خصلات مسترسلة بأناقة لتصل إلى الأكتاف. ومن الملاحظات الهامة أن الأذرع فى حالة انفصال عن الجسم، مما يعطى التكوين حيوية ونضارة، ونظرة الكاتب تتجه إلى الأمام مع انحراف بسيطة.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

فى القصة والحكم والأمثال والتأملات والرسائل الأدبية

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذي فجر ينباع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة ١٧٠٠٠، عنواناً في حوالى ٣٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً وإقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى ٣٠٠٠ ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة، للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى ١٦، جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وإمهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى نقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير موحان

الهداء

إلى روح الرجل العظيم الدكتور أحمد ماهر باشا
الذى كتب للوطن صفحة مجيدة بدمه الغالى ، أهدى إليه صفحة أخرى
كانت مطوية من تراث الوطن العلمى الذى ظلله زمناً برعايته .

وإذا كان رجالات مصر قد تسابقوا إلى تخليد ذكراه بما وعاه وطابهم
من مال ونشب ، فحسبى أن أسام فى هذا الواجب المقدس بتقديم ما وعاه
رأسى من عصارة فكرية أرجو أن تكون ناضجة نافعة .

وإلى بنى مصر المعتزين بها على غير إحاطة تامة بتقديم مجدها ؛
وإلى من أتاحوا لى فرصة تأليف هذا الكتاب عن غير قصد منهم
ولا رغبة ؛

وإلى كل من يقدر العلم للعلم ، ويخدم الوطن لوجه الوطن ؛
إلى كل أولئك أهدى هذه الحلقة الثانية فى بناء مجد مصر العلمى .

تقديم

بقلم : مختار السويضي

◀ المؤلف في سطور ▶

● يعتبر الاستاذ الدكتور سليم حسن من أوائل الرواد المصريين الذين أسسوا وعلم الآثار المصرية في اللغة العربية، والذين جمعوا بين العمل الكشفي بالحفائر الأثرية إلى جانب ما كتبوه وصنفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن الآثار التي اكتشفوها، وما الفوه من كتب مرجعية وبحوث علمية عن تاريخ مصر القديمة من كافة النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والدينية.

● ولد في ٨ أبريل ١٨٩٣م في قرية سميت ناجي، التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة البحيرة، وانتقل إلى رحمة الله في ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.

● حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩.. ثم حصل على دبلوم المعلمين، ودبلوم عال في الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة.. وعمل مدرساً في مدرسة اسيوط الثانوية، ثم في مدرسة الناصرية بالقاهرة.

● اختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المقررة على مختلف مراحل التعليم في المدارس المصرية.

● في عام ١٩٢١ عين في وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصري بالقاهرة، ثم أوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٣٣.

● حصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤، وفي أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا، بجامعة السوربون بباريس.

في السابع والعشرين من سبتمبر ١٨٢٢م، أرسل «جان فرانسوا شامبليون، خطابه الشهير إلى «الأكاديمية الفرنسية» لدراسة النقوش الأثرية والآداب الرفيعة، مطلقاً فيه أنه توصل إلى فك رموز وحروف «الكتابة الهيروغليفية».. وفي عام ١٨٢٤م أصدر كتاباً بعنوان «الموجز في قواعد الكتابة الهيروغليفية».

وإذا كان الفضل الأكبر في هذا المجال يعود إلى شامبليون، فمما لا شك فيه أنه قد استعان بجهود من سبقوه من العلماء الذين بذلوا جهوداً لا تترك في فك رموز الهيروغليفية وطلاسمها. ومن هؤلاء العلماء العالم الإنجليزي «بانكس» الذي استطاع تحديد وقراءة اسم «كليوباترا» المنقوش على المسلة التي اكتشفت عام ١٨١٥م، وكانت نقوشها مكتوبة بالهيروغليفية واليونانية.. والعالم الإنجليزي «الدكتور توماس يانج» الذي درس الهيروغليفية المكتوبة على حجر رشيد واستطاع أن يحدد اسم «بطليموس» كما قام بتحديد بعض حروف الأبجدية الهيروغليفية.

وفي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وحتى الآن، استمرت وتتابع

بحوث علماء الآثار المصرية، من مصريين وأجانب، فى دراسة اللغة المصرية القديمة، ووصلت بحوثهم ودراساتهم لتلك اللغة إلى نتائج مبهره يمكن تلخيصها فى ثلاثة محاور رئيسية: فهى أولاً لغة ذات قواعد «أجرومية» ثابتة وملزمة.. وهى ثانياً لغة مرنة تقبل الصقل والنمو والتطور، فحفلت بالكنايات والاستعارات والتشبيهات المنطقية الجميلة.. وهى ثالثاً لغة غنية مثقفة تصلح للتعبير الأدبى نثراً وشعراً، كما تصلح للتعبير العلمى خصوصاً فى مجالات الطب والكيمياء والهندسة والفلك.

ومن الثابت تاريخياً أن المصريين القدماء كانوا يتكلمون بلغة واحدة وإن تباينت لهجاتها، تماماً مثلما تتباين لهجات نطق اللغة العربية بين أهالى المدن والقرى المصرية الحديثة فى الوجهين البحرى والقبلى، وأهالى الصحراوين الشرقية والغربية.

وأثبتت بحوث ودراسات العلماء أن القواعد «الأجرومية» لتلك اللغة كانت تشمل على الإسم والفعل، والحرف والظرف، وكانت تفرق بين المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، والمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه، فضلاً عن قاعدة تبعية الصفة للموصوف بكافة أحواله اللغوية،

● فى عام ١٩٣٥ عين استاذاً لكرسى الآثار بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

● قام باكتشاف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد والقطع الأثرية التى ألقت الأضواء الطمية على تطور النظم الحكومية والإدارية والاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة.

● فى عام ١٩٣٦ عين وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية فكان أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً من قبل على العلماء الأجانب. الأمر الذى أثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده.

● عارض رغبة الملك فاروق فى إستعادة مجموعة من القطع الأثرية التى سلمها والده الملك فؤاد لعرض فى المتحف المصرى بالقاهرة .. وازدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى أن صدر قرار بإحالة إلى المعاش عام ١٩٣٩، وكان عمره آنذاك حوالى ٤٦ عاماً.

● كان هذا القرار فاتحة خير له وللثقافة المصرية، حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى، فأصدر موسوعته الرائعة عن تاريخ مصر القديمة فى ١٦ جزءاً، وكتابته القيم عن الألب المصرى القديم فى جزئين، كما ترجم كتاب بريسيد «فجر الضمير» وأصدر كتابين عن تاريخ أوروبا وتركيا، ومجموعة من البحوث والدراسات الأثرية والتاريخية وكتائباً بالإنجليزية عن «أبى الهول» قام بترجمته أيضاً إلى اللغة العربية، فبلغت أعماله حوالى ٥٠ عملاً بين مقالات وبحوث ودراسات علمية وكتب.

● فى عام ١٩٦٠ كرمته «أكاديمية نيويورك» التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة فانتخبته عضواً فيها بإجماع الأصوات.

كما كانت تشتمل أيضا على الضمائر وأسماء الإشارة الخاصة بالمشار إليه، والأسماء الموصولة، وأدوات الاستفهام، وحروف الجر، وأسماء الزمان والمكان، وحروف العطف.

وبالإضافة إلى كل هذه القواعد، فقد كانت لغة راسخة، وتتطور باستمرار لتتناسب مع التطورات الحضارية التي طرأت تباعاً على الشعب المصرى والدولة المصرية فى العصور المتعاقبة والمتتالية من التاريخ المصرى القديم.

ومن المعروف تاريخياً أن اللغة المصرية القديمة [بأنواع وطرق كتابتها بالخطوط الهيروغليفية والهيروغليفية والديموطيقية] قد مالت شمسها إلى الغيب والاختفاء ابتداء من القرن الثانى الميلادى وماتلاه، حيث أصبحت تكتب بالحروف الأبجدية اليونانية، ثم بهذه الحروف مع إضافة بعض الرموز والعلامات المنقولة من الخطوط المصرية القديمة، وهى طريقة كتابة اللغة «لقبطية».. إلى أن حلت فى النهاية اللغة «العربية» بطرق كتابتها المعروفة، وذلك فى أعقاب الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى.

والرأى الراجح الآن بين علماء «فقه اللغة المقارن»، أن المصريين القدماء كانوا الرواد الأوائل فى اختراع «فن الكتابة والتدوين»، منذ عصر ما قبل الأسرات.. وعندما استطاع الملك «ميناء» توحيد الوجهين البحرى والقبلى وأسس الأسرة الملكية الأولى لحكم الدولة [حوالى عام ٣٢٠٠ ق م] كانت للكتابة قد أصبحت وسيلة المصريين لتدوين تاريخهم وأحوال حياتهم. وبذلك أصبحت «الكتابة» هى الحد الفاصل بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ.

ويقول هؤلاء العلماء إن اختراع المصريين القدماء لفن الكتابة باعتبارها وسيلة لتسجيل اللغة المنطوقة، أدى إلى عبور الحضارة الانسانية إلى عالم النور والتدوين، كبديل للمشافهة التى قد تؤدى إلى النسيان بتوالى السنين.

وعلى أية حال فمما لا شك فيه أن معرفة كيفية قراءة كلمات ونصوص اللغة المصرية القديمة، تفتحت أمام المؤرخين وعلماء الآثار صفحات التاريخ والحضارة المصرية المدونة على جدران المعابد والمقابر والمسلات والنصب التذكارية وقواعد التماثيل وأوراق البردى، والمكتوبة فى بعض الأحيان على كسرات «شقش» المصنوعة من الفخار أو من قطع الحجر الجبرى ذات الأوجه المشطوفة الصالحة للكتابة عليها.



وبصرف النظر عما تمت معرفته من معالم التاريخ المصرى القديم، فقد فوجئ المؤرخون وعلماء الآثار المصرية بظهور حجم هائل من الدلائل والوثائق على وجود أقدم وأرقى الأعمال الأدبية التى ظهرت فى تاريخ الانسان على كوكب الأرض.

وبالرغم من أن معظم هذه الأعمال الأدبية المصرية القديمة قد ترجمت إلى اللغات الحية وفهمت معانيها ومضامينها، إلا أن نسبة كبيرة من هذه الأعمال لم تترجم حتى الآن، كما أن الأرض المصرية مازالت تحتضن أعمالاً أدبية مازالت دفينه في آثار لم تكتشف بعد.. ويشير العديد من المؤرخين إلى أن هناك بالتأكيد أعمالاً أدبية مصرية قديمة قد دمرت وضاعت آثارها عبر عصور الغزوات الهمجية التي احتلت الأرض المصرية، بالإضافة إلى ما تم تدميره من آثار أدبية على أيدي من كانوا يعتبرون مصر القديمة دولة وثنية.

ومع ذلك فإن ماتم اكتشافه حتى الآن يدل دلالة قاطعة على وجود أدب مصرى قديم له خصائص ومناهج وفنون وأساليب ميزته بشخصية متفردة كان لها آثار لاتخفى على معظم آداب العالم القديم التي ظهرت في الحضارات القديمة التي توالى ظهورها مثل الآداب السومرية والبابلية والعبرية والإغريقية والرومانية والعربية والآداب الكلاسيكية في العصور الوسطى الأوربية، بل وفي بعض الأعمال الأدبية العالمية في العصر الحديث.



ويميل معظم المؤرخين والعلماء الذين درسوا الأدب المصرى القديم دراسة علمية أكاديمية إلى تقسيم تاريخ هذا الأدب إلى عصرين هما:

أولاً: العصر القديم:

ويبدأ هذا العصر ببداية التاريخ المصرى منذ عصر الأسرة الأولى [سنة ٣٢٠٠ ق م] .. ويتضمن العصر العتيق، وعصر الدولة القديمة، وعصر الاضمحلال الأول، وينتهى بنهاية عصر الدولة الوسطى [سنة ١٧٩٠ ق م] أى أنه استمر نحو ١٤٠٠ سنة.

ويتميز العصر القديم للأدب المصرى بالتمسك بالقواعد اللغوية، وشيوع المحسنات اللفظية، وزخرفة الجمل والكلمات، وكثرة التشبيهات التي لا تخلو من الجمال والمنطق.. ويشبه الدكتور سليم حسن لغة الأدب المصرى فى ذلك العصر القديم بالتطور الذى حدث للغة العربية فى «العصر العباسى الثانى» حين انتشرت طريقة «ابن العميد» و «القاضى الفاضل» مع حرص الأدباء المصريين القدماء على جمال ودقة «الموضوع» وحرصهم فى الوقت نفسه على جمال وعذوبة «الشكل أو الأسلوب».

ومن أشهر الانتاجات الأدبية التي تميز بها هذا العصر القديم للأدب المصرى ما تناولوه هذا الأدب من موضوعات عن الحكمة، والتأملات، والتعاليم الأخلاقية، والتعاليم المدرسية،

الأمثال، وأدب الرحلات، والقصاص، والقصائد الشعرية من أناشيد ملكية ودينية، إلى جانب الأغاني والقصاص الغزلية، هذا طبعاً بالإضافة إلى العديد من انتاجات الأدب الدينى المتمثل فى متون الأهرام وغيرها من النصوص الدينية.

ثانياً: العصر الحديث :

ومنذ بداية عصر الدولة الحديثة [حوالى عام ١٥٨٠ ق م] قل استعمال الأساليب الرفيعة واللغة الفنية العالية، وبدأ الأدباء المصريون فى الانطلاق بالتعبير اللغوى بطلاقة تقترب كثيراً من اللغة العامية أو اللهجة الشعبية.. بل وبدأوا يكتبون الشعر باللغة العامية أو بلغة سهلة سهلة يفهمها المثقفون كما يفهمها العوام.

وإلى جانب هذه البساطة فى التعبير، ابتكر الأدباء المصريون أساليب مستحدثة تتميز بالصفاء والوضوح، كما أكثروا من استعمال الكلمات والمصطلحات الأجنبية، سواء على سبيل التظرف، أو لإظهار مدى تمكنهم من التعبير عن الموضوع المطروح بخلفية ثقافية واسعة.

وقد تناول الأدباء المصريون القدماء فى هذا العصر نفس الموضوعات الأدبية التى تناولها أدباء العصر القديم السابق، كما أضافوا إليها موضوعات وأساليب مبتكرة جديدة مثل: الحواريات والدراما المسرحية ورسائل للمماجلات الأدبية.

وبالنظر إلى انتشار التعليم فى تلك الحقبة من التاريخ المصرى القديم، فقد انتشر نوع من الانتاج الأدبى هو «أدب الرسائل»... ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من تلك الرسائل، أتاحت لكثير من المؤرخين وعلماء المصريات أن يقوموا بدراساتها دراسة علمية أكاديمية، وأشهر من قام بهذه الدراسات من المؤرخين وللطماء الأجانب: بريستيد، وجارلندر، وجريفيث، وتشيرنى، وجونسون، ودى مورجان، وإيرمان، وسميثز وغيرهم.

وتناولت دراسات هؤلاء العلماء: كيفية تحرير وتدوين تلك الرسائل، وكيفية ذكر الطوان والصيغة الافتتاحية، والديباجة فى الصيغ العامة، وكيفية الانتقال من فقرة إلى أخرى، وكيفية ختام الرسائل والإشارة إلى تاريخ تحريرها .. الخ.

أما نماذج الرسائل التى كانت محل تلك الدراسات فتكاد تنحصر فى الرسائل التى تتناول الحث على التعلم والحياة المدرسية، والخطابات الانشائية، ورسائل تتناول وصف المدن

القديمة والحديثة فى مصر وخارجها، خصوصاً المدن التى كانت تقع فى نطاق النفوذ المصرى فى عصر الامبراطورية [خلال عصر الأسرتين ١٨، ١٩] ورسائل رسمية عن موضوعات تتناول نظام الحكم والأوامر الملكية أو أوامر قادة الدولة والوزراء وحكام الأقاليم، وكذا رسائل الالتماسات والتهانى، بالإضافة إلى دراسات مستفيضة عن رسائل المساجلات الأدبية بما فيها من أساليب المناقشات الحادة والهجاء الشديد الذى يدخل فى تصنيف الأدب الساخر.



وإذا انتقلنا إلى الدراسات العلمية التى أجريت للتراث الهائل من الأعمال الأدبية والفكرية التى تركها المصريون القدماء، فسوف نجد أنفسنا أمام موقف يدعو إلى الفخر والفرح كما يدعو إلى الحزن والشجن فى نفس الوقت.. فمئذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى الآن واطب المؤرخون والدارسون وعلماء المصريات «الأجانب» على إصدار مئات من الكتب والمراجع والمقالات والدراسات الأكاديمية المقدمة للحصول على الدرجات العلمية العالية.. فندوا فيها كل ما تم العثور عليه من الأعمال الأدبية التى أبدعها المصريون القدماء، وقاموا بتصنيف الأنواع التى تتشكل منها هذه الإبداعات، وريطوا هذه الدراسات بما كان يجرى فى المجتمع المصرى القديم من أحداث داخلية كانت تميز حقبة التاريخ المصرى سواء فى حالات الرخاء الاقتصادى والاستقرار الاجتماعى، أو فى حالات الفوضى التى كان يسود فيها الظلم والظلام، والتى كانت تؤدى إلى تقويض التوازن الاجتماعى لطبقات الشعب المصرى القديم وانعكاس أثر هذا التقويض على الانتاج الأدبى من حكم وأمثال وقصص.. الخ.

كذلك فقد تناولت دراسات هؤلاء العلماء الأجانب كيفية تأثر الأعمال الأدبية المصرية القديمة بالحضارات الأخرى التى كانت معاصرة للحضارة المصرية من حقبة التاريخ المختلفة بسبب احتكاك المصريين القدماء بتلك الحضارات، وبسبب البعثات التجارية التى كانت ترسلها مصر إلى خارج حدودها، أو بسبب الغزوات الفتوحات التى قامت بها الجيوش المصرية للمناطق المجاورة لحدودها والمناطق البعيدة عن هذه الحدود، وبسبب الأنشطة والعلاقات الدبلوماسية التى قامت بين الدولة المصرية والدول الأجنبية الأخرى. أما الموقف المؤسف الذى يثير الحزن والشجن، فهو ندرة الدراسات والمؤلفات التى تناولت الأدب المصرى القديم والتى قام بها عدد من المؤرخين والكتّاب وعلماء الآثار المصريين لا يتجاوز

عدد أصابع اليدين.. فقد أصدر بعضهم كتباً صغيرة قليلة الصفحات، وترجم آخرون كتباً لطماء أجنبية، كما قام البعض الآخر بنشر مقالات أو دراسات في بعض المجلات والدوريات المتخصصة.. وعلى سبيل حصر أسماء هؤلاء اللطماء المصريين نذكر منهم الدكتور ثروت عكاشة، والدكتور عبدالمنعم أبوبكر، والدكتور عبد العزيز صالح، والدكتور أحمد فخرى، والدكتور أحمد عبدالحميد يوسف، والدكتور محمد إبراهيم بكر، والدكتور هدى وصفي، والأستاذ لويس بقطر، وكاتب هذه السطور.

ولا تغفل في هذا العصر ذلك الجهد العظيم الذى بذله الأستاذ الدكتور سليم حسن فى تأليف وإصدار هذين الجزمين من كتابه القيم «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. حيث يعتبر هذا الكتاب أضخم وأدق الكتب التى أبدعها المؤلفون المصريون وأرفعها شأنًا وأعظمها قيمة من الناحية العلمية والأكاديمية، ومن ناحية قدرة المؤلف الهائلة على التصنيف والتحليل بأستاذية غير مسبوقه ولا ملحوقه.. وذلك بالرغم من تحفظى الخاص على العنوان الملحق بالعنوان الرئيسى لهذا الكتاب وهو «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. ففى رأى أن المدلول والمعنى الحقيقي لكلمة «فراعنة» هو الملوك الذين حكموا مصر القديمة.. وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الملوك لم يكتبوا أدباً حتى ينسب إليهم، ولكن جميع الأعمال التى تدخل فى نطاق الأدب المصرى القديم كانت من إنتاج أبناء الشعب المصرى من الكتّاب والحكماء والمثقفين.

ومن المعروف أن أصل كلمة «فرعون» فى اللغة المصرية القديمة هو «بر - عو» ومطامها الحرفى هو «البيت العظيم».. والمقصود بالطبع هو القصر الذى يعيش فيه الملك الذى يحكم البلاد.. وقد استعمل هذا المسمى بهذا المعنى فى خلال الدولتين القديمة والوسطى، ثم أطلق هذا التعبير - فيما بعد - كناية على الملك نفسه، تماماً مثلما كان السلطان العثمانى يطلق عليه تعبير «الباب العالى».

وبناء على ذلك فمن الخطأ أن نقول «الأدب الفرعونى» أو نقول «الفن الفرعونى» أو «العمارة الفرعونية».. ويجب أن نقول «الأدب المصرى القديم» أو «الفن المصرى القديم» أو «العمارة المصرية القديمة» وهكذا.



أصدر الأستاذ الدكتور سليم حسن كتابه القيم هذا عام ١٩٤٥م فى جزعين منفصلين متتابعين، كانا من أوائل الكتب والبحوث المرجعية التى تناولت «الأدب المصرى القديم» بهذا القدر العظيم المتمكن من التحليل والتفصيل، طبقاً لمنهج مبتكر فى البحث يبدأ بملخص

للموضوع الأدبي وتاريخ كتابته، ويثنى بدراسته دراسة علمية، ثم يذكر متن هذا الموضوع بنصه الأصلي مترجماً إلى اللغة العربية، وفي نهاية هذا المنهج يذكر المصادر التاريخية والأثرية التي استقى منها هذا الموضوع.

ويتناول الجزء الأول من هذا الكتاب الانتاج الأدبي المصرى القديم فى مجالات «القصص والحكم والتأملات والرسائل، مع مقدمة موجزة عن التاريخ المصرى فى عصر الدولة القديمة والمعصر الإهناسى وعصور الدولة الوسطى واللهكسوس والدولة الحديثة .. ثم أردف هذا الموجز فى التاريخ بموجز آخر عن الأدب والكتابة فى مصر القديمة وكيفية تطور هذا الأدب عبر العصور التاريخية، ودراسة عن الكتاب والمثقفين القدماء وعن المغنين والقصصين وأوزان الشعر المصرى القديم.

وفى الفصل الخاص بالقصص المصرية القديمة عرض لنا الدكتور سليم حسن ١٨ قصة، هى القصص التى اكتشفت وترجمت حتى زمن صدور كتابه عام ١٩٤٥ .. علماً بأن هناك قصصاً أخرى قد اكتشفت وترجمت منذ ذلك الحين وحتى الآن، وبطبيعة الحال فلم يرد ذكرها فى هذا الكتاب .. وفى رأبى الخاص أرى أن بعض هذه القصص يمكن تصنيفها ضمن «قصص الخيال العلمى، التى عرفت فى الآداب الحديثة .. وعلى سبيل المثال قصة «زيارة النعيم والجهنم فى العالم الآخر، فمن المؤكد أنها انعمت فى «رسالة الغفران، التى كتبها «أبو العلاء المعرى، (٩٧٣ - ١٠٥٧ م) والتى تأثر بها «بانتى الليجيرى، (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) عندما كتب «الكوميديا الإلهية».

وكذلك قصة «ذات الحذاء الأحمر، قد انعمت فى الأخرى فى قصة «سندريلا، المعروفة فى الأدب العالمى الحديث .. وكذلك قصة «الملاح الغريق، الذى عاش فى جزيرة مهجورة وحصل فى النهاية على كنز ثمين قد انعمت فى عملين أدبيين عالميين شهيرين هما «قصة جزيرة الكنز، التى كتبها «روبرت لويس ستيفنسون»، وقصة «روبسون كروزو، التى كتبها «دانييل ديفو».

أما الفصل الخاص «بالحكم والتعاليم والتأملات، فقد عرض لنا الدكتور سليم حسن فيه أعظم ما أبدعه الحكماء المصريون القدماء من حكم تتناول السلوكيات الأخلاقية الرفيعة وأسس العدالة وحق الإنسان فى الحياة الكريمة فى وطنه وواجبات الحاكم نحو المحكومين.

ومن أمتع ماورد فى هذا الفصل تلك الدراسة المقارنة الممتعة عن تعاليم الحكماء المصرى القديم «أمنموى، التى نقلها الذين كتبوا «سفر الأمثال، كما ورد فى التوراة .. فقد نقلوا مضمون تلك التعاليم إلى هذا السفر سطرأ بسطر وبكلمات متطابقة وأسلوب متشابه.

ومما يجب الإشارة إليه أن تلك التحاليم المصرية قد كتبت شعراً طبقاً للصيغ والأوزان التي كانت شائعة في الشعر المصري القديم .

وينتهى الجزء الأول من كتاب «الأدب المصري القديم» بفصل خاص عن الرسائل والمساجلات الأدبية، وهى رسائل تثيير الدهشة لما فيها من الأساليب المبتكرة والدقة الموضوعية فى اختيار المضمون الخاص بكل رسالة .



أما الكتاب الثانى الذى يتضمن الجزء الثانى من «الأدب المصري القديم» فقد خصصه الدكتور سليم حسن لدراسة التراث العظيم الذى تركه قدماء المصريين من أعمال أدبية تتناول فنون «الدراما» و «الشعر» .

وقد تم اكتشاف الوثائق والأدلة الأثرية التى تؤكد ممارسة المصريين القدماء لهذه الفنون وأبدعوا فيها هذه النماذج الأدبية والفنية التى بلغت مستوى رفيعاً غير مسبوق فى جميع الحضارات القديمة التى صنعها الإنسان على وجه الأرض .

لذلك فلم يكن من الغريب أن يلهش المؤرخون وعلماء الآثار ورجال الأدب فى جميع أنحاء العالم الحديث حين علموا بهذه الاكتشافات الأثرية التى تؤكد على وجه اليقين أن «الدراما» المصرية القديمة قد ظهرت فى عالم الوجود قبل الدراما اليونانية بنوعيتها «التراجيديا والكوميديا» بنحو ثلاثة آلاف سنة، وكذلك حين تبين أن هذه الدراما المصرية التى نشأت وتزعرعت فى التربة المصرية كانت أكثر نضجاً من البدايات الأولى للدراما اليونانية .. ويتضمن هذا الجزء من كتاب الدكتور سليم حسن دراسة تحليلية وموثقة لدلائل هذا الاستنتاج، مما يجعلنا نكتفى بالإشارة إلى تلك الدراسة دون الدخول فى تفاصيلها .

أما بالنسبة لتاريخ الأعمال الدرامية فى مصر القديمة فقد استلج بعض العلماء الأجانب رجوعه إلى عصر ما قبل التاريخ وما قبل الأسرات، وذلك نتيجة للعثور على وثيقة كتبت فى بداية عصر الأسرة الأولى (عام ٣٢٠٠ ق م) والعثور على نسخة أخرى من تلك الوثيقة متقشرة على حجر أسود معروض الآن فى المتحف البريطانى بلندن .

وقد أجمع العلماء الأجانب ومنهم العالمان «زينه» و «إيرمان» على أن هذه الوثيقة عبارة عن «مسرحة» بمعنى الكلمة، تتضمن حواراً يتبادلله مجموعة من آلهة المصريين القدماء يدور حول «خلق العالم» وتفسير «أصل الأشياء» . ومن الغريب أن نص هذه المسرحة يتضمن مجموعة من «التعليمات» الفنية المسرحية شديدة الشبه بما يكتبه مؤلفو المسرحيات

فى العصر الحديث .. كما يتضمن «مولوجا» كان من المفترض أن يلقيه الكاهن الذى كان يقوم بدور «الراوى»، والمفسر لأحداث المسرحية.

وبالإضافة إلى هذه الوثيقة الدرامية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، عثر عالم الآثار «كوبيل» أثناء الحفائر الأثرية التى كان يقوم بها فى منطقة معبد «الرمسيوم» بغرب الأقصر فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، على صندوق كان يحتوى مجموعة من أوراق البردى دونت عليها نصوص تمثيلية ذات طابع احتفالى دينى خاص بتتويج الملك «سنوسوت الأول» بعد وفاة والده الملك «أمنمحات الأول» (عصر الأسرة الثانية عشرة فى الدولة الوسطى) .. ومعنى ذلك أن هذا النص يرجع تاريخ تدوينه إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد، ويقول بعض المؤرخين إن «أصول» هذا النص ترجع إلى عصور سابقة يعود تاريخها إلى الزمن الذى نشأت فيه الملكية فى مصر فى بداية عصر الأسرة الأولى.

وتقع أحداث هذه التمثيلية الدرامية فى ستة وأربعين منظراً ومشهداً.. ويقوم بالأداء التمثيلى مجموعة من الكهنة والموظفين وأفراد من الأسرة المالكة، كما تظهر أثناء الأداء التمثيلى مجموعة من الحيوانات كالثيران والماعز، كما تستخدم الديكورات وبعض «الاكسسوارات» مثل الأعمدة المقدسة والأشجار والنباتات والخبز والعلی والجعة.

وقد أصطلح المؤرخون وعلماء الآثار المصرية على تسمية هذه الوثيقة باسم «بردية الرمسيوم المسرحية» كما قام هؤلاء العلماء بشرح وتحليل النصوص والجمل الحوارية فى ضوء المفاهيم العامة للأساطير والعقائد الدينية التى كانت سائدة فى مصر القديمة.

وعلى أحد جدران معبد «إدفو» بصعيد مصر، وهو المعبد الذى أقيم لتكريس عبادة الإله «حورس» نقش نص من الأدب التمثيلى، أطلق عليه المؤرخون اسم «دراما انتصار حورس على أعدائه» .. ويعتبر هذا النص من أحسن وأكمل نصوص الأدب التمثيلى فى مصر القديمة، حيث وصل إلينا بحالة سليمة وجيدة.

وتحليل هذا النص نلاحظ على الفور أنه عبارة عن رؤية درامية «مختصرة» لنص درامى أكبر حجماً وأكثر تفصيلاً .. وقد يكون السبب فى هذا الاختصار هو ضيق المساحة الجدارية التى نقش عليها النص بما يحتويه من جمل حوارية ومناظر تصور المشتركين فى الأداء التمثيلى من آلهة وبشر وحيوانات .. ومع ذلك فمن الواضح أن كاتب هذا النص المختصر قد قسمه إلى خمسة أجزاء عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .. وتدور أحداث هذه الدراما حول الصراع الذى نشب بين «حورس» وأعوانه من جهة، وبين عمه

«ست» وأعوانه من جهة أخرى، إلى أن انتصر «حورس» الذى يمثل الخير والعق والعدل، على «ست» الذى يمثل الشر والظلم والاعتصاب.

وبالرغم من أن معبد إدفو قد بنى فى العصر البطلمى الذى يرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، إلا أن بعض المؤرخين الذين قاموا بترجمة وشرح وتحليل النص الدرامى المنقوش على جدرانته يؤكدون أن بعض هذا النص مأخوذ عن نص درامى قديم يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الثالثة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد.

ومن الطريف أن أذكر هنا ماكتبه هيرودوت فى كتابه عن مصر من أنه شاهد مسرحية الصراع بين حورس وست بمشاهدتها السرية والعلنية، وشاهد معارك الصراع الذى احتدم بين أنصار كل من حورس وست، واعتقد انه كان صراعاً حقيقياً وعلنياً سقط فيه الكثيرون بين قتلى وجرحى، لولا أن المصريين أكدوا له أن هذا الصراع كان تمثيلاً متقناً!

والى جانب هذه الأعمال الدرامية المصرية القديمة التى كان أبطالها من الآلهة والملوك، فقد أبدع المصريون القدماء أعمالاً درامية أخرى أبطالها من البشر العاديين، كما كانوا أول من كتبوا «المونودراما».



ويتضمن الجزء الثانى من كتاب «الأدب المصرى القديم» دراسة متوسعة وشاملة عن فنون وأساليب الشعر فى مصر القديمة بدءاً من «الشعر الدينى» ونماذج الممثلة فى «متون الأهرام» والأناشيد التى كانت ترتل فى معابد الآلهة.. والأناشيد البديعة التى ألّفها اخناتون فى عبادة الإله الواحد.

كما تتناول هذه الدراسة أيضاً مجموعة من النماذج الرائعة لأشعار الحب والغزل العفيف.. ومجموعة من قصائد الشعر السياسى فى مدح الملوك وتمجيد إنتصاراتهم وسياستهم وأعمالهم المبهرة.

ويختتم هذا الجزء بعرض شيق لأشعار الأغانى الشعبية التى كانت تنشد فى الولائم والاحتفالات العامة والخاصة والأغانى التى ينشدها العمال والفلاحون أثناء قيامهم بالأعمال التى يمارسونها كأغانى الرعاة وصيادى الأسماك والخدم الذين يحملون المحفات وأغانى الفلاحين حين يحراثون الأرض وحين يدرسون سنابل القمح فى الأجران... الخ.

● وختاماً نشير إلى أن كتاب «الأدب المصرى القديم» جزئية اللذين أصدرهما الدكتور سليم حسن منذ أكثر من نصف قرن، يعتبر بكافة المعايير العلمية أفضل ما كتب باللغة

العربية فى تاريخ هذا الأدب العظيم الذى يعتبر بدوره أقدم وأعظم انطلاقة لوعى وعقل ووجدان الانسان حين بدأ حضاراته الأولى على وجه الأرض.. كما يعتبر هذا الكتاب أيضا الأدب الشرعى لجميع الكتب والدراسات والبحوث التى كتبها المؤرخون وعلماء الآثار المصريون فى هذا المجال.

مختار السويفى

عضو اللجنة الدائمة للآثار بالمجلس الأعلى للآثار
وعضو لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة

تمهيد

في عام ١٩٢٥ وجدت في يدي مؤلفاً نفيساً فذاً في بابيه في الأدب المصري القديم ، ألفه الأستاذ « إرمان » شيخ علماء اللغة المصرية القديمة ، وكنت أقرأ الكتاب في لذة وشغف ، وأعطيه مزيداً من وقتي وعنايتي ، فاقتنمت بأنه كتاب مفيد ، منقطع القرن في بابيه ، ووثبت إلى ذهني إذ ذاك فكرة ترجمته حتى أشرك معي أبناء مصر في فهم أدبهم المصري القديم وتدوقه ، بعد أن قدر له النشر مرة أخرى .

ولقد أخذت هذه الفكرة تخط مجراها في خاطري ، وتنشعب بها روحي ، حتى استقرت واحتلت مكانها ؛ فاصطحبت معي هذا الكتاب سنة ١٩٣١ ، وسافرت إلى أوربة ، واخترت بلدة « لوجانو » الهادئة بـ « سويسرا » مكاناً أستمين فيه بسحر الطبيعة ومفاتها على إتمام ما قصدت إليه . ولقد أتممت ترجمة معظم الكتاب حينئذ ، ولكن كثرة الأعمال حالت دون طبعه وإظهاره ، فبقي هادئاً في مضجعه ، قائماً بركن صغير من مكتبي ، حتى أتى عام ١٩٤٠ ، فأخذت أوقظه مرة أخرى ، وأنشره مرة وأطويه مرة ، فأوحى ذلك إلى بفكرة جديدة ، فلم تمد ترجمة الكتاب وحدها ترضيني ، ولا التعليق عليها يظني رغبتى ، بعد أن مضى عليها ذلك الزمن الطويل ، وبعد أن مرت أحداث وجدت كشوف غيرت بعض الحقائق القديمة بل قلبت بعضها رأساً على عقب ، وبعد أن ظهرت مؤلفات لعلماء الآثار ذللوا فيها بعض عقبات اللغة المصرية القديمة ، ووصحوا كثيراً من معالمها ؛ فعمدت النية على الكتابة في الأدب

المصرى القديم ، ومعالجة موضوعه على ضوء الأسس العلمية الحديثة ، وتتبع كل لون من ألوانه ، وإظهار خصائصه ومميزاته في المصور القديمة التي حصرت بحى فى دائرتها ؛ وزادنى اقتناعاً أن كتاب الأستاذ « ماكس بير » الذى وضعه عام ١٩٢٧ فى هذا الموضوع كان مقتضياً بسيطاً تنقصه النماذج الكثيرة التى هى مادة تاريخ الأدب وروحه ، وأن كتاب الأستاذ « إرمان » السابق الذكر لم يكن إلا مختارات معروضة خالية من البحث والدرس والموازنة والنتيجة ، هذا فضلاً عما ينقصه من البحوث الجديدة التى غيرت وجه الأدب المصرى ، وحثمت النظر إليه على ضوء جديد .

وبالبحث فى الأدب المصرى القديم يمانى من التعب وكّد الذهن والحيرة ما لا يمانيه باحث فى لغة من اللغات الحديثة فى أى عصر من عصورها ؛ فإنك إذا أردت أن تتحدث عن تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى مثلاً جمعت ما وعته الكتب والحافظه من نماذج الأدب المختلفة ، وأحطت بشئون العرب السياسية والاجتماعية والإقليمية فى هذا العصر ، ثم سلطت على هذه العناصر شمعاً ففكرت فستخلصت منها أصولاً وأحكاماً صادقة تسوقها للناس قاطعاً بها ، أو على الأقل مقتنعاً تمام الاقتناع بصحتها ، وعندك الشواهد والأمثلة التى لا شك فى معانيها أو مراميها ، تقدمها بين يدي بحثك فتعزز بها رأيك ، وتخرج بالنتيجة التى وصلت إليها عن عقيدة واقتناع . أما إذا تحدثت عن الأدب المصرى القديم وجدت نماذج ناقصة أو مبتورة أو مشوهة ، وكلمات غامضة الدلالة ، وأساليب تدل على معانٍ قد دثرت مع عادات القوم لا تعرفها (مما جعلنا نضطر إلى الإكثار من الهوامش) ، وجلاً مرصوفة فقدت كثيراً من الروابط والصلات ، وحرفاً ساحكة لا نستطيع بها أن نميز مواقع

الكلمات الإعرابية إلا من سياق الكلام أو أخذاً بغالب الظن ولا نستطيع بها كذلك أن ننطق بالأعلام نطقاً صحيحاً يطابق الوضع الأصلي لها، ولذلك اختلف العلماء في ضبطها، اللهم إلا ما وصلنا منها عن طريق الإغريق مثل «إزيس» و«فتيس». كل هذه العوائق تمنع الباحث، ولكنه يستطيع بشيء من الصبر والأناة أن يصل إلى حقائق محترمة عن هذا الأدب قد تكون نواة صالحة إلى آراء مقطوع بصحتها فيه.

وما يدل على وعورة الطريق أن كثيراً من علماء الآثار النابهين قد اختلفوا اختلافاً يبنياً في تراجمهم لآثار القوم الأدبية، ولكن الشقة بينهم أخذت تقترب في السنين الأخيرة بمحض الشيء.

ولقد اضطررنا في بعض الأحيان، عندما تصادفنا جل متبيلة مضطربة، أن نتركها بدون ترجمة، أو نترجمها ونشفع الترجمة بما يناسب من علامة استفهام أو تعجب. ولو أنا انتظرنا حتى نسمعنا الكشف والبحوث العلمية بما يرفع الحجاب عما غلق علينا فهمه، لطال انتظارنا ولجّ في الطول، لأننا مازلنا على ما وصلنا إليه في منتصف الطريق الموصلة إلى معرفة دقائق هذه اللغة.

ولقد دنانا واجب الأمانة العلمية أن نعرض النماذج الأدبية القديمة كما وجدناها على ما في كثير منها من تفكك وهلهة وركاكة، لأننا نريد أن نعطي القارئ صورة صادقة لأدب القوم وعقليتهم، وليس من الأمانة في شيء أن تعرضها وقد أعملت قلمك فيها بالتبديل أو التحوير أو الحذف أو التنيق؛ وهذا نفس ما اتبعه علماء الفرنجة عندما ترجموا التون المصرية، وعندما ترجموا قبلها التوراة والإنجيل عن العبرية، اقتناها منهم ومنا بأن هذه الطريقة هي التي تمكن القارئ من أن يتذوق الأدب كما أنتجه أبناؤه، فيستطيع أن

يقف على حاله ، ويمقد الموازنة بينه وبين غيره ، فيخرج بالنتيجة التي تظهر له بعد هذا العرض الصادق .

أما ما عدا النماذج المصرية التي سقناها شواهد وأمثالا على حال الأدب المصرى ، فقد كتبت بأسلوب أدبى يتفق مع الغرض من الكتاب ، فلا تعقيد يشوه جماله ، ولا إسفاف يهبط به عن مستواه ؛ تلاحظ ذلك فى بحوث الكتاب المختلفة فى ملخصات قصصه ومعالجة موضوعاته .

ولا يفوتنى أن أنبه القارئ إلى أن هذه المحاولة الجريئة التى قصدت منها إظهار تاريخ الأدب المصرى ، وأسسها التى بُنى عليها ، ومناحيه التى تفرع إليها ، بُنيت على ما جاء فى التون المصرية التى حل طلابهما زملائى من علماء الآثار ؛ على أنى قد تأثرت بصفة خاصة بطريقة الأستاذ « إرمان » وإن كنت قد خالفته وخالفت تلميذه الأستاذ « ماكس بيير » فى الطريقة التى اتبعتها ، فاخترت أن أتبع بالبحث كل صورة من صور الحياة الأدبية من أول نشأتها ، وأسير معها فى حيويتها ودروجها حتى أصل بها إلى نهايتها ؛ واختارنا تقسيم الأدب إلى عصور ، ومعالجة جميع ألوانه فى كل عصر .

فإذا كنت قد أصبت الهدف بما فعلت ، فهذا ما أرجوه وأسمى إليه ، وإن قصرت خطواتى عن الوصول إلى ما أريد ، فقد أرشدت إلى الطريق ليسير فيها من يريد ، ويستعين بما غرسته فى أرجائها من معالم تأخذ بيده ، وتسير به إلى نهايتها .

ولقد قصرت بحثى على المصور المصرية البحتة التى لم يتأثر فيها الفكر أو اللغة بغيرهما من لغات الفزاة وأفكارهم ، فلم أتمد فى بحثى سنة ٥٢٥ ق . م . التى فتح فيها الفرس البلاد ، فأخذت الأفكار الأجنبية من وقتها تدب

في العقليّة المصريّة ، وظهر ذلك التأثير واضحاً جلياً في العصر الإغريقي الروماني الذي سادت فيه الوثائق الديموطيقية ، وهي تكشف لنا عن عالم آخر في الحياة المصريّة ، وسنفرّد لها كتاباً خاصاً إن شاء الله ، لأنها تبتعد كثيراً عن الطابع المصري المحض ، كما أننا اكتفينا بالمرور سراعاً على بعض نواحي الأدب التي تحتل منزلة ثانوية بالنسبة لما تعرضنا له ، كالأدب التاريخي مثلاً .

وإني أرجو مخلصاً أن يكون لهذا الكتاب ما قصدت إليه من إظهار العبقرية المصريّة التي نهل من حياضها كل العالم القديم ، حتى يتأثر ناشئة البلاد خطوات أجدادهم ، فيبنوا ما بنوا ، ويعلموا البناء كما علوا به ، أو يرفعوهم حتى يصلوا بالبناء إلى غايته . والله يرعاهم ، ويسدد بالتوفيق خطاهم ، لمجد مصر وسعادتها . كما أرجو أن يكون ظهوره بدءاً للتفكير الجدي في معالجة موضوع أدب مصر القومي في عهودها المختلفة ، فيكون هذا الكتاب أولى الحلقات وتبعتها رديفاتها إن شاء الله .

وفي الختام أقدم الشكر لحضرة الأستاذ « محمد النجار » المدرس بالمدرسة الإبراهيمية الثانوية ، لما بذله من مجهود في مراجعة النسخة الخطية وقراءة التجارب أثناء الطبع . وكذلك أشكر رجال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عنايتهم ، مما سهّل على إنجاز الكتاب في وقت وجيز ، مع ما يراه القارئ من الإتقان .

سليم حسن

مقدمة

لقد ظل كثيرون ممن لم يدرسوا العلوم المصرية القديمة لا يعرفون عن مصر إلا أنها بلد الموميات ، (وأبو الهول) والأهرام و « توت عنخ آمون » . فعندما ظهر كتاب الأستاذ « ماكس^(١) بيير » عن الأدب المصرى القديم دهشوا عندما قرءوا عنوانه ، وسأله بعضهم بشيء من الدهشة : « أوجد لمصر القديمة أدب قومى كذلك الأدب اليونانى واللاتينى والألسانى ؟ » . وقد كان رده عليهم كتابه المختصر فى الأدب المصرى القديم .

ولا نستغرب من أجنبي عن مصر أن يسأل هذا السؤال إذا علمنا أن السواد الأعظم من المصريين المتعلمين الذين تحدث إليهم فى هذا الموضوع يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الإغريقى ، وعنه أخذت أم العالم آدابها ، وقبله كانت تاريخ الأدب فى الدنيا صفحة بيضاء ، ولكننا نؤكد لهؤلاء المتعلمين وأشباههم أن لمصر أدبا قومياً قديماً وأنه أقدم من الأدب الإغريقى . وإذا كانت كتابات « هومر » هى أول وأرقى ما عرف عن أدب الإغريق ، ولا يعلم شيء عن الأدب الإغريقى قبل ذلك فإن الأدب المصرى معلوم تاريخه من يوم أن نشأ وحبا إلى أن درج وغما ووصل إلى نهايته . ويمكننا أن نعطى مثلاً منه فى كل أطواره رغم ما نلاحظه من بعض الفجوات فى صفحاته ، وسنجد أنه أدب لا يقتصر على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ، ولكنه يمتدى ذلك إلى مؤلفات لها قيمتها الأدبية تثبت أن المصرى القديم كان يقدر الأدب ويتنوق حلاوته ويسحر ببيانه فى وقت كان الإغريق وغيرهم من الأمم القديمة يهيمون على وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهل . من أجل ذلك فضلنا أن نأتى هنا بكلمة قصيرة عن منزلة الأدب المصرى بين آداب الأمم التى عاصره قبل أن يظهر الأدب الإغريقى فى عالم الوجود فنقول ملتصقين السداد من الله :

لا شك أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحاً أدبية خالصة للأدب ، مجردة عن أى غرض آخر ، فقد وضع المصرى المؤلفات الأدبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ،

لا يريد بها شهوة سياسية أو تأييدا دينيا أو نفعا تجاريا ، وإنما يريد الأدب لذاته ، يريد غذاء الروح وإشباع النفس الصافية بسمو التعبير وعلو المعنى .

وكانت قدم مصر السابقة في هذا المضمار ، فلم يظهر الأدب العبرى إلا وليداً بعد اثني عشر قرناً من ذلك التاريخ ، والأدب البابلي كان يترنح فلم يكن إنتاجه مظهراً خالصاً للأدب ولا قصد به خدمة الأدب حبا في الأدب كما كان الشأن في مصر ، فإن الأدب أريد به فيها ذلك الذى يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية كالتي يحسها إذا استمع إلى شذو الشادى أو إذا رأى الصورة الجميلة وتحسس التمثال البديع .

والكلام في الأدب المصرى يقتضى التعرض أولاً لأنواعه ، وثانياً لأساليبه ؛ فن الناحية الأولى نرى أن الأدب المصرى من النوع الغنائى أو العاطفى وأن النوع القصصى كان بارزاً فيه ، وبلى ذلك الأدب العلمى والحكم والأمثال (التأملات) . وليس من شك في أن الأدب الغنائى والقصصى قد نبثا في التربة المصرية لأن كلا منهما يضرب بأعراقه إلى ما قبل ظهور الكتابة وهو العهد الذى يشبه العصر الجاهلى في اللغة العربية . ولا غرابة في أن ينمو الغناء والقصص بين قوم تخطوا طوّر الحمجية وأصبح لهم مشاعر ووجدانات تحتاج إلى تغذية ، وهى إن لم تواتهم من طريق القراءة والنظر لا تبعدهم عن طريق السمع والرواية ، وكلنا يدرك تأثير القصة الآن في العامة وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع .

ولم تقصر بابل في هذه النواحي الأدبية ، فقد ظهر فيها الأدب الغنائى والقصصى في الوقت الذى نبثا فيه في وادى النيل ، وإذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم إنتاجاً فإن ذلك لا يعنى أن إحداها قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بأدبها بل إن كلا منهما كانت مستقلة في إنتاجها وكان لأدبها مظهر خاص خاضع للمؤثرات المختلفة في الأدب ومنها البيئة والاستعداد الفطرى والدين والحضارة .

والظاهر الذى تحدثنا به الآثار أن «بابل» كانت أكثر خصبا في إنتاج القصص والشعر القصصى من مصر ، لأن الدين قد أظله فنمت القصة في كنفه وصارت لها أوزان ترجع إلى آماذ بعيدة ، هذا إذا لم تكن قد عملت عوادى الزمن على نحو بعض القصص المصرية من عوالم الآثار وأبقعتها دفينية في بطن الأرض ولم تسمح لها بعد بالظهور . وأعتقد أن أحد هذين الفرضين صحيح لأن ما بقى لنا من الشعر القصصى يدلنا على أنه مظهر لأدب راسخ القدم متشعب النواحي خصب الخيال كثير الأبطال يذهب إلى أبعد مدى في تصوير الآلهة ومقدرتهم وخوارق فعالهم في كل أطوار التاريخ المصرى ؛ ولا أدل على ذلك من قصة مخاصمة «حور» و «ست» التى

عنه عليها حديثا وقد أوردناها في هذا الكتاب وأبطالها جميعا من الآلهة ، وقد كان المظنون أن الإغريق وحدهم هم الذين انفردوا بإشراك الآلهة في تمثيلياتهم حتى ظهرت هذه القصة فغيرت هذا الرأي .

ومهما بلغ المدى الذي فاقت به «بابل» مصر في القصة عامة فإن من المقطوع به أن الأسبقية لمصر في اختراع الأقصوصة ، وصياغتها صياغة فنية ممتعة ، وتحليلها تحليلًا نفسيًا مناسبًا ، وتمهيد الطريق للتحليل النفسي الرائع الذي تراه في الأدب اليوناني وفي الآداب الحديثة في عصرنا عند مختلف الأمم الراقية على مثل ماذهب إليه «مارسل بروس» أو «هنري جيمس» أو «ه. ج. ولز» مما مثل اتجاها جديدا في الأدب وأكسب التأليف الروائي عمقا في الفكرة وزعة فلسفية قوية لم تكن تخلو منها الروايات القديمة ولكنها اشتدت جدا في الزمن الحديث .

هذا ما كان من أمر الأدب القصصي ، أما الفنان فقد كانت مصر و«بابل» فيه كفنصي شجرة واحدة ، فقد أخذت كل منهما من هذا الفن بنصيب كبير وإن كان إنتاج «بابل» حتى الآن أكثر من إنتاج مصر إن لم تكن الأرض نكتمتنا ما في بطنها ، على أن القوة والمذوبة كانت متمثلة ظاهرة في مصر على أختها في هذا اللون من الأدب .

ولقد كان الشعر الديني عند الأمتين حلوا ، ولا وجه للمفاضلة بين أحسن ما أنتجت «بابل» وبين ما عثرنا عليه في مصر في عهد الدولة الحديثة .

أما الأدب العبري فقد تخلف من الأدب المصري في الظهور عشرة قرون ، وقد وصل إلى درجة جملة في مرتبة واحدة مع أحسن ما أخرجته مصر و«بابل» ، ولم يستطع أن يتفوق عليهما ، وقد استطاع الإغريق الذين أتوا بعد هذا المهد أن ينهضوا بالشعر الفني والعاطفي الذي وضعت أسسه في مصر فلان لهم قياده وابتكروا فيه مذاهب جديدة كما فعلوا في كل فروع الأدب الأخرى .

نتقل بعد ذلك إلى الأدب التعليمي والتأملي وتدل جميع الشواهد على أنه من وحي مصر ، فالعربون هم الذين ابتدعوه وهم الذين برزوا وقطعوا أشواطا بعيدة فيه وتخلف عن السباق معاصروهم ، وكان هذا اللون من الأدب محببا إلى النوق المصري ، وقد بقي المصري عدة قرون مهتما بالتأليف فيه ساعيا إلى تحسينه باذلا جهدا يتفق ومهارة الكاتب واتساع أفاقه الاجتماعي .

ويقينا أن مؤلف «فتاح حتب» في الحكم والأمثال كان نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه ؛

يؤيد ذلك ما اشتهر به المصريون وتحدث به العالم القديم عن براعتهم في الحكمة وضرب المثل. وقد فصلنا ذلك عندما وازنا بين أمثال سليمان وتعاليم « أمنموني » في باب الحكم والأمثال ووصلنا الى أن الأولى قد أخذت عن الثانية قطعاً بأكملها .

والآن وقد انتهينا من الكلام على موضوع الأدب المصري ننقل الى الناحية الأخرى منه وهي أسلوبه ، وقد كان الأسلوب الجميل موضع فخر الكتاب ومحل تقدير القارئ . جاء في بردية عن أمثال « فتاح حتب » : « أنها الأقوال التي صيغت في أسلوب جميل ، والتي تحدث بها الوزير عندما كان يثقف بالمعرفة ويعلم مبادئ الحديث الطريف » . وجاء في ورقة « نفرهرو » (وستحدث عنها فيما بعد) على لسان الملك « سنفرو » يخاطب حاشيته « إيتوا لي بإنسان يروح عن نفسه بكلمات جميلة وأقوال مختارة تجدد في سماعها جلالتي تسلية وراحة » . وإذا قرأنا « قصة الفلاح الفصيح » التي كتبت قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. وجدناها سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الإنسان صيغت في أسلوب قوى بليغ بدا منه أن كاتبها أراد أن يظهر قدرته الفنية على جمال الصياغة وروعة الأسلوب . وهذه الظاهرة التي تجعل عذوبة الأسلوب هدفاً يرمى إليه الكاتب كانت بارزة واضحة في مصر مطمورة منعقدة في « بابل » جارتها ومعاصرتها فلا جرم أن كانت مصر أول أمة شغفت بالثقافة الأدبية وعنها أخذ العالم .

والأسلوب الذي يهدف إليه المصري هو الأسلوب المذهب الذي لا تكلف فيه والذي توجهه السليقة فينسب الى النفوس وترتاح اليه الأسماع ، ولا بد أن يكون مناسباً للموضوع الذي يعالجه ؛ فيقوى ويشدد في الجلى وعظائم الأمور ويلين ويرق في التعبير عن العواطف أو الترجمة عن مكونات الفؤاد . ولكن هذا الأسلوب الجميل قد دخلت عليه الصنعة بمرور الأيام فأفقده روعته وعذوبته وأصابه التكلف والزخرفة اللفظية وأصبح الأديب يضجى بالمعنى السامى في سبيل تزويق الألفاظ كما حدث للغة العربية في العصر العباسى الثانى .

ولقد بدأ هذا الفساد يدب في الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى وتظهر بوادر ذلك في قصة « سنهويت » . ولقد تعلق المصرى بهذا الأسلوب وأشرب قلبه حبه حتى إن التلاميذ في الدولة الحديثة وبخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة والعشرين مثلوا كراساتهم نماذج منه يستظهرونها ويأخذون أنفسهم بحكاياتها حتى يصلوا الى ملكة تقدرهم على الإبانة عما في ضمائرهم بهذا النوع المزخرف المحبب إلى نفوسهم .

وفي ورقة « انستاس الأولى » (وستجىء في باب الرسائل) نرى مثالا لهذه الطريقة الأدبية التي سادت عهد الدولة الحديثة في صورة خطاب هجائى يعيب فيه كاتبه زميلا له

جهله فن كتابة الرسائل ، وضعفه في الحساب حتى لا يستطيع أن يقدر وزن مسلة ، وعدم درايته بمعرفة أحسن الطرق للسياحة في سوريا . ولعل السر في شيوع هذه الورقة أنها تحتوي على فكاهات أو نكت لا نستطيعها لاختلاف الذوق بين عصرنا وعصرها ، أو لأن فيها منها ما يجب أن يكون عليه الرجل المثقف في هذا العصر ، وهي في مجلتها تدل على نوع من الصلف في الكتابة . فالأسلوب المصري كالفن المصري قد وصل إلى قته قبل حلول الدولة الحديثة ، ولا يمنع هذا من أن تلمع فيه من وقت لآخر قطع فنية نذوق فيها حلالة الأسلوب الفطري وقوته ولكنها قليلة ، كما أن الشعر العاطفي لم يودع قوته وتأثيره في عهد الدولة الحديثة ، بل بقي جيلا رائعا بل ربما غطى جماله فيها على ما سبقه . وربما كان السبب في ذلك موجة الرخاء والترف التي غمرت المصريين عقب حكم الأسرة الثامنة عشرة وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فأطلقت ألسنتهم بالأغاني العذبة والأناشيد المرحية السعيدة مترجمين بها عما يدوقونه من حلالة الدنيا ولذة الحياة . هذا إذا لم تكن الأرض قد خبأت في ثناياها بعض الشعر العاطفي من إنتاج الدولة الوسطى ، أو ما يجعلنا نعتقد بأن ما نسب إلى الدولة الحديثة ليس كله من صياغتها .

الأدب المصري والآداب المصرية :

قال « أندري مروا » الكاتب الفرنسي العظيم في كتابه *Aspects de la Biographie* P. 177 « إن الأدب لا يقاس بالنمو والتقدم فلا يمكننا القول : أن تنسون الشاعر الإنجليزي أعظم من « هومر » الشاعر اليوناني القديم ، أو أن « بروست » أعظم من « مونتاني » لأن الأدب ينساب في نفمة إيقاعية ولا يسير في خط متصل فلكل من الأدباء وقته وظروفه » . وقيمة الأدب القديم في أنه يرينا اللبنة الأولى في بناء الأدب والجهود التي بذلها الأدباء القدماء في خدمته حتى وصل إلى مظهره الحديث . فلا وجه إذا للمقاومة بين الآداب القديمة بما فيها المصري والبابلي وبين الآداب الحديثة ، إذ أن الثانية نتيجة نمو الأولى وتطورها وبين الأديين في مجلتهما فروق من جهات ثلاث :

الأولى : أن الادب المصري لم ينتج لنا أدبا نفسيا عميقا كالآداب الحديث .

الثانية : أن الأدب المصري قدرته محدودة في تصوير الجو الذي يناسب القصة .

الثالثة : قوة التأثير والأسر .

فأما عن الناحية الأولى فنرى أن المصري لم يهمل التحليل النفسي جملة بل أخذ منه

بطرف كما نرى في قصة « سنوهيت » التي حلت لنا ناحية من نفسيته حين نفى عن بلاده واشتاق إلى وطنه . ولكن ذلك يعتبر يسيرا إذا قرناه بالتحليل العميق الذى يلجأ إليه نحول علم النفس الآن في قصصهم الرائعة مثل قصة Daisy Miller التى كتبها « هنرى جيمس » أو قصة الاتصال السامى Die Wahlverwandtschaften التى كتبها « جيته » الألمانى الفذ فى أدبه . ومع ذلك فإن التحليل النفسى الذى نقرأه فى قصة « سنوهيت » المذكورة خير مما نجده فى قصص الجن والعمارة الشائعة فى آداب العالم عامة . ولا يضير الأديب المصرى أن تحليله خلا من العمق والروعة ، فيكفيه فخرا أنه وضع الأساس وجاء غيره فشيده على قواعده ثم جاء التطور الحديث فأعلى البناء وزخرفه .

وأما الناحية الثانية ، ناحية الجو الذى يخلقه الأديب لقصته أو لموضوعه فينتقل بالقارىء إلى العالم الذى يريده ، فهذه أيضا للمصرى فيها نصيب المؤسس الأول ؛ فإن أول مأساة (دراما) وضعت على صورة تمثيلية ، كانت من فعل الأدباء المصريين وترجع بتاريخها إلى عهد الأسرة الأولى ، انظر Sethe, Dramatische Texte zu Altaegyptischen Mysterien spielen وهذه المأساة تشبه رواية تمثيل آلام المسيح وموته كما كانت تمثل فى القرون الوسطى ، ولم تصل المأسى التى ابتكرها المصريون فى قوتها ما وصلته عند الإغريق وفى عصرنا الحاضر ، ولا تقتصر الحاجة إلى الجو المناسب عند تأليف القصة أو الشعر القصصى ، بل قد محتاج إليه أيضا فى الشعر الغنائى كما نجده فى كتابات « هور » اليونانى (الاللياذة) وفى كتابات « فرجيل » (الإنياد) . وقد وجدنا أثرأ لتصوير الجو الأدبى فى الكتابات البابلية (جلجاش) ولكنه قليل ، وليست المأساة المصرية السابقة هى كل ما وصلنا عن هذا النوع فإننا نجد ذلك « الجو الأدبى » مصورا فى قصة « سنوهيت » وفى قصة « ونامون » إذ أن قارى هاتين القصتين لا يلبث أن ينتقل مع بطليهما إلى سوريا ويرى بينهما وبحكم برأيهما ، وقد تكون وسيلة المؤلف ساذجة ولكنها على كل حال تحدث الأثر المطلوب ، وتمتاز عن القصص الأخرى التى فقدت هذه الميزة والتى يقصها مؤلفها ببساطة مثل قصة « الأخوين » وقصة الملك « خوفو والسحرة » وغيرها من القصص^(١) . وإذا كانت هذه القصص الأخيرة بمثابة قطع من الحلوى يستحلها الأطفال فى أفواههم فإن قصتى « سنوهيت » و « ونامون » غذاء عظيم للرجال الرشداء . ولا جدال فى أنهما أقدم قصتين قصيرتين جديدين

(١) هذا الجو نجده كثيرا مصورا فى الشعر الجاهلى حينما يصف الشاعر العليار وبكى الأطلال والدمع . (راجع الملاحظات)

في العالم كانتا ذخيرة للأدب العالمي وإن لم تضلا في موضوعهما إلى نظائرها في العصر الحديث . بقيت الناحية الثالثة وهي قوة التأثير وشدة الأسر ، وهذه ترجع إلى عاملين : الألفاظ ، والصوت . فإن اجتمع اللفظ المذهب الرشيق مع الصوت المناسب أخذوا بمجامع القلوب وجذبا الأنظار والأفكار . أما الألفاظ الجميلة فاللغة المصرية غنية بها وزاها في موضوع « شجار بين إنسان سم الحياة وروحه » وفي حطب « الفلاح الفصيح » التي استهوت الملك نفسه . وأما سحر اللفظ ووقعه في النفس فقد حرمناه لأن اللغة المصرية تنقصها الحياة والحركة . وجملة القول أن مصر كان لها أدب قومي منذ ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأن هذا الأدب هو وليد حيويتها ولم تأخذه عن غيرها أو تتأثر فيه بغيرها وهو وإن لم يبلغ مرتبة الأدب الحديث إلا أن له فضل الخلق والسبق والتأصيل .

وإذا كان الأدب المصري قد أخذ يتدهور في المصور المتأخرة فإنه ترك الزمام للأمة اليونانية حتى تخلق بتفكيرها في أجواء عالية منه على سنة التدرج طبعا ، فإنه ليس في مقدور الأدب الإغريقي ولا الفن الإغريقي أن يولدا كاملي النمو كما ولدت « فينوس » (الزهراء) فاضجة كاملة النمو من أمواج البحر ، فالأدب المصري غذى الأدب العبري والأدب الإغريقي فشبا ولعبا دوريهما في الحياة ونشك بحق في مقدرة الأدب اليوناني والأدب العبري على بلوغ المرتبة التي وصل إليها كل منهما إذا لم يتخذنا من الأدب المصري عوناً على النمو والارتقاء بطريقة لا تزال نجعلها .

لمحة عن التاريخ المصرى القديم

قبل أن نتحدث عن أدب عصر الفراعنة ، وندرس نواحيه وأهدافه ، يجمل بنا أن نمر صراعا على التاريخ المصرى القديم ، لنقف على العوامل التاريخية التى أثرت فى هذا الأدب فدفعت به إلى الأمام أو أرجعته معها إلى الوراء .

وسنسير مع التاريخ المصرى من بدايته حتى عصر الفتح الفارسى ، وسنتبع ما اعتاده المؤرخون من تقسيمه إلى أسرات ودول متأثرين مذهب المؤرخ المصرى «مانيتون» ، آخذين أنفسنا باتباع أقرب الاحتمالات إلى الصحة حسبما توحى إلينا دراستنا وتجاربنا ، فإن تقدير العلماء لأعمار هذه الأسرات وتلك الدول وتحديد تاريخ لبدائيتها ونهايتها ، إنما قام على وجه تقريبي لأن المعلومات التى وصلت إليهم عن هذه العهود لا تزال ناقصة مبتورة ولم تصل بعد إلى حد الحقائق الثابتة التى يطمئن إليها المؤرخ ويستخلص منها تاريخا سليما يرتاح إليه ، ولذلك اختلفوا اختلافا كبيرا فى هذه النواحي ، وأملنا أن نكون أقرب إلى السداد فى كل ما نقول وسيكون رائدنا فى ذلك أحدث الآراء العلمية والكشوف الأثرية .

المرحلة القديمة :

الأسرتان الأوليان (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م .)

لم تخلف لنا هاتان الأسرتان آثارا أدبية قيمة غير وثيقة فى اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية عثر عليها فى عهد الملك « شباكا » من الأسرة الخامسة والعشرين أى فى القرن الثامن ق . م . وهو الذى أمر بنسخها تحليدا لها وينسبها المؤرخون إلى عصر الأسرة الأولى أو كما يسميه بمض المؤرخين عصر اتحاد البلاد الأول .

الأسرة الثالثة (٣٠٠٠ — ٢٩٠٠ ق . م .)

لقد بقى تاريخ هذه الأسرة غامضا زمنا كبيرا ولم تصل إلينا منه إلا نتف يسيرة لا تروى غلة إلى أن كشفت لنا أعمال الحفر فى السنين الأخيرة عن صفحة مجيدة فى عالم الفن والنحت

والهامة ، وعن تفكير محترم في العقائد الدينية وبخاصة في عهد الملك « زوسر » أعظم ملوك هذه الأسرة وباني الهرم المدرج .

الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م .)

يُعتبر عصرها عصر البناءات الضخمة ، وأكبر مظهر لها الأهرام العظيمة . وإذا كان ملوك هذه الأسرة لم يتركوا لنا كتابة داخل أهرامهم فإننا نعتقد أن ذلك كان استثناء بما سطروه على معابدهم وإن كان الزمن قد عفا والنقوش التي وجدت بقاياها حديثا في آثار معبد خوفو الجنازي الملاصق لهرمه تؤيد مذهبنا إليه ^(١) . وأهم ملوكها : « خوفو » و « زدفرع » و « خفرع » و « منكاورع » . ولقد عرفنا كثيرا عن حياة هذه الأسرة وتاريخها وحالتها الاجتماعية والدينية من النقوش التي سجلت على مقابر عظمائها وكبار رجالها الذين دفنوا حول الأهرام . غير أن البحث لم يجد علينا بكتابة أدبية خالصة تقيس بها مجهودم الأدبي .

الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٣٥ ق . م .)

لقد كان عهد هذه الأسرة عهداً ذهبياً للفن والأدب والفلسفة الدينية فلقد أرتنا أهم وثيقة دينية ظهرت في التاريخ . بدت تلك الوثيقة منقوشة على جدران هرم الملك « وناس » فأنقذها رجال الدين منارة يهتدون بما فيها طوال مراحل التاريخ المصري ، وأخذ عظماء القوم كذلك يكتبون محائف حياتهم . وصلواتهم الدينية ومعاملاتهم اليومية على جدران مقابرهم مما سهل علينا حل ما اعتاص من نقوشهم وخفي من رموزهم . وقد برزت الناحية الأدبية لأول مرة في صورة كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواعظ الحسنة إذا صح أن « فتاح حتب » قد دون نصائحه في عهد هذه الأسرة ، كما هو الراجح .

الأسرة السادسة (٢٦٣٥ ق . م . وما تلاها)

ترسم ملوك هذه الأسرة وعظماؤها في كتاباتهم ونقوشهم ومبانيهم خطى ملوك الأسرة الخامسة وعظماؤها بل ظهرت لهم كتب جديدة في النصائح وتوسموا في الفتح فوصلوا الشلال الثاني وامتدت مغازيهم حتى لبنان ، ولسكن الوهن كان يعمل بمزم في جسم الدولة ، وكانت

(١) عثر المؤلف على بعض نقوش دينية في بقايا معبد « خوفو الجنازي » وكان علماء الآثار يظنون أن الهرم الأكبر ومعبد لا توجد فيهما كتابة قط بخلاف هذا الكشف غريباً في بابه .

سلطة حكام الأقاليم تزداد في كل يوم طفينا إلى أن استقلوا بمقاطعاتهم وتمزقت أوصال الدولة وققدت وحدتها السياسية وسارت في مزالق الفوضى والاضطراب حتى اعتبر عصر الأسرتين السابعة والثامنة من أكثر عهود التاريخ المصرى ظلمة وخفاء وفسادا .

العصر الإهناسي

الأسرتان التاسعة والعاشر (٢٤٤٥ - ٢١٦٠ ق . م .)

وقد ظلت البلاد مفككة إلى أن أسس « خيتي » في « هيرا كليوبوليس » (إهناس المدينة الحالية) مملكة مصرية وقد أخذت البلاد في عهده وعهد من خلفوه تنتعش من غشيتها وتحس حرارة الحياة مرة أخرى ، ولكن عقارب الخلاف كانت لا تزال تدب في جسمها حتى وهبها الله ملوك الأسرة الحادية عشرة فشفوا أدواءها وأعادوا إليها شيئا من وحدتها بعد حروب داخلية طاحنة ، واتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة للملكهم .

وقد يبدو غريبا أن يظهر نوع من الأدب الراقى في هذا العصر مع ما فيه من تقاطع وتدابير وانحلال وحروب قاسية ، ولكن إذا علمنا أن الأدب الصافي ما كان وليد العاطفة المتأججة ، وأن الرجات السياسية والهزات العنيفة مما يثير النفوس ويطلق اللسان أدركنا كيف قوى الأدب ونبتت فيه أنواع جديدة وسط هذا الجو الصاخب المضطرب ، وأن الانفعالات النفسية التي يبعثها البؤس والشقاء أعمق أثرا من تلك التي يبعثها الصفاء والرخاء ؛ لذلك رأينا في هذا العصر أوصافا مؤثرة لما يحدث في النفوس ويمتلج في الصدور من سوء الحال وشكوى الزمان وتأملات فيما صارت إليه الأمور ؛ وكأن الذين كتبوها كانوا يريدون بها إصلاح حال البلاد الاجتماعى في ظل حكومة عادلة مما سنفضله بعد .

الدولة الوسطى

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٥ - ١٧٩٠ ق . م .)

رأس هذه الأسرة ومؤسسها « أمينحات الأول » (١٩٩٥ - ١٩٦٥ ق . م .) ولقد حكم البلاد بيد من حديد وقضى على أذبال الفوضى التي بقيت تعبت في أنحائها وسار ابنه « سنوسرت الأول » (١٩٧٥ - ١٩٣٤ ق . م) على غماره . ولقد عمل هو والملك « سنوسرت الثالث » (١٨٨٢ - ١٨٤٥ ق . م) على مد رقعة البلاد واتساع سلطانها

على البلاد المجاورة ، كما يعزى إلى أمينمحات الثالث من ملوك هذه الأسرة تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وتناول مرافق أخرى عظيمة بالإصلاح والتعمير .
ويعتبر عصر هذه الأسرة المهد الذهبي للأدب (المهد الكلاسيكي) إذ ظهرت كتابة فنية خالصة عنى فيها بالناحية الفنية لذاتها ، تنتظم موضوعات متنوعة قيمة من القصص والتأملات والأناشيد الدينية والدنيوية وكذلك أخذ الفراعنة يمدون فتوحاتهم شمالا وجنوبا مما جعل مصر يومئذ تحتل مكانة ثقافية وسياسية سامية فبدأت تنشئ علاقات وثيقة وتختلط بجزائرها من ناحية آسيا والسودان .

عهد المكسوس (١٧٩٠ - ١٥٨٠ ق . م .)

أخذت البلاد تهوى منذ بدأت الأسرة الثالثة عشرة حكمها ففيض جناحها وغزاها قوم متوحشون يسمون المكسوس « الرعاة » فتملكوا أمرها وحكموها عهدا طويلا واتخذوا حاضرتهم في « أواريس » (صا الحجر الآن) . ولقد ثار عليهم أمراء طيبة وخرجوا عن طاعتهم واستقلوا بأرضهم ومرافقهم ، وأخيرا تمكن الملك « كاموز » ومن بعده « أحس » (١٥٨٠ ق . م .) من طرد المكسوس من البلاد وبناء دولة جديدة فنية .

الدولة المصرية

تظالنا هذه الدولة بصفحات جديدة من الأدب المصرى فيها الفناء الرائع والنزل الطريف فى تضاعيف قصائد بديعة الخيال وربما ظهر النزل قبل ذلك فى عهد الدولة الوسطى ولكننا لم نمث على شئ منه ، ولقد أخذ اختلاط المصريين بجزائريهم يقوى ويشدد بحكم سلطانهم وسيادتهم ، فأخذ لعاب الألفاظ الاجنبية ينساب إلى مجرى اللغة المصرية ويسير معها بشكل واضح نتيجة لتلك الفتوح العظيمة التى قام بها ملوك هذه الدولة ، ومن ثم ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى غلبها المصريون على أمرها مما يخلع على هذا العصر مجدا عظيما فى الثقافة والسياسة ، وقد اتخذ ملوكه « طيبة » عاصمة لهم فأصبح بذلك إلهها الموضى « آمون » كبير الآلهة المصرية .

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٥٠ ق . م .)

وقد تسعت رقعة المملكة فى عهد تحتمس الأول (١٥٥٥ - ١٥٠١ ق . م .) وحفيده « تحتمس الثالث » (١٤٧٨ - ١٤٤٧ ق . م .) حتى صارت متسعة الجوانب

مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع إلى أعلى نهر دجلة والفرات . وقد حكم « أمنحوتب الثالث » (١٤١٥ — ١٣٨٠ ق . م .) مدة طويلة موقفة . غير أنه قد ظهرت في خلال حكمه بوادر تلك الثورة التي اندلع لهيبها في عهد ابنه « أمنحوتب الرابع » (اخناتون) من (سنة ١٣٨٠ ق . م .) .

كان « لاختاتون » فلسفة خاصة بالمقيدة ، وقد هداه تفكيره إلى أن الوجدانية صفة لازمة للآله ، فأراد إحداث إصلاح ديني يهدف إلى هذه الناية أساسه أن يفرد المصريون قرص الشمس بالعبادة (أو بعبارة أخرى أن يعبدوا القوة الكامنة في قرص الشمس وحدها) وألا يتخذوا لها لهم غيرها واتخذ سبيله للقضاء على كل الآلهة الأخرى المبتوثة في البلاد وحطم أصنامها ، ولما وجد تيار المقاومة شديداً على دينه الجديد هاجر به من « طيبة » موئل المقاومة والنفار إلى مدينة جديدة أسسها تسمى « اخناتون » (مكان تل بنى عمران الحالي بالقرب من ملوى) وفيها نما دينه وازدهر ودخل فيه الناس أفواجا طوعا لأخناتون لا حبا في دينه الجديد .

ولقد تطور الفن في عهده كمتطور الأدب ، فدبت الحياة في الأول وصار أقرب إلى محاكاة الطبيعة بعد أن كان يسير على سنن واحد جامد موروث ، وكذلك غلبت اللغة العامية وصارت لها الصدارة على أختها الكلاسيكية القديمة الصحيحة .

وبالجملة فإن الكشف الحديث (توت عنخ آمون) رغم أهميته لم يرسل ضوءا كافيا على حال البلاد في أواخر حكم هذا الملك الزائع عن دين أجداده .

ولكن الناس أعداء ماجهولوا ، أسرى مألّفوا ، فلم يلبثوا أن حنوا إلى دينهم الذي وجدوا عليه آباءهم ، فرجعوا إلى عبادة الآلهة المختلفة وعلى رأسها « آمون » .

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م .)

في عهدها أصبحت الدلتا مركز الجاذبية للدولة المصرية ، وبقيت « طيبة » مسحة القداسة والطهارة تقبع فيها المعابد الضخمة المزينة كمعبد « الكرنك » و « الأقصر » و « الدير البحري » . وابتدأ الكاتب يشعر بمركز ممتاز ويدل بمكانته على أصحاب المهن الأخرى ولقد ظهرت له بحوث ممتعة في الأدب والعلم والتعليم .

هذا وقد حارب « سبتى الأول » (١٣٢٠ — ١٣٠٠ ق . م .) بدو فلسطين وقام من بعده ابنه « رمسيس الثاني » (١٣٠٠ — ١٢٩٤ ق . م .) وشن الغارة على دولة « الحيثا » (الحيثيين) في آسيا الصغرى وهدفه الاستيلاء على فلسطين وغيرها ، وقد خلا انتصاراته في

حصينة نقشها على جدران المعابد واشتهرت خطأ باسم (بنتاور) ، وأسس حاضرة جديدة للملكة تسمى بيت رععميس (صا الحجر) وبعده أخذ نجم الدولة الصاعد يتضاءل وقوتها تنحط . وفي عهد ابنه «مرنبتاح» قامت الحرب بينه وبين اللوبيين كما نشبت بينه وبين كثير من الأمم والقبائل ومنها قبيلة إسرائيل معارك كثيرة ، وقد سجل أمرها وما ظفر به من انتصارات فيها على لوحة لاتزال محفوظة بالمتحف المصري وقد جاء فيها عن وقعة إسرائيل «وقد خربت إسرائيل ولم يبق وجود لبذرتها» . ومن هنا نشأ الخطأ الشائع القائل بأن «مرنبتاح» هو فرعون موسى . وبعد موته غشيت البلاد سحائب مظلمة من الفوضى والاضطراب .

الأسرة العشرون (١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م .)

يعتبر «رععميس الثالث» رأس هذه الأسرة (١٢٠٠ — ١١٦٩ ق . م .) وقد سجل لها مجدا حرييا في البر والبحر وقد اتخذ خلفاؤه من بعده اسم «رععميس» ولكن لم يكن لهم فعل «رععميس» . فتهاونوا فباخلفه لهم من المجد ولم يحافظوا على التراث الذي تركه لهم فانزلت البلاد إلى مهاوى الضعف وأهانت أنهارها تماما

وقد وجدنا في قبر «رععميس الثالث» أكبر وثيقة جميلة كتبت على البردي ، وقد ذكر فيها ما كانت عليه البلاد من الفوضى قبل أن يتبوأ عرشها وما بذله من إصلاحات في مختلف نواحيها وتناولت موضوعات كثيرة أخصها المعابد وماله من جليل الشأن ، وقد كتبت في عهد ابنه ووضعت في قبره لتكون أنيسه في وحدته وشفيعه عند الله كما وجدنا صحائف أدبية مختلفة من آثار هذه الأسرة والأسرة التي سبقتها .

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٩٠ — ٩٤٥ ق . م .)

أخذت سلطة الكهنة تملو وتطني في عهد الرعامسة حتى أطفئوا سراج هذه الأسرة وقام رئيس كهنة آمون المسمى «حرحور» وأسس أسرة جديدة في «طيبة» وقام في نفس الوقت أمراء آخرون وأسسوا ملكا لهم في مدن أخرى مثل (سمندس) الذي أقام مملكته في «نانس»

الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ — ٧٤٥ ق . م .)

قام أحد الأمراء اللوبيين الذين طالبت مدة إقامتهم في البلاد واسمه «شيشنق» وتوج نفسه ملكا على البلاد حوالي (٩٤٥ ق . م .) وكذلك حكمت أسرته عدة إمارات مختلفة في مصر .

وتلا هذا العهد الفتح الاثيوبي لمصر سنة ٧١٢ ق . م . وجاء بعده الفتح الآشوري عام ٦٧٠ ق . م . وقد شعر المصريون بمرارة الاستعباد وحز في نفوسهم أن يساموا الخسف والهوان فهبوا يدافعون عن كيانهم ويدودون الأعداء عن بلادهم ، وكان « ايسماتيك الأول » (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .) فارس هذا الميدان ، نخلص البلاد من نير النذل والمار وأضيق عليها نم الاستقلال وأشعرها بمجدها المؤثل فهبت نسبات إصلاحية عمت البلاد طولا وعرضا لإحياء العلوم والفنون القديمة كتلك التي تجاوزت في أوروبا في عصر النهضة الأوربية الحديثة ، ولكن هذه النهضة المصرية لم تثبت على قوائمها وكانت كشهاب أضاء حيناً ثم احترق فأخذت البلاد تهبط وتحلل من جديد فكان ذلك إيذانا بفتح الفرس لها عام ٥٢٥ ق . م . وقد تمتعت البلاد بفترات استقلال متفرقة كانت كالدكريات الحلوة تمر سريعة في خاطر الوالهة الشكلي وكان آخر عهدا بنعيم الحرية إلى يومنا هذا (سنة ٣٤١ ق . م .) عندما هزب « نقتانب » من عاصمة ملكه « سمنود » إلى بلاد النوبة أمام الفرس الغزاة المظفرين . ولم ينعم هؤلاء بحكم البلاد طويلا إذ فاجأهم « الإسكندر الأكبر » وطردهم من مصر واستولى عليها عام ٣٣٢ ق . م .

نظرة عامة في الأدب والكتابة المصرية

(١) تطور الأدب

اتصل الأوروبيون بالمصريين في عهود ضعفهم بعد أن خسرهم الحروب ولبد أن خرجوا يلهثون من حياة كفاح طويلة مع أجنب غاصبين . وقد ضرب المصريون الأقدمون نطقاً حول عاداتهم وموروث معتقداتهم لا يجتازونه ولا يسمحون لأحد أن يزحزحه ، وكأنهم ظنوا بذلك أنهم سيحتفظون دائماً بمكانتهم التي كانت لهم عند العالم . وليس معنى ذلك أنهم كانوا جامدين ، يسير العالم ولا يسيرون ، بل إنهم مع تحفظهم كانوا سباقين متيقظين في وقت ظل كثير من الأمم فيه ينط في نوم عميق ، وكانت روح الفاصرة تحفرهم ، والإقدام عملاً رموسهم ، وتلك سياحاتهم وحروبهم وآثارهم الفنية الخالصة تشهد بتوثبهم ، بل إن أعمال التصوير والنحت عندهم تنطق بأن الحياة لديهم كانت دائماً فرحة ناطقة جريئة كما كانت عند الإغريق الذين أتوا بعدهم بألاف السنين .

ولم يجب اليونانيون ما كان عليه المصريون من تحفظ موروث فنظروا إلى عاداتهم نظرة رهبة واحتقار لأنها لا تتفق مع دنيا الحضارة عندهم ، ووضومهم كما وضعهم الأوروبيون جميعاً مع الصينيين الأقدمين في كفة واحدة . والواقع يخالف ما ذهبوا إليه كما قدمنا لأنهم نظروا إلى الحياة نظرة واسعة جريئة دعاء إليها ذكؤهم وتوقد عزيمتهم فوجدنا عندهم حياة عقلية محترمة وفلسفة دينية عميقة واقتناها في الأغاني والقصص وعناية بالكتابة والأدب .

وحكمتنا على الأدب المصري لا يصل طبعا إلى حد الجرم لأن مظاهر أوراق البردي وبقاؤها سليمة كاملة ثلاثة آلاف من السنين أو أربعة نادر أو مستحيل فكل ما وصلنا منها جذازات من مجاميع عظيمة ، ولقد أمكننا بشيء من الدرس والموازنة أن نصل إلى حكم نعتقد أنه صحيح في مجلته لأننا وجدنا الخواص التي يمتاز بها كل عصر أدبي وصلنا إليه نتفق وما نعرفه عن مصر التاريخي الذي سار به وظهر فيه .

والذي نستطيع أن نقطع به أن المصريين كانوا مهتمين بتنمية لغتهم وصلها لأنها غنية بالاستعارات والتشبيهات ، فهي من هذه الناحية لغة مترفة مثقفة .

(٢) عصور الأدب المصرى القديم

يمكننا أن نقسم تاريخ الأدب عند المصريين القدماء إلى عصرين كبيرين : قديم ، وحديث .

العصر القديم :

إن الظاهرة التى امتاز بها هذا العصر الأدبى شيوع المحسنات اللفظية فقد عنى الكتاب بزخرفة الألفاظ وتنميقها على نحو يقرب مما ساد اللغة العربية فى العصر العباسى الثانى حينما انتشرت طريقة « ابن العميد » و « القاضى الفاضل » ، غير أن كتاب الفراغة كانوا يعنون بناحية المعنى عنايتهم بترصيع الألفاظ ، فكتبوا بهذه الأساليب المزخرفة بحونا قيمة عميقة . وليس من شك فى أن كثيرا من أدب هذا العصر قد ضاع فلم نعر فيه إلا على كتب للأمثال أو للتعاليم المدرسية أو التأملات ، وأما غير ذلك من ألوان الأدب فلم نعر على شىء منه أو عثرنا على قدر قليل ناه (١) ، ولا يمكننا أن نتصور خلو الأدب المصرى القديم من قصائد غزلية مثلا أو من أناشيد ملكية أو أن عناية المصريين القدامى بالأمثال والتعاليم المدرسية تفوق عنايتهم بالغزل والنشيد وإن كنا قد وجدنا منها شيئا لا بأس به . وكل ما هنالك أنهم اعتادوا أن يدفنوا مع تلاميذ المدارس كتبهم عند موتهم فحفظها القبور لنا بجانب جثثها حتى وصل إليها الكاشفون النقبون فعرفناها . أما كتب الأدب الأخرى التى كانت تحفظ مع الأحياء فقد أدركها الغفاء فجهلنا أمرها .

ويبدو غريبا لنا أن نرى المصريين وقد عنوا كثيرا بدينهم وآخرتهم يعملون للدين المرتبة الثانية من أدبهم . وقد يخفف من حدة هذه الغرابة أن العقيدة أمر موروث يأخذه الأبناء عن الآباء من غير بحث ولا اقتناع حتى إذا خلا المرء إلى نفسه وراض فكره سما به إلى تلك القوة الهائلة المجهولة التى لا يدرك كنهها ولا يعرف لها حدا (الله) فيقف فكره عند ذلك موقف الذى أعياه الجهد وأدركه البهر فانقطعت أنفاسه فلا يستطيع تصوير ما جاشت به نفسه تصويراً أدبيا ممتازا .

ويظهر أنه فى عهد الأسرة الخامسة (سنة ٢٧٠٠ ق . م .) من العصر القديم قد أنشئ كتاب واحد على الأقل من كتب الأمثال ، وقد بلغ الأدب غايته فى هذه المرحلة على ما نعتقد

(١) وجد بعضه فى العصور الوسطى وما بعدها

في العصر المظلم الذي يفصل بين الدولة القديمة والوسطى وفي عهد الأسرة الثانية عشرة المشهورة (١٩٩٥ — ١٧٩٠ ق. م.).

وقد ظلت كتابات هذا العصر تقرأ في المدارس المصرية القديمة خمسمائة سنة وهي على حالها من الزخرفة والعناية بالمحسنات اللفظية التي أغرم بها المصريون وقتها إغراما شديدا والتي بذل الأدباء في سبيلها كل جهد ليصلوا بها إلى المذوبة والجمال .

العصر الحديث :

غير الأدب وجهته في هذا العصر فسار في طريق أخرى غير الطريق التي اعتادها قديما ، فقد كانت مادة الأدب إلى هذا الوقت اللغة الفنية العالية في كل ألوانه وقد تقترب من لغة المحادثة إذا تناولت وثائق حيوية أو صورت قصصا شعبية .

أما في العصر الحديث فقد احتجبت اللغة الفنية ولم يعد أحد من الشعب يفهمها أو يستسيغها ، حتى إنه في عهد الثورة الدينية العظيمة التي حدثت أيام « أمنحوتب الرابع » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة ، وقد ألفت بهذه اللغة « أنشودة الشمس الجميلة » وهي تضم في طياتها مناجاة للإصلاح الديني . ولقد استقر نظام الكتابة بلغة العامة وكتب له البقاء . وفي عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ظهر أدب قوى مكتوب بتلك اللغة الجديدة التي أسميناها (المصرية الجديدة) كما كتب بها جزء كبير مما جمعناه في هذا الكتاب .

وقد بقي للمدارس خطرهما أيضا في عهد (المصرية الجديدة) ولكن أساليبها دبت فيها الحياة بقدر ما ذاق المصريون من حلاوة الحياة في هذا العصر ؛ إذ رأوا الدنيا بعين الرضا فتمشقوها وشغفوا بها .

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقة والبحوث الفلسفية . وقد يسوق الله إلينا كشفا جديدا يغير هذا الرأي فإن حال مصر في ذلك الوقت تدعو إلى نقيضه .

ولم تدم سيطرة (المصرية الجديدة) على الأدب طويلا ، فإن الأدباء حنوا إلى المهود الأولى . فأخذوا يرسمون عباراتهم ويتقنون لها أسنى الألفاظ والأساليب ، وقد يزينونها بالألفاظ الأجنبية على سبيل التظرف أو إظهارها لتمكنهم من مادتهم ، واستمر الأدباء في طريقهم يهذبون اللغة ويفتنون فيها نحو خمسة قرون ، أخذ هذا النوع من الأدب بعدها في الانحطاط حتى كاد

أن يتلاشى . وكان على تلاميذ المدارس أن يتعلموه كأنه مادة غريبة عنهم حتى آل نجم الأدب إلى الغروب كما آل نجم مصر إلى السقوط .

استمرت الحال كذلك عدة قرون (وقد نستثنى منها عصر الإغريق) إلى أن ظهر أدب جديد هو الأدب الديموطيقي ولا دخل له في موضوع كتابنا .

ويلاحظ أن اللغة الأجنبية التي كان الأدباء يزينون كلامهم بها في العصر الأخير من الدولة الحديثة كانت مستعمارة من لغة فلسطين غالبا لما كان بين البلدين من علاقة متينة قوية ، وهذا يدعونا إلى القول بأن (كنعان) قد تأثرت بمصر من ناحية الأدب كما تأثرت بها من ناحية الفن .

ولو وصل إلينا شيء من الأدب الفينيقي لرأينا الطابع المصري فيه واضحا أيضا من غير شك ، وإننا نرى الأدب العبراني — وإن كان زمنه متأخرا عن الزمن الذي نتحدث فيه — يذكرنا بنوع من الكتابات المصرية ، نرى ذلك واضحا في الزامير وأناشيد الإنشاد في الأدب الحكيم عند العبرانيين ، وقد نرى تأثيرا كذلك غير مباشر للغة المصرية إذا دققنا البحث في أساليب العبرانيين وطرائق تعبيرهم غير ماذكر .

وما دمنّا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فليس ببعيد إذن أن يكون الأوروبيون أنفسهم قد تأثروا بالعقلية المصرية والتفكير المصري فاستفادوا وأفادوا .

(٣) الكتاب المتعلمون

كانت الطبقات المثقفة عماد الأديين القديم والحديث ، وكان للكاتب فضل السبق على غيره من أصحاب المهن الأخرى ، بل إنك لتجد فجوة كبيرة تفصل بين المصري المتعلم وغير المتعلم ، ومن يبرع في الكتابة ينل أسمى المراكز وإن لم تسم مواهبه الأخرى ، بل لم يكن للحاكم نفسه قيمة إلا بكتابه . ومن هنا تدرك السر في رغبة كبار الموظفين القدماء أن يصوروا أنفسهم في هيئة الكاتب ، لأن الكتابة في نظرهم سلم يرق فيه المرء إلى أقوى المراكز وأعلاها ، والرجل الذي يستطيع الإيابة عما في ضميره بأسلوب جميل مهذب يحدد الطريق أمامه مفتوحة لأكبر المناصب وأعلى الدرجات . ومن هنا شملت الكتاب موجة من الفطرسه والكبرياء وراحوا يدلون على غيرهم بمركزهم الاجتماعي ، ويظهر هذا واضحا جدا في أدبهم القديم الذي كونه بحيث كان ذلك التعالي ميزة له .

والكبر وإن كان في ذاته مكروها إلا أن المثل العليا التي وضعتها طائفة الكتاب للموظف

الذى يعتد بنفسه ويرتفع بكرامته جعلتنا نتجاوز عن ناحية الصلف ونعترف لهم بأنهم جعلوا من واجب الموظف أن يكون عادلا ينتصر للمظلوم ويأخذ من الظالم ، حادقا يعرف كيف يتغلب على الصعاب ويفتح الطريق بين أعظم الصخور وأمنع العقاب . وكانت آراء الكتّاب تحترم في مجلس الشورى وكل قول له يجب أن يقدر ويميز عن العامة .

بهذه الروح كان الموظفون يعملون كما نشئوا الشباب من طائفتهم على هذه المبادئ نفسها . وفى عهد الدولة الحديثة بقى الميل إلى البيروقراطية ومدارسها كما كان من قبل . وبالرغم من كل مابدا من خلاف فان رسائل المعلمين لم تمط بشيء غير ما وعظت به كتب الحكمة القديمة . وليس هناك فرق إلا أن تلاميذهم كانت مرتدية ثوبا أكثر لباقة وحذا وأن خلقى الكبرياء الذى يشع من مرامهم كان أكثر تجسما وأين وضوحا . وسنوضح كل ذلك فى باب الرسائل .

(٤) المغنون والقصصيون

لا ترتاب فى أن الذين حملوا مشاعل الأدب المصرى كانوا من المتعلمين الذين يحترفون الكتابة ، وليس معنى ذلك أنهم خلقوه خلقا ، أو أنهم الذين ابتدعوه فى أرض الفراعنة ابتدعا ، وإنما ارتقوا به من حالته الساذجة التى كان عليها إلى حالة أكثر اقتنايا ، فان الطبيعة التى أوحى إلى الحمام بالهديل وإلى المصفور بالشقشقة وإلى الهزار بالتفريد لابد دافعة بالإنسان إلى محاكاة هذه المخلوقات ، بل إن أساس المحادثة نفسها قائم على هذه المحاكاة ، لذلك لانشك مطلقا فى وجود الفناء وهو فرع من الأدب قبل أن ينهض بالأدب الكتاب فى مصر القديمة ، غير أنه كان بسيطا لا تكلف فيه ولا تعقيد ولا ازدواج ، واعتبر ذلك بما تراه من الفلاح المصرى الآن وقد رفع داليته أو أدار ساقيته ، ومن البحار وقد أطلق فى النيل جاريته أو تسنم ساريتها ، تجد أن الطبيعة قد أوحى لهما بما يقولان فانطلقا رجّمان على تلك الصورة الصغيرة المحببة التى تنير الماطفة وتجلو صورة من صور الحياة . ولاشك أن فى الفناء راحة ولذة أخذها الأبناء عن الآباء بطريق الوراثة . وهى خير معوان على مداومة العمل الشاق وتذليل ما صعب منه ، ولأمر ما تميل الإبل وتنشط فى رحلاتها الطويلة إلى الحذاء فتحت فى السير وتسرع فى طى الفاو ، والفلاح والصانع فى مصر القديمة كانا يستعينان على عملهما الشاق بفنائهما المتواضع حتى لقد كان الفناء جزءا من العمل الذى يقوم به العامل ، يدلنا على ذلك أن المثال

كان يضيف إلى تمثاله الذى صور به الأغنية التى تناسبه . وقد أوردنا أمثلة من هذه الأغاني فى المصور المختلفة فى مواضعها المناسبة . وكنا نظن^(١) إلى عهد قريب جدا أن تلك الأغاني التى كان يرددها فانتات الوصيقات فى حضرة سادتهن لم تكن موجودة ، ولكننا عثرنا عليها فى كشف جديد ممثلة معهن ، رأينا منظر غانيات شاديات ، وأخريات راقصات ، تلح فيه تناسق الحركات مع إيقاع النغمات ، ولا يبعد أن تكون تلك الأغاني ساذجة بريئة كأختها التى كان يرددها العمال .

ولا نشك فى أن الفناء قد تأصلت جذوره فى أرض الفراعنة ونبتت سيقانه حتى صار حرفة معترفا بها يزاولها الرجال والنساء ، فقد رأينا رجلا حرموا حاسة البصر ونساء فانتات قد اتخذوا من الفناء حرفة مربحة ، كما تحدثنا قصة (سياحة ونامون) فى نهاية الدولة الحديثة عن مغنية مصرية عملت على نشر الحضارة المصرية فى سوريا من ناحية الفناء .

وإذا كنا قد رأينا الفنانين والفنيات ممثلين فى آثار الفراعنة فإننا لم نجد للقصاصين آرا ، وذلك لأن الفناء من مظاهر الترف التى تلازم قصور الأغنياء ، والقصاص من السلع التى تعرض فى الطرقات ويتلف على سماعها العامة وصغار القوم كما نرى فى أيامنا هذه ، وحياة الطرقات وما إليها لم يمثلها المصريون فى مقابرهم ، وإنما سجلوا ما كان من ألوان الحياة المحيية لدى السادة والأمراء .

وعندنا قصص للعامة والخاصة من كل عصور التاريخ المصرى إلا الدولة القديمة فلم يصلنا حتى الآن شئ منها وتدل مادتها ونغماتها على أنها من أصل قديم ، وإذا كانت قصص الروائيين الحديثة تتناول شخصيات تاريخية عظيمة مثل « عنترة العيسى » و « صلاح الدين » فإن القصص القديمة كذلك لم تهمل أبطال التاريخ ، فلدينا قصة من العصر المسيحى فى مصر تدور حول « قبيز » وأخرى من العصر الإغريق تتناول « نطقانب » وثالثة ممتمة حفظها لنا « هيرودوت » عن « رمبزييتس » وفى الأوراق البردية الديموطيقية نقرأ قصة الملك « ييتوبستس » وحكاية رئيس الكهنة « خاموس » . وفى نهاية الدولة الحديثة نجد قصة الملك « تحتمس الثالث » وقصة ملك الهكسوس « أبوفيس » ومن أواخر عهد الهكسوس نطالع قصة « الملك خوفو والسحرة » .

(١) عثر الأستاذ أحمد غفرى كبير مفتشى الوجه القبلى على مقبرة « خيوف » من عهد الأسرة الثامنة عشرة ومن مناظرها الفريدة ذلك المنظر الذى أشرنا إليه . انظر :

ولا شك في أن هذه القصص قد وضعها وأذاعها قوم عرفوا ميول العامة وأذواقهم فاستهوهم بها ، وإذا كانت هذه القصص قد جاءت في بعض الأحيان على شكل أساطير دينية كأسطورة « إيزيس » و « أوزير » و خرافة « هلاك الإنسانية » (والآلهة التي لم تستطع المودة ثانية إلى مصر) فإن ذلك لا يمنع من كونها عامية خلقت للعامة تغذية لميولهم وإشباع لمواظفهم وأهوائهم . هذا وقد طالعنا الكشف الحديثة بلون جديد من القصص كان يظن أنه من اختراع اليونان وأعنى بذلك القصص الخرافية الذي تدور حوادث أبطاله حول الآلهة دون البشر . إذ عثرنا أخيراً على قصة للمخاضمة بين « حور » و « ست » كان كل أبطالها من الآلهة ، وتعتبر هذه القصة تجديداً في الأدب المصرى القديم ، وسنوردها بعد .

(هـ) أوزان الشعر المصرى

من المعلوم أن الشعر يمتاز بما فيه من الصور الخيالية الجميلة وبما يقيد من الأوزان الخاصة به . وإذا نظرنا إلى الشعر المصرى من هاتين الناحيتين وجدنا أن الصور الخيالية كثيرة فيه ، ولكن أى وزن يقيد ؟ وهل له وزن واحد أو أوزان مختلفة كالشعر العربى ؟ وهل له قيود أخرى غير الأوزان كالكافية فى الشعر العربى مثلاً ؟ الواقع أننا تأهون فى بحار الشعر المصرى ، فكل ما كتب بلغة عالية فى أسطر قصيرة ، متقاربة الطول ، يرجح أنه شعر يخضع لوزن من الأوزان ، فإذا تكررت المقطعات واتحدت فى عدد سطورها ، وتناسبت معانيها كان ذلك شعراً مؤكداً لا ثيراً وتكون القطعة عادة من ثلاثة أسطر أو أربعة كالأمثلة الآتية :

أنت تنزل فى سفينة من خشب الصنوبر
تحرك من المقدم إلى المؤخر
وتصل إلى قصرك الجميل
الذى بنيت له لنفسك

فك مغمم بالنبىذ والجمعة
والخبز واللحم والقطير
وتذبح الثيران وتفتح أبواب النبىذ

وأمامك الشدو الجيل

ورئيس معطريك يضمخك بعطر (كى)
وساقيك يحمل تيجان الأزهار
ورئيس فلاحيك يقدم الدجاج
وصيادك يقدم السمك

وليس تكرار المقطعات واتحاد عدد سطورها هو كل ما يقيد الشعر المصرى بل يلتزم أن تبتدى المقطعات كلها بكلمات مشتركة تكرر في جميعها ، فمثلا في (جدال بين إنسان سم الحياة وبين روحه) نجد أن المقطعات الثانية التى تتكون منها الأغنية الأولى تبتدى كل واحدة منها بهذه العبارة :

« انظر إن اسمى ممقوت » كما أن مقطعات الأغنية الثانية تبتدى كل مقطعة بهذه الجملة : « لمن أتكم اليوم ؟ »

وقد نجد القيد مزدوجا كما في قصيدة تحتس الثالث إذ نجد أن الأسطر الأولى قد اتحدت في استهلالها كما نجد الأسطر الثالثة قد اتحدت أيضا في صدورها .

فالأبيات الأولى من هذه القصيدة تبتدى بما يأتى :

« إني قد أتيت حتى أجعلك تدوس »

وصدر الأسطر الثالثة منها هذه العبارة :

« إني أريهم جلالتك »

أما السطران الثانى والرابع فليسا مقيدين في بدايتهما

وقد نجد مقطعات شعرية مختلفة في الطول ومختلفة في عدد السطور متشابهة أو غير متشابهة في بدايتها ، فنسميها شعرا مطلقا من القيود ، ولا نخفى على القارئ حيرتنا وترددنا بين اعتبار مثل هذا الكلام نثرا أو شعرا لجهلنا بالوزن الذى كان يلتزمه المصرى القديم عند تأليفه القصيد . والظاهر أن الشاعر المصرى ما كان يتقيد بوزن خاص بدليل أن مصرى العصر المسيحى (الأقباط) كانوا ينظمون شعرهم حرا خاليا من القيود الوزنية كما ترى :

رجل آخر يذهب إلى الخارج

يمكث سنة ثم يعود إلى بيته
ولكن أرشليت ، قد ذهب إلى المدرسة
وكم يوما حتى أرى وجهه
ولا بد أن المقطوعات الشعرية المصرية المركبة من أسطر كانت تشبه في توقيعها
الرباعيات القبطية .

ولا شك أن تحمل الشاعر المصري من قيود الوزن يجعله أكثر حرية في تفكيره وفي
صياغته . فبدلاً من أن يبدأ مقطوعته بقوله « أوزير يستيقظ بسلام » يستطيع أن يبدأها
بقوله « الباقي المخلد ، رب المأكولات ، الذي يهب الحياة من يحب ، يستيقظ بسلام »
ومن مميزات الشعر المصري التي انفرد بها أن يسوق إليك المعنى الواحد في صورتين
مختلفتين متلاحقتين ، مثال ذلك : « القاضي يستيقظ » ، « تحوت يجلس » ، ومثل :
« ثم تكلم أصدقاء الملك هؤلاء » ، « وأجابوا أمام إلههم » ، ومثل : « وهم الذين يدخلون
في هذا القبر » ، « وهم الذين يشاهدون ما فيه » .

ففي المثالين الأولين نجد أن الجملة الثانية مرادفة للأولى ولا فائدة منها ، وفي المثال الأخير
نجد أن الجملة الثانية تفيد معنى جديداً ولكنه من لوازم معنى الجملة الأولى .

ويرجع إغرام المصريين بهذه الطريقة إلى عنايتهم بالزخارف اللفظية في العهد القديم
كما سبق بيانه وإلى إظهار الكتاب قدرتهم على اللعب بالأساليب والافتتان فيها واعتيادهم
ذلك حتى صار أمراً مقررًا في كل أسلوب فني عال . ويظهر أن كتاب العهد القديم أخذوا
هذا النوع الغريب من الأداء عن العبرانيين والبابليين الذين ألفوه وصاد بينهم .

وتستطيع أن تدرك مبلغ غرابة هذه الطريقة إذا حولت قطعة ما من الشعر إلى الأسلوب
المصري . وخذ مثلاً هذه القطعة وهي بداية الكتاب الخامس من « الأوديسا » .

« الآن طلع الفجر من مخدعه من جانب « نيتونس » ليحمل النور إلى الخالدين والناس
وكانت الآلهة تجتمع لجلسة ومن بينهم (زيوس) الذي يرعد من أعلى ، والذي تملو قوته
كل القوى .

فهذه القطعة تقرأ بالأسلوب المصري كما يأتي :

إن الفجر رفع نفسه من سرير (نيتونس)
وشفق الصبح طلع من مكان راحته
حتى يستطيع أن يضيء للخالدين

ويحضر النور لبني الإنسان
والآن كانت الآلهة ذاهبة إلى المجلس
وجلس الخالدون ليتشاوروا
وجلس في وسطهم (زيوس) الراعد
وجلس على عرشه ملك الآلهة رئيسا لهم
ذلك الذي قد عظمت قوته
وفاقت قوته كل شيء

ولا شك أن هذا الترادف أو المزاوجة في التعبير مما يذهب بإمتاع القطعة ويكد الذهن
ويعنمه متابعة المعاني وتسلسلها ببساطة وسهولة ، ولكن لم يكن ذلك قابلا يجب صب الشعر فيه
أو مقياسا يجب عرضه عليه ، بل كان مجرد حلية لفظية يلزم الشاعر باتباعها ما دام قد اختار
لمعانيه الأساليب العالية .

ولقد جرمهم غرامهم بالترادف والازدواج إلى التردد للممدوح قبل ذكر اسمه بسرد عبارات
مختلفة تشير إليه ، وتدل عليه ، كما جاء في أنشودة الصباح المترجمة بعد ، ويتنوع البيت الواحد
بهذه الطريقة إلى ما لا نهاية له من الصور والأوضاع ، ويبدو هذا مملا وثقिला على آذاننا ،
ومن يدري ، لو أنا وهبنا آذان الفراغة الأقدمين ، وعرفنا كما عرفوا أسرار مسمياتهم التي
اختاروها لكان هذا الشعر خفيفا على أسماعنا محببا إلى قلوبنا . وقد فشا هذا الأسلوب في
في قصائد المديح خاصة وهي التي يمتاز بها الأدب المصري فيسبق اسم الممدوح جمل للتعظيم
مثل « المديح لك » أو « التبع ذلك » تتبعها نعوت وأسماء وأسماء أفعال وجمل موصولة
للتعريف بالممدوح وللتذكرة بجميل أفعاله ، وتحشد هذه النعوت حشداً كثيراً بلا ترتيب مما
لا يجعل تفاضلا بينهما ، ومما لا يجعل لهذا الشعر معنى . ومن الظواهر المموسة في الشعر المصري
تداعي المعاني وتساقق الأفكار ، وإذا قرأت (تحذيرات نبي) وجدت هذه الظاهرة واضحة ،
فهذا الشاعر الذي تفجر قلبه حزنا وأسى على بلاده ، أخذ يرسل الزفرات الواحدة بعد الأخرى
شاكيا مما يشجيه ويحزنه ، ولكن لا اتصال بين ما يشكوه منه على كثرتة ، لظاهرة الاستطراد
وتداعي المعاني التي تواضع عليها هؤلاء الشعراء ، فكل فكرة يمبر عنها تسوقه إلى فكرة
جديدة فيتناولها أيضا فتسلمه هذه بدورها إلى غيرها وهكذا ، وإليك مثالا مما قال .

« إن كل شيء مملوء بالحياة حتى الأطفال الصغار » وعند ذكر الأطفال يثب إلى ذهنه
أنهم يقتلون ويلقى بهم على تلال الصحراء فيتناول هذا الموضوع ، ثم تذكره تلال الصحراء

بالموميات التي تنزع هناك من قبورها ويلقى بها عليها فيعالج ذلك أيضا بدون أن يكون لكل ماذكر علاقة أصلية بالموضوع الذي أنشأ فيه القصيدة أولا .

ومن الزخارف اللفظية التي أولعوا بها الجناس ، وكان أسلوبا محببا اليهم ، وقد وجدت في «متون الاهرام» صيغ دينية قديمة جدا لتقديم القرايين التزم فيها الجناس في كل اسم من أسماء مواد الطعام ، واستعمل الجناس كذلك بنظام في قصيدتين من أدب الدولة الحديثة قد دونتا فيما بعد ، ولا نستطيع أن نبرز هذا الجناس باللغة العربية طبعاً لاختلاف ظروف اللغتين .

ومن الحلى التي كان لها شأن كذلك في تزيين اللفظ وقتها بداية الكلمات بحروف واحدة ولكن لا يلتزم هذا الاتحاد الحرفي دائماً ، ومثاله بيتان من الشعر يشيران إلى « أمنحوتب الثالث » : « حاربت عصاه بلاد النهرين ، وأخضع قوسه السود » .

ولقد عثرنا على شعر مصري في العصر اليوناني تشابهت فيه الحروف الأولى لكلماته مما يجعلنا نعتقد أن تلك العادة وجدت قبل ذلك التاريخ عند أدباء المصريين وكانوا يميلون إلى اتباعها في نقوش معابدهم بل إن رجال الدين كانوا يجدون لذة في ذكر كلمات تتحد حروفها الأولى في الجملة الواحدة ، وهناك رأى ينسب مثل هذا الأسلوب إلى الدولة الحديثة أيضاً .

(٦) الكتابة والكتب

إن ذلك المخترع الذي اهتدى إليه المصريون فضمن للحياة العقلية النمو ونمى به الكتابة جدير بأن نحمل له نصيباً من عنايتنا وأن نتحدث ولو بشيء من الإجمال عن بدئه وتطوره . بدأت الكتابة المصرية على نظام الصور الذي اتبعه غير المصريين بنقشها الإنسان ليزكر بها شيئاً في ذهنه ، ولكنه من الصعب على غيره أن يهتدى إلى ما يريد . لذلك كانت هذه الطريقة ناقصة وغير مضبوطة ولا تؤدي إلى الغرض من اختراع الكتابة وإليك مثلاً .

اتفق شخصان على أن يبيع أحدهما الآخر ثورا في مدى ثلاثة أشهر مقابل خمس جرات من العسل فإنه يكفي لتسجيل هذه الصفقة أن يرسم « القمر والثور والنحلة والحجرة وبعض شرط أفعية تدل على العدد » وبدهى أن الأجنبي عن هذين المتعاقدين لا يستطيع أن يفهم صيغة ما تعاقدا عليه على وجه الدقة إذا عرضت عليه هذه العلامات . لذلك مست الحاجة إلى تلافى هذا العيب فبدأ كل قوم من ناحيتهم يفكرون في إكمال ما لمسوه من النقص حتى وصلوا

إلى أنواع من الكتابات والكلمات والمقاطع . وقد لازم المصريين وحدهم التوفيق فوصلوا إلى أعلى شكل للكتابة وهو الحروف الأبجدية .

والفكرة الأولى التي وصلت بهم إلى غايتهم في ذاتها سهلة ، فإن هناك من الكلمات ما يصعب رسمه وتصويره كأسماء المعاني مثلا فيجب أن ينقش بدلها كلمات أخرى يمكن رسمها وتتفق معها في النطق وإن كانت تختلف عنها في المدلول ، وعلى القارئ أن يفهم المعنى المقصود من سياق الكلام ، فمثلا أردنا أن نعبر عن معنى عظيم (ور) وهذا يصعب علينا رسمه لأنه معنوي فلا علينا إذن إذا استعملنا بدله لفظ عصفور الجنة ﴿ ﴾ (ور) لأنه يماثله في النطق وإذا أردنا أن نعبر مثلا عن كلمة يصير (خبر) وتصويرها أيضا متعذر فلا بأس من أن نستبدل بها مثلا كلمة جعل ﴿ ﴾ (خبر) التي تماثلها في النطق والرجع في فهم المعنى المقصود منها إلى حذق القارئ .

والكلمة التي نستعيرها يجب أن تحتوي على حروف الكلمة التي نستعيرها لها بصرف النظر عن الحركات التي تحدد موقعها من الإعراب .

وكثير من العلامات التي تستعمل في معنى واحد اتسعت معانيها على مر الأيام وأصبحت لا تختص بمدلول واحد بل إنها صارت على مر الأيام أجزاء من كلمات أخرى . فمثلا عصفور الجنة لم يعد يستعمل كما في المثال الأول ليدل على (ور) (عظيم) فحسب ، بل ليدل أيضا على الحرفين الساكنين (و ، ر) إذا دخلا في تركيب الكلمات الأخرى مثل (حور) ، (سور) ، (ورس) ، (ودرت) . . . الخ . ومن هنا اكتسبت الكتابة إشارات من حرفين ساكنين . وتقدم المصريون خطوة أخرى فاستعملوا كلمات قصيرة فيها حرف ساكن واحد ، تدل بجملة على هذا الحرف الساكن فمثلا ﴿ = ر = ﴾ (فم) كانت تستعمل للدلالة على حرف الراء و ﴿ = زت = ﴾ (أفعى) كانت تستعمل للدلالة على حرف الزاى (والتاء فيها علامة التأنيث) و ﴿ = شى = ﴾ (بحيرة) للدلالة على حرف الشين وهكذا ، وكانت نتيجة هذه الخطوة أن تكونت حروف أبجدية من أربعة وعشرين حرفا ساكنا وهي التي انتهت فيما بعد إلى أرض كنعان وأخذت منها الحروف الأبجدية الأوربية .

وبهذه الحروف الأبجدية كتبت كلمات قصيرة مفردة مثال ذلك ﴿ = ر = ﴾ إلى و ﴿ = م = ﴾ في . ﴿ = أو = ﴾ يكون ، كما كتبت نهاية بعض الكلم مثل ﴿ = خبر = ﴾ ف . ﴿ = هو = ﴾ يصير كما أنها سهلت قراءة الإشارات التي تدل على كلمات . فمثلا في ﴿ = بمعنى الضامة أو ﴾ بمعنى فأس لو تركت هذه الإشارات كما هي مرسومة

لاحتمل تفسيرها بكلمات أخرى لا تدل على الضامة ولا على الفأس ولكن بإضافة (ن)
للأولى و (ر) للثانية وكتابتها هكذا 𐤒𐤓 𐤒𐤓 « من ، مر » يتحدد معناها وبدلان
على الضامة والفأس لا غير ، كما أن كثيرا من الكلمات كتب بالحروف الأبجدية المختلصة
على حسب هجائها .

والخلاصة أن الحرف الواحد كان يدل على كلمة أو يلحق بأخرى ، أو يضاف إلى إشارة
ليحدد معناها أو يلتزم وظيفة أصلية فيكون جزءا من الكلمة .

وقد بقي نظم الكتابة خليطا بضم كلمات يراد بها معناها الأصلية أو معناها الاستعاري
أو علامات أبجدية تدل على كلمات أو تحدد معاني كلمات .

وقد خطت الكتابة خطوة أخرى نحو النمو وأدخل عليها عنصر جديد ينحو بالكلمة
إلى الهدف المراد منها وهو ما يسمى بالمخصص . فمثلا (نهت) أى جيز أضيف إليها شجرة
فأصبحت تكتب هكذا 𐤎𐤓𐤓𐤓 . « ونفر » أى جميل أضيف إليها إضامة بردية لتدل على
الشيء المنوى فأصبحت تكتب هكذا 𐤎𐤓𐤓𐤓 𐤎𐤓𐤓𐤓 وكذلك غير ما تقدم من الكلمات .

والكتابة بعد هذه الخطوة أصبحت سهلة على القارئ المصرى القديم يكتبها ويقرأها
 ويفهمها بيسر وسهولة بدليل أنه وقف عندها ولم يحاول أن يطوح بالمخصص ويقتصر على الحروف
الأبجدية وحدها بوضع نظام يوصل إلى هذه الغاية .

ولقد اعتدنا أن نقتفى أثر الإغريق في تسمية الكتابة المصرية فنسب بعضها «الإشارات
المقدسة» (هيراغلوفية) ونسب بعضها آخر خاصا (الميراطيقى) وهو الذى نقلنا عنه معظم ما فى
هذا الكتاب . وفى هذه التسمية بعض التجوز أو التساهل لأن الميراطيقى ليس نوعا خاصا
منفصلا عن قسمه بل هو بمثابة خط الرقعة فى اللغة العربية إن جئنا الميرغلوفى بمنزلة خط
النسخ ، والفرق بين الاثنين كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد .

ومما ساعد على تقدم الأدب المصرى بوجه عام الأدوات التى كان يستعملها الكتاب
فى كتابتهم فلم يتأثروا البابليين فى طبع إشاراتهم على اللوحات الطينية التى أنتجت الخط
المسمارى القبيح الشكل . بل إنهم كانوا يكتبون كما نكتب ، وبعبارة أصح أصبحنا نكتب كما
كانوا يكتبون ، فكان عندهم المداد الأسود الثابت اللون وكانوا يطحنون مادته على ألواح من
الخشب وكانوا يأخذون أقلامهم من القصب يبرون أطرافها ويديبونها وفق رغبتهم ، وكان
عندهم فوق ذلك ورق ناعم جميل صنموه من لب سيقان البردى قهيا لهم بذلك ما لم يتهيأ
لغيرهم من الأمم فنمت كتابتهم وتوطدت أركانها . ويمكننا إذا رأينا الآن النسخ الخطية التى

تركوها أن نلح بين سطورها مهارة الكاتب وقدرته وأن ندرك من رسمها أن ناقشها كان متمكن اليد منشرح الصدر .

وكان من السهل عمل صحائف طويلة يصل طولها إلى بضعة عشرات من الأمتار بضم صحائف صغيرة منفصلة بعضها إلى بعض وإصاقها ، وهناك صحائف خطية جميلة من هذه النوع يبلغ طول الواحدة منها نحو أربعين مترا .

وكانت الكتابة عادة على وجه واحد من البردى وهو الوجه الذى تكون الألياف فيه أفقية حتى يأخذ القلم سبيله بلا مقاومة . وهذه الطريقة تستدعى الإسراف فى الورق ولم يكن فى مقدور كل كاتب مصرى أن يلجأ إليها ، ولدينا أمثلة كثيرة للكتابة على وجهى الصفحات اقتصادا فى الورق .

والشخص الذى ندين له بأمتع مثال لدينا من هذا النوع هو صاحب (ورقة هريس) رقم ٥٠٠ إذ حصل على أوراق مكتوبة من البردى وغسل ماعليها من المداد وكتب على أحد وجهيها ثلاث مجاميع من أغاني الحب وأنشودة الشراب القديمة ، وجاء بعده كاتب آخر وكتب على الوجه الثانى من الورقة قصتين .

وقد استعمل كاتب ورقتى (لينينجراد) طريقة مغايرة للسابقة ، إذ كان يشتغل كاتب حسابات فأخذ وثائق من مصلحته وألصق بعضها ببعض ونسخ على الوجه الأبيض هاتين الورقتين محتفظا بملكية ما كتب له ولأخ عزيز موثوق به ، وقد حفظت لنا هاتان الورقتان تعاليم الملك « ميركارع » ونبوءة « نفرهوه » .

والكاتب الذى يمجزه الحصول على ورق البردى كان يجد ضالته فى قطع الخرف فتحل مع رخص ثمنها محل البردى ، وقد نطلق اسم الخرف على كسر من آنية الفخار أو على قطع من الحجر الجبرى الناعم ، وكثيرا ما نشاهد هذه الآثار المكتوبة ملقاة على الأرض فى أى مكان فى مصر . وكثير منها مما كان يستعمله تلاميذ المدارس المصرية القديمة لكتابة تمارينهم وقد نقلنا عنها كثيرا مما فى هذا الكتاب .

(٧) فهمنا للتون المصرية

إذا قرأنا ترجمتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة لمتن صعب من المتون المصرية هالنا ما نبجده بين الترجمتين من فرق كبير ، ولا يرجع كل السبب فى ذلك إلى تقدم علم الآثار فى الزمن الحديث ، بل هناك عامل أساسى سبق أن تحدثنا عنه ، وهو نقص نظام الكتابة عند

المصريين القدماء ، فالألفاظ المصرية لم تضبط بحركات تحمل القارئ والمترجمين في مأمن من الخطأ فأصبحت الكلمة المصرية يمكن نطقها بأشكال مختلفة تعطى لها معاني متباينة . مثال ذلك : (سزم) فأنها تحتمل معنى من المعاني الآتية : سماع ، يسمع ، سمع ، سامع ، مسموع إلى غير ذلك ، وليس لدينا طريقة لتحقيق المعنى المقصود بالضبط إلا سياق الكلام ، وقد يضطر المترجم الأمين من علماء الآثار إلى ترك بعض الجمل من غير ترجمة أو يترجمها ويمترف بأن هناك من التراجم ما يمكن أن يخالفها ويصح اتباعه ، وذلك إذا كان المتن يضم غير المؤلف من الأساليب وغير المادى من الأفكار . أما إذا كان المتن بسيطا فإننا نجد من السياق ومن الاستعمالات الكثيرة التي مرت بنا وعرفت لدينا خير معوان يصل بنا إلى ما يهدف إليه المتن من الأفكار . وليس قصور نظام الكتابة هو كل ما يمترضنا من صعاب عند ترجمتها ، بل إن استخفاف الكاتب المصرى وجهله بعمله عقبة كأداء . وأغلاط الكتاب المصريين كثيرة وشائعة وإن لم تصل إلى درجة الخطورة ، ويكفى الكاتب أن يترك أو يضيف (مخصصا) خطأ إلى كلمة فينقلب معناها ويبعد عما يريد الكاتب الإيابة عنه ، على أن للمصريين القدماء كانوا أقل احتفالا منا بأمثال هذه الأغلاط وكانوا يصححون أخطاءها أثناء القراءة على ما نعتقد ، فليس من المقول أن يصطفى إنسان كتابا وينقله لإغرامه به ثم يفيض النظر عن أخطائه الكثيرة إلا إذا كان معتمدا على تداركها عند القراءة .

ويظهر أن تلاميذ المدارس المصرية في عهد الدولة الحديثة كانوا أحيانا يؤدون واجباتهم برمين بها ، فهم ينقلون ما يكلفون نقله من التون في سرعة وعدم اكتراف على أوراق البردى وقطع الخرز ، ولذلك فشا الخطأ في هذا العهد حتى لم تخل أسلس التون وأسهلها عبارة منه . ولانشك في أن جزءا كبيرا من متن موقعة قادش كان مصيره الغموض لو لم يسق الله إلينا كثيرا من النقوش التي ساعدتنا على فهمه وتصحيح أخطائه ، وما كانت نسخة « بنتاور » لتغنينا عن ذلك فتيل . على أن بعض التلاميذ كانوا لا يتورعون إذا صدموا بنقل كتاب يصعب عليهم فهمه لالتواء أساليبه اللغوية القديمة عن أن يغيروا فيه ما شاءوا ولو أدى ذلك إلى ضياع المعنى . ومما يؤسف له أن يقع كتاب قيم مثل تعاليم « دواوف »^(١) فريسة في أيدي تلاميذ مدارس الأسرة التاسعة عشرة فيحرقوا الكلم عن موضعه ، وأن يحجى إخوانهم تلاميذ مدارس الأسرة الثانية والعشرين بعد بضعة قرون فيسيثوا من ناحيتهم نقل كتابات الأدب المصرى الحديث ، ولكننا نفخر لهم بعض ما أساءوا لأنهم حفظوا لنا هذا التراث من الضياع .

(١) عرفت هذه التعاليم بهذا الاسم إلى عهد قريب غير أن الأستاذ « جاردنر » أثبت أن كاتبها اسمه « ختي » كما سنرى ذلك في موضعه .

القصص المصرى

لم تصل إلينا الحياة العقلية فى مصر سلسلة متصلة الحلقات حتى تتبعها من أولها إلى آخرها ، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس ، ونخرج منها بنتيجة تقطع بها ونؤمن بصحتها . ولكنها وصلت إلينا وبها حلقات مفقودة ، فلانستطيع إلا درس ما وصلنا وبناء أحكامنا عليه . والمتتبع لتاريخ القصة فى الأدب المصرى لا يرى أمامه أى مثال للقصة فى الدولة القديمة ولا ما سبقها من المهود ، وإن كانت ظواهر الأحوال وإشارات « متون الأهرام » تدلنا على أنه كانت هناك أساطير وأقايسى عن الآلهة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ومن يدرى ! فلعل الأرض تبوح بسرها يوما ما وينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجد ، إن لم تكن عوادى الزمن قد طفت عليه .

والقصص التى وصلت إلينا من عهد الدولة الوسطى قصص ناضجة تدل على أن هذا الفن بلغ فى عهد هذه الدولة ذروته ، وإن كان قد أخذ فى الهبوط بعد ذلك ، كما أن سائر ألوان الأدب التى تنسب إلى هذه الدولة كاملة النمو أيضا ، وليس من الطبيعى أن يولد الشيء ناميا كاملا ، بل من الطبيعى أن يولد طفلا ثم يصمد فى معارج النمو حتى يستوى خلقه وتكمل بهجته فى ربيع شبابه ، فأدب الدولة الوسطى جاءنا كالشعر العربى الجاهلى محكم النسيج راقى المعنى تام النمو ، فلا بد أنه بدأ مثله بمحاولات ناقصة أخذت ترقى وتم على مر الزمان . وإذا عرفنا أن عهد الدولة القديمة بين الأسرة الرابعة والسادسة عهد ازدهار فى العلم والفن من رياضة وطب وعمارة ونحت وتلوين ما ترددنا فى أن تقطع بأنه كان للأدب أيضا فى عهد الدولة القديمة شأن ، لأنه فن ولما بين الفنون من تجاوب وصلة مرجعهما نضج العقل والذوق . ومما يقوى صحة هذه النتيجة أن المصريين أنفسهم فى عهد الدولة الوسطى كانوا ينسبون ما اشتهر من حكمهم وأمثالهم إلى حكاء الأسرة الخامسة .

ولا مرأى فى أن الأدب التعليمى الذى وصل إلى ذروته عقب انقضاء عهد الدولة القديمة قد أثر تأثيراً عظيماً فى خلق القصة القصيرة . وترى علامة ذلك فى القصص الثلاث الأولى التى سندرسها فى هذا الفصل ، وهى : قصة « الفريق » وقد حكيت بطريقة سهلة ولغة عذبة ، وقصة « سنو هيت » وقد خلق الكاتب لحوادثها جوا وقمت فيه ونقل القارئ إليه ، ولفتها عالية دخلت فيها بعض الصناعة اللفظية ، وقصة « الفلاح الفصيح » وهى فى مجموعها قطعة

من الأدب الراقى المتكلف فى كثير من نواحيه ، وتشبه فى صناعتها مقامات الحريرى ، وقد ابتدأها كاتبها بوصف البيئة التى وقفت فيها .

وبعد عهد الدولة الوسطى رزى ركودا فى فن القصة وربما ننقض هذا الرأى فى المستقبل إذا جاد جوف الأرض بما يثبت عكسه ، ولكنه لم يمت جملة ، فأنه ظهر فى عهد الدولة الحديثة سلسلة من القصص بعضها تاريخى وبعضها خرافى محض ، ولكنها بسيطة فى موضوعها ، ويظهر أنها كانت تمد لتلقى فى قصور الملوك للتسرية عنهم فى أوقات الفراغ ، وربما كان الغرض منها مجرد الدعاية كما ترى فى قصة « الملك خوفو والسحرة » ، أو لإظهار الحق فى ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمال عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة وتنتهى بهذه النتيجة . وقد كتبت كلها باللغة المصرية الحديثة أو لغة العامة وكانت اللغة المستعملة وقتئذ .

ولا يزيد أن تمنجل الحكم على هذه القصص الآن ، بل سنناول الكلام على كل واحدة منها ، وطريقتنا فى ذلك هى أن نورد ملخص القصة بلغة سهلة ، ثم نشاؤها بالنقد والتحليل ، وفى النهاية نورد المتن المصرى الأصلى كما هو مترجم ترجمة دقيقة حسب التمايز المصرية الأصلية . وغرضنا من ذلك أن يقف القارئ الحديث على الأساليب المصرية القديمة بدون إدخال أية محسنات لفظية عليها أو تمايز عربية تقابل التمايز المصرية . وهذه الطريقة هى التى سار على نهجها كل علماء الآثار عند نقل أى متن من اللغة المصرية إلى لغة أوربية . ولا غرابة فإن نفس هذه الطريقة هى التى اتبعت فى ترجمة التوراة .

قصة سموهيت

أُلِّفَت هذه القصة الطريفة فى أوائل الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وقد ذاع صيتها ولقيت رواجا عظيما . وظلت تنسخ وتقرأ نحو ٥٠٠ سنة فى المدارس المصرية .

ملخص القصة :

روى « سموهيت » هذه القصة بصيغة المتحدث عن نفسه ، وملخصها : أنه كان عائدا من غزو ضد اللوبيين بقيادة ولى العهد « سنوسرت الأول » ، فحدث فى تلك الأثناء أن مات الملك « أمنمحات الأول » ونعم الناعى إلى « سنوسرت » فترك الجيش وخف مسرعا إلى العاصمة ليطمئن إلى عرشه الذى آل إليه ؛ ولكن أمر الوفاة كان قد ذاع بين الأمراء المراقبين للحملة ، وسمع به « سموهيت » خلسة ، فإذ كان منه إلا أن فر هاربا إلى سوريا لأسباب غامضة

لم يستطع هو أن يجد لها تعليلاً مقبولاً ، وقد أحسن استقباله هناك أحد رؤساء القبائل وزوجّه فأصبح رب أسرة ، وصارع أحد رؤساء العشائر السورية المعادية فصّره وجدّه له ، وبعد فترة طويلة عاوده الحنين إلى وطنه وتآقت نفسه للرجوع إلى مصر ليكون في خدمة مولاه الملك الذى ظل مخلصاً له طول حياته ، وليلقى ربه ويدفن في البلد الذى ولد فيه وترعرع ، ولما سمع الملك بالأمه وأحلامه عفا عنه وأعادته إلى منصبه في الحكومة وسمح له أن يعود إلى وطنه معزّزاً مكرماً ليقضى ما بقى له من أيام تحت سمائه .

دراسة القصة :

يرى الأستاذ « جاردنر » الذى ترجم هذه القصة وعنى بدرسها أنها تعد من روائع القطع التى تدل على المهارة الأدبية ورقة التعبير عن الأحاسيس الانسانية :
ونرى أن هذه القصة قطعة من الأدب الكلاسيكى لأنها تجلّو لنا مرحلة من تاريخ الأدب العالمى ، ولأنها تفصح لنا عن الخلق المصرى القديم وتبديه لنا فى مظهر يجمع بين السذاجة والكر ونفاذ البصيرة والشعور بالمعظمة والبراعة فى النكتة . ولا شك أن علماء الآثار المصرية القديمة الذين اتسعت آفاقهم العلمية يحدون متاعاً ولذة فى التقلبات التى مرت « بسنوهيت » فى مفامراته ؛ كما أنهم يعجبون بمراحل القصة المختلفة من وصف للملك المسن ، وتصور لحرب « سنوهيت » ، والتعبير عن مخاوفه من الصحراء ، وإطراء كرم قبائل البدو ، ومديح « سنوسرت » الأول بلغة شعرية جميلة ، وإلباس المبارزة التى تمت بينه وبين الرجل السورى القوى ثوباً تلح فيه جو التوراة ، وإظهار حنين « سنوهيت » إلى وطنه المحبوب مصر فى صورة صادقة للخلق المصرى الذى يمتز دائماً بوطنه ويملاً الحنين إليه فراغ قلبه ، ويأتى بعد ذلك كتاب العفو من الفرعون يمثل أسلوب الملوك الأرستقراطى ، كما يمثل عطف الملوك على المخلص من رعاياهم ، وعفوهم عمن تثبت توبته ويسبق صالح عمله ، وإنعامهم عليه بما يعلى قدره ويثلج صدره ، كما يبدو ذلك من التأكيد الوارد بكتاب الفرعون عن موضوع شعائر الدفن التى كانت تشغل كل مصرى أثناء حياته . أما رد « سنوهيت » على هذا الكتاب فكان جامعاً لمظاهر الفرع العظيم من الملك القوى ، ومشاهد الملوك المصطنع المتكلف الذى يضعه بين يدى الملك ليستل بذلك سخيمته ويضمن به رضاه .

ومن الصور الحية الناطقة فى القصة تلك التى رسمها « سنوهيت » بألفاظ يصف استقباله فى بلاط الملك حتى كأنك حاضر بجسمك فى قصر الفرعون منذ أربعة آلاف عام تشاهد

« سنوهيت » وقد قيد الفرع حركاته ، فهو يلتق بنفسه عند قدمى الفرعون طالبا النفران ، كما تلمس قلب الفرعون وهو يضني عطفه على مولاه المنبر الملبس ويقدمه للملكة ، وتكاد تسمع صوت الملكة وهي تصيح صيحة الدهشة والغرابة مما ترى ؛ وكأني بك بعد ذلك تتبع أقدام الأميرات الصغيرات في رقصهن وتؤخذ بروعة شدهن ، وتشاركهن عواطفهن عندما يطلعن الغفو عن هذا المحارب الغريب .

أما ختام القصة فوصف مألوف لمهد الشيخوخة الذي قضاه صاحبه في نعيم مقيم ومقام كريم ، وهو يشمرنا بالجانب المادى الذى يميل إليه المصرى ميلا شديدا ، والذى كان شعار الحضارة المصرية القديمة .

وبعد فإذا كنا ننادى الآن بوجوب تمصير القصة فى الأدب العربى فإن المصريين القدماء قد سبقونا إلى تمصيرها بمثل قصة « سنوهيت » الذى كان دافعه الأكبر فى الرجوع إلى مصر وترك ما كان فيه من عز وسيطرة ، أن يدفن فى بلاده كمادة المصريين ؛ ومما نراه فى جانبها أنها درس نفسى عظيم ، ومما نأخذ عليه ظهور الصناعة فى الصياغة والأسلوب ؛ وإن كان ذلك يدلنا على أن الأدب المصرى قد تخطى دوره الإنشائى الأول ، فإنه من ناحية أخرى نذير بالتكلف الذى يودى إلى انحطاط الأسلوب ، هذا وليست نقطة الجاذبية عند القارىء المصرى القديم فى وقائع القصة التى يمكننا تلخيصها فى بعض جل ، بل فى تمثيلاتها الجذابة التى تستهوى لبه وتجمله يكف على قراءتها بلذة وشغف .

المصادر :

(١) أحدث ما كتب عن هذه القصة دراسة الأستاذ « جاردنر »

A. H. Gardiner, Notes on the Story of Sinuhe, Paris 1915

وفى هذا المؤلف يجد القارىء كل المراجع التى يحتاج إليها فى درس هذه القصة .

(٢) تكلم الأستاذ « بيت » عن هذه القصة فى كتابه :

A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 33 ff

(٣) كتب عنها وترجمها الأستاذ « أرمن » فى كتابه الأدب المصرى القديم .

Erman : Die Lilttratur Der Aegyptcr. (translated) by Blackman. The Liteuature of The Ancient Egyptians P. 14 ff.

(٤) انظر ملاحظات عن الترجمة فى مجلة الآثار المصرية :

Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 35 ff

(٥) انظر ماسبرو : Popular Stories of Ancient Egypt. London 1915 P. 68 ff.

وفي هذا الكتاب يجد القارئ بحثاً مستفيضاً عن المصادر والنسخ التي عثر عليها مستعملة في عهد الدولة الحديثة .

(٦) انظر كذلك كتاب ماكس بيير عن الأدب المصري القديم :

Die Agyptische Literatur Von Dr Max Pieper P. 38 ff

من القصة :

الأمير الوراثي ، والباشا ، ومدير ضياع الملك في بلاد الآسيويين ، والسمير الوحيد للملك ، والمحبيب إليه القاب « سنوهيت » ، الخادم « سنوهيت » يقول : كنت خادماً يتبع سيده ، وخادم نساء الملك يخدم الأميرة ، صاحبة الثناء العظيم ، زوجة « سنوسرت » الملكية في بلدة الهرم السبابة « خم — أسوت » والابنة الملكية « لأمنمحات » في بلد الأهرام « كانفرو » السبابة « نفرو » المحترمة .
واتفق أنه في السنة الثلاثين ، في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان دخل الإله أفقه^(١) (مات) .

فطار الملك « أمنمحات » إلى السماء واتحد مع قرص الشمس وامتزج جسم الإله بجسم خالقه^(٢) وعندئذ صمت القصر وامتلاّت القلوب حزناً ، وأغلق البابان العظيمان^(٣) ، وجلس رجال القصر ورءوسهم على ركبهم ، وحزن القوم .
وكان قد أرسل جلالته جيشاً إلى أرض « التمحو »^(٤) وكان بكر أولاده « سنوسرت » الطبيب ضابطاً فيه ، وقد كان في هذه الأثناء عائداً بعد أن استولى على أسرى من « التخنو »^(٥) وكل أنواع الماشية التي يخطئها العد .

(١) ما ترجمته — حسب الاستعمال — « بالأفق » كان في الحالة الأولى مسكن إله الشمس في السماء ، ثم استعمل للأمكنة التي تشرق منها الشمس وتغرب فيها ، ولما كان الملك هو ممثل إله الشمس فإن قصره وقبره كان كل منهما يسمى « الأفق » والمقصود هنا هو القبر .

(٢) يصبح إله السماء ويصير ثانية جزءاً من الشمس التي خرج منها .

(٣) عند مدخل القصر .

(٤) قوم من اللوبيين في غربي الدلتا كانوا يهبونها بانتظام .

(٥) قوم آخرون من اللوبيين .

وأرسل أمناء القصر إلى حدود غرب (الدلتا) ليخبروا ابن الملك بالحادث الذى وقع فى البلاط . وقد قابله الرسل فى الطريق ولحقوا به عند الغروب ، فلم يتأخر طرفة عين ، إذ طار الصقر^(١) مع خادمه ، ولم يعلم بذلك الجيش . ورغم ذلك فقد أرسلت رسالة^(٢) إلى أولاد الملك الذين كانوا معه فى الجيش وطلب واحد منهم . وتأمل ! لقد وقفت وسمعت صوته حينما تكلم^(٣) إذ كنت عن كشب .

وعندئذ كان قلبى يتحرق ، وخارت ذراعى ، واستولت الرعدة على جميع أعضائى^(٤) ، فقفزت باحثاً عن مكان أختبئ فيه ، فوضعت نفسى بين أيكيتين لأفسح الطريق للمسافر فيها^(٥) . ثم سرت نحو الجنوب ، ولم يكن غرضى الوصول إلى مقر الملك ، لأنى فكرت أن الشجار قد يقوم هناك ، ولم يكن يهمنى أن أعيش بعده . وعبرت ماء « موتى »^(٦) القريب من « الجزيرة »^(٧) ووصلت إلى جزيرة « سنفرو »^(٨) ، ومكثت هناك فى الحقول المكشوفة ، ثم أخذت فى السير مبكراً ، وعند ما طلع النهار ، وقابلت رجلاً اعترضنى فى طريق ، وقد أظهر الرعب منى وخاف . ولما جاء وقت العشاء كنت قد اقتربت من بلدة « جو »^(٩) فعبرت فى ممر^(١٠) بدون سكان وبمساعدة نسيم ريح الغرب ، ومررت إلى الشرق من الحجر الذى فى إقليم « سيدة الجبل الأحمر »^(١١) . ثم أسلمت الطريق إلى قدى متجهها نحو الشمال ووصلت « جدار الأمير »^(١٢) الذى كان قد أقيم لصد الآسيويين والقضاء على سكان الصحراء ، وقد أخبأت نفسى فى خيمة خوفاً من أن يرانى الحارس الذى كان رابضاً فوق الجدار ليل نهار .

(١) الملك الجديد « سنوسرت الأول » .

(٢) أى من حزب آخر إذ كانت هناك مؤامرة لوضع ملك آخر يناهض « سنوسرت » وقد مر « سنوهيت » على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح .

(٣) من المحتمل : أنه الأمير الذى « طلب »

(٤) ربما كان الضياء الذى أزعج « سنوهيت » هو الخوف من الحرب الداخلية ، ومع ذلك لا بد أنه كان لديه أسباب أخرى جعلته يخاف ، وقد أخفاها فيما بعد بأعذار .

(٥) أى لا تكون بعيداً عن الطريق المطروق .

(٦) أمكنة غير معروفة .

(٧) مكان غير معروف . لعله فى منطقة القاهرة . ومناه « بلد الثور » .

(٨) يقصد هنا سفينة عريضة كالتى كانت تستخدم فى نقل الحجر ، وقد وجدها زاسية على

طول الشاطئ .

(٩) جبل شرق القاهرة يوجد فيه الحجر الرملى الأحمر الذى كان المصريون مفرجين بعمل تماثيلهم

منه ، وهو لا يزال يسمى إلى الآن الجبل الأحمر : وهذه المهاجرة لا تزال مستعملة والآلهة التى تعبد هناك تسمى سيدة الجبل الأحمر .

(١٠) اسم استحكام يذكر كثيراً والفرض منه صد البدو .

وقد استأنفت السير ليلاً ، ولما طلع فجر النهار وصلت إلى « بن » ووقفت عند جزيرة « قور »^(١) . وهنا أغمى عليّ حتى سقطت من الظمأ ، وكنت صادياً وخنجرتي تحترق ، وقلت : « هذا هو طعم الموت » . ولكنني رفعت قلبي وجمعت أعضائي لأنني سمعت صوت ثغاء الماشية وخوارها ، ورأيت بدوا . وقد عرفني الشيخ^(٢) الذي كان بينهم ، وقد كان فيامضى في مصر ، فقدم إلى ماء ، كما كان يعطيني لبناً ، وذهبت معه إلى قبيلته ، وقد عاملوني بشفقة .

ثم أسلمتني أرض إلى أرض^(٣) ثم استأنفت السير إلى « جيبيل » وتابعت السير إلى « قديمي » وقضيت هناك نصف عام . ثم أخذني « ننشي » بن « أمو أمير » رتنو العليا^(٤) وقال لي : « إن حالك مي سيكون حسناً ، لأنك تسمع هنا كلام مصر » ، وقال لي هذا لأنه عرف صفاتي وسمع بحكمتي ، وقد شهد لي المصريون الذين كانوا معه هناك .

وقال لي : « لماذا أتيت إلى هنا ؟ هل حدث شيء في مقر الملك ؟ » فقلت له : « إن الملك (سحبت أبرع)^(٥) قد ذهب إلى الأفق ولا يعرف أحد ماذا تم في هذا الأمر » ؛ وقلت ثانياً متعامياً : « إني أتيت من حملة أرض « التحو » وقد أخبرت الخبر فارتعدت فرائصي ولم يعد قلبي يستقر في جسمي ، وقد أقصاني على طريق القفار ، مع أنه لم يم عليّ أحد ، ولم ييصق في وجهي إنسان ، ولم أسمع كلمة كنف ، ولم يسمع اسمي في قم النادى^(٦) . ولا أعرف ماذا أتى بي إلى هذه الأرض ، فكأنه القضاء والقدر^(٧) . وعندئذ قال لي : « وكيف يكون حال تلك البلاد من بعده ، ذلك الإله المحسن ، الذي كان مهاباً في كل الأراضي مثل « سخمت »^(٨) في عام وباء ؟ » ولكنني قلت له مجيباً إياه : « في الحق أن ابنه قد دخل القصر وأخذ إرث أبيه ، وهو الإله المنقطع القرين الذي لا يفوقه أحد ، وأنه رب الحزم المتفوق في النصيحة ، والحازم في إعطاء الأوامر ، والرواح^(٩) والفدو تحت إرادته ، وهو الذي أخضع الأراضي

(١) اسم البحيرات التي على برزخ السويس .

(٢) حينئذ كان سنوحيث شخصية عالية يعرفها كل واحد في مصر .

(٣) أي انتقلت من بلد إلى بلد . ونلاحظ أن الشاعر لم يتعب القارئ بذكر البلاد التي مر بها « سنوحيث » والتي لم يكن هو نفسه يعرفها طبعاً . رقد ذكر « جيبيل » الميناء المعروف عند سفح جبل لبنان والذي كان يجلب المصريون منه الخشب ، كذلك ذكر « قديمي » التي يحتمل أن تكون واقعة في الشرق من « جيبيل » .

(٤) هي ما نسميه الآن فلسطين .

(٥) اللقب الرسمي للملك المتوفى أي « امنمجات » الأول .

(٦) يؤكد بذلك أنه لم توجه إليه تهمة .

(٧) أي أن قوة خارقة للعادة تدخلت .

(٨) الإلهة المرعبة التي لها رأس أسد ، وتعتبر إلهة الحرب والقوة .

(٩) من مصر إلى الحرب .

الأجنبية ، فى حين كان والده جالسا فى القصر لى تلقى أن ما قد أمر به قد نفذ .
« وأنه القوى الذى يحرز (النصر) بساعده القوى ، البطل الذى لا نظير له عندما يشاهد
منقضا على العدو ، أو مقتربا من حومة الوغى ، وهو الذى يثنى القرون^(١) ، ويضعف الأيدى ،
وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم .

وإنه لمنتقم ، محطّم للجباه ، ولا أحد يجسر على الوقوف بجواره .
وهو الواسع الخطى المهلك للهارب ، ولا نهاية لمن يولى ظهره له . (أى أن الهارب
لا يصل إلى غايته سالما) .

شجاع القلب عند ما يرى الجوع ، ولا يسمح لقلبه بأية راحة .
الجسور عند ما ينقض على الشريكين ، وسروره أن بأسر « الربدتو » (العدو^(٢)) .
وهو يقبض على درعه ، ويدوس تحت القدم (العدو) ، ولا يعيد ضربته ليقتل (أى)
لا يضرب إلا ضربة واحدة قاتلة) .

وليس هناك من حوّل سهمه (عن هدفه) ، وليس هناك من حنى قوسه (لصلابته) .
و « شعب الأقواس » يهرب أمامه كما يهرب أمام قوة « الآلهة العظيمة »^(٣) .
وهو يحارب بدون نهاية ، وهو لا يبقى ولا يذر .
وهو رب الرشاقة ، غنى فى عذوبة ، وبالحجة قد تغلب (على قلوب الناس)
ومدينته تحبه أكثر من نفسها ، وهى تبتهج به أكثر من إلهها .
والرجال والنساء يمرّون أمام قصره^(٤) فرحين به .

وهو ملك قد فتح وهو لا يزال فى البيضة (أى طفلا) ، وقد كانت وجهته أن يكون
ملكا منذ ولادته .

وهو الذى يكتر عدد من ولدوا معه^(٥) ، وهو نسيج وحده ، ومنحة من الله .
وإن تلك الأرض التى يحكمها تبتهج به ، فهو الذى يحد الحدود .
وسيفتح الأراضى الجنوبية ، ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضى الشمالية .
ومع ذلك فقد خلق ليضرب (على أيدي) البدو ، ويحطم سكان الرمال .

(١) قرن العدو الذى يشبه بالثور فى قوته (كناية عن البطش والظبة) .

(٢) الصل الذى على جبهة اله الشمس وهو الذى يحرق الأعداء إذا أرادوا الاقتراب من الملك .

(٣) ليؤدوا له الاحترام .

(٤) أى يزداد عدد الناس تحت حكمه .

أرسل إليه ، دعه يعرف اسمك ، ولا تنطقن بلعنة ضد جلالته ، وهو لا يفوته أن يعمل خيراً إلى أرض ستكون مسالة له» ،
ثم قال لي : حقا أن مصر سعيدة لأنها تعرف أنه ^(١) يفلح (في حكمه) ، ولكن تأمل !
إنك هنا وستسكن معي ، وسأعاملك بشفقة» .

وقد جعلني على رأس أولاده ، وزوجني من كبرى بناته ، وقد جعلني أختار لنفسى من بلاده أحسن مافي حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى ، وقد كانت أرضا جميلة تسمى «باء» ، وكان فيها التين والكروم ، ونبينها أكثر من مأها . شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة محملة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع . وكذلك كان نصيبي عظيما بسبب ما نلت من الحب ^(٢) (حب الناس) ، وقد نصبتني حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، والتمر لشراى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء ، لأن ذلك كان القوم يصطادونه ، ويضعونه أمامى خلافا لصيد كلابى . وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ، ويحضر اللبن بكل الأشكال .

وقد قضيت سنين عدة ، وقد نما أولادى ، وأصبحوا رجالاً أشداء كل يحكم قبيلته . والرسول الذى كان يأتى من قبل مقر الملك شمالا أو جنوبا ، كان ينزل عندى . وقد أعطيت ماء للظمان ، وهديت إلى الطريق من كان ضالا ، وخلصت من كان قد نهب . ولما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة ويقاومون رؤساء الصحارى كبحت مجاهمهم ^(٣) . وذلك لأن أمير فلسطين قد جعلني عدة أعوام رئيس جيشه ، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها ، ونهبت ماشيتها ، وأسرت أهلها ، وحملت طعامهم ، وذبحت القوم فيها بساعدى القوى ويقوسى وهجأتى وتدايرى الحسنة . وقد حزت بذلك الخطوة لديه ، وأحبنى ، وقد جعلني على رأس أولاده عندما شاهد كيف تتفوق يدائى .

وقد جاء رجل قوى من فلسطين ليارزنى فى معسكرى ، وقد كان بطلا منقطع النظر أحضع كل فلسطين ، وقد أقسم أن يحاربنى ، وقد دبر سرقتى ، وتآمر على أن يأخذ ماشيتى

(١) أى الملك الجديد ، نلاحظ أن الأمير المتوحش لم يحاول منافسة « سنوهيت » فى نشيده فى المدح والظلة بل يحببه بأسلوب نثرى جاف .

(٢) الهدايا التى قدمت إليه باعتبارها رئيس القبيلة .

(٣) قد يعنى أنه قاد حملات الأمير الحربية .

غنيمة بمشورة قبيلته . وقد تكلم مى هذا الأمير فقلت له : أنا لا أعرفه ، وفي الحقيقة لست مخالفًا له ، ولا من الأفراد الذين حاموا حول معسكره . ومع ذلك هل فتحت بابه قط أو اخترقت سياجه ؟ كلا . إن ذلك حقد لأنه يرى أنى أنفذ أوامرك . والحق أنى كثور الماشية في وسط قطع غريب وثور الأبقار يهاجمه ، والثور صاحب القرن الطويل ينطحه ؛ وهل يوجد رجل خامل الذكر يكون محبوبا في منزله سيدا ؟ وليس هناك بدوى يخالف رجلا من الدلتا ، إذ ما الشئ الذى يمكن أن يربط البردية بالصخرة ؟ هل يحب الثور النزال ويريد من ثور أقوى منه أن يملن تقهقره خوفا من أنه ربما كان مضارعا له في القوة ؟ فإذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطق بإرادته . وهل الإله يعلم ما قدر له ، أو هل يعرف هو كيف يكون المصير ؟^(١) . وفي وقت الليل شددت قوسي ، وفوق سهامى^(٢) ، وأرهفت خنجرى وصقلت أسلحتى ، وعند الفجر كانت فلسطين قد جاءت ، إذ أنها أثارت قبائلها وحشدت نصف ممالكها وهيأت هذا النزال ، وقد برز إلى المكان الذى كنت أقف فيه وقد وقفت بالقرب منه ، وكان كل قلب يحترق ، من أجلى ، ولفظ النساء والرجال ، وكان كل قلب مكلوما بسببى . وقالوا (هل هناك رجل آخر شديد يستطيع منازلته^(٣) ؟) .

ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حرا به عندما تفاديت سلاحه وجملت سهمه يمر بى طائشا . ولما اقترب كل منا من الآخر هاجمنى ، وأرسلت سهمى عليه فلصق بمنقه ، فصاح وسقط على أنفه ، وألقيته أرضا بفأسه ، وصحت صيحة النصر على رقبتة ، وصاح كل أسويى ، وقدمت الثناء « لنتو »^(٤) قربانا . وحزن له أتباعه . أما هذا الأمير « ننشى » ابن « آمو » فضمنى إلى صدره .

وبعد ذلك أخذت متاعه ، وأتلفت ماشيته ، وما قد دبره من النكاية بى جملته يحيق به ، واستوليت على كل ما فى خيمته ، ونهبت معسكره ، وقد أصبحت عظيما بهذا واسعا فى ثروتى ، غزيرا فى قطمانى .

وقد فعل الإله^(٥) (ذلك) رحمة بفرد غضب عليه وجعله يفر إلى أرض أخرى . واليوم أصبح قلبه فرحا ثانية .

(١) يحتمل أن المعنى — النتيجة موكولة إلى القدر .

(٢) على سبيل التجربة .

(٣) يقصد بذلك خصم « سنوهيت » .

(٤) اله الحرب .

(٥) ربما يقصد بذلك الملك الذى يمزو إليه « سنوهيت » تفوقه فى هذا النزال .

كنت فارًّا هرب في وقته
والآن يكتب التقرير عني في مقر الملك
وكنت ثقيلا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جاري
وكنت رجلا ترك بلاده بسبب المرى
والآن أردت الملابس البيضاء والكتان
وكنت رجلا أسرع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العبيد بكثرة
يتى جميل ، وعمل لإقامتى رجب
وإني أذكر في القصر الملكي

وأنت يا أيها الإله ، أيا كنت ، الذى أمرت بهذا الحرب ، كن رحيا وأعدنى ثانية إلى
مقر الملك . وربما تسمح لى أن أرى المكان الذى يسكن فيه قلبى ، والأمر الذى هو أهم من
ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها . تعال لمساعدتى . ولقد وقع حادث سعيد .
لقد جمعت الإله رحمنى ، وليته يرحمنى ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبه رحيم
يحن لمن حتم عليه أن يعيش فى الخارج . وإذا كان رحيا فى اليوم فليته يصنى إلى دعوات فرد
ناه ، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذى أخذ منه .

آه ليت ملك مصر يرحمنى حتى أحيا برحمته ، وليتنى أسأل سيدة الأرض التى فى قصره
عن إرادتها . وليتنى أسمع أوامر أولادها .

آه ليت جسمى يعود إلى الشباب ثانية لأن كبر السن قد نزل بى ، واستولى على
الضعف ، وعيناي ثقيلتان ، وذراعاى ضعيفتان ، وساقاى قد وقفنا عن السير ، وقلبي متعب
والموت يقترب منى ، حينما سأحمل إلى مدن الأبدية^(١) دعنى أخدم سيدتى الملكة ، وليتها
تتحدث إلى عن جمال أطفالها ، وليتها تخلع على (قبرا) للأبدية^(٢) .

واتفق أن جلالة الملك (خبر كارع)^(٣) قد حُدث عن الحالة التى كنت عليها^(٤) ،

(١) المقابر فى مصر

(٢) أى ليت سيدته القديمة الملكة « نفرو » تأخذه ثانية فى خدمتها أو تمنحه قبرا بجوار قبرها

(٣) اللقب الرسمى « لسوسرت » الأول

(٤) إن الفرد الذى قام بهذه المفاوضات قد ترك عمدا دون أن يذكر . وقد سبق ذكر مرور

الرسلى « بسنوهيت » وإكرام وفادتهم .

وعلى ذلك أرسل إلى جلالته هدايا من الفيض الملكي لينشرح صدر الخادم هناك^(١) كأنه أمير بلد أجني . وكذلك أولاد الملك في القصر جملوني أسمع أوامرهم^(٢) .

(صورة من القرار الملكي الذي أحضر إلى الخادم المتواضع
خاصا بعودته إلى مصر)

(حور) ، حياة المواليد المثل للآلهتين حياة المواليد ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري
« خبر كارع » بن « رع » ، « سنوسرت » ، الحى إلى أبد الآبدين^(٣)

قرار ملكي إلى التابع (سنوهيت)

انظر ، إن قرار الملك هذا قد أحضر إليك ليملك بما هو آت : « لقد اخترت الأراضي
الأجنبية ، وخرجت من « كدمي » إلى فلسطين وقد أسلمتك أرض إلى أرض ، وذلك بمشورة
قلبك . فما الذي فعلته حتى يبرم شيء ضدك ؟ إنك لم تلمن حتى تمنف على كلامك . ولم تتكلم في
محفل الحكام حتى يلمن حديثك . وهذا العزم (على الفرار) قد ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن
في قلبي شيء ضدك (عن هذا الحرب) ولكن سماءك هذه^(٤) التي في القصر لا تزال
تسكن وتطلع اليوم . ولها نصيبها في ملك الأرض وأولادها في البلاط . وليتك تمش
طويلا على الأشياء الطيبة التي سيمطونك إياها^(٥) وليتك تحيا على فيضهم .
تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذي تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين
المظيمين ، وتنال نصيبك بين رجال القصر .

وذلك لأنك قد أخذت فعلا تتقدم اليوم في السن ، وقد ضيقت شبابك ، فكّر في يوم
الدفن والورود إلى دار النعم^(٦) ! وكيف سيخصص الليل لك بالمطور والأكفان من
يد « تابت »^(٧) . وسيقام لك محفل جنازى يوم الدفن وسيكون غطاء المومية من الذهب ،

(١) التعبير المؤدب عن « أنا »

(٢) أى كتبوا إلى أيضا

(٣) الألقاب الرسمية وقد وضع أول القرار في صورة رسمية

(٤) الملكة (وتشبه بالإلهة توت التي تمثل بالسماء)

(٥) الأغذية التي سيرسلونها إليك حينما تمش مرة أخرى في البلاط

(٦) أى يجيشه بين اللوق المحترمين . وفي الجمل التالية وصف لتحنيط والدفن وهو من

الأوصاف الفنية .

(٧) إلهة الفزل .

والرأس من اللازورد ، وسيقام فوقك سماء^(١) ، وستوضع زحافة^(٢) ، وتجرى الثيران ويعشى أمامك المغنون ، ويقام أمامك رقص (مور) عند باب قبرك . وقائمة مائدة القربان ستتلى من أجلك . وتذبح الضحايا بالقرب من لوحتك ، وعمدك^(٣) تصنع من الحجر الأبيض في وسط مقابر أولاد الملك ، وعلى ذلك لن تموت في الخارج ، ولن يدفنك الآسيويون ، ولن توضع في جلد غنم عندما يصنع لك قبرك . حقا كل هذه الأشياء ستسقط في الأرض ، ولهذا يجب عليك أن تفكر في جثتك وتعود .

وقد وصلني هذا القرار الملكي عندما كنت واقفا في وسط قبيلتي . وقد قرىء على فانبطحت على بطني ، ولمست التراب ، وثرته على شعري . ومشيت حول معسكرى فرحا قائلا : (كيف تُفعل أشياء مثل هذه لخدام قد أضله قلبه وقاده إلى أراضٍ متوحشة ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصني من الموت طيب حقيقة . وإن^(٤) حضرتك ستسمح لي بأن أختم نهاية حياتي في مقر الملك .

(صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكي.)

يقول خادم نساء القصر (سنوهيت) — فى سلام غاية فى الرقة — إنه من المحقق أن هذا الحرب الذى ارتكبه الخدام هناك (أنا) كان بدون تعقل ، بحياتك أنت يا أيها الإله الطيب يارب الأرضين^(٥) ، المحبوب من رع ، الذى عليه من «منتو» رب «طيبة» . ليت «آمون» رب الكرنك ، و«سبك» ، و«رع» ، و«حور» ، و«حاتحور» ، و«آتوم» ، و«تاسوع الآلهة» ، و«سيدو» — نفرابو — سهرو «حور الشرق»^(٦) ، وسيدة «بوتو» الموضوعة فوق رأسك^(٧) ، وإلهة الماء ، و«مين — حور» ، الذى يوجد فى البلاد الأجنبية ، و«وررت» سيدة «بنت» ، (بلاد الصومال) «وحرور — رع» ، وكل آلهة مصر وجزر البحر^(٨) — ليتهم كلهم يمنحون

(١) غطاء الزحافة التى تجر المتوفى وكان يعمل أحيانا على شكل السماء . وكان غطاء الثابوت يعتبر رمزا لإلهة السماء (نوت)

(٢) كان المصريون فى المهود الأولى يستعملون الزحافات لنقل الأثقال والجثث كذلك

(٣) أى لوحة قبرك وعمده

(٤) ترجمة للفظ (كا) التى كانت تشير وتفظن

(٥) التعبير العادى لمصر العليا والسفلى

(٦) الآلهة الذين فر فى أرضهم «سنوهيت»

(٧) الصل الملكى

(٨) الجزائر اليونانية

أنفك الحياة ، وليتهم يمنحونك هداياهم ، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة ، والخلود الأبدى . والناس يتحدثون عن الخوف منك في السهل والحزن ، وقد أخضعت كل ما تحيط به الشمس . وهذه الصلاة من الخادم هناك (أنا) إلى سيده لينجيه من الغرب^(١) ، رب الفطنة الذى يفهم صغار الناس ، قد أدركها في قصره النيف^(٢) والخادم هناك خاف أن يقولها لأن ذلك أمر خطير أن يميدها ، وأنت أيها الإله العظيم الذى يماثل « رع » فى إعطاء الفطنة لفرد يجاهد لنفسه ، وخادمك هذا فى يد ناصح طيب فى مصلحته ، وفى الحق أنى قد أصبحت تحت إرشاده لأن جلالتك (حور) المظفر ، وساعدك قويان على كل البلاد .

والآن فلتأمر جلالتك أن يحضر (مكى) من (كدى) « وختتواش » من بلاد « خنتكش » و « منوس » من أراضى « الفنخو » . وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم منسيون ، وفلسطين ملكك كأنها كلابك^(٣) .

أما من ناحية هذا الحرب الذى فعلته فلم أدبره ، ولم يكن فى قلبى ، ولم أفهمه ، ولم أعرف الشيء الذى أقصانى عن مكائى ، وقد كان ذلك كحكم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على غفلة فى (الفتتين) أو رجل من المستنقعات فى النوبة . ولم يكن هناك أى شيء أخافه ، ولم يطاردنى إنسان ، ولم أسمع أى كلام معيب ، واسمى لم يسمع فى فم النادى . وكل ما حدث أن جسمى أخذته الرعدة وبدأت قدمائى تخوران ، وقادنى قلبى ، والإله الذى أمر بهذا الحرب جرنى بعيدا . ومع ذلك لم أكن دعيما من قبل^(٤) . على أن الرجل الذى يعرف بلاده بخاف ، لأن « رع » قد بث خوفك فى كل الأرض ، والرب منك فى كل البلاد الأجنبية . وسواء أكنت فى مقر الملك أم فى هذا السكان ، فانك أنت الذى فى قدرتك أن تظلم ذلك الأفق^(٥) ، وتطلع الشمس بإرادتك ، ومياه النهر تشرب حينما تريد ، وهواء السماء يستنشق حينما تأمر .

وسيسلم خادمك مركز الوزارة الذى كنت أشغله فى هذا السكان^(٦) . ولكن دع جلالتك تفعل ما تريد . فالناس يعيشون على النفس الذى تمنحه . ليت (رع) و (حور) و « وحاحور »

(١) عالم الموت

(٢) أى أنك خمنت ما أريد من غير أن أنطق به

(٣) يريد أن يظهر للملك أنه يعيش فى بلاد موالية ، وأن الأمراء المذكورين يشهدون بذلك .

أما عن ولاء أرضه فلا حاجة به أن ينطق فى سبيل ذلك الكلام سدى

(٤) أى لم أندفع فى وقاحة زائدة

(٥) قد يعنى — أنك الذى فى قدرتك أن تجعلنا نفوس فى الليل

(٦) فهو يعتبر نفسه كنائب الملك

يحبون أنفك الرفيع^(١) الذى يريد «منتو» رب طيبة أن يبقى إلى الأبد .

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل . وقد سمح لى أن أمضى يوماً في «ياء» وسلمت فيه متاعى إلى أولادى ، فأصبح ابنى الكبير الشرف على قبيلتى ، وكل ما أملك أصبح في يده : عبيدى وكل ماشيتى ، وفاكهتى ، وكل شجرة لذينة أملكها .

ثم سار هذا الخادم المتواضع نحو الجنوب ، ووقف عند «ممرات — حور»^(٢) وأرسل القائد الذى كان مكلفاً بحراسة الحدود هناك رسالة إلى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولى . فأرسل جلالتة أحد رؤساء الصيد فى القصر ممن يشق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكى للبدو الذين أتوا مى ليقودونى إلى «ممرات — حور» ، وقد ناديت كلاً منهم باسمه^(٣) .

وكان صناع الجمعة يعجنونها ويصبونها فى حضرتى . وكان كل خادم منهمكا فى عمله ، ثم أخذت فى سياحتى إلى أن وصلت بلدة «فأتمحة الأرضين»^(٤) وعند انفلاق الصبح ، أتوا ليطلبونى مبكرين جداً ، وقد كان عشرة رجال يأتون وعشرة رجال آخرون يذهبون ليقودونى إلى القصر . واستلمت الأرض بين تمائيل أبى الهول بجبتهى . ووقف أولاد الملك عند الباب ، واستقبلونى ، أما أمناء القصر الذين يقودون إلى القاعة فإنهم ذهبوا بى إلى الطريق المؤدية إلى الحجره الخاصة ، فوجدت جلالتة على عرشه العظيم فى مدخل من الذهب ، فانبطحت على بطنى وذهب عنى عقلى فى حضرتة ، مع أن هذا الإله حيائى بفرح . وقد كنت كرجل أطبق عليه الظلام ، إذ فرت روحى وتزلزلت أعضائى ، ولم يعد قلبى فى جسمى ، ولم أشعر إذا كنت حياً أو ميتاً .

وعندئذ قال جلالتة لأحد هؤلاء الأمناء : «ارفعه ودعه يكلمنى» . وقال جلالتة : «انظر ! لقد عدت بعد أن قطعت الصحارى واخترقت الفيافي . والكبير قد تغلب عليك ، وقد بلغت الشيخوخة ، وإنه ليس بالأمر الهين أن يدفن جسمك فى الأرض ، دون أن يسير فى مشهدك المتوحشون . ولكن لا تبق هكذا صامتاً باستمرار عند ما ينطق باسمك» . ولكن فى الحق خفت العقاب وأجبت عن ذلك جواب الخائف : «ماذا يقول سيدى لى ؟ ليت فى مقدورى أن أجيب عليه ، ولكن لا يمكننى . انظر ! كأن ذلك يد الله ، إذ أن الفرع الذى فى جسمى كالفرع

(١) الأنف هو مركز الحياة

(٢) على حدود مصر ، على الفرع البلوزى للنيل ، ومنها كانت الجيوش المصرية تتحرك للغزو

(٣) لى يقدمهم إلى الموظفين المصريين

(٤) أَس العاصمة وقتئذ ، وهى تقع فى موضع «الشت» الحالية جنوبى «منف»

الذى سبب هذا الحرب الذى قُضى به على . انظر إننى فى حضرتك والحياة ملكك ، وليت جلالتك تتصرف كما تريد .

ثم أمر بدخول أولاد الملك ، وقال جلالته للملكة : « انظرى . هذا هو «سنوهيت» الذى عاد كاسيوى من نسل أهل البدو . فصاحت صيحة عالية جدا ، وكذلك صاح أولاد الملك معا وقالوا لجلالته : « حقا كأنه ليس هو يأبها الملك ، ياسيدى . فقال جلالته « حقا إنه هو . » وبعد ذلك أحضرن ممهن عقودهن ودفوفهن وصاجاتهن ورفعنها إلى جلالته ^(١) قائلات : « لتكن يدك على الواحدة الجميلة ، أيها الملك الخالد ، على حلى (سيدة السماء) . ليت «الواحدة الذهبية» ^(٢) تمنح الحياة أنفك ، و «سيدة النجوم» ^(٣) تنم نفسها إليك . دع آلهة الوجه القبلى تنحدر مع النهر ، وآلهة الوجه البحرى تصعد مع النهر ^(٤) متحدتين ومنصمتين فى اسم جلالتك ^(٥) . ليت الصل يوضع على جبهتك . لقد خلصت رعياك من الأذى . ليت «رع» يكون رحيا بك ياسيد الأرضين . مرحبا بك وكذلك بملكتنا . اخرج قرنك ^(٥) وانزع قوسك ، وامنح النفس من قد اختنق ، وامنحنا هدية جميلة للعيد . هذا الشيخ ابن آلهة الشمال ^(٦) ، البدوى المولود فى مصر .

« وقد هرب خوفا منك ، وترك الأرض رعباً منك ، ولكن الوجه الذى قد رأى جلالتك لن يصفر بعد ، وأما العين التى شاهدتك فلن تخاف » ^(٧)
وعندئذ قال جلالته : « لن يخاف ، ولن يرتاع ، لأنه سيصير أميناً فى القصرين الحكام وسيوضع بين رجال الحاشية . اذهبوا إلى قاعة الزينة ^(٨) لتكونوا فى خدمته » .
وبعد أن تركت الحجرة الخاصة ، وقد صاحنى أولاد الملك ، ذهبنا إلى البابين العظيمين ^(٩) ،

-
- (١) كانت الدفوف والصاجات التى تعزف بها النساء وكذلك عقودهن الكبيرة من خواص المهن « حاتحور » وإذا رفعنها لأى إنسان أثناء الرقص فانهن يمنحنه بركة الالهة .
(وما يلى عبارة عن الأغنية التى كن يتفنين بها مع العزف) .
(٢) حاتحور . (٣) أى أن تاج كل من الوجهين يملك الآخر .
(٤) يعنى أن كلا من الوجهين خاضع لك ويصعد لأوامرك .
(٥) كان الملك يمثل كثور ، وكان ينبجى من يخترقه بقرنه .
(٦) هنا ينتسب « سنوهيت » إلى إلهة الشمال بصفته متوحشا .
(٧) المعنى : أنه لا يزال خائفاً لأنه لا يعرف طيبة جلالته كما عرفناها .
(٨) قد يحتمل أن المقصود هو : أن يساعدوا « سنوهيت » فى ملابسه الضرورية
(٩) أى خارج القصر .

وقد أسكنت في بيت ابن من أولاد الملك ، وكان مزينا بشمين الأثاث ، وكان فيه حمام وأشكال ملونة للأفق ، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزانة ، فكان فيه ملابس الكتان الملكي والبخور والزيت الثمين الخاص بالملك ورجال البلاط الذين يحبهم ، وكان كل خادم في عمله . وقد أخذت السنون تذهب عن جسمي ، وأزيلت لحيتي ورجل شمري . وقد ألقى في الصحراء حمل أوساخ ، وأعطيت الملابس القذرة رجال الرمال .

وقد زينت بأحسن ملابس الكتان ، ودلكت بأحسن الزيت . وفي الليل نمت على سرير ، وتركت الرمال لمن هم فيها ، وزيت الخشب لمن يدلك نفسه به .
وقد أهدى لي بيت حاكم مقاطعة كاليق بسمير ملكي . وقد بناه كثير من الصناع ، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة .

وكان يؤتى إلى الطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات في اليوم ، هذا فضلا عما أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع في أى وقت .

وقد أقيم لي قبر من الحجر في وسط المقابر^(١) ، والبناءون الذين ينحتون المقابر قد وضعوا تصميمه ، وكبير مهندسي العمارة بدأ في بنيته (٢) ، وأخذ النقاشون ينقشونه ، وأخذ مهرة النحاتين ينحتون فيه ، أما رؤساء بنائى الجبانة فوجهوا عنايتهم له^(٣) ، وكل ما يحتاج اليه من لاعم المتاع الذى يوضع في القبر^(٤) قد مدَّ به . وقد رتب لي كهنة جنازيون ، وصنعت لي حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة لماواى كما كان يصنع للسمر الأول للقصر ، وقد رصع تمثال بالذهب^(٥) ومزّره كان من خالص النضار ، وإن جلالته هو الذى أمر بصنعه . وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك ، وقد تمت بمطف من الفيض الملكي إلى أن أتى يوم الممات .

« كتبت من البداية إلى النهاية كما وجدت مخطوطة »

(١) كان أعضاء حاشية الملك يدفنون حول قبر مليكهم .

(٢) يقصد أن خبرة الصناع الذين في هرم الملك يعملون كذلك في قبر « سنو هيت »

(٣) القرايين الكثيرة التى يجب أن يمتل عليها قبر مجهز بكل شيء .

(٤) الذى نصب في القبر

قصة الفريق

ملخص القصة :

في يوم أرسل الملك أميراً من أمراء الفنتين إلى أرض الإله (بلاد الصومال) ليحضر بعض النفائس ، فلم يوفق في مهمته فرجع خائباً ، ولاقى في طريقه أهوالاً عظيمة وصل بعدها إلى أرض الوطن سالماً . ولكنه كان حزيناً يتوقع شراً مستطيراً عند مقابلته لفرعون وإخباره بما منى به من الفشل ، وكان له تابع أمين أحزنه ما رآه على وجه متبوعه من الحزن والألم ، فأراد أن يهديء خاطره ويخفف من آلامه ، فذكر له « أنه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الفنية بمعدنها ليؤدي رسالة ملكية (ويظهر أن الأرض التي كان يقصدها هي سيناء) وحدث أن ثارت عاصفة هوجاء حطمت سفينته وأرسلتها إلى قعر البحر ، ففرق ركبها ولم ينج إلا ذلك التابع البحار حيث حمله الموج على أجنحته إلى جزيرة رملية ، فلما أفاق من غشيته رأى أمامه ثماناً هائلاً فكاد يطير قلبه شعاعاً ، ولكن ذلك الثمان الهائل حارس الجزيرة أحسن استقباله وأخذ يطيب خاطره ويسرى عنه بذكر مجازفة حدثت له مثل مجازفة ذلك البحار ، وانتهت بنجاة ، ثم تنبأ له بأن سفينة مصرية ستمر بهذه الجزيرة وستحمله إلى مصر سالماً . ويظهر أن هذه القصة ، التي قصها التابع ليتأسى بها متبوعه ولتهدأ بسامعها نفسه إذا ما رأى أن الأمور الحزنة قد تنهى بخير وسلام ، لم تحدث أثرها المطلوب في نفس سامعها ، إذ أن البحار ما كاد ينتهي من سردها حتى فاجأه ذلك الأمير بقوله : « إن قولك هذا كن يسقى طيراً في الصباح البكر ليذبحه بالنهار » ، أى أنه مقضى عليه بالموت لا محالة فلا فائدة من هذه المسكنات .

دراسة القصة :

تمد هذه القصة من القصص النادرة التي وصلت إلينا كاملة غير منقوصة . فقد جاء في نهايتها : « لقد كتب هذا الكتاب من البداية إلى النهاية » على عادة الكتاب المصريين إذا انتهوا من كتابة مقالة شمرأ أو شرأ ذيلوها بهذه العبارة ، فلم يفقد إذن من نهايتها شيء ، كما أن بدايتها ليست مهشمة أو ممحوة ، فالقصة على ما تمتد كاملة . ولكننا لاحظنا أن استهلالها كان نسيجاً وحده ، وليس له نظائر سابقة في القصص ، فقد جاء فيه : « يقول خادم حاذق كن فرحاً أيها الأمير ، لقد وصلنا إلى مقر الملك ، وقد أخذت المطرقة ، ودقت أوتاد الرسى ،

وألقيت الجبال على البر » ولم تُذكر المقدمة التي تشير إلى تكليفه من الفرعون بعهمة في الأقاليم الجنوبية وفشل فيها مما اضطر معه إلى العودة لمصر متجنباً الأهوال ، ولكن تصورها بالصيغة التي أوردناها بها أمر محتمل راجح .

وليس من البعيد أن تكون هذه القصة واحدة من سلسلة قصص متصلة الحلقات لم تصل إلينا ، فكان مع الأمير أتباع كثيرون كل واحد منهم يقص قصة فيها تخفيف من آلام الأمير وتسرية عن قلبه وطمأنته من ناحية النتيجة التي يخشاها ، على مثال قصة الملك خوفو والصحرة في العهد القديم ، وقصة ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة في العصر الحديث .

وإذا قرنتها بقصة « الملك خوفو والسحرة » وجدت تشابهاً في موقف التابع وسرده حكايته ، واختلافاً في أن الملك في قصة خوفو كان يريد تسليته نفسه وطرد المهوم عنها وفي قصتنا كان أتباع الأمير هم الذين يريدون ذلك فيتناوبون سرد القصص لهذه الغاية .

وإذا صح أن قصة الفريق سلسلة من القصص كانت التي ذكرناها هنا آخرتها ، بدليل وجود هذه العبارة التي سبق ذكرها والتي تدل على نهاية المطاف : « لقد أخذت الطرقة ، ودقت أوتاد المرسى وألقيت الجبال على البر ، وكان الثناء والحمد لله ، وقد عانق كل فرد زميله » ونلاحظ أن الكاتب هنا قد خالف ما تواضع عليه القاصون القدماء من بدء قصصهم بجمل فعلية تدل على الاستمرار ، ومن وضع عنوان لها مأخوذ من مقدمتها ، كما نجد في قصة « الفلاح الفصيح » ، وقد يكون عنوانها : « هذه هي قصة أمير الفتيين وتايحه » والكاتب تركه سهواً .

وقصة الفريق بهذا الوضع الذي سبق تصويره لا يمكن أن تكون قصة للعامة ؛ فهي قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمي إلى أهداف سامية وتعبر عن عواطف مختلفة ، فترى القاص يتألم لفراق سفينته بركابها وعدم نجاة أحد سواه ، ويتألم لوصوله إلى جزيرة لا إنسان فيها ، ويمير لنا عن خوفه وهلمه عند ظهور حاكم الجزيرة الروحاني (وهو ثعبان عظيم الجسم له رأس إنسان) ، واطمئنانه بعد أن حادته ووجدته عطفاً عليه ، فالدمعة الأولى والابتسامة الأخيرة وردتا متتابعتين في عبارة موجزة ، كما نرى القاص والثعبان قد تطارحا ما أصابهما في حياتهما ، وجاءت على لسان الثعبان عظة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوع وهي « ما أشد فرح الإنسان الذي يقص ماذاقه بمد زوال الكارثة » ، ثم نبأ الشهاب الذي انقض من السماء فأهلك أهله . وفي القصة إيجاز حول الغرض من هذه المطارحات . وتوضيحها أن الثعبان أراد أن يقول : « لقد حدث لي أجمع مما حدث لك ومع ذلك فقد خرجت سالماً وما زلت

سائراً في حياتي » وكأنه أراد أن يقول له : « يجب أن تنظر إلى الأمور ببساطة وثقة فإنك لم تلاق من المصائب ما لاقيت أنا » فنصحته قائلاً : « إذا كانت لديك شجاعة فمليك أن تكبح جماح قلبك » ثم طأأه على أنه سيمود إلى وطنه بعد أربعة أشهر وسيرى ثأنية زوجته وأولاده . أما الحالة النفسية للفريق فيبدولنا من القصة أنها تحسنت كثيراً ، فهاهو الفريق يشكر الثعبان من أعماق قلبه ، وتدفعه تلك الحالة النفسية الطارئة على أن يقدم إليه فروض العبادة والخضوع وعلى أن يعده بعظيم الهدايا ؛ ولكن الثعبان يعفيه من ذلك في سخرية مستترة فيقول : « ما الذي تريد أن ترسله إلي ؟ إن عندي من ذلك الفيض الغزير » ثم عقب على ذلك بما يحرك النفس الساكنة : « لا يمكنك أن ترسل إلي شيئاً بعد ، فإن الجزيرة سيفرغها الماء » (أى ستختفي وتزول) وكأنه أراد أن يقول له : وأنا بالتالي سأختفي وأزول معها وينتهي أمرى بالموت .

وهنا يثب إلى أذهاننا ما جاء في قصة « ألف ليلة وليلة » مشابها لما ذكر ؛ إذ نسمع الرسول يقول عند خروج السلطان : « هذا هو سلطان الهند العظيم ، وهذا السلطان العظيم لا بد أن يموت ، لا بد أن يموت »

وإذا كان كل حي إلى زوال فكل شدة إلى فرج ، وهذا ما كان ، فقد عاد القاص إلى وطنه سليماً معافى ، ولقي من الملك العطف والرضا . وإذا كان بعض النافلين يعتقد أن القاص أورد قصته ناقصة هذه النتيجة ، فإن اليقظ منهم لا بد وأصل بثاقب نظره إليها ، وإن مثل الفرعون مع الأمير كمثل الثعبان مع الفريق كلاهما عطف على تابعه وأحسن إليه .

ولانزع في أن هذه القصة شرقية بروحها ، وهى فضلاً عن ذلك تقدم لنا أثمن ما يقدمه الشرق من إيجاز وحسن سبك ومهارة في التعبير وحكمة بالغة . ولقد استطاع القاص بمهارته ألا يجعل قصة البحار تطنى على قصة الأمير ، وهى المقصودة لذاتها بما أوردته في نهاية القصة من المبارات التى تلفت الذهن إليها .

ولقد كنا في شوق لأن نعرف أكثر مما عرفنا عن أول قصة وصلتنا تدور حول بحار مصرى ، ولكنها كتبت كما قلنا للطبقة الراقية من المتأدين القدماء فكان نصيبها الإيجاز .

والسؤال الذى يرسم أمام الباحثين الآن : أرى قد غنيت الأساطير المصرية بالثعبان فجعلته بطلاً يدور حوله كثير من الأقاصيص كما كان للثعبان (الدراجون) في عالم الخرافات اليونانية ؟ أم اكتفت الأساطير المصرية بتقديمه لنا في قصة الفريق وحدها ؟ ونحن من جهتنا لا نستطيع الجزم بأحد الأمرين ، فقد تكون الأرض محتفظة بقصص من هذا القبيل ، والتى

ذكرناها هنا تثبت ميل المصريين ونزوعهم إلى هذا النوع من الخيال والسحر . وكلنا يعلم أن اليونان قد أخذوا كثيرا عن المصريين في آدابهم وخرافاتهم ، فليس ببعيد إذن أن يكون الثعبان قد لعب دورا كبيرا في عالم الأساطير المصرية ، ولم ينفرد اليونان بذلك ، كما أثبتت قصة « حور » و « ست » ، أن القصص المصرية جمل من الآلهة أبطالا ، ولم يكن اليونان وحدهم أصحاب الفضل في ذلك ، والكلمة الآن لما سوف تجود به علينا الكشوف الحديثة .

المصادر :

عثر الأستاذ « جلونيشف » العالم الأثرى الروسى على الورقة التى كتبت عليها هذه القصة ، وهى محفوظة الآن فى متحف « ليننجراد » . وهو أول من درسها ثم درسها غيره كما يأتى :

- (1) Golenischeff, Le Conte du Naufragé (Cairo 1912)
- (2) Erman. Zeitschrift fur Agyptische Sprache X L III P. 1 ff.
- (3) Gardiner. Notes on the Tale of the Shipwrecked Sailor in Zeitschrift fur Agyptische Sprache XIV P. 60 ff.
- (4) Notes in the Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 37. by Blackman.
- (5) Peet, A Comparative Study of the Literatures of Egypt. Palestine V Mesopotamia P. 28 ff
- (6) Maspero, Populor Stories of Ancient Egypt. P. 98 ff
- (7) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 29 ff C translated by Blackman.
- (8) Dr. Max Pieper. Die Agyptische Literatur. P. 43 ff
- (9) The Metrical Scheme of The Shipwrecked Sailor by Vladimir Vikenfiév in Bulletin De L'institut. Francais D'Archeologie orientale T. XXXV. P. 1 etc.

من القصة :

« يقول تابع حاذق : كن فرحا أيها الأمير ، انظر لقد وصلنا إلى مقر الملك^(١) . وقد أخذت الطرقة ، ودققت أوتاد المرسى ، وألقيت حبالها على البر . وكان الثناء والشكر لله ،

(١) يوقظ الحادام سيده فى الصباح على ظهر السفينة ويطلنه بأنهم عادوا إلى مصر كره أخرى ، وقد مروا بمجزيرة « سنموت » على الحدود (بحجة) الحالية بالقرب من « قبلة » ، وقد دخلت السفينة فعلا فى المرسى . وعلى ذلك لا بد أن يقصد بمقر الملك هنا « الفنتين » التى يحتمل أن تكون مقر الأمير نفسه ، ولكن كان عليه أن يستمر فى سياحته شمالا ليقدم تقريره إلى الملك .

وقد عانق كل فرد زميله ، وقد وصل ملاحونا سالمين أسحاء ، ولم نفقد من جنودنا أحداً . وقد وصلنا إلى أقصى «واوات» ومررنا «بسنموت» . تأمل ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا . أصغ إلى أيها الأمير ، إنني فرد خلو من البالغة . اغسل نفسك ، وصب الماء على أصابعك ، وأجب عندما تحيا ، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشمورك ، وأجب في غير تعلم . وإن فم الإنسان هو الذى ينجه ، وكلامه هو الذى يجعل الناس يرققون به ، وستفعل ما يحلو لك ، وعلى ذلك فالكلام^(١) ممك غير مجد .

ومع ذلك سأقص عليك شيئاً مماثلاً لقصتك . فقد حدث لى شخصياً عند ما أقلمت إلى إقليم مناجم الملك^(٢) ذاهبا إلى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر . وكانوا يتعرفون السماء ، وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالمصافة قبل أن تحدث ، والزوجة قبل أن تمر . وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر وقبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها ، وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعا ، وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى .

وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق إلا واحد من بين الذين كانوا فيها . وقد زمت بى موجة إلى جزيرة ، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدا ولم يكن لى رفيق غير قلبى ، ونمت فى خباء من الخشب واحتضنت النوى^(٣) ثم وقفت على قدمى لأجد ما يمكن أن أضمه فى فمى ، فوجدت تينا وعنبا هناك وكل أنواع الخضر الجميلة ، وكان هناك فاكهة «كاو» و «نكوت» وخيار كأنه مزروع ، وكان هناك سمك وطيور ، ولم يكن هناك شئ لا يوجد فيها^(٤) وعندئذ أشبمت نفسى ، وتركت بعضها على الأرض لأن حمله كان ثقيلاً على ذراعى . ثم أخذت زنادا وأوقدت نارا لنفسى وقدمت قربانا مشويا للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوت رعد ، وظننت أنها موجة بحر ، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض . ولما كشفت عن وجهى^(٥) وجدت أنه ثعبان يقترب منى ؛ وكان ذرعه ثلاثين ذراعاً طولاً ، ولحيته يزيد طولها على خمسة أذرع ، وكان جسمه مرصعاً بالذهب وحاجباه من

(١) وعلى ذلك فقد عملت مجهودات لتشجيعه من قبل ولكن من غير جدوى .

(٢) يقلع من ميناء على البحر الأحمر إلى مناجم شبه جزيرة سيناء .

(٣) يحتمل «بحشت عنه» .

(٤) الجزيرة .

(٥) كان قد وضع يديه على وجهه من الخوف .

خالص اللازورد^(١) ، وقد كان غاية في العقل ، ثم ففر فاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : « من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك هنا ؟ وإذا تأخرت عن إجابتي عن أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابا ، ونصير كالذى لم يكن قد رنى »^(٢) . فأجبت : « إنك تتحدث إلى ومع ذلك لم أسمع ما تقول . إنى فى حضرتك ولكن حواسى قد ذهبت » .

وبعد ذلك أخذنى فى فمه وأحضرنى إلى جحره ، ووضعنى دون أن يلمسنى ، وكنت صحيحا ولم يمزق شئ منى^(٣) . وففر فاه لى عندما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : « من أحضرك إلى هنا ؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التى يحيط بها الماء من الجانبين ؟ » وقد أجبتة وذراعى مثنيتان^(٤) فى حضرتة وقلت له : « إنى فرد ذهبت إلى الناجم فى أمر للملك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر ، وكانوا يتعرفون السماء وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالمصافة قبل أن تحدث ، والزوجة قبل أن تكون ، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوى الساعد أكثر من زميله ، ولم يكن بينهم أحمق . وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعا . وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى . وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيها ولم يبق غيرى . وتأمل ! فإنى هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر . »

وعندئذ قال لى : « لا تخف ، لا تخف ، أيها الصغير ، ولا تدع بحياك يصفر ما دمت قد جئت إلى . انظر ! لقد حفظك الإله حيا ليحضرك إلى جزيرة الطعام (الوفير)^(٥) التى لا شئ إلا وينمو فيها ، لأنها مفعمة بكل شئ حسن . وانظر ستمضى الشهر بعد الشهر فى هذه الجزيرة إلى أن تم أربعة أشهر ، ثم تأتى سفينة من مقر الملك تحمل بحارة تعرفهم ، وستذهب معهم إلى مقر الملك ، وتموت فى نفس بلدك . »

(١) يتصور القاص هذا الثعبان كأنه إله مصرى مصنوع من البرنز المذهب ومرصع بالألوان ، ويقصد بالحية لحية الإله المجدولة .

(٢) يستطيع الثعبان أن ينفث نارا مثل الثعبان المقدس أى ثعبان إله الشمس « رع »

(٣) أى أنه أخذه برفق .

(٤) دليل الخضوع .

(٥) يحتمل أن يكون معناها جزيرة فيها طعام .

« ما أشد فرحة الذى يقص ما جرى له بمد أن تمر الكارثة . وهكذا سأقص عليك شيئا مماثلا لهذا قد حدث فى هذه الجزيرة ^(١) . وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالى فى وسطهم ، وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانا — أولادى وإخوتى ، هذا غير بنت امرأة مسكينة كانت قد أحضرت إلى . . . ^(٢) ثم انقض شهاب فذهب هؤلاء فى النار بسببه (أى الشهاب) ، وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (؟) ولم أكن بينهم ، وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث .

« فإذا كنت شجاعا فأكبح جاح قلبك ^(٣) . على أنك ستضم أطفالك ، وتقبل زوجتك وترى منزلك ، وهذا أحسن من كل شيء ، وستصل إلى مقر الملك ، وتسكن هناك فى وسط أولادك » .

وعند ذلك ألقيت بنفسى على بطنى ، ولمست الأرض فى حضرتة ، وقلت له : « سأحدث للملك عن قوتك وأعلمه بمظمتك ، وسأعمل على أن يجلب إليك (إبنى) ، و (حكنو) ، و (أدب) ، و (خملت) ^(٤) ، وكذلك بخور المعابد التى يسر لها كل إله ، وسأقص ما حدث لى وما قد شاهدت . . . وستشكرنى المدينة أمام ضباط الأرض كلها ، وسأذبح لك ثيرانا قربانا مشويا ، وأضحى لك الأوز ، وسأرسل لك سفنا محملة بكل بضائع مصر الثمينة ، كما يجب أن يفعل لإله يحجب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس » . عند ذلك ضحك منى ومما قلت ، كأن ذلك سخافة لقلبه ^(٥) وقال لى : « ليس عندكم « عنتيو » ^(٦) بكثرة ، ولا تملكون إلا البخور . ولكننى أمير (بنت) والمرماتى الخاص . أما من حيث (حكنو) الذى تقول عنه إنك ستجلبه إلى فهو أم حاصلات هذه الجزيرة . ولكن الواقع أنك لن ترى قط هذه الجزيرة بعد سفرك لأنها ستصير ماء . »

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ ، وذهبت وتسلفت شجرة طويلة ، ورأيت أولئك

(١) التشابه بين قصته وبين ما حدث للفريق أن كلا منهما فقد كل رفاقه .

(٢) طفلة آدمية ألقبت إلى الجزيرة .

(٣) كما فعلت وقتئذ .

(٤) عطور نقية كان المصريون يهتمون بها كثيرا .

(٥) ضحك الثعبان من بساطة الرجل الذى ذكر له أشياء ثمينة يملك منها ما لا مزيد عليه .

(٦) يعد « عنتيو » الذى نترجمه عادة بالمر من أم الطيور وهو يستورد من بلاد « بنت » التى يحتمل أنها لقب عام لمناطق إنتاج البخور جنوبى البحر الأحمر . وكانت تقع فى المنطقة التى تفعل بلاد « الاويترية » و « الصومال » من جهة وشواطئ « بلاد العرب السعيدة » من جهة أخرى (انظر كتاب مصر القديمة من الجزء الثانى صفحة ٢٦١)

الذين كانوا فيها ، وذهبت لأخبره فعلمت أنه قد عرف ذلك من قبل . وقال لى : « بسلام ، بسلام للوطن ، أيها الصغير ، وشاهد أطفالك واجعل لى اسما حسنا فى مدينتك . اسمع فإن هذا هو كل ما أبني . »

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطنى وثنيت ذراعى فى حضرتة وأعطاني جمولة « مر » و « حكنو » و « ايدنب » و « خسلت » و « تشبس » و « شاس » وكل ، وذيول زرافات ، وكية عظيمة من البخور ، وسن فيل ، وكلاب صيد ، وقردة ونسانيس وكل الذخائر الجميلة^(١) وأزالتها فى هذه السفينة .

ولما ألقيت بنفسى على بطنى لأشكره قال لى : « انظر . ستصل الحاضرة بعد شهرين ، وستضم أولادك فى حصنك ، وتصير شابا ثانية فى مقر الملك ثم تدفن^(٢) . »

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة ، وحيث الفرقة التى كانت فى هذه السفينة ، وأثنت على رب هذه الجزيرة على الساحل ، وكل من كان فى السفينة فعل كذلك .

ثم سحنا شمالا إلى حاضرة الملك ووصلنا إلى العاصمة فى شهرين كما قال ، ومثلت أمام الملك ، وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من هذه الجزيرة وقد شكرنى أمام كل ضباط الأرض قاطبة ، وعينت حاجبا وكافأنى ببعض حشمه^(٣) .

انظر إلىَّ بعد أن وصلت الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته^(٤) . اسمع لما أقول . انظر إنه من الخير للناس أن يصفوا

فقال لى : « لا تلعبن دور الحكيم^(٥) يا صديقى ! فإن ذلك كالذى يعطى عند الفجر ماء لطائر سيدبحه مبكرا فى الصباح . » (أى أنى مقضى على بالموت عندما أقابل الفرعون ، وعلى ذلك فإن كلامك الطمئن لا فائدة منه لى) .

قصة الفلاح الفصيح

ملخص القصة :

ترجع حوادث هذه القصة إلى عهد الملك « خيتى » أحد ملوك هيراكليوبوليس (أهناس المدينة) فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، والاسم الذى أطلق عليه الملءاء تجوزا « الفلاح »

(١) كان المصريون يستوردون كل هذه الأشياء من مناطق إنتاج البخور .

(٢) أى تدفن دفنا طيبا وهذا ضرورى للمغص الذى يرغب فى أن يكون سعيدا فى موته .

(٣) قد يعنى : انظر إلى ما وصلت إليه على الرغم من نفس رحلتى .

(٤) لا تجتهد أن تكون حكيما أكثر من اللازم .

حقيقته في اللغة المصرية « ساكن الحقل » ؛ أى بطل هذه القصة أحد سكان « حقل الملح » وهو « وادى النطرون » الآن ، وقد أطلق عليه في العهد المسيحي « صحراء النطرون » . وكان هذا الفلاح يسكن في مجاهل هذه البقعة ، وكان يسافر من حين لآخر إلى مصر ليبيع محصول أرضه محملا على حمير له ، ولما وصل في مرة إلى مصر اعترضه أحد الموظفين المسمى « تحوت نخت » واغتصب منه حميره وما عليها بجيلة دينثة ، فذهب الفلاح على إثر ذلك إلى عاصمة القاطعة ليشكو أمره إلى « رزى » رئيس « تحوت نخت » المفتصب ، فجمع « رزى » « مجلس الأشراف ليفصل في هذه القضية ، غير أن أعضائه لم يعلنوا حكمهم لأسباب لم تذكر في القصة ، فصاغ الفلاح شكايته لرزى في أسلوب فصيح بهرر وأعجب به ، فرأى أن الأمر جدير بأن يعرض على جلالة مولاه الملك ، نظرا لذلك الأسلوب الأخاذ ، وتلك البلاغة النادرة التي لم يمهدها مثيلا من قبل . ولقد أمر جلالة الملك ألا يأت في أمر ذلك الفلاح الفصيح حتى يكرر الشكوى فيكون ذلك مصدر خطب بليغة أخرى يفتنى بها الأدب ، ويكتسب مادة وإمتاعا . وهذا ما كان ، إذ أتى الفلاح تسع خطب رائعة في موضوع هذه الشكوى .

وراسة القصة :

ترجع هذه القصة إلى العهد الأناسى وهو عهد سادت فيه الفوضى وعم الاضطهاد . فالقصة مظهر لما يحدث في نفوس الناس ولما يشكون منه في ذلك العهد ، وهى من أبلغ وأروع ما كتب في الأدب المصرى القديم ، حتى إنها كانت تمد نموذجا يحتذى ويقتبس منه عهد الدولة الحديثة .

والقصة تتكون من مرحلتين أساسيتين : الأولى مقدمة قصصية ، والثانية خطب تسع . فأما المقدمة القصصية فإن طريقة عرضها أبدع ما رأيناه في الأدب المصرى ، وهى جديرة من حيث تمثيلها عن المواطن الإنسانية بأن توضع جنباً لجنب مع أية قطعة من هذا النوع وردت في التوراة . وقد قال الأستاذ برستد عن هذه المرحلة من القصة في كتابه « فجر الضمير » ما يأتى : « وهذا المشهد يمد من أقدم الأمثلة التى تدل على المهارة الشرقية في تصوير المبادئ المعنوية في شكل مواقف ملموسة ، وهى التى صورت بشكل مذهش بعد ذلك في أقوال عيسى عليه السلام . »

وأما المرحلة الثانية فتلك الخطب التسع التى أشهر بها ذلك الفلاح الحرب على ما كان يرتكبه الموظفون من الفوضى والظلم والعبث بصغار الفلاحين ، فكان بخطبه من حملة الأقلام الذين

طلبوا العدالة الاجتماعية . وكانت خطبه تلقى رواجاً لإمتاعها ، ولأنها موجهة إلى أغنياء هذا العصر الذين اختصوا أنفسهم دون الفقراء بالثروة والمتاع . وبالرغم من بعض الغموض الذى يبدو فى أسلوبها لجهلنا باللغة المصرية ونواحى بلاغتها ، ولما احتوته من استعارات قوية وتشبيهات غريبة فإنها تعتبر أدبا من الطراز الأول فى عصرها وفى العصور التى تلتها . ومما أكسبها ذيوفا وانتشارا ما تضمنته فى طياتها من تهكم لاذع يميل إليه المصريون القدماء بسليقتهم ، ولأنه كان يهدف إلى غرض خلقى سام . ولا ريب فى أن القصة ترسم صورة حية ناطقة ليل الموظفين عن جادة العدل والحق ، إذا لم يكن عليهم ملك رشيد عادل يخافون سطوته . ومن الظواهر الغريبة فيها أنها لأول مرة فى تاريخ أدب العالم تشبه العدالة بالميزان ، وتتخذ من أجزاء الميزان استعارات وأوصافا لنواحى العدالة ، ونجد هذا التشبيه الآن سائدا كل لغات العالم . وقد ظهر بصورة واضحة فى القرآن الكريم .

المصادر :

وصلت إلينا هذه القصة فى أربع نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى ، وقد عني بترجمتها والتعليق عليها فوجزأناج الألمانى فى كتابه :

(1) Vogelsang. Kommentar Zu Den Klagen des Bauern. Leipzig 1913

وترجمها حديثا جاردنر فى مجلة :

(2) Gardiner Journal of Egyptian Archeology. Vol IX P. 1 ff

وترجمها كذلك ارمان فى :

(3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians (Translated by Blackman) P. 116 ff.

وهناك مصادر أخرى بحثت فيها هذه القصة أهمها ما يأتى :

(4) The Dawn of Conscience 183 ff. (By Bneasted)

(5) Die Agyptische Literatur P. 38 ff. (Dr, Max. Pieper.)

معنى القصة :

كان رجل اسمه «خنوم أنوب» وهو فلاح من حقل الملح^(١) وكان له زوجة اسمها «مارى» . فقال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . إني ذاهب إلى مصر لأحضر منها طعاما لأطفالى .

(١) وادى النطرون .

فأذهبى الآن وكبلى لى القمح الذى فى الجرين ، وهو ما بقى من الحصاد الماضى ، ثم كالمنا ستة (١) مكابيل من القمح .

ثم قال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . لقد بقى عشرون مكبىلا من القمح لتكون طعاما لك ولأطفالك ، وعليك أن تصننى لى ستة مكابيل القمح هذه خبزا وجعة للأيام التى سأكون فيها على سفر . » (٢)

وعلى ذلك ذهب هذا الفلاح إلى مصر بعد أن حمل حميره بالسفار ونبات « رمت » والنطرون والملح وعصى من « تيو » و « قضبان » « تمحو » (٣) وجلود الفهد ، وفرو الذئب ، والخيزران والحصى (٤) ونبات « تم » ونبات « خيرور » و « ساهوت » و « ساسكوت » ونباتات « ميسوت » وأحجار « سنوت » وأحجار « عباو » ونباتات « ابسا » ونباتات « أنبى » و« عام وطيور » و« نرو » و« وطيور » و« وجس » ونباتات « بن » ونباتات « تسو » و « جنجت » وشجر الأرض و « أنست » ومكبال واف من كل محصولات « حقل الملح » . وسافر هذا الفلاح نحو الجنوب تجاه « نسو » (٥) ووصل إلى جوار « بريفوفى » فى شمالى « مدينه » (٦) ، وهناك رأى رجلا واقفا على شاطئ النهر يدعى « تمحوت نخت » وهو ابن رجل يدعى « أسرى » وهو من مستخدمى المدير العظيم للبيت المسمى « رزى » بن « مرو » .

وقال « تمحوت نخت » هذا حينما رأى حمير هذا الفلاح ، وقد مال قلبه إليها : « ليت لى وثنا قويا » (٧) حتى أتمكن من سرقة متاع هذا الفلاح ! « وافق أن يثبت « تمحوت نخت » هذا كان على ممر بجانب النهر وقد كان ضيقا وليس بالمريض ، إذ كان عرضه يعادل قطعة النسيج التى تستر الجسم ، وكان أحد جوانب هذا المر مغمورا بالماء ، والثانى مفتحا بالقمح . وقال « تمحوت نخت » هذا لحامده : « اذهب واحضر لى قطعة نسيج من دارى . فأحضرت إليه فى الحال ، فدها على المر بطريقة جعلت هدبها على الساء وطررها على سيقان القمح . ثم سار هذا الفلاح على الطريق العام .

فقال « تمحوت نخت » هذا : « احترس أيها الفلاح ، أتريد أن تظا ملابسى » ؟ .

(١) واحة الفرافرة .

(٢) أهناس المدينة الحالية وقد كانت عاصمة الأسرة التاسعة التى ينسب إليها الملك نبكاورع الذى نحن بصدده .

(٣) قد تكون مدينة اطفيج .

(٤) أى ليت لى وسائل سحرية .

فقال هذا الفلاح : « سأفعل ما تريد ، إن طريقى طريق جيد » وعندئذ سار إلى الأمام .
فقال « تحوت نخت » هذا : « أريد أن تجعل قحى ممرا ؟ » .
فقال هذا الفلاح : « إن طريقى جيد . إن الحسر عال وطريقنا الوحيد » تحت القمح ،
ومع ذلك فإنك تجعل ملابسك عقبة فى طريقنا . أفلا تريد أن تجعلنا نمر على الطريق ؟ »
عندئذ ملأ أحد الحيرفه بحزمة من القمح . فقال « تحوت نخت » هذا : « انظر
سأخذ حمارك أيها الفلاح لأنه يأكل قحى . انظر إنه سيشتغل بسبب جرمه » .
فقال هذا الفلاح : « إن طريقى حسن . ولم تؤخذ إلا قبضة واحدة من القمح . لقد
أحضرت حمارى لأنه محمول (؟) وأنت تفتصبه لأنه ملأفه بحزمة من القمح . بلى ، ولكنى
أعرف رب هذه الضيعة ؛ فهى ملك المدير العام للبيت « رزى » بن « مرو » وهو الذى
يكبح جماع كل لص فى كل البلاد قاطبة ، وهل أسرق فى (نفس) ضيعته ؟ »
وقال « تحوت نخت » هذا : « هل هذا هو المثل الذى على ألسنة الناس . إن اسم الرجل
الفقير لا ينطق به إلا إكراما لسيده ؟ إننى أنا الذى أتكلم إليك وليس المدير العظيم للبيت
الذى أتى على ذا كرتك ! »
ثم أخذ غصنا من الأشمل الأخضر وأوجعه به ضربا فى كل جسمه ، وقبض على حميره
وساقها إلى ضيعته .
وعندئذ أخذ هذا الفلاح يبكي بكاء مرأ من الألم الذى لحقه . وقال « تحوت نخت »
هذا : « لا ترفع صوتك أيها الفلاح . انظر إن مصيرك سيكون مسكن « رب الصمت » ^(١) .
فقال هذا الفلاح : « إنك تضربنى وتسرق متاعى ، وبعد ذلك تفتصب الشكاية من فى !
أنت يا « رب الصمت » أعد إلى ماشيتى حتى أسكت عن الصباح الذى يزجحك ! »
وقد مكث هذا الفلاح عشرة أيام يتضرع إلى « تحوت نخت » هذا ، غير أنه لم يلتفت
لشكايته . وعلى ذلك سافر هذا الفلاح إلى « نفسو » ليرفع ظلامته إلى المدير العظيم للبيت
« رزى » بن « مرو » ، وقد وجده وهو خارج من بيته لينزل فى قاربه الخاص بقاعة العدل
(أى القارب الرسمى الخاص بالمحكمة) .
فقال هذا الفلاح : « هل تسمح لى بأن أسرق قلبك بهذه القصة ؟ هل من الممكن أن
يحضر معى خادم حسب اختيارك حتى يحمل إليك أخبارا منى خاصة بها » ^(٢)

(١) رب الصمت هو (أوزير) ويظهر أن « تحوت نخت » هذا مدد الفلاح بالموت .

(٢) حرقيا حتى أرسله إليك بخصوصها .

وعلى هذا أمر المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » خادماً قد اختاره لينذهب أمامه ليحمل إليه أخباراً من هذا الفلاح خاصة بهذا الموضوع من كل وجوهه .
وعندئذ عمل « رزى » بن « مرو » المدير العظيم للبيت تحقيقاً ضد « تحوت نخت » أمام الحكام الذين كانوا معه .

فقالوا له : « يجوز أنه أحد فلاحيه قد أتى إلى واحد آخر خلافه . انظر تلك هي الطريقة التي كانوا يتبعونها مع فلاحهم عند ما ينهبون إلى آخرين خلافهم . وهل هذه قضية حتى يعاقب الإنسان « تحوت نخت » هذا بسبب مقدار تافه من النطرون ومقدار ضئيل من الملح ؟ مره أن يُعطى بدلاً منها ، وعلى ذلك يمكنه أن يعطى بدلاً منها » .

غير أن المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » لزم السكينة ولم يجب هؤلاء الحكام ولا هذا الفلاح أيضاً .

الشكوى الأولى

عندئذ أتى هذا الفلاح ليقدم ظلامته إلى المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » فقال : « يا مدير البيت العظيم ، يا سيدي ، يا أعظم العظماء ، يا حاكماً على ما قد فني وما لم يفن ! ^(١) وإذا ذهبت إلى بحر المعدل ^(٢) وسحت عليه في نسيم رخاء ، فإن الهواء لن يمزق قلمك ، وقاربك لن يتباطأ ، ولن يحدث لصاريك أي ضرر ، ومرسالك لن تكسر ، ولن يفوس قاربك ^(٣) ؟) حيناً ترسو على الأرض . ولن يحمك التيار بعيداً ، وإن تذوق أضرار النهر ، ولن ترى وجهاً مُرْتاعاً . والسماك القفاز سيأتي إليك ، وستصل (يدك) إلى أسمن طائر ، وذلك لأنك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ لتلك التي قد نبذت ، ومثّر لتلك الذي لا أم له ^(٤) . دعني أجعل اسمك في هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل ، فتكون حاكماً خلواً من الشره ، وشريفاً بعيداً عن الدنيا ، ومهلكاً للكذب ومشجعاً للمعدل ، ورجلاً يلي نداء المستغيث . إني أتكلم ، فهل لك أن تسمع ؟ أقم المعدل أنت يأبى المدوح الذي يمدح بهؤلاء الذين يُمدحون . اقض على فقري ، انظر إني مثقل بالحلل . جربني ، انظر إني في حيرة .

(١) أي حاكماً على كل شيء .

(٢) يقصد بالسطور التالية التمدح بمعدل رزى .

(٣) أي أنك لباس للطفل الفقير الذي ليس له أم تصنع له لباساً .

مقدمة للشكوى الثانية

وقد اتفق أن الفلاح قد ألقى هذه الخطبة في عهد الملك المرحوم « نيكاروع » .
وقد ذهب المدير العظيم للبيت « رنزي » بن « مرو » أمام جلالته وقال : « سيدي
لقد عثرت على أحد هؤلاء الفلاحين ، وفي الحق أنه فصيح ، وهو رجل قد سرق متاعه .
وانظر ! إنه قد حضر ليتظلم لي من أجل ذلك . »

عندئذ قال جلالته : « بقدر ما تحب أن تراني في صحة دعه يمشك هنا دون أن تجيب
عن أى شيء قد يقوله . ولأجل أن تجعله يستمر في الكلام ألزم الصمت . ثم مر بأن يؤتى
لنا بذلك مكتوبا حتى نسمعه . ولكن مدَّ زوجته وأطفاله بالمشقة ، ثم انظر ، لا بد أن يأتي
أحد الفلاحين إلى مصر وذلك بسبب فقر بيته^(١) . وزيادة على ذلك مدَّ هذا الفلاح نفسه ،
فلا بد أن تأمر بإعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذي أعطيته إياه . »

وعلى ذلك أعطى عشرة أرغفة وإبريقين من الجمعة كل يوم ، وقد تمود رب البيت العظيم
« رنزي » بن « مرو » أن يعطى ذلك أحد أصدقائه ، وكان هذا يعطيها إياه (إلى الفلاح) :
ثم إن المدير العظيم للبيت « رنزي » بن « مرو » أرسل إلى شيخ بلدة « سحت حموت »
ليصنع الطعام لزوج ذلك الفلاح ومقداره ثلاثة مكاييل من القمح (؟) كل يوم .

الشكوى الثانية

ثم إن هذا الفلاح أتى ليتظلم له مرة ثانية وقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدي ،
يا أعظم العظماء ، يا أغنى الأغنياء ، يا من عطاؤه لهم واحد أعظم منهم ، يا من أغنياؤه لهم
واحد أغنى منهم ، أنت يا سكان السماء ، ومثقال ميزان الأرض ، ويا خيط الميزان الذي يحمل
الثقل . يا أيها السكان لا تنحرف ، ويا مثقال الميزان لا تميل ، ويا خيط الميزان لا تتذبذب
ملتويا : إن السيد العظيم يأخذ (فقط) مما ليس له سيد ، وينهب واحدا فقط (أى نفسه) .
إن ما يحفظ أودك في بيتك : قذح من الجمعة وثلاثة رغفان^(٢) . وما الذي يمكن أن تصرفه
لإطعام عملائك ؟ على أن الإنسان سيموت مع خدمه ؛ وهل ستكون رجلا غلدا ؟

(١) أى ليأخذ لهم الطعام .

(٢) يقصد أنه لا يمكنه أن ينفق كل ما كثر لأن ما يحتاجه الإنسان في الحياة قليل ، وأنه لديه
الكفاية وما يزيد على الكفاية مما يجعله قادرا على إطعام كل من حوله . وهل يجمع كل ذلك لأنه
يظن أنه غلدا في هذه الحياة ؟

أليس من الخطأ — ميزان يميل وثقالة تنحرف ورجل مستقيم بصير معوجا؟ تأمل . إن العدل يفلت (٢) من تحتك ، وذلك لأنه أقصى من مكانه ، فالحكام يشاغبون ، وقاعدة الكلام تنحاز إلى جانب ، والقضاة يتخاطفون ما اغتصبه (أى « رزى ») . ومعنى ذلك أن من يقلب الكلام من موضع الصواب يحرفه عن معناه (؟) : وبذلك يخور مانع النفس على الأرض ، وذلك الذى يأخذ راحته يحمل الناس يلهثون ، والمحكم بصير مُتِلِفًا^(١) ، ومبيد الحاجات يأمر بصنمها ، والبلدة تكون فيضان نفسها ، والنصف يخلق المشاغبة .
ثم قال المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » : هل تعتقد فى قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمى ؟^(٣)

وقال هذا الفلاح : « إن كيال أكوام الغلال يعمل لمصلحة نفسه ، وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه تاما لآخر يسرق متاعه ، وذلك الذى يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة . فن ذا الذى يكبح الباطل إذن ؟ وذلك الذى يجب عليه أن يقضى على الفقر (؟) يعمل على العكس ؛ ويسير الإنسان إلى الأمام فى الطريق المستقيم فى منحنيات . وآخر ينال الشهرة بالضرر . فهل تجد لنفسك هنا أى شئ (؟) ؟^(٤)

« إن الإنصاف قصير ، ولكن الضرر يمكث طويلا^(٥) » والعمل الطيب يعود ثانية إلى مكانه بالآمس . والواقع أن الحكمة تقول : « عامل الناس بما تحب أن تعامل به »^(٥) ، وذلك كشكر إنسان على ما عمله ، وكمنع شئ قبل تشكيله مع أن الأمر بصنمه قد أعطى للصانع . (يتمنى الشر للأمير) : ليت لحظة تخرب ، فتجعل كرمك رأسا على عقب ، وتفتك بطيورك ، وتودى بدواجنك المائية^(٦) . فالبصر قد غشى بصره ، والمستمع قد صم ، والحاكم أصبح متمردا . . .

« تأمل . إنك قوى وشديد البأس ، وإنك نشيط الساعد وقلبك مفترس . وقد تخطتلك

(١) حرفيا : مقسم الارث متلف .

(٢) «اطع » رزى « الفلاح بؤال خفن : أيها أم لديك : المطاع الذى تدعيه أو الضرب بالصبا إذا استمرت فى شكايك . غير أن الفلاح لم يعره اهتماما واستمر فى كلامه

(٣) قد يقصد بها : هل تجد لنفسك هنا أى شئ ينطبق عليك من هذه الأوصاف .

(٤) إن الضرر يستمر مدة طويلة فى حين أن إصلاحه لا يحتاج إلا إلى فترة قصيرة ، لإنصاف الفلاح يتوقف على إصفاء « رزى » إلى شكايته لمدة قصيرة .

(٥) حرفيا « افضل للفاعل حتى تجعله يفعل (أى لك مثله)

(٦) يقصد ليت « رزى » يمنع لحظة واحدة عن ملاهيه بالصيد .

الرحمة ، ما أعظم حزن الرجل الفقير الذى قد قضيت عليه . ومثلك كرسول من عند الإله التماسح ، بل إنك تفوق « ربة الوباء »^(١) . فإذا كنت لا تملك شيئا فهى لا تملك شيئا أيضا ، وإذا كانت لا تدين بشيء فكذلك أنت لا تدين بشيء ، وإذا كنت لا تفعلها فهى لا تفعلها أيضا^(٢) . وذلك الذى يملك خبزا (؟) يجب أن يكون رحيمًا ولكن المجرم قد يكون (؟) قاسيا فظا . على أن السرقات أمر طبيعى لمن لا متاع له ، وكذلك خطف المجرمين لأمتعة الغير .

« حقا أنه عمل مشين ، إلا أنه لا مندوحة عنه (؟) . ويجب على الإنسان ألا يصبوب القوم إليه لأنه يبحث لنفسه^(٣) ، على أنك قد امتلأت بخبزك وسكرت بجعمتك ، وإنك غنى إن وجه مدير السكان متجه إلى الأمام ، ومع ذلك (؟) فإن القارب يتجه كما يشاء . فالملك فى داخل قصره ، والدفة فى يدك ، ومع ذلك فإن المشاغبات منتشرة بجوارك . إن (عمل) الشاكي طويل والفصل فيه يسير ببطء ، وسيتساءل الناس عن هذا^(٤) الرجل الذى هناك ، كن حاميا حتى يصير شاطئك واضحًا ، تأمل . إن مسكنك قد أصبح موبوءا (؟) اجعل لسانك يتجه إلى الحق ، ولا تفضل . وإن لسان (؟) الرجل قد يكون سبب تلفه .

« لا تنطق كذبا . واحترس من الأحكام .. . إن قول الكذب عشبهم ، وعلى ذلك (؟) من المحتمل أن يكون خفيفا على قلوبهم . وأنت بما أكثر الناس تعلم ، هلا تريد أن تعرف شيئا عن أحوالى ؟ وأنت يا من تقضى على كل حاجة (؟) للماء ، تأمل ، فإني أملك مجرى ماء من غير سفينة . وأنت يامرشد كل غارق إلى البر ، نجم من غرقت سفينته . نجنى »

الشكوى الثالثة

ثم حضر هذا الفلاح مرة ثالثة ليشتكو فقال : « يأيتها المدير العظيم للبيت ، ياسيدى ، إنك « رع » رب السماء ، فى صحبة حاشيتك . إن قوام بنى الإنسان منك لأنك كالفيضان . وأنت « جمعى » (إله النيل) الذى يجعل للرأى خضراء ويمد الأراضي القاحلة . اكبح جراح السارق . دافع عن الفقير ، ولا تكون فيضانا ضد الشاكي ؛ واحذر من قرب الآخرة . ارفع فى أن تمش طويلا على حسب المثل : « إن إقامة العدل هو نفس الأنف » . وقع

(١) هى الإلهة « سخمت » .

(٢) أى الرحمة .

(٣) إن الإنسان يعذر المحتاج إذا سرق ، ولكنه لا يعذر رجلا غنيا كالمدبر العظيم للبيت .

(٤) حرفيا : يتساءل الناس : من هو ذلك الرجل الذى قد تباطأ مع المدير العظيم للبيت .

المقاب على من يستحق المقاب ، ولن يكون هناك شيء مماثل استقامتك . هل الميزان يتحول ؟ وهل يميل لسانه إلى جهة ؟ هل يظهر « تحوت » تساهلا ؟

« فإذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تعمل ضررا . واجعل نفسك معادلا لهذه الثلاثة (يشير إلى الميزان واللسان و« تحوت ») ، فإذا أظهرت الثلاثة لينا فكن لينا . ولا تحب على الخير بالشر ، ولا تضمن شيئا مكان آخر^(١) ما أكرهه الكلام من عشب خيث^(٢) وأكثر مما يتفق مع من يشمه ! أفلا تجيبين عليه ، وعلى ذلك يروى الشقاق حتى يسبب نمو (؟) غطاء . » وقد كان (؟) لديه ثلاث فرص (؟) . تحمله على أن يعمل (؟) . قد ألغى على حسب القلم^(٣) . رصد (؟) الفضيان ببسدا على حسب (؟) ما يقتضيه العدل . واخترس من أن تصطدم على الشاطئ (؟) مع جبل السكان (؟) وإن أسدق وزن للبلاد هو إقامة العدل . ولا تكذبين وأنت عظيم . ولا تكوني خفيفا وأنت رزين . ولا تقولن كذبا فانك للميزان . ولا تنكش ، فانك الاستقامة ، انظر . إنك على مستوى واحد مع الميزان ، فإذا انحرف انحرفت أيضا . ولا تحيدن . بل أدر السكان ، واقبض على جبل اللفة . لا تقتصين ، بل اعمل ضد المفتصب . وذلك العظيم ليس عظيما مادام جشما . إن لسانك هو قالة الميزان ، وقلبك هو ما يوزن به ، وشفثاك هما ذراعاه . فإذا سترت وجهك أمام الشرس فمن ذا الذي يكبح الشر ؟ « تأمل إنك غسال يشقى ، وشخص جشع لإتلاف صاحبه ، وهاجر شريك من أجل عميله ، وأنه لأخ له الذي قد أتى ونفذ (حيلته) . »

« تأمل . إنك نوتى تعبر بمن معه الأجر ورجل مستقيم في معاملته . ولكن تلك الاستقامة مذنبية . »

« تأمل إنك رئيس مخازن لا يسمح لأحد خلو (؟) (مفلس) أن يمر وهو مدين . »

« تأمل إنك صقر لعامة القوم يمش على أحقر الطيور . »

« تأمل إنك مؤرد سروره الذبح ، إذ لا (يوقع) عليه تشويه . »

« تأمل إنك راع ، لا وليس عليك أن تدفع . ولعلك يجب عليك أن تظهر

الشراعة أقل من تمساح جشع ، إذ أن الأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد فاطية . أنت أيها السامع ، إنك لا تصنى ولماذا لا تصنى ؟ . واليوم قد كبحت جماع للتوحش ،

(١) ورد ذكر هذه الحكمة في تعليم فلاح حنب .

(٢) يظهر أن الفلاح يفكر هنا في أن كلامه هو الذى يزداد بنسبة عدم الاكتراف به .

(٣) هل معنى ذلك : أرشد السفينة كما تتطلب الريح أى اعترف بشكايتي وإلا فأتى سأستر في

الكلام كالفيضان .

والتمساح يتقهقر . وما الفائدة التي تعود عليك ، إذا وجد سر الصدق وظهر الكذب قد وضع على الأرض (؟) ولكن لا تتجهز^(١) للغد قبل أن يأتي ، لأنه لا إنسان يعلم المتاعب التي ستكون فيه .

وقد تكلم هذا الفلاح هذا الكلام إلى المدير العظيم للبيت (رنزي) بن (مرو) عند مدخل قاعة المحاكمة ثم أمر حاجبين أن يتمهدها بسياط وقد أسخناه ضربا بها في كل أجزاء جسمه .

عندئذ قال هذا الفلاح : « إن ابن (مرو) لا يزال متنكبا في غيه وإن حواسه قد عميت عما ينظر ، وصمت عما يسمع ، وانحرفت عما يتلى عليه . انظر . إن مثلك كمثل بلاد لا عميد له^(٢) ، أو جماعة لا رئيس لها ، أو كسفينة لا ربان لها ، أو كمصيبة أشقياء لا مرشد لها . » انظر . إنك حاكم^(٣) يسرق وعميد قرية يقبل (الرشوة) ومفتش صنع كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب ، ولكنه أصبح مثالا للعجز . »

الشكوى الرابعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو له للمرة الرابعة ووجده خارجا من معبد « أرسافيس » ، فقال له : « أنت أيها المدوح ليت « أرسافيس » الذي تخرج من معبده يمدحك . لقد قضى على الخير وليس له الثام ، وحقا قد ألقى الكذب على الأرض ظهريا . هل أحضر قارب التمدية إلى البر ؟ فباذا إذن يمكن الإنسان أن يمبر ؟ على أن هذا العمل لا بد أن ينفذ كرها على أية حال (أى التمدية) (؟) وهل عبور النهر بالنعال طريقة حسنة للعبور ؟ لا ! وقل لي من ذا الذي ينام (الآن) حتى مطلع الفجر ؟ لقد قضى على السير ليلا ، والسياحة نهارا ، والسباح للإنسان أن يتمه قضيته الحق . انظر . إنه لا فائدة لمن يقول لك : « إن الرحمة قد تخططك فاعظم حزن الرجل الفقير الذي قد خربته ! »

« انظر . إنك صياد يشقى غليله ، وإنسان منغمس في إرضاء ملاذه ، فيصيد جاموس البحر ، وتحترق (نبلة) الثيران الوحشية ، ويصيد السمك ، ويرمى شباكها للطيور . على أنه لا يوجد إنسان متسرع في كلامه يخلو من العثار^(٤) ، ولا إنسان خفيف القلب يقدر أن يكون

(١) يظهر أن الفلاح يحذر « رنزي » من الثقة التامة بالمستقبل (من يعرف ما سيحدث نتيجة ظلمه)

(٢) العميد هنا شيخ البلد .

(٣) موظف يفصل في المنازعات .

(٤) معبد للاله « حرشاف » في اهناس المدينة .

(٥) أى أن تسرع « رنزي » بعمله ظالما .

حازما في كبح هواه ، كن صبورا حتى يمكنك أن تصل إلى الصل . اكبح جماح اختيارك حتى إن الشخص الذي تمود أن يدخل بسكون يمكنه أن يكون سعيدا . على أنه لا يوجد إنسان طائش يتفوق في عمل ، ولا متسرع تطلب مساعدته . اجمل عينيك تتأملان ، وعلم قلبك . ولا تكون قاسياً بنسبة قوتك خوف أن يحقق بك الأذى . تناض عن قضية وإذن ستضعف (في صموبها) وإن الذي يأكل هو الذي يتذوق ، والذي يخاطب يجاب ، والناظم يرى الحلم^(١) . أما القاضي الذي تجب معاقبته فإنه نموذج للمجرم . تأمل أيها الأحمق فإنك قد ضربت ، وتأمل أيها المغفل فإنك استجوبت . وأنت يا ماسح الماء تأمل فإنك قد أدخلت^(٢) ، وأنت يا مدير السكان لا تحمل قاربك يرتطم . وأنت يا معطى الحياة لا تودين بأحد ، وبأخربا لا تسبين خراب أحد . وبأيها النقي لا تقوم مقام المهجير . وبأيها الستو لا تجعل التمساح يفترس . والآن هل سأقضى طول اليوم في الشكوى الرابعة ؟

الشكوى الخامسة

ثم أتى هذا الفلاح يشكو للمرة الخامسة وقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدي ! (وهنا المتن غامض جدا ، غير أننا نفهم أنه يتكلم عن كل أنواع صيد السمك وكلها استمارات وتشبيهات غامضة إلى أن يقول) : تأمل . إنك في حالة كهذه (في كل ما سبق من الكلام الغامض قد شبه فيه « رزى » بصيادي السمك) ، لا تحرم رجلا رقيق الحال أملاكه ، وهو رجل ضعيف أنت تعرفه ، فإن أملاك الرجل الفقير بمثابة النفس له ، ومن يفتصبها يكتم أنفه^(٣) . ولقد نصبت لتسمع الشكاوى وتفصل بين المتخاصمين ، وتكبح جماح اللص . ولكن تأمل . فإن ما تفعله هو أنك تماضد اللص . والإنسان يضع ثقته فيك ولكنك أصبحت معتديا . لقد نصبت سدا للفقير فاحترس خوف أن يفرق . ولكن تأمل . إنك تيار سريع له .

الشكوى السادسة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح للمرة السادسة ليشتكو فقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ،

(١) ثلاثة أحوال للمة والملول ؟ فكما أن الملول يتبع المة في هذه الأحوال الثلاثة كذلك

يكون القاضي المتهم نموذجيا للمجرم .

(٢) يظهر أن ذلك يعني أنك كلما اجتهدت لتقف سبل كلامي فإنك تنفر به

(٣) الألف هو مركز الحياة

ياسيدى ! . . . إن كل مخاكمة حقة تدحض الباطل ، وتملو بالصدق ، وتشجع الحسنة ، وتقضى على السيئة ، كالشيع عندما يأتى يقضى على الجوع ، والكساء يقضى على العرى ، وكالسما تصفو بعد العاصفة الشديدة وتدفع كل من شعر بالبرد ، وكلنار التى تسوى النىء ، وكالماء الذى يطفىء الظما . انظر بعينيك : إن المحكم متلاف ، والمصلح موجد للحزن ، ومهدىء (الخلافات) خالق للألم ، والمفتصب يحط من قدر العدالة ، ولكن الشخصى إذا قضى بالقسطاس المستقيم فإن العدالة إذن لن يحاد عنها ولن يبالغ (؟) فى إجرائها (ولكن) إذا أخذت فأعط زميلك أيها المشداق (؟) الخلو من الصراحة .

« إن حزنى يفضى إلى نزاع ، وانهامى يؤدى إلى تحول ، والإنسان لا يعرف ما فى القلب^(١) . لا تكن خاملا بل اهتم بالتهمة . فإذا قطعت فمن الذى يصل ؟ إن مجتداف القلوب (؟) فى يدك كالمود السهل (؟) المتناول عندما يوجد الماء العميق^(٢) (؟) . فإذا ارتطم القارب فإنه يدفع ولكن (؟) حولته تتلف (؟) وتضيع (؟) على كل شاطئ رملى (؟) . (كل العبارة غامضة)

« إنك متعلم وإنك ماهر وإنك عادل ، ولكن ليس فى النهب . (والآن ؟) فإن مثلك مثل كل بنى الإنسان كل أعمالك ملتوية ، ومفسد الأرض كلها يعيش مستقيما إلى الأمام (لا يرى أمامه اعوجاجا) . وزارع الشكر (البستاني) يروى حقله بالأعمال الخاطئة حتى يحمل مزرعته تنمو بالكذب ، وبذلك يرى المتاعب إلى الأبد (؟) .

الشكوى السابعة

وبعد ذلك أتى الفلاح ليشتكو له للمرة السابعة فقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، ياسيدى ! إنك سكان البلاد قاطبة ، والأرض تسبح على حسب أمرك . إنك معادل « لتحوت » تقضى دون أن تنحاز إلى جانب . ياسيدى كن صبورا حتى يمكن الإنسان أن يستغنى بك لقضيته المادلة . ولا تجملن قلبك جموحا ، فذلك لا يليق بك . وإن الرجل البعيد النظر يكون حليما . لا تفكرن فيما لم يأت بعد ، ولا تفرحن بما لم يحدث بعد .

(١) ينبأ الفلاح أن شدة حزنه وقوة توبيخه لا بد أن تؤدى إلى نزاع ، وأنه يحفر « رزى » أن ساعة العقاب ربما كانت أقرب مما يتصور
(٢) العبارة غامضة . ولكن يظهر أن التشبيه هنا يرسم لنا صورة « رزى » فى صورة من فقد زمام إدارة البلاد لأنه ليس فى استطاعته أن يصل إلى عمقها

والتحمل يطيل أمد الصحبة . اقض على الأمر الذى مضى ^(١) . والإنسان لا يعلم ما فى القلب
 « إن منتهك حرمة القانون ، وخارق المتبع من الأمور لا يستطيع رجل فقير أن يقاوم
 مهبه إذا لم تواجهه العدالة ^(٢) . حقا إن جوفى للآن وقلبي لمفم وقد طفع من جوفى تقرير
 عن تلك الحالة . لقد كان صدع فى السد ، فتدفق منه الماء ، وقد انفتح فى الكلام . وعندئذ
 قد أعملت مجدافى لسبر الفور ، ونزحت مائى ، وروحت عما فى جوفى ، وغسلت كثنائى
 (ملايسى) القدر . والآن قد انتهى خطابى وانتهى بؤسى فى حضرتك فما الذى تطلبه الآن ^(٣) ؟
 « إن خولك سيضللك بك ، وشراهتك ستغشك ، وإن عدم اكترائك سيولد لك
 أعداء . ولكن هل يمكنك أن مجد فلاحا آخر مثلى ؟ وهل الشاكى يقف على باب بيت الخامل ؟
 على أنه لا يوجد إنسان صامت قد أنطقته ، ولا نائم قد أيقظته ، ولا مكتئب قد نشطته ،
 ولا إنسان فمه مغلق قد فتحته ، ولا جاهل قد جعلته يعرف ، ولا غبي قد علمته ،
 (ومع ذلك) فإن الحكام هم الذين يقصون السوء ، وأرباب الخير هم أصحاب فن ليصنعوا
 أى شيء كائن ويصلوا الرؤوس التى قد فصلت (عن أجسامها) .

الشكوى الثامنة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثامنة فقال : « يأبها المدير العظيم للبيت ،
 ياسيدى ! إن الناس يتحملون السقوط البعيد بسبب الطمع ، والرجل الجشع يموزه النجاح ،
 ولكنه ينجح فى الخيبة . إنك جشع وذلك لا ينسجم معك ، إنك تسرق وذلك لا يفيدك ،
 أنت يا من يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته الحق . ذلك لأن ماقيم أودك
 فى بيتك ، ولأن جوفك قد ملئ ، ولأن مكيال القمح قد طفع ، وإذا اهتز فإن الفائض
 منه يبعثر على الأرض

« آه أنت يا من يجب عليه أن يقبض على اللص ، ويا من يبعد الحكام وقد نصبوا
 ليدرءوا السوء ، وهم حى الساخط ، والحكام قد نصبوا ليكبجوا الكذب . وليس الخوف
 منك هو الذى يجعلنى أشكو إليك . إنك لا تبصر (ما فى) قلبي . وإنه لإنسان صامت من
 يجعله يرتد دأعا عن توبيخك . ولا يخاف ممن يطالبه بحقوقه . وإن أخاء لا يؤتى به لك
 من قارة الطريق . ^(٤)

(١) الذى غامض وقد يكون : دعنا نبدأ من جديد .

(٢) يقصد بهذا التلويح « تحوت نحت » وأمثاله الذين ينهون دون أن يقدموا إلى المحاكمة .

(٣) ما الذى تحتاجه أكثر من ذلك .

(٤) هنا يغاخر الفلاح بأن مثيله لا يوجد فى أى ركن من أركان الطريق .

« إنك تملك حقلك في الريف ، ومكافأتك (أرضك) في ضياع الملك . وخبزك في الخبز ، والحكام يبطونك . ومع ذلك تفتصب ! هل أنت لص ، هل يحضر إليك مجنود لتصاحبك عند تقسيم الحقول (ملك) ^(١) .

« أقم العدل لب العدل ، والذي عدلُ عدالته موجود ^(٢) . وأنت يأبها القلم ، وأنت يأبها البردية ، ويأبها اللواة ، ويا « تحوت » ابتعدوا عن عمل السوء . وعندما يكون الحسن حسنا فالأمر إذن حسن . غير أن العدل سيكون إلى الأبد ويذهب مع من يعمل إلى الجبلية ، وسيدفن وتطويه الأرض . أما اسمه فلن يمحي من الأرض ، بل سيذكر للخير . وهكذا القانون في كلمة الله ^(٣) . فهل هو ميزان ؟ إذن لا يميل . هل هو لسان الميزان ؟ إذن لا يحد إلى جانب (لا يزن غشا) . وإذا حضرت أو حضر غيري فخطبه ، ولا تجيب كإنسان يخاطب رجلا صامتا ، أو كإنسان يهاجم من لا يمكنه أن يهاجم . إنك لا تظهر الرحمة . إنك لا تضعف ، إنك لا تتبذ (؟) . إنك لا تمنيني مكافأة على تلك الخطب التي تخرج من فم « رع » نفسه . انطق بالعدل وأقم العدل لأنه خطير ، وعظيم ، ويميش طويلا ، والثقة به قد عرفت ، فهو يؤدي إلى العمر الطويل المحترم . هل الميزان يحد ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن ذلك يكون بسبب كفتيه اللتين تحملان الأشياء ^(٤) . ولا يجوز وجود الظلم مع القانون . وإن العمل الحقير لا يصل إلى المدينة ، على أن أصغر الأشياء ^(٥) سيصل إلى الريف . »

الشكوى التاسعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح إليه للمرة التاسعة ليشتكو فقال : « يأبها المدير العظيم للبيت ياسيدي ! إن لسان الناس ليس إلا لسان ميزانهم ، وهو الميزان الذي يبحث عن نقائصهم ^(٥) . وقع العقاب على من يستحق العقاب . على أنه لا شيء مماثل استقامتك والكذب قد انتهى عمله ^(١) والصدق يرجع معارضا له (الكذب) ^(٢) . إن الصدق هو ثروة ^(٣) الكذب . إنه ينمى ^(٤) وإنه وإذا مشى الكذب في (الخارج) فإنه يضل ، ولن يعبر في قارب التمدية ، ولن يقوم بأى تقدم ^(٥) . أما من تنمو ثروته به فلن يكون له

(١) هل تأخذ منك جنودا لتساعدك على السرقة عندما تقسم قطع الأرض .

(٢) ربما يقصد برب العدل إله الشمس « رع » الذي يمشي بالعدل .

(٣) هذا هو القانون الذي رسمته كلمة الله العليا .

(٤) الفضل والأشياء التي توزن .

(٥) أى أن كلام الناس يدل على طبيعتهم الحققة .

أطفال ، ولن يكون له وارث على الأرض . ومن يسيح به (بضاعة) لن يصل إلى بر ، وسفينته لن ترسو على مدينته .

« لا تكونن ثقيلاً يا من لست خفيفاً . ولا تتوانين^(١) يا من لا يسرع . لا تكونن متحزباً ولا تصنن^(٢) لقلبك . ولا تسترن^(٣) وجهك من إنسان تعرفه ، ولا تتعامن^(٤) عن إنسان قد رأيته ، ولا تردن^(٥) إنساناً يشكو إليك . وارك هذا الخمول حتى إن حكمتك (القائلة) : « افعل الخير لمن يفعله لك » يمكن أن تروى إلى مسامع كل الناس ، وحتى يرجع إليك الناس فيما يتعلق بمطالبهم الحققة . والخامل لا أمس له ،^(٦) والأصم عن العدل لا رفيق له ، والرجل الجشع لا فراغ لديه (إجازة) . وذلك الذى يوجه إليك التهمة بصير رجلاً فقيراً ، والفقير سيصير شاكياً . والعدو يصبح ذابحاً (للفلاح) . تأمل . إني أشكو إليك وأنت لا تسمع شكواى فساذهب وأشكو منك إلى « أنوبيس » .^(٧)

الخاتمة

وبعد ذلك أمر « رزى » بن « مرو » المدير العظيم للبيت اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضراه ثانية . وقد خاف هذا الفلاح ظناً منه أن ذلك قد عمل لمحاقبته على الخطبة التى فاه بها . فقال هذا الفلاح : « مثل اقتراب الظمان من الماء ووصول الشفة التى تتحرق إلى اللبن كمثل الموت الذى يتاق إلى رؤيته فى مجيئه عندما يأتى متباطئاً . »
ولكن المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » قال : « أيها الفلاح . انظر . جهز نفسك على أن تسكن معى . »
فقال هذا الفلاح (؟) : « هل سأعيش قائلاً : دعنى آكل من خبزك وأشرب من (جمتك) إلى الأبد ؟ » .

فقال المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » : « لا بأس انتظر هنا حتى يمكنك أن تسمع شكاياتك . » ثم أمر بقراءتها من ملف بردى جديد كل شكوى على حسب محتوياتها . ثم إن المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » أمر بإرسالها إلى جلالة الملك المرحوم « بنكاور » وقد سر منها جلالته أكثر من أى شىء فى الأرض قاطبة . وقال جلالته : « اقض أنت بنفسك يا بن « مرو » (فى هذا الأمر) . »

(١) قد يعجل : ليس له ذكرى سارة .

(٢) يظهر أن الفلاح يشير إلى اقتراب أجله عندما يكون أنوبيس إلهه ، فعندئذ يشكو إليه من

« رزى » إما ليصلحه أو لينجيه من مصير الفلاح نفسه (أى الموت) .

فأمر (المدير العظيم) للبيت « رزى » بن « مرو » اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضرا « تحوت نخت » فأحضر وأحصيت (كل أملاكه) ستة أشخاص خلافا قحه من الوجه القبلى وبخيره وحيره وخنازيره وماشيته الصغيرة وقد أعطى بيت « تحوت نخت » لهذا الفلاح ، وكذلك كل قال إلى « تحوت نخت »
[لقد انتهت] بسلام كما وجدت مدونة]

قصة الراعى

مقدمة :

أراد أحد كتاب الدولة الوسطى أن يحو كتابة من ورقة بردية^(١) ليستعملها مرة أخرى ، فحبا بمضها ، وبقى منها خمسة وعشرون سطرا من وسطها ، ولكن هذا الجزء اليسير الذى بقى لنا لا يكتفى لتتعرف منه وقائع القصة أو مغزاها . لذلك اقتصرنا على تسجيل ما قرأناه منها هنا ، وقد يجوز أن يكون موضوع القصة دائراً حول الهمة نصبت شباً كها لراع يعيش مع ماشيته فى إحدى مناقع الدلتا »

من القصة :

. تأمل ، فأتى عندما ذهب إلى المستنقع الذى يحف بهذه الأرض المنخفضة ، رأيت امرأة هناك ، منظرها ليس كمنظر الآدميين ؛ فقف شعرى حينما نظرت إلى صفاتها ، لأن لون (جسمها) كان لامعا جدا . على أنى لن أفعل قط ما قالت ، والخوف منها فى جسمى وإنى أقول لك : أنت أيتها الثيران ، دعينا نذهب إلى البيت (؟) . دع المجول تعب ، والماعز تبقى فى مكان . . . مع الرعاة خلفها ، أما قاربنا الخاص بالسياحة إلى ماأنا فىوضع فى مؤخرته الثيران والأبقار ، وفى هذا الحين يقوم أعقل الرعاة بتلاوة تمويذة مائية^(٢) ويقول

See Gardiner Hierat. Papyrus aus den Königl. Museen zu Berlin, II. P. (١)
15; & Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 35

(٢) لينع التماسيح عن القطمان . والقصود من ذلك معروف لدينا من مناظر الدولة القديمة وهو أن الرعاة — الذين كانوا يحضرون للماشية إلى البيت وكان عليهم أن يعبروا ماء — كانوا يذهبون أولا فى قارب وكانت الثيران والأبقار تتبعهم عوما ، على حين أن المجول كان تجر بالقود . وفى نفس الوقت يقوم الرعاة بعمل إشارة خاصة بأصابعهم كان المفروض فيها أنها تبعد التماسيح عن القطمان .

هكذا : « إن أرواحي ^(١) (كاوو) مبهجة » وأنتم أيها الرعاة ، وأنتم أيها الناس ، لن يقدر أحد أن يطردني من هذا الحقل حتى في عام نيله مرتفع ، يشرف فيه على هضاب الأرض ، ولا يمكن أن تميز فيه البركة من النهر ^(٢) .

اعمد إلى بيتك ^(٣) . أما الماشية التي كانت قد بقيت فقد عادت ؛ والخوف منك قد زال ، والرهبة منك قد تلاشت ، وحتى يحس الرعب من « الواحدة القوية » والخوف من « سيدة الأرضين » ^(٤)

ولما ظهر النور على الأرض في الفجر الأول نفذ ما قال . وهذه الإلهة قابلته بينما كان يمرج في طريقه إلى البركة ، وقد خلعت ملابسها ونفشت شعرها . . .

قصة هلاك الإنسانية

ملخصها :

شعر الإله « رع » إله الشمس أنه صار مسنأ ، وأن رعيته من بني الإنسان يتآمرون على قتله ، فاستنجد بالإلهة « حتحور » التي تسمى في هذه القصة « عين رع » لتقضي على بني الإنسان جملة ، ولكنها بعد أن بدأت عملها عز على الإله « رع » ذلك ، فدبر طريقة ينقذ بها من بقى من البشر ، ويخلصهم من بطش هذه الإلهة ، وتم له ذلك بمونة شراب الجملة الذي حجب إلى قلبها ، فاحتست منه حتى ثملت ولم تع ما كانت تريد .

وراسة الفهرسة :

تمثل لنا هذه القصة أو بمباراة أدق هذه الخرافة نوعا من الشعر القصصي الذي يدور حول « الإلهة حتحور » إلهة السماء ، والإله « رع » إله الشمس ، وقد حفظت لنا بتوفيق غريب ، إذ أنها كانت قد نقلت في كتاب تمويزات سحرية . وقد نقش هذا الكتاب على جدران مقبرة الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، ثم على جدران مقبرة رعمسيس الثالث من الأسرة العشرين . ووردت هذه القصة فيما نُقش باعتبارها جزءا من هذا الكتاب

(١) كان لكائنات الالهية أرواح (كاوو) عدة

(٢) أى أن البركة والنهر يكونان كتلة واحدة من الماء بسبب ارتفاع النيل

(٣) قد يكون هذا جواب الرعاة الآخرين

(٤) لا بد أن المقصود بذلك إلهة عظيمة نظراً لهذه الألقاب

كما وجدت مكتوبة على « ناووس » « توت عنخ آمون » الخشبي (ولم تنشر بعد) . غير أنه من النقشين الأولين وإن وجدا مهشمين استطعنا أن نحصل على نص كامل تقريبا لهذه الخرافة . ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى الدولة الوسطى ، والمرجح أنها كتبت في بدايتها . على أن أول ما يسترعى النظر في أسلوب هذه القصة هو سذاجة التعبير والتكرار الممل كالذى نسمعه في بيوتنا عندما تقص علينا خرافة من الخرافات ، يضاف إلى ذلك أن القصة تحتوى على اشتباكات لغوية خاصة بأسماء الآلهة تلفت نظر المشتغلين باللغة المصرية . وكذلك نجد فيها صورة طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التى كان لا بد منها فى الطقوس المصرية . أما أهم ما يلفت النظر فيها من حيث القصص فهو وجه الشبه بين قصة الطوفان الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة ، والذى كان من جرائه فناء الإنسانية تقريبا ، وبين فيضان الشراب الذى غمر البلاد المصرية فى قصتنا مع الفارق ، أن الخيال المصرى فى قصتنا قد قلب الطوفان الذى أرسل هناك لهلاك البشر ليكون حافظا ورحمة لهم هنا . ولكننا نذكر هذه المقابلة بشيء كبير من التحفظ المقرون بالشك . وسببى هذا الشك موجودا إلى أن تصل إلينا وثائق أخرى تثبت حدوث هذا الطوفان فى مصر ، وبخاصة إذا علمنا أن « أفلاطون » قد أنكر ذلك (Timaeus P 22 ff) .

والواقع أنه لا يوجد فى الوثائق المصرية خرافة خاصة بالطوفان . والمصدر الوحيد الذى تلمح فيه عن بعد إشارة عن الطوفان هى الخرافة الخاصة « بأوزير » أو « حور » جد بنى الإنسان ، إذ ترى فيها الإله يطفو على سطح الماء فى صندوق عند ولادته أو عند موته حسب الإله المذكور إن كان « أوزير » أو « حور » (انظر Max Müller Egyptian Mythology P. 76 ff.

المصادر :

أول من بحث هذه القصة هو الأستاذ « نافيلى » ثم ترجمها بعده « ماكس مولر » فالأستاذ « ارمان » :

- (1) Naville. Transactions of the Soc. of Bib. Arch IV P. 1—9
- (2) Max Müller Egybtian Mythology. P. 73 ff
- (3) Erman. The Literature of The Ancient Egyptians P. 47 etc.
- (4) Roeder Urkunden. zur Religion des Alten Agypten P. 141.

من القصة :

..... الإله الذى أوجد نفسه عندما كان ملكا على الآلهة والناس جميعا . وقد دبر له بنو البشر مؤامرة . وقد كان جلالته وقتئذ متقدما فى السن ، وكانت عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقى (الظاهر أن هذه كانت أمارات على كبر السن فى الآلهة) .

ولكن جلالته قد فطن لما يدبره ضده بنو البشر ، وعند ذلك قال جلالته لمن كانوا فى حاشيته : تمالوا ونادوا إلى عيني ، وكذلك « شو » و « تفتوت » و « جب » و « نوت » ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا فى صحبتى عندما كنت لا أزال فى نون (المحيط الأبدى) وكذلك نادوا إلى « نوت » نفسه ودعوه يُحضر معه حاشيته ، ويجب عليكم أن تحضروا سرّا حتى لا يراهم بنو الإنسان ، فياخذ قلوبهم الفزع ، ويجب عليكم أن تحضروا معهم إلى القصر العظيم حتى يمدونى بنصيحتهم .

من أجل ذلك حضر هؤلاء الآلهة . وهؤلاء حضروا أمامه ولسوا الأرض بجباههم فى حضرة جلالته ، لأجل أن يقول كلماته فى حضرة والد الأكرام سنا « نون » ، ذلك الذى سوى بنى البشر وملك الناس .

فقالوا لجلالته : تحدث إلينا حتى نسمع حديثك . فقال « رع » للآله « نون » يا أسن إله به جئت للوجود ، وأنتم أيها الآلهة الأقدمون ، انظروا إلى بنى البشر الذين أتوا للوجود بعيني ، فقد دبروا مؤامرة ضدى ، فأخبرونى با عساي أفضل فى ذلك . تأملوا ، فإنى لا زلت أبحث ، ولن أذبحهم حتى أسمع رأيكم فى ذلك . عندئذ قال جلالة « نون » يا بنى رع أنت أيها الإله الذى هو أعظم من الذى خلقه وأسن من الذين سووه ، ابق حيث أنت ، فإن الخوف منك سيكون عظيما ، إذا التقت عينك بمن تخيل لك سوءا . فقال جلالة « رع » : انظر . إنهم قد هربوا إلى الصحراء لأن قلوبهم فى وجل مما قالوا . وعندئذ قالوا لجلالته : أرسل عينك لئلا يذبحهم لك . . لتذبحهم لك عندما تنزل بصورة « حتحور »

وهكذا جادت هذه الإلهة بمد أن قتلت بنى الإنسان فى الصحراء ، وقال جلالة هذا الإله : مرحبا مرحبا يا حتحور . لقد فملت ما أرسلتك من أجله . فقالت له هذه الإلهة :

بحياتك لقد تغلبت على بنى البشر وقلبي فرح لذلك^(١) . .

وقال « رع » : تعالوا نادوا رسلي المسرعين فى العدو حتى يمدوا مثل ظل الجسم . وقد أحضر هؤلاء الرسل ، فقال لهم جلالة هذا الإله : أسرعوا إلى الفنتين (أسوان) وأحضروا لى كمية عظيمة من الطَّفل الأحمر . فأحضر له هذا الطفل الأحمر . ثم إن جلالة هذا الإله العظيم أمر الإله « ذو الذَّوابة » الذى فى عين الشمس أن يطحن هذا الطفل الأحمر . ثم أعدت الخادومات شميرا للجمة ، وأضيف له هذا الطفل المطحون ، فصار يشبه الدم البشرى ، ثم جهز ٧٠٠٠ إبريق (هنت) من الجمعة . ثم حضر جلالة الملك « رع » ملك الوجهين القبلى والبحرى وبصحبته هؤلاء الآلهة ليروا هذا الشراب ، وانفلق صبح اليوم الذى كانت ستذبح فيه الإلهة بنى الإنسان فى وقت ذهابهم إلى النهر . وقال جلالة هذا الإله : إنها حسنة جدا سأحمي بها بنى الإنسان (؟) وقال « رع » : احملوها الآن إلى المكان الذى قالت عنه إنها ستقتل فيه بنى الإنسان . وبكر جلالة « رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى فى أعماق الليل ليصب هذا الشراب المنوم (؟) والحقول التى . . قد ملئت بالشراب بقوة جلالة هذا الإله .

وفى الصباح ذهبت الإلهة ووجدتها غطيت بالفيضان ، وكان وجهها جميلا فيه (أى فى الفيضان) فشربت ، وكان الشراب لذيذا إلى قلبها فسكرت ، ولم تع بنى الإنسان .

قصة الملك خوفو والسحرة

عندما تقرأ هذه القصة تلمس فى أسلوبها والغرض منها روح قصص « ألف ليلة وليلة » ، فهى سلسلة من القصص تعتبر الأولى من نوعها ، قد صيغت باللغة المصرية الحديثة التى سادت استعمالها فى عهد الدولة الحديثة ، وبقيت اللغة الرسمية للبلاد إلى أمد بعيد من ألف السنة الأولى قبل الميلاد ، وأظهر مميزات هذه اللغة الجديدة : اختفاء الضمير المتصل الذى كنا نجده فى اللغة القديمة يحتل آخر الكلمة . فثلا كلمة « بيتى » كانت تكتب فى اللغة القديمة كلمة واحدة ، ولكنها فى اللغة الحديثة أصبحت تكتب كلمتين : الضمير ويوضع فى أول الكلمة ، والكلمة نفسها وتأتى بعد ذلك ، كما فى اللغات الأوربية . يضاف إلى ذلك اختفاء

(١) يأتى بعد ذلك قطعة غامضة يمكننا أن نحكم من سياق ما سيأتى أنها كانت تحوى على ندم « رع » على ما فرط منه وعزمه على إنقاذ البقية الباقية من بنى الإنسان .

بعض صيغ قديمة واستحداث عدد عظيم من الأدوات لم تكن موجودة من قبل . ولا يفوتنا أن هذه اللغة الحديثة لم تصر اللغة الرسمية للبلاد إلا بعد مائتي سنة على ظهور قصتنا ، وذلك في عهد الفرعون « اخناتون » حيث أخذت اللغة القديمة تتولر وتختفي .

ملخص القصة :

« خوفو » باني الهرم الأكبر جمع أولاده يوما وطلب أن يقص عليه كل منهم قصة غريبة تتناول السحر ومعجزاته فيما مضى من الدهور ، فأخذوا يتناولون الحديث ، إلى أن قام أحدهم وذكر قصة عن ساحر لم يزل على قيد الحياة يأتي بخوارق الأمور ، وأحضره فعلا أمام الملك . فبعث الحياة مرة ثانية إلى حيوانات فصلت رءوسها عن أجسادها ، فلما رأى الملك قدرته على إحياء الموتي طلب أن يعرف منه عدد أقفال معبد الإله « تحوت » ، فاعتذر بأنه لا يعرف عددها وإن كان يعرف مكانها ، وأن رجلا واحدا هو الذي يستطيع الإتيان بها للملك ، وهذا الرجل لم يولد بعد ، ولا يزال مع أخويه في بطن أمه وهي كاهنة « رع » وقد قدر لأولادها الثلاثة أن يحكموا ثلاثة أجيال .

فهلج قلب الملك « خوفو » لما سمع من كلام الساحر خشية على ملكه أن يتوارثه غير أبنائه . فسأل الساحر مرة أخرى عن موعد ولادة هؤلاء الإخوة الثلاثة فأجابه الساحر . ومن ثم شغل بأمر الكاهنة وأخذ يترقب ولادتها . وظهر أثناء ذلك بعض المعجزات السحرية سيرها القاريء في متن القصة .

دراسة القصة :

تتميز في هذه القصة مرحلتان متباينتان :

الأولى : ما سرده أولاد الملك من قصص السحرة .

والثانية : ما حكى أمر الأطفال الثلاثة الذين سينتقل إليهم زمام الأمر في البلاد .

ووصل المؤلف بين المرحلتين بإقحام البحث عن مفاتيح الإله « تحوت » رب العلم والسحر ليخلق بذلك مناسبة لذكر الأطفال الثلاثة الذين أسسوا — بعد أن شبوا وعلبت قناتهم — الأسرة الخامسة .

وهذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء كان الغرض منها أولاً تسليية الملك وإدخال السرور على قلبه ، وانتهت في مرحلتها الأخيرة باللعاية للملك الأسرة الجديدة وأنهم من

نسل « رع » ، ولذلك أسس كل منهم معبدا للشمس قائما بذاته . وهى فى جملتها تجيد لفن السحر ، وحرب على الرذائل الخلقية . فالزانية فيها قد أحرقت ، والزانى ألقى طعاما للتمساح ويمكننا أن نلقى ضوءا على نهاية القصة الغامضة ، فنقول بأغلب الظن إن مساعى الملك لقتل هؤلاء الأطفال لم تنجح ، فشبوا وترعرعوا ونصبوا ملوكا متتابعين . والقصص التى من هذا النوع كثيرة مثل قصة الحكماء الثلاثة الذين أتوا من المشرق (أنجيل متى الإصحاح الثانى) . قلنا إن هذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء ، وبعبارة أوضح نستطيع أن نقول إنها قصة واحدة ، فإن اقتطاع جزء منها أو الاختصار على قصة واحدة من قصصها يظهرها لنا ناقصة شوهاء لا تؤدى إلى الغرض الذى سيقى من أجله .

وإذا نظرنا إلى هذه القصة باعتبارها أدبا قصصيا حكمنا بأنها ليست من النوع الرافى . وإذا نظرنا إليها باعتبارها قصصا قوميا رأينا أنها فى بابها قطعة فنية تستحق الذكر .

ولا تظن أن القصص القومى الذى يميل إليه جمهرة الشعب ويتفهمونه فى سهولة ويسر لا صنعة فيه ولا يستلزم حذاق ومهارة ، فإنه استمداد وقدرة ومراتب على ما تواضع عليه القصاص وزواد مجالسهم . فتتربى عند الواحد ملكة يستطيع بها إذا سمع قصة أن يلحقها بشبهة لها وردت على أذنه من قبل ، فهى بهذا حرفة وفن وتقاليد موروثة . ومن هنا أتت شهرة القصاص الأذكاء الذين يدركون ذوق جمهور المستمعين فيغذونهم بما يناسبهم ، ويكافئهم هؤلاء بالتهافت على مجالسهم والتحدث بمواهبهم .

ومع ذلك فإنه إذا صيغ هذا النوع من القصص فى ثوب جميل من الأساليب كانت له قيمته العظيمة ، كما تشاهد ذلك فى قصص الدولة الوسطى . وسيرى القارئ عند الكلام على شكواى « خع — خبر — رع — نب » أن المؤلف كان يندب حظ الأسلوب الأدبى فى الكتابة ويقول عنه : إنه أصبح خاليا من كل تنميق .

وهذا النقد نراه ظاهرة فى كل آداب العالم . فإذا ساد لون منه عصرا من العصور قام من ينادون بتغييره ، لأن الجدة والتغيير تريح إليهما النفوس كثيرا ، كما نرى الآن بين أنصار الأدب القديم وأنصار الأدب الجديد ، وبين أنصار الأدب المحتشم والأدب المكشوف ، وبين أنصار العربية والعامية .

المصادر :

أول من عني بترجمة هذه القصة هو الأستاذ « أدلف ارمان » . والبردية التي وجدت مكتوبة عليها تعرف باسم ورقة « وستكار » . وأحدث ترجمة لها هي التي تجدها في كتاب « إرمان » في الأدب المصري القديم ، وقد بحث موضوعها وعلق عليها غيره من علماء المصرية . وهاك المصادر التي يمكن الرجوع إليها والاعتماد على ما جاء فيها :

- (1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians P. 86 ff
- (2) Peet : A comparative Study of the Literatures of Egypt Palestine and Mesopotamia. P. 41 ff.
- (3) Max Pieper : Die Agyptische Literatur. P. 55 ff.
- (4) Maspero: Popular stories of Ancient Egypt P. 21 ff.
- (5) A. Wiedeman : Altaegyptische Sagen und Marchen. Leipzig. 1906.

متن القصة :

(أول هذه القصص خاص بحوادث في عهد الملك « زوسر » ، غير أنه لم يحفظ منها إلا الخاتمة ، وفيها يأمر الملك « خوفو » اعترافا منه بأعمال هذا الملك « زوسر » وساحره (رئيس المرتلين^(١)) بتقديم ما كولات لها توضع في قبورهما)

ثم قام الأمير « خفرع »^(٢) يتكلم وقال :

« أنا أقص على جلاتك أمجوبة حدثت في عهد والدك « نبكا »^(٣) حينما ذهب إلى معبد « بتاح » في « منف » وذلك أنه حينما ذهب جلالته إلى منف ، زار رئيس المرتلين « وباوز » أيضا . . .

وكان لـ « وباوز » هذا زوجة قد أغرمت بحب أحد سكان المدن ، وقد كانت على اتصال معه بواسطة خادمة ، وقد أرسلت له صندوقا مفعما بالملابس هدية له وحضر مع الخادمة .

وبعد أن مضت عدة أيام^(٤) — كان يوجد منزله على بحيرة^(٥) « وباوز » — فقال ذلك المواطن لزوج « وباوز » :

(١) المرتل هو الكاهن المتعلم الذي يعرف الكتب المقدسة وهو لذلك ساحر منفوق .

(٢) باني هرم الجزيرة الثاني .

(٣) نبكا و زوسر من ملوك الأسرة الثالثة .

(٤) اصطلاح ثابت في القصص المصرية ولا يؤخذ به حرفيا وسفراه كثيرا فيما يلي .

(٥) يقصد بذلك حديقة كبيرة فيها بركة وخيمة على حسب العادة المصرية

(cf. A. M. Blackman Luxor and its Temples PP. 10 f.)

لماذا ؟ . إنه يوجد منزله في بحيرة « وباور » . انظري سنمكت فيه معا . فأرسلت زوجة « وباور » إلى مدير البيت المشرف على البحيرة قائلة : « جهز^(١) بيت الزهرة الذي في البحيرة » . وبعد ذلك ذهبت هناك وقضت اليوم تشرب مع ذلك المواطن حتى مغرب الشمس . ولما حان وقت الغروب ذهب إلى البحيرة ووقفت الخادمة لقضاء حاجته كأنها خادم حمام ، وقد لمحها رئيس البيت .

ولما أضاءت الأرض وحل اليوم التالي^(٢) ذهب مدير البيت وأخبر سيده بالأمر فقال « وباور » : « اذهب وأحضر لي . . من العاج والذهب » . وبهذه الآلة صنع تمساحا من الشمع طوله سبعة أشبار ، وتلا عليه تمويذة وقال : « إن من يأتي ليستحم في بحيرتي اقبض عليه » . وأعطاه مدير البيت وقال له : « حينما ينزل المدي إلى بحيرتي على حسب عادته اليومية ألقي التمساح وراءه في الماء » . وعلى ذلك ذهب مدير البيت في سبيله وأخذ تمساح الشمع معه .

وأرسلت زوجة « وباور » إلى مدير البيت الذي كان مشرفا على البحيرة قائلة : « جهز بيت الزهرة الذي على البحيرة . انظر ، إنى سأسكن فيه » .

فأتم بيت الزهرة بكل شيء جميل ، ثم ذهبتا^(٣) وقضتا يوما بهيجا مع المدي . وعندما حان الغروب جاء المدي على حسب عادته اليومية ، وألقى مدير البيت تمساح الشمع وراءه في الماء فانقلب إلى تمساح طوله سبع أذرع وقبض على المدي . . . ولكن « وباور » مكث مع جلالة الملك « نبكا » سبعة أيام ، وفي هذه الأثناء كان المدي في الماء من غير تنفس . ولما انقضت سبعة الأيام أتى الملك « نبكا » وحضر أمامه رئيس المرتلين « وباور » . ثم قال « وباور » : « . ليت جلالتك تأتي وتشاهد الأعجوبة التي حدثت في عهد جلالتك » فذهب الملك معه ، ثم نادى « وباور » التمساح وقال : « أحضر إلى هنا المدي » . وعلى ذلك خرج التمساح وأحضره . . . فقال جلالة الملك « نبكا » : « أستميحك عفوا ، ولكن هذا التمساح مخيف (؟) . » وعند ذلك انحى « وباور » وأخذ فصار تمساحاً من شمع في يده . وبعد ذلك قص رئيس المرتلين « وباور » على جلالة الملك « نبكا » هذا الأمر الذي فعله المدي في بيته مع زوجته . فقال جلالته للتمساح :

(١) بالمؤن وغيرها .

(٢) اصطلاح ثابت أيضا .

(٣) الزوجة وخدامتها .

« خذه فهو ملكك » .

وعندئذ غاص التماسح في أعماق البحيرة ، ولم يعرف أحد المكان الذي ذهب إليه معه . وأمر جلالة الملك « نبكا » أن تؤخذ زوج « وباوز » إلى الحقل الذى فى شمال مقر الملك ، وأشعلت النار فيها وألقى برملدها فى النهر .

« انظر . إن هذه أعجوبة حدثت فى عهد واللك « نبكا » . وهى من أعمال رئيس المرتلين « وباوز » العظيمة » .

فقال جلالة الملك « خوفو » : « فليقدم للملك « نبكا » ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة وثور ، وكيلا من البخور ، وليمط رئيس المرتلين « وباوز » فطيرة وإبريقا من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلا من علمه ، وقد نفذ كل ما أمر به جلالتة .

ثم وقف الأمير « بوفرع » ليتكلم وقال :

« أقص عليك أعجوبة حدثت فى عهد والدك « سنفرو »^(١) ، وهى من الأعمال العظيمة التى قام بها رئيس المرتلين « زازا ممنخ » . وذلك أنه ذات يوم كان الملك « سنفرو » حزينا ، ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية ، ولكنه لم يجد شيئا « وعند ذلك قال : اذهب وأحضرنى رئيس المرتلين « زازا ممنخ » . فأحضر إليه فى الحال ، فقال له جلالتة : « لقد جمعت رجال القصر جميعا ليجدوا لى تسلية ، ولكن لم أجد » .

فقال له « زازا ممنخ » :

« إذا ذهبت جلالتك إلى بحيرة البيت العظيم^(٢) ، اركب قارباً كل ما فيه عذارى من إماء قصرك ، عندئذ قلب جلالتك ينشرح حيناً ترى كيف يجدفن جيئة وروحة . وعندما ترى الأماكن اللطيفة التى على البحيرة ، وتنظر إلى حقولها وشاطئها الجميلين ، فإن قلبك ينشرح بذلك . » .

فقال له جلالتة :

« سأفعل هذا . عد إلى منزلك (؟) وسأذهب لأجدف . فليؤت إلى بمشرين مجدافا من الأبنوس مرصعة بالذهب ومقابضها من خشب (سكب) مطعمة بخالص النضار . فليؤت إلى بمشرين امرأة ممن لهن أجل الأعضاء ، وصدورهن رشيقة ، وشعورهن

(١) الملك الذى حكم قبل خوفو مباشرة .

(٢) أى القصر

مجدولة ممن لم يلدن بعد ، وفوق ذلك أحضروا الى عشرين شبكة ، وأعطوها النساء بدلا من ملابسهن ، وقد نفذ كل ما أمر به جلالته ، وجدفن جيئة وروحة ، وكان قلب جلالته فرحا حينما رأى كيف يجدفن .

ثم تعثرت قائدة^(١) منهن في جدائل شعرها ، وسقطت سمكة حلي^(٢) من (الملخيت) الجديد في الماء . فسكت^(٣) ولم تعد تجدف وسكت الصف الذي كانت تقوده وانقطع عن التجديف . عندئذ قال جلالته : « لماذا لا تجدفن ؟ » فقلن : « إن قائدتنا صامتة ولا تجدف » فقال لها جلالته : « لماذا لا تجدفين ؟ » .

فقلت : « إن السمكة - من الملخيت الجديد - قد سقطت في الماء » . فأحضر إليها أخرى وقال : « إني أعطيك هذه بدلا » . فقلت : « إني أريد قمبي حتى قاعه^(٤) » . عندئذ قال جلالته : « اذهب وأحضر إلى رئيس المرتلين « زازا معنخ » » . فأحضر فوراً وقال جلالته : « يا زازا معنخ ، يا أخى ، لقد فعلت كما قلت ، وقد سر قلب جلالتي حينما نظرت كيف يجدفن ، ولكن سمكة حلي من الملخيت الجديد لقائدة قد سقطت في الماء ، فسكت ولم تجدف ، وبذلك أضرب صفها عن التجديف ، وقد قلت لها : لماذا لا تجدفين ؟ فقلت لى : إن سمكة حلي من الملخيت الجديد قد سقطت في الماء . فقلت لها : جدى وأنا أعطيك بدلها . فقلت لى : إني أريد قمبي حتى قاعه »

« وعندئذ تلا « زازا معنخ » رئيس المرتلين عزيمة سحرية ، وجعل ماء أحد جانبي البحيرة على الجانب الآخر^(٥) . ووجد سمكة الحلي موضوعة على قطعة خرف ، فأحضرها وأعطاهما صاحبتهما . أما الماء فكان عمقه اثني عشر ذراعا في الوسط ، وقد بلغ أربعة وعشرين ذراعا حينما رفع . وعند ذلك تلا تمويذة سحرية فرد ماء البحيرة ثانية إلى مكانه . « وقضى جلالته كل اليوم في سرور مع كل القصر ، وكافأ رئيس المرتلين « زازا معنخ » بكل الأشياء الطيبة » .

(١) يحتمل أن البنات كن يجلسن في صفين لسكن منهما قائدة تقود التجديف

(٢) يظهر أن النساء عند التجديف كن يلبسن حلية للشعر على شكل سمكة .

(See Blackman. Journ. of Egypt. Archaeology. XI PP. 212 f.)

(٣) كان البنات يغنين أثناء التجديف للتسلية كما يفعل البحارة الآن على المراكب النيلية .

(٤) إني أريد حتى كاملا [إني أفضل سمكتي على شبيبتها (المترجم)]

(٥) أى أنه طوى الماء في البحيرة . كما تطوى الملابس . وهذه محجرة تشبه التي ذكرت في القرآن عن فرعون موسى عندما كان يطارد بنى اسرائيل . « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم »

« انظر !! إنها أعجوبة حدثت في عهد والدك » سفرو « وهى من أعمال رئيس المرتلين ناسخ الكتاب » زازا ممنخ «

فقال جلالة الملك « خوفو »^(١) : « فليقدم إلى جلالة الملك » سفرو « مائة رغيف من الخبز ومائة إباء من الجعة ، وثور ، وكيلان من البخور ، وليعط رئيس المرتلين ناسخ الكتاب » زازا ممنخ « فطيرة ، وإريقا من الجعة ، وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلاً من علمه . وقد نفذ كل ما أمر به جلالاته .

ثم نهض الأمير « حردادف » ليتكلم فقال : « إنك لم تسمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا ، والإنسان لا يستطيع أن يبين فيها الصدق من الكذب . غير أنه في زمنك هذا يوجد ساحر .

فقال جلالاته : « من هو يا « حردادف » ، يا بنى ؟ » فأجاب الأمير « حردادف » :^(١) « يوجد مدنى اسمه « ددى » يقطن فى « دد — سفرو »^(٢) بلغ من العمر مائة وعشرة أعوام وبأكل خمسمائة وخمسين رغيفا من الخبز ، ونخذ ثور من صنف اللحم ، وشرب مائة إبريق من الجعة ، إلى يومنا هذا^(٣) . وهو يعرف إلى الآن كيف يركب ثانية رأساً قد قطع ، ويعرف كيف يحمل الأسد يتبعه وجبله^(٤) يجر على الأرض ، وهو يعرف عدد الأبقال التى يحتوى عليها معبد « تحوت » — واتفق أن جلالة الملك « خوفو » كان دائماً يبحث عن أبقال معبد « تحوت » ليعمل لأفقه^(٥) مثلها .

وعندئذ قال جلالاته : « أنت بنفسك يا بنى « حردادف » ستحضره لى . وأعدت سفن للأمير « حردادف » وسافر مصعباً إلى « دد — سفرو » ، وعندما رست السفن على الشاطئ سافر برّاً جالساً فى عربة من الأبنوس قواعها مصنوعة من خشب (سسّم) ومطعمة بالذهب . ولما وصل إلى « ددى » وضعت المحفة على الأرض ووقف يسلم عليه فوجده جالساً على

(١) For this reading see Sethe Aegyptische Lesestücke. P. 28. (١)

(٢) مدينة بالقرب من ميدوم الحالية شمال مدخل الفيوم .

(٣) أى أنه لا يزال قوياً صحيح الجسم ، وقد كان المصريون يعتبرون أن مائة وعشرة أعوام آخر حد للممر .

(٤) الجبل الذى يقود به الأسد ، غير أن الأسد يتبعه على الرغم من أن الجبل يجر على الأرض (أى جبله على غاربه) .

(٥) الأفق هو هرم الملك الذى يظن أنه يقرب فيه مثل الشمس .

حصير على عتبة بيته ، وكان رأسه قد أمسك به خادم مملسا عليه ، وكان آخر يدلك قدميه وقال الأمير « حردادف » : إن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم في السن وقبل الكبر وهو بيت الداء ، ومكان الكفن ، ومحل الدفن ؛ (وأنت لا تزال رجلا) بنام إلى مطلع النهار معافى من المرض ، وبدون أن تتقدم في السن المشينة^(١) (أى التى يجزع الإنسان منها) . تحياتى أيها المحترم ! لقد أتيت إلى هنا فى طلبك برسالة من والدى « خوفو » حتى تأكل أطيب الأشياء التى يعطيها الملك وهى مأكولات من فى خدمته ، وحتى يوصلك بعد عمر طويل إلى آبائك الذين فى عالم الأموات .

فقال « ددى هذا » : « فى سلام فى سلام يا « حردادف » ، أنت يا ابن الملك الذى يعزه والده ! ليت والدك « خوفو » يكافئك وليته يرفع مكانتك بين الكبار ! وليت روحك^(٢) تحارب قرنك ! وليت روحك تعرف الـ . . . طريق إلى باب « من ينجيء الضعف »^(٣) مرحبا يا ابن الملك ! . »

ومد الأمير « حردادف » إليه يده وساعده على القيام وبعد ذلك ذهب معه إلى شاطئ النهر آخذاً بيده طوال الوقت .

وقال « ددى » : « مر بسفينتى لي لتحضر إلى الأبطال^(٤) وكتبى معا . » فوضعت تحت تصرفه سفينتان ونواتيهما ؛ أما « ددى » فإنه انحدر فى النهر فى سفينة الأمير « حردادف » ولما وصل الأمير « حردادف » إلى مقر الملك دخل ليقدم تقريره للملك « خوفو » . فقال الأمير « حردادف » : « أيها الملك ، سيدى : لقد أحضرت « ددى » . فقال جلالتة : « اذهب وأحضره لى » .

ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات الممد فى القصر وأحضر « ددى » إليه . وقال جلالتة : « كيف كان ذلك يا « ددى » ؟!! إني لم أرك قط من قبل ؟ »

فقال « ددى » : « إن من يُطلب عليه أن يحضر . إن الملك طلبنى ، وها أنا قد أتيت^(٥) » فقال جلالتة : « أحميخ ما يقال من أنك يمكنك أن تركب ثمانية رأسا قد قطع ؟ » فقال « ددى » : نعم . أعرف ذلك يا أيها الملك ، يا مولاي . « فقال جلالتة : « أحضروا لى سجيننا من

(١) يرمى القاص فى تحيات الأمير والحكيم إلى أسلوب أعلى ، ولنا كان من الصعب فهمها .

(٢) الروح هنا ترجمة « كا » .

(٣) بواب فى العالم السفلى .

(٤) تلاميذه ؟

(٥) المعنى : يقع الوزر عليك إذا لم تكن قد رأيتى حتى الآن وذلك لأنك لم تكن لتسأل عنى

السجن حتى يقع عليه عقابه . « فقال «ددى» : « ولكن ليس على رجل ^(١) أيها الملك ، يا مولاي ! انظر ، أليس من الخير أن يجرب شيء مثل هذا على الماشية السامية ^(٢) ؟ »
فأحضرت إليه إوزة ثم فصل رأسها ، ووضعت الإوزة في الجانب الغربي من القاعة ، ورأسها في الجانب الشرقي منها ، وتلا «ددى» تمويذة سحرية ، فوقفت الإوزة ومشيت ، وكذلك فعل رأسها . ولما وصل أحد الجزأين إلى الآخر وقفت الإوزة وصاحت . وأحضرت إليه بطة وعمل فيها بالمثل .

وأحضر له جلالته ثوراً وجعل رأسه يسقط على الأرض ، وتلا «ددى» تمويذته السحرية فوقف الثور وراءه على حين أن حبله سقط على الأرض ^(٣) ، فقال الملك «خوفو» :
« يقال إنك تعرف عدد أقفال معبد تموت . » فقال «ددى» : « معذرة فأني لا أعرف عددها أيها الملك يا مولاي ، ولكنني أعرف أين هي . » فقال جلالته : « أين هي ؟ » فقال «ددى» : « يوجد صندوق من الطران في حجرة تسمى «فهرس هليوبوليس» [انظر لها] في الصندوق ^(٤) » فقال «ددى» : « أيها الملك يا مولاي ، انظر ، لست أنا الذي آتى بها إليك . » فقال جلالته : « من الذي يحضرها إذن ؟ . » فقال «ددى» : « إنه أكبر ثلاثة الأطفال الذين في بطن «رد — ددت» الذي سيحضرها لك . » فقال جلالته : « ولكنني أرغب في أن تقول من هي «رد — ددت» هذه . » فقال «ددى» : « إنها زوجة كاهن «رع» في بلدة «سخبو» ^(٥) وهي التي حملت في ثلاثة أطفال «رع» رب «سخبو» وقد أخبرها أنهم سيتولون هذه الوظيفة الكبرى ^(٦) في كل هذه البلاد ، وإن أكبرهم سيكون الكاهن الأعظم في عين شمس »

وعندئذ استولى الحزن على قلب الملك من أجل ذلك . فقال «ددى» : « أستميحك عفوا ، ما هذه الحالة أيها الملك يا مولاي ؟ أمن أجل ثلاثة الأطفال ؟ وعلى ذلك أقول لك : ابنك ، فابن ابنك وبعد ذلك واحد منهم ^(٧) . »

-
- (١) يصور الحكيم رجلاً إنسانياً .
(٢) سامية (لأنها مناع الملك . ونجد في هذه النقطة عاطفة الشفقة التي أظهرها الساحر والتي لم نجد لها إلا بعد مرور قرون عدة ، وأعني أنها عاطفة ظهرت فقط في العصور الحالية .
(٣) هكذا في الأصل .
(٤) يظهر أن كلاماً للملك سقط هنا .
(٥) بلدة صغيرة في منطقة منف وعين شمس .
(٦) أي يصبغون ملوكاً بعد إقصاء أسرة «خوفو» عن تولي العرش .
(٧) تؤكد النبوءة : أن ابنك خفرع سيحكم ثم ابنه منكورع ثم تأخذ الأسرة الجديدة التي تنسب =

فقال جلالتة : « ولكن أخبرني في أى وقت ستضع « رد — ددت » هذه ؟ »
 [فقال «ددى» :] « ستضع في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء .
 فقال جلالتة : « هي ... إقليم (١) » « قناة السمكتين » ؛ وأنا بنفسى سأضع قدى (٢) هناك
 وسأرى معبد « رع » رب « سخبو » . فقال «ددى» : « إذا سأجعل الماء يقف
 على عمق أربعة أذرع في إقليم « قناة السمكتين » (٣) »
 وبعد ذلك عاد جلالتة إلى قصره وقال جلالتة :

« رع يخبر بأن يقيم «ددى» في بيت الأمير «حرداف» ليسكن معه . واجعل
 جرابته ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة ، وثورا واحدا ومائة حزمة من الكراث .
 وقد نفذ ذلك على حسب ما أمر به جلالتة .

والآن اتفق أن « رد — ددت » كانت في ألم المخاض ، فقال جلالة « رع » رب
 « سخبو » عندئذ إلى « إزيس » و « نفتيس » و « مسخت » و « حكت » و « خنوم » (٤) :
 « قفن واذهبن أنتن وخلصن « رد — ددت » من ثلاثة الأطفال الذين في فرجها ، وهم
 الذين سيتولون هذه الوظيفة الممتازة في هذه الأرض قاطبة . إنهم سينون بمبادكن ،
 وسيمدون موائدكن بالطعام وسيملثون موائد شرايكن ، وسيجعلون قرايكن عظيمة (٥) »
 وعندئذ ذهبت هؤلاء الإلهات وقد ترين بزى الراقصات وكان « خنوم » معهن يحمل
 محفنتهن (٦) . وأتين إلى بيت « رع وسر » (٧) ووجدنه واقفا وقيصه متدل (٨) . وبعدئذ
 قدمن له عقودهن ودفوفهن (٩) فقال لهن : « يا سيداتى (١٠) . انظرن إن هنا سيدة في المخاض »

= (رع) مقاليد الحكم ، غير أنه — في الواقع — حكم ملكان في الفترة بين انتقال الحكم من أسرة
 (خوفو) إلى أسرة (رع) ؛ ولكن لم يبق من بين ملوك الأسرة الرابعة في ذاكرة القوم غير بناء الأهرام الثلاثة
 (١) وبذلك يمكن للملك أن يسبح مرتاحا إلى (سخبو) . وهذا يشبه ما جاء في القرآن عن
 قوم موسى وفرعون .

(٢) « مسخت » إلهة الولادة ، و « حكت » إلهة قديمة أزلية . أما « خنوم » فهو صانع نبي الإنسان .
 (٣) وبذلك كان ملوك الأسرة الخامسة أتقياء في نظر الرأى العام على عكس ملوك الأسرة الرابعة .
 ولا تعرف إن كانوا قد نسلوا من كاهن إله الشمس « رع » . ولكن من المؤكد أنهم أظهروا احتراماً
 خاصاً لهذا الإله ، إذ أن كل واحد منهم قد بنى في مفره معبداً جديداً له على نموذج معبد عين شمس . (انظر
 كتاب مصر القديمة للـرؤف عند الكلام على الملكة خنتكاوس)

(٤) جنن في هيئة نساء مسافرات في صحبة رجل يقوم على خدمتهن

(٥) زوج « رد — ددت » .

(٦) كانت ملابسه متهدلة بسبب اضطرابه .

(٧) أى أنهم غنين ورقصن أمامه .

(٨) يتكلم إليهن بأدب جم حتى ينصرفن .

فقلن له : « دعنا نرها ، حقا إنا نعرف في الولادة . » فقال لمن : « احضرن » .
وعندئذ سبقن « رد - دت » وأغلقت باب الحجرة عليهن وعليها . وجلست « إيزيس » أمامها ، و « نفتيس » خلفها ، وأسرت « حكت » في عملية الوضع . وقالت « إيزيس » مخاطبة الجنين : لا تكونن شديدا في فرجها كاسمك « وسر - كاف »^(١) . فانزلق هذا الطفل إلى الخارج على يديها وطوله ذراع ، قوى العظم ، وكان لقبه الملكي مكتوبا على جسمه بالذهب ، ولباس رأسه من خالص اللازورد^(٢) . ففسلنه وقطن جبل سرته ووضعنه على رقعة من نسيج فوق قالب من اللبن ، واقتربت منه « مسخت » وقالت : « ملك نسيولى الملك في البلاد قاطبة » .

ومنحه « خنوم » الصحة في جسمه .

[وقد قصت ولادة الطفلين الآخرين بنفس الألفاظ والتفاصيل ، غير أن المزامم السحرية مختلفة طبعا]

« لا تقتربن من فرجها كما ستسمى حقيقة « ساحو - رع »^(٣) ، « ولا تكونن مظلما في فرجها كما ستسمى حقيقة « ككو » . »

ثم خرجت هؤلاء الإلهات بعد أن خلصن « رد - دت » من الأطفال الثلاثة ثم قلن : « ليكن قلبك فرحانا « رع وسر » ! انظر . لقد ولد لك ثلاثة أطفال . » فقال لمن : « ياسيداتي ماذا يمكنني أن أفعل لكن ؟ أرجو منكن أن تعطين هذا الكيل من الشمير لحامل محفتكن ، وخذنه لأنفسكن ممكن في أوانيكن أجرا^(٤) . » فحمل « خنوم » الشمير .

ولما ذهبن في طريقهن من حيث أتبن قالت « إيزيس » لهؤلاء الإلهات : « ما معنى أننا أتينا إليها ولم نأت بأية عجيبة لهؤلاء الأطفال حتى نخبر بها والدم الذى أرسلنا إلى هنا ؟ » وعلى ذلك صنمن ثلاثة تيجان ملكية ووضعنها في الشمير وجملن العاصفة والمطر

(١) تدل الأوامر التي نطقت بها « إيزيس » على أن أسماء الأطفال هي « وسر - كاف » ، « ساحو - رع » ، « ككو » . وهم الثلاثة الملوك الأولون للأسرة الخامسة الذين يسون هكذا : وسركاف ، ساحورع ، كاكاي . وفي هذه الأوامر جناس خاص بأسماء الأطفال الذين صاروا ملوكا فيما بعد .

(٢) يسمي الأطفال إلى العالم مرتدين لباس الرأس الملكي ذا اللونين الأزرق والأصفر ، على حين أن الألقاب التي يسمي بها الملوك عند اعتلائهم العرش تكون مكتوبة بالذهب على أعضائهم . والقاس يتصور الأطفال ككتايل مرصعة بالبرونز .

(٣) See Blackman Journ. of Egypt. Archaeology X. P. 196. (٣)

(٤) يحتمل أنه يقصد بذلك الأواني الفخارية التي تشبه البرميل والتي يخزن فيها الحبوب وغيرها . (٤)

يحدثان في السماء وعدن إلى البيت^(١) ، وقلن : « نرجو منكم أن تدعونا نضع الشمير في حجرة مغلقة إلى أن نمود ثانية . . . »

ووضعن الشمير في حجرة مغلقة .

وطهرت « رد - ددت » نفسها طهور الأربعة عشر يوماً^(٢) وقالت لخادمتها : « هل أعد البيت ؟ » فأجبت : « لقد أعد كل شيء جميل اللهم إلا الأواني فلم يمكن إحضارها » فقالت « رد - ددت » : « لماذا لا يمكن إحضار الأواني ؟ » فقالت الخادمة : « لا يمكن عمل شيء ما هنا^(٣) ، إذ أن شمير الراقصات قد وضع في حجرة عليها خاتمن » . فقالت « رد - ددت » : اذهبي وأحضري بعضاً منه وسيكافئن « رع - وسر » بعد عودته . وعلى ذلك ذهبت الخادمة وفتحت الحجرة وسمعت في الحجرة غناء وموسيقا ورقصاً وفرحاً وكل ما يفعل احتفالاً بالملك . فمادت وأخبرت « رد - ددت » بكل ما سمعت . فذهبت « رد - ددت » إلى الحجرة ، ولكنها لم تر المكان الذي كان يحدث فيه ذلك ، ثم وضعت جبهتها على صومعة الفلال ووجدت أنه فيها ، فوضعتها في صندوق ، ثم وضعت هذا في خزانة أخرى وربطتها بجلد ووضعتها في حجرة صغيرة تحتوى على أوانيها وأغلقت الباب عليها ولما عاد « رع - وسر » من الحفل قصت عليه « رد - ددت » هذا الأمر ففرح كثيراً ، وجلسا وأخذوا في أشباب السرور .

وبعد أن مضت أيام معدودات غضبت « رد - ددت » على خادمتها لسبب ما وعاقبتها بالضرب ، فقالت الخادمة للقوم الذين في البيت : « هل ستفعلون . . . ؟ لقد ولدت ثلاثة ملوك . وسأذهب وأخبر جلالة الملك « خوفو » بذلك . »

وعلى ذلك ذهبت ووجدت أخاها من أمها^(٤) يربط خيوط الكتان في الجرين فقال لها : « إلى أين تذهبين أيتها العذراء الصغيرة ؟ » وعندئذ قصت عليه هذا الأمر فقال لها أخوها : « وعلى هذا قد أتيت إلى لأشترك معك في الحياة (؟) ^(٥) ! » وأخذ . . . من الكتان وضربها ضربة مؤلمة .

(١) لقد أحدثن العاصفة والمطر لتكون عذراً لمن في إعادة الشمير إلى البيت .

(٢) وعلى ذلك فإن المرأة كانت تعتبر نجسة لمدة من الوقت بعد ولادة الطفل

(3) See Gardiner, Recueil de Travaux, XI. PP 79 ff.

(٣)

(٤) هذا يدلنا على أن الأرقاء كانوا ينتسبون إلى أمهم ولم يكن للأب أهمية لأنه كان لا يدعى

الطفل لنفسه .

(٥) المعنى على أي حال : إنني لا أرغب في مشاركتك في حياتك .

وبعدئذ ذهبت الخادمة لتحضر لها شيئا من الماء فقبض عليها تمساح . وعندئذ ذهب أخوها ليخبر « رد — ددت » بذلك ، فوجد « رد — ددت » جالسة ورأسها على ركبها ، وقلبها مكتئب جدا . فقال لها : « لماذا أنت مضطربة كذلك ؟ » فقالت له : « إن هذه البنت التي قد نمت في هذا البيت . خرجت الآن قاتلة : — سأذهب لأفشي السر ! »
فحنا رأسه وقال : « يا سيدتي ، لقد أتت وقالت لي . . . بجانبى ، وضربتني ضربة مؤلمة وقد ذهبت لتجلب لنفسها شيئا من الماء فقبض عليها تمساح . »

[وهنا كسرت الورقة البردية]

قصص الدولة الحديثة

قصة الأخوين

مقدمة :

قصة الأخوين أول قصة من نوعها في الأدب المصرى القديم ، ولقد جذبت أنظار العالم لقراءة وقائمه ومشابهتها قصصا أخرى حكيت في الزمن الحديث ، وهى بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصرى من زميلاتهما التى رويت لنا من عهد الفراعنة . وهى قطعة من الشعر القصصى العام ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة وتخلق بوقائمه الخيالية في عالم الخرافات . وقد نقلها الكاتب « أناثا » تلميذ كاتب الخزانة الملكية « كاجيو » .

ملخص القصة :

يضم بيت واحد أخوين مخلصين ، كبيرهما متزوج ويسمى « أنويس » وصغيرهما غير متزوج ويسمى « باتا » وكان ساعد أخيه الأكبر في فلاح الأرض وزراعتها وتربية أنعامها ، وفى يوم كانا يزرعان في الحقل فاحتاجا إلى بمض البذر ، وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره ، وكانت زوجة أخيه الكبير تمشط شعرها ، فآراه يحمل قدرا كبيرا من البذور على سواعده حتى راقها جماله ، وأعجبت بقوة ، فراودته عن نفسه ، وغلقت الأبواب ، وقالت : هيت لك .

قال : معاذ الله ، إن أخى الكبير رب نعمتى ، وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى زوجته . فأضمرت المرأة فى نفسها الكيد لهذا الفتى الذى فوت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع ، وقابلت زوجها فى المساء متبارضة متباكية متظاهرة بالألم ، وادعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها ، وما جزاء من يفعل ذلك إلا أن يقتل أو عذاب أليم ، فصمم الأخ الكبير على قتله عندما يعود بالماشية ، واختبأ وراء الباب لهذه الغاية ، وما إن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بكرة من التى كان يسوقها عما دبر له ، ففر « باتا » وتبعه « أنويس » بسلاحه . ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح ، فمجز « أنويس » عن اللحاق به ، وجرت بينهما محادثة برأ فيها « باتا » نفسه وجبَّ عضو التناسل منه ، وأبان عزمه على الرحيل إلى وادى الأرز ، وأنه سيضع قلبه على زهرة فى أعلى إحدى أشجاره ، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليلا على وفاته ، وعلى الأخ الكبير حينئذ أن يذهب إلى وادى الأرز ويبحث عن قلبه ويضعه فى الماء فتعود الحياة إلى « باتا » ثانية وينتقم لنفسه من القاتل .

وبعد هذه المحاورة رجع « أنويس » إلى قريته فقتل زوجته انتقاماً لأخيه . أما « باتا » فقد سعى إلى وادى الأرز ، ولما رآه الآلهة وحيدا فى هذا الوادى أشفت عليه وجعلت الإله « خنوم » يسوى له زوجة ، وقد خالفته هذه الزوجة فخرجت إلى البحر رغم تحذيره لها من هذا العمل ، فأراد البحر أن يختطفها ولكن « باتا » أنقذها منه ، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر ، وهناك فاح شذاها وانتشرت رايها ، فشغف الفرعون بصاحبها ، وأرسل إلى وادى الأرز فى طلبها ، فحضرت زوجة باتا مع الرسل ، وصارت حظية عند الفرعون . ولما كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التى تحمل قلبه ، فسقط قلبه بسقوطها ومات ، وعندئذ حدثت العلامة التى كان قد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهى فوران إبريق من الجمعة — فسمى فى الحال « أنويس » إلى وادى الأرز لينتقد قلب أخيه ، وبعد سنين وجدته فى صورة فاكهة فأعاده إلى الحياة بوضعه فى الماء . ثم صير « باتا » نفسه ثورا وحمل أخاه إلى مصر ، وأفصح لوجهه عن شخصيته ، فأغرت الفرعون بذبحه ، فتطارت منه نقطتان من الدم نبتتا بعد شجرتين من الأثل سكن فيهما « باتا » ، وأسر إلى زوجته بأمره ، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين وصنع أثاث لها منهما ففعل . وأثناء صنع الأثاث تطارت شطيتان من الخشب دخلتا فى الزوجة فحملت وأنجبت صبيا صار وليا للعرش ، وعند وفاة الملك نصب هذا الصبي خلفا له ملكا على

البلاد ، ولم يكن ذلك الصبي إلا « باتا » نفسه فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها .

وراسة القصة :

أسلوب هذه القصة ركيك ، وليس فيه تلك الروعة التي نلسمها في قصة « سنوهيت » أو في قصة « الفريق » . ولقد اتبع في قصتها أسلوب الدولة الحديثة المؤلف ، وأقم فيها بعض العبارات التي لا حاجة إليها ولا مناسبة لها ، كما نراه من عامة المصريين الآن إذا قصوا قصة ، أو حملوا إليك خبرا ، فجاءت خالية من طلاوة العبارة ورشاقة الأسلوب . ولكن نرى من جهة أخرى أن مؤلفها قد أظهر في صناعته مهارة وحذقا من حيث هي قصة .

وإذا أمعنا في النظر إلى هذه القصة وجدناها ذات مرحلتين كأخوها « قصة الملك خوفو والسحرة » . فالرحلة الأولى قصة الأخوين وإغراء زوجة الكبير أخاه الصغير بارتكاب الفاحشة ، وتمغفه ، وقلب الزوجة الحقائق للتكليل به . وقد حاول بعض رجال الأدب إثبات أن قصتي « يوسف وزليخا » و« قر الزمان في ألف ليلة وليلة » مأخوذتان من هذه القصة القديمة لما بينهما وبينها من شبه كبير . ولكننا نرى أن في ذلك بعض التكلف ، فإن هذه المحاولة التي رغبت فيها الزوجة وتمغف عنها الصغير وما تلاها من كيد وتدبير ، تحصل كل يوم بين ظهرانينا ، وهي تكاد تكون أمراً طبيعياً يحدث في كل أمة مع اختلاف يسير في التفصيل . وليس في هذه المرحلة الأولى من القصة ما يمتاز به من نظائرها إلا ما خالف الأمر المؤلف كتحديث الحيوان وخلق إله الشمس بحيرة مملوءة بالتماسيح للحيلولة بين الأخ وأخيه .

وأما المرحلة الثانية فكلها من خوارق العادة والمعجزات . وخلصتها : إثبات خيانة الزوجة زوجها — وإن كان الإله قد صاعها — بعدما عرفت أن عضو التذكير مبتور فيه . وتمرص علينا أثناء ذلك كثيرا من الأمور الخارقة للطبيعة التي لا تأتي في العادة على يد إنسان ؛ فترى البحر يمتد لابتلاع زوجة « باتا » ، ونرى العبير يتأزج من خصلة الشعر حتى يصل إلى الفرعون في مصر ، ونرى « باتا » يعود للحياة ثانية ويتحول إلى ثور ، ويسافر إلى مصر ويخاطب زوجته ، ونرى نقطتين من دمه تتحولان بعد ذبحه شجرتين هما « باتا » نفسه فيسر بالأمر إلى زوجته ، ونرى أخيرا قطعتين صغيرتين من الخشب تصيران طفلا في بطن زوجته يثول إليه عرش مصر .

وقد ربط الكاتب بين المرحلتين بوصية « باتا » لأخيه « أنويس » بأن يبعد إليه قلبه عندما يعلم أنه قد مات تكفيرا « لأنويس » على اتهامه أخاه زورا وبهتانا .

ولما كانت هذه القصة المصرية الضميمة قديمة العهد ومملوءة بالخرافات فإن الباحثين في الأدب العالمى يعتقدون أن ما شابهها عند الأمم الأخرى مأخوذ عنها . وقد عنى بعض العلماء بهذا الموضوع وقرنوا بين هذه القصة وما يقابلها من قصص العالم Hyacinthe Husson Le Chaine Traditionelle Contes et Legendés au point de vue Mythique. Paris 1874 P. 91)

والواقع أننا نجد صدى لهذه القصة في الأدب الفرنسى والاطالى وفي مختلف أجزاء ألمانيا وفي النمسا والمجر وفي روسيا وفي البلاد السلافية وفي رومانيا وفي بلاد اليونان وفي آسيا الصغرى وفي بلاد الحبشة والهند . ولنأخذ القصة الروسية^(١) على سبيل المثال لنرى إلى أى حد تشابهت مع قصة الأخوين .

نجد في القصة الروسية أن « باتا » اسمه « إيفان » بن « جرمان » خادم الكنيسة ، وقد وجد سيفاً سحرى في بعض الأدغال وذهب ليحارب به الأتراك الذين غزوا « أرنيار » (Arinar) وذبح منهم ثمانين ألفاً ، وقد كوفى على عمله هذا بأن زوجه الملك ابنته « كليوباترا » ولما مات حموه تولى الملك من بعده ، ولكن زوجته خائنته وأعطت الأتراك السيف ، فلما أصبح « إيفان » أعزل مات في حومة الوغى ، وسلمت زوجته نفسها لسلطان الترك (كما فعلت بنت الآلهة عندما ذهبت إلى فرعون) . ولقد استطاع أبوه « جرمان » خادم الكنيسة أن يخلص جسم ابنه عن طريق مجرى من الدم كان يتدفق من وسط الاصطبل ، وعندئذ قال له الحصان : « إذا كنت تريد إعادة الحياة إليه فافتح بطنى ، وخذ أحشائى ، وادلك الميت بدمى ، وعندما تأتى الفرمان لتلتهم جسمى بعد ذلك خذ واحدا منها وكلفه أن يحضر لك إكسير الحياة العجيب . ففعل « جرمان » ذلك وعاد « إيفان » إلى الحياة . قام « إيفان » وقال لوالده : « ارجع إلى حصانك وسأخذ على عاتق الانتقام من عدوى . » وتركه وانصرف فرأى فلاحاً في طريقه فقال له : « سأصير نفسى حصاناً جميلاً ذا معرفة من الذهب ، وعليك أن تقوده وتقفه أمام قصر السلطان » . وكان ، فلما رأى السلطان الحصان وضعه في اصطبل معجبا به ، كافأ برؤيته ، فسألته كليوباترا يوماً عن سبب ملازمته للاصطبل فأجاب : « لقد أحضرت حصاناً جميلاً له معرفة من الذهب » فقالت له : « ليس هذا بحصان ، إنه إيفان ابن خادم الكنيسة ! مُر بأن يذبح ، ولكن ولد من دم الحصان نور مكسو بالذهب ، فأمرت « كليوباترا » بذبحه أيضاً فنبت من رأسه شجرة تفاح ثمرها من

الذهب فأمرت « كليوبترا » بقطعها ، فطاررت شظية عند ذلك من جذع الشجرة وتحولت ذكراً عظيماً من البط ، فأمر السلطان بصيده ، وقفز هو بنفسه في الماء ليمسكه ، ولكنه أفلت إلى الناحية الأخرى ، ثم ظهرت صورة « إيفان » مرة ثانية في زى السلطان وألقى بكليوبترا وعشيقها في أتون النار واستولى على الملك بعدهما .

فهذه القصة الروسية نرى من روحها أنها مأخوذة من الأصل المصرى القديم بمد انقضاء ٣٠٠٠ سنة . على أننا نستطيع أن نجد في آداب العالم عناصر مختلفة تشبه عناصر هذه القصة مما يحملنا على القول بأن مصر كانت مصدراً ثابتاً يُستمد منه مثل هذا القصص ولا شك أن في هذه القصة المصرية قصوراً لا يرتفع بها إلى مستوى القصص في العصر الحديث ، ولكن يجب علينا أن نذكر وقتها الذى صيغت فيه أولاً ، وأن نذكر أنها كتبت للعامة وبلغتهم ثانياً . وإذا جادت علينا التربة المصرية بقصة من أدب الخاصة وجدنا وجهاً للموازنة والقياس والحكم . ومع كل ذلك فإنه يكفى أن يقال عن هذه القصة إنها ترسم لنا صورة صادقة عن حياة الفلاح في ذلك العصر السحيق مما نراه مصوراً على مقابر العظماء في كل عصور التاريخ المصرى القديم .

المصادر :

لقد تناول معظم علماء اللغة المصرية هذه القصة بالبحث والتحليل وترجمها الكثير منهم ، وأحدث التراجم لها ترجمة الأستاذ أرمن .
والمصادر الهامة هي :

(1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians (translated by Blackman) P. 15 ff.

(2) Griffith in The World's Best Literature P. 5253.

(3) Maspero : Popular Stories of Ancient Egypt P. 1—20).

ويجد القارئ في المصدر الأخير فهرساً لكل من ترجم هذه القصة قبل مسبرو ، وآخر من حلل هذه القصة هو « ماكس بيير » في كتابه :

(4) Die Agyptische Literatur. P. 78. ff (Max Pieper)

نص القصة :

« يحكى أن أخوين كانا يسكنان في بيت واحد ، وكان أبوهما واحداً ، وأمهما واحدة ، واسم أكبرهما « أنويس » والآخر « باتا » وقد تزوج « أنويس » أكبر الأخوين وأسكن معه

أخاه « باتا » وجعله كابنه ، وكان « باتا » يصنع ملابس أخيه ، ويرعى ماشيته في الحقل ، ويحرق له الأرض ، ويحصد الزرع ، ويقوم بكل أعمال الحقل . وفي الحق كان أخوه الصغير فلاحا ماهرا لا مثيل له في كل الأرض بقوة . وبعد ^(١) مرور عدة أيام على ذلك كان أخوه الأصغر يرعى ماشية أخيه في الحقل كل يوم ويروح إلى بيت أخيه كل مساء محملا باللبن والعشب والكلأ والخشب الجاف ، ويقدمه راضيا إلى أخيه الأكبر وهو جالس إلى زوجته ... فإذا ما انتهى من ذلك تناول طعامه وشرا به وأخذ سبيله إلى مرقده في حظيرة ليحرس أبقاره . فإذا خلع الليل سواده وانبثق فجر اليوم الجديد كان يهيم لأخيه الأكبر طعاما ويضعه أمامه ، ثم يأخذ طريقه إلى الحقل ويحمل معه طعامه ، ويسوق أبقاره ليرعاه في الحقل . وكان يمشي خلف ماشيته ، وكانت تقول له : إن العشب والكلأ في مكان كذا جميل جدا ، وكان يستمع إلى قولها ، ويتبعها إلى حيث المرعى الخصيب والمكان الرغيب ... وعلى ذلك أصبحت ماشيته التي يرعاها سمينة بدينة وأصبح نتاجها كثيرا صالحا .

ولما جاء فصل الحرث قال له أخوه الأكبر : « جهز زوجا من الثيران للحرث ، فإن الأرض قد جفت من الماء ، وأصبحت صالحة لأن تحرق ، وهي البذر للأرض فإننا سنحرق بعزم عند البكور ، وهكذا كان يقول له ، وكان أخوه الأصغر ينفذ كل ما يأمر به أخوه الأكبر . وعندما انبثق الفجر وطلع يوم جديد ذهبا إلى الحقل ومعهما ... وابتدأ يحرقان بعزم ، وكانت الغبطة تملأ قلوبهما لأنهما بدأ يعملان في عام جديد . وبعد مضي عدة أيام على هذا اليوم كانا في الحقل ونفدت منهما البذور ، فأرسل أخاه الأصغر إلى القرية قائلا : « اذهب وأحضرنَا من القرية بذرا . » فذهب إلى القرية [ودخل البيت على حين غفلة من أهله] فوجد امرأة أخيه جالسة تمشط شعرها ، فقال : أسرعي وهينئ لنا البذر ، لأذهب إلى الحقل فإن أخي هناك ينتظرنى . لا تتأخرى . فقالت له : اذهب وافتح الخزن بنفسك ، وخذ منه ما تريد وأتركنى أكمل تمشيط شعرى . فذهب الغلام إلى حظيرته وأخذ وعاء كبيرا ليأخذ فيه بذورا كثيرة ، وحمل نفسه القمح والشعير وخرج بهما ، فابتدرته قائلة : ما مقدار ما تحمله على كتفك ؟ فأجابها : أحمل ثلاث حقائب من القمح واثنين من الشعير ، فتلك خمس^٢ كاملة . وهكذا كان حديثه إليها وهي ... فقالت له :

« إنك إذن لذو بأس عظيم . حقا إنى أرى كل يوم عظم قوتك . وكان شغفها أن تعرفه

(١) هذه جملة لا معنى لها كانت تكرر كثيرا في القصص المصرية .

كما تعرف المرأة الشاب القوى ، ثم همت به ، وقالت : تعال ، سنتمتع سويا ، وننام ، وسيكون ذلك من حظك أيضاً ، لأنى سأصنع لك ملابس جميلة . وإنها لقولة نكراء ثار لها الفلام كالفهد ، تخافت زوجة أخيه فأخذ يحاطبها قائلاً : « اسمى . إنك بمثابة أم لى وزوجك بمثابة والد ، وقد ربانى لأنه أكبر منى ، فما هذا الإثم العظيم الذى تتحدثين به إلى ؟ لاتعبدى الحديث على سمى ، ولن أخبر به إنسانا ولن أدعه يخرج من فى ، ولن أفضى به إلى أى مخلوق » . ثم حمل البذر وأخذ سبيله إلى الحقل ، وهناك لقي أخاه الأكبر ، فأخذ كل منهما يعمل بمجد . وفى المساء عاد أخوه الأكبر إلى بيته ، أما الأصغر فظل يرعى قطيعه ويحمل نفسه بكل أنواع حاصلات الحقل ، وعاد يسوق قطيعه إلى حيث ينام فى حظيرة بالقرية .

وكانت زوجة أخيه الأكبر تحشى عاقبة ما قالت ، فأخذت دهنًا و « سوت » ؟ وتظاهرت كذبا بأنها قد ضربت ، وتريد بذلك أن تقول لزوجها : « إن أخاك هو الذى ضربنى » وعاد زوجها إلى البيت عند الغروب كعادته ودخل بيته ووجد زوجته راقدة ومتمازنة بشدة ، فلم تصب الماء على يديه كما عودته ، ولم تشمل لأجله نوراً عند عودته ، فبدا البيت فى ظلام دامس وبهى راقدة تقى ، فقال لها زوجها : « هل تكلم معك أحد ؟ » فقالت له : « لم يتكلم معى إلا أخوك الأصغر وكان ذلك حينما أتى ليأخذ البذر من هنا ووجدنى جالسة وحدى ، وقال لى : تعالى نتمتع ونم ، نحلى بشعرك (المستمار ؟) وهكذا قال لى ، ولكننى عصيته وقلت له : انظر . ألسنت لك أمماً ، أو ليس أخوك الأكبر لك أباً ؟ » فشى الخوف فى نفسه ، وضربنى حتى لا أخبرك بشيء مما حدث ، فإذا كنت إذن تتركه حياً فإنى سأقتل نفسى ، لأنه عندما يعود إلى البيت عند الغروب ، وأقص هذه القصة الدنيئة فإنه سيكون قد جملها تظهر بيضاء (أى لا غبار عليه) .

وعندئذ ثار أخوه الأكبر ثورة الفهد الفضوب وخذ نصل حربته ، وأمسكها فى يده ، واحتل مكانا خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه حينما يعود فى المساء مع أبقاره إلى حظيرة . ولما مالت الشمس إلى الغروب حمل « باتا » نفسه بما اعتاد أن يحمله من أعشاب الحقل وعاد ، وما كادت تدخل طليعة الأبقار حظيرتها حتى قالت لراعيها : خذ حذرك ! إن أخاك الأكبر واقف أمامك بحربته ليذبحك ، فر من أمامه . ففهم « باتا » ماكانت طليعة أبقاره . ثم دخلت البقرة الثانية وقالت له بالمثل ، فنظر تحت باب حظيرته فرأى قدى أخيه الأكبر وهو واقف خلف الباب وفى يده حربته ، فألقى حمله إلى الأرض ولاذ بالفرار مسرعا وأخوه الأكبر يمدو خلفه بحربته ، ونادى أخوه الأصغر ربه « رع حوراختى » قائلاً : « يا إلهى

الطيب . إنك أنت الذى تفصل بين البطل والحق . فسمع «رع» ظلامته وجعل بينهما متسا من الماء مملوءا بالتامسيح ، فاصلاً بينه وبين أخيه الأكبر ، وصار كل منهما على جانب لا يجد إلى صاحبه سيلا ، وضرب أخوه الأكبر على يده ^(١) مرتين (أسفاً) لأنه لم يذبجه . ثم نادى الأخ الأصغر أخاه من الجانب الآخر قائلاً : « امكث هنا حتى ينبلع الصبح . وسنحتكم إلى الشمس معا عند شروقها ، وسيسلم البطل للحق ^(٢) لأنى لن أكون مملك بعد ، ولن أعيش فى مكان أنت فيه ، وسأخذ لى فى وادى الأرز مقاما ^(٣) . »

ولما انبثق الفجر عن يوم جديد أشرق «رع حوراخى» فرأى كل منهما صاحبه . وهنا ابتدر اللصبي أخاه الأكبر قائلاً : « ماذا تعنى بتبعك إياى لتذبحنى غدرأ دون أن تسمع منى ما أقول ؟ لأنى — فى الحق — أخوك الأصغر ، وإنك لى كوالد . وإن زوجتك لى كوالدة . أليس كذلك ؟ (وسأقص عليك القصص) عند ما كلمتنى الذهاب (إلى القرية) لأحضر البذر (راودتنى زوجك عن نفسى) وقالت : « دعنا نتمتع ونم » . ولكن تأمل . لقد شوه ذلك لديك ، وحرف إلى شىء آخر . وأعلمه بكل ما وقع له مع زوجته وحلف «رع حوراخى» قائلاً : واأسفاه . إنك يا أخى أردت أن تفتالننى لوقيمة دستها على امرأة بنى قدرة ^(٤) .

ثم أخذ سكيناً من الغاب وقطع بها (قبله) وألقى به فى الماء ، فابتلمته سمكة كبيرة فأغمرى عليه وأصبح تمسا . وإذا ذلك حزن عليه أخوه الأكبر حزنا عظيما ووقف وأجهش بالبكاء عليه بصوت عالٍ ، إلا أنه كان عاجزاً عن أن يعبر حيث يوجد أخوه الأصغر بسبب التامسيح . وبعد ذلك صاح عليه أخوه الأصغر قائلاً : « إذا كنت قد فكرت فى شىء خبيث فهل لك أن تشكر فى شىء طيب أو فى شىء يمكننى أن أفعله لك ^(٥) أيضا . ؟ اذهب الآن إلى بيتك واراع بنفسك ماشيتك فقد نويت ألا أسكن فى مكان أنت فيه . وسأذهب إلى وادى الأرز ، ولن يكون بينى وبينك ، إلا أنك ستعودنى إذا علمت أن شيئا نزل بى ، وسيحدث أنى سأخذ قلبى وأضعه فى أعلى زهرة شجرة أرز ، فإذا نشرت شجرة الأرز وسقطت على الأرض وأتيت تبحت عنه ثم قضيت فى بحثك سبع سنين فلا تمل من ذلك ، وإذا ما وجدته ووضعت

(١) من الفيظ

(٢) أى سينتصر الحق .

(٣) قد تكون لبنان الحالية حيث كان المصريون يأتون بالحطب منه .

(٤) التعبير أغش من ذلك

(٥) يذكره فى لغت الحاجة إليه .

في إثناء فيه ماء بارد فإني حينئذ سأحيا ثانية^(١) ، وسأجيب عن التهمة التي أسندت إلي ، وإذا أعطاك إنسان قدحاً من الجمرة فاختمر أدركت حينئذ ماخلاق بي من الأذى ، ولا تتوان فلن ذلك في مصلحتك .

ذهب « باتا » إلى وادي الأرز ، وعاد أخوه الأكبر إلى بيته ويده على رأسه وهو ملطخ بالطين^(٢) . ولما أتى منزله تذكر أخاه الصغير (فثارت بنفسه ثورة) وذبح زوجته ورمى بها للكلاب . وقصد حزينا على أخيه الأصغر .

وبعد ذلك بأيام عدة كان أخوه الأصغر في وادي الأرز وحيدا ، وكان يقضي يومه في صيد وحوش الصحراء ويقضي ليله في النوم تحت شجرة الأرز التي وضع قلبه في أعلى إحدى زهراتها . وبعد أيام عدة على تلك الحياة الهادئة بنى لنفسه قصرا في وادي الأرز وكان مملوءاً بكل شيء حسن لأنه كان يريد أن يتزوج .

وخرج « باتا » ذات يوم من قصره فقابل تاسوع الآلهة في طريقهم إلى نواحي الأرض يشرفون عليها . ولقد نطق التاسوع بلسان واحد قائلين له : « إيه يا « باتا » أنت يا ثور التاسوع^(٣) ، آأنت هنا وحدك ! أتركت مدينتك أمام زوجة أخيك الأكبر « أنويس » ؟ اسمع . إن زوجته قد ذبحت لأنك كشفت له عن الجفاية التي ارتكبت ضدك » وأظهروا عطفهم الشديد عليه . ثم قال « رع حوراختي » « لخنوم »^(٤) : « سوف زوجة « لباتا » حتى لا يكون في بيته وحيدا . فوهبه « خنوم » رفيقة تزر كل امرأة في الأرض جمالا ، ونفخ فيها كل إله من روحه ، ثم أنت سبع البقرات « حاتور »^(٥) ليربها وقلن جميعا بلسان واحد : « إنها ستموت ميتة شنماء »

وكان قد أغرم « باتا » بها (وقد شغفته حباً) . وأسكنها في بيته ، وكان يقضي يومه في صيد وحوش الصحراء ، فإذا جاء المساء عاد إليها محملا بصيده ، فيضمه أمامها وقال لها : « لا تخرجي كي لا يملك البحر بعيدا لأنني أنثى مثلك لا أستطيع إلى تخليصك سييلا ، وإن قلبي في أعلى زهرة إحدى شجر الأرز ، فإذا عثر عليه إنسان آخر كنت تحت سلطانه » وقد فتح لها كل قلبه (أى باح لها بكل سره) .

(١) فإن القلب سيشرّب الماء ويحيا

(٢) دليل الحزن .

(٣) وكان يطلق هذا اللقب على الآلهة في غير هذا المكان .

(٤) إله الخلق .

(٥) إلهة الحب .

وبعد أيام عدة على ذلك ذهب بعدها « باتا » ليصطاد كمادته اليومية ، فخرجت العذراء لتتفرّج تحت شجرة الأرز التي كانت بجوار بيتها . ونظر البحر إليها وامتد خلفها ، فأخذت الحسنة تعدو أمامه حتى دخلت بيتها ، ولكن البحر نادى شجرة الأرز قائلاً : « اقضى لى عليها » . فأخذت شجرة الأرز خصلة من شعرها وقدمتها إلى البحر ، فأخذها البحر إلى مصر ووضعها في المكان الذى كان فيه سقاة الملك ^(١) ، فتأرجت ملابس فرعون بأريج هذه الخصلة من الشعر ، وقد شجر بين « الواحد » ^(٢) وبين سقاة فرعون خلاف من أجل هذا العطر المتأرجح ، وقال الواحد للسقاة : « إن رائحة المطر في ملابس فرعون » . وكان الواحد يتنازع معهم يومياً (ولم يجد السقاة إلى الخلاص من هذا الخلاف سيلاً) .

وذهب كبير السقاة يوماً إلى شاطئ النهر ، وكان قد ضاق صدره بهذا الخلاف الذى يشجر كل يوم ، ووقف على كثيب من الرمل ^(٣) ساكناً ، وكانت وقفته أمام خصلة الشعر التى كانت فى الماء .

فكلف أحد أتباعه أن ينزل إلى الماء ويحضر الخصلة ، فأحضرت إليه ، فوجدها تفوح عن أريج طيب . فأخذها إلى فرعون .

وأتى بكتاب فرعون وحكائه إلى حضرته ثم قالوا له : « إن هذه الخصلة لبنت «رع حوراختى» ، وفيها من كل إله نفحة . حقا إنها هدية سيقى إليك من أرض أخرى . ابعت فى كل أرض رسولا ليحضروها لك . فإذا بعثت إلى وادى الأرز رسولا فاشدد أزره بعودة رجال ليحضروها إلى هنا » .

فقال جلالتة : « إن ما قلتموه حسن جدا » . وأرسلت الرسل .

مضت على ذلك أيام عاد بعدها الرسل الذين بعثهم الملك فى كل أرض ليقدموا إليه تقريراً ، إلا أن الذين ذهبوا إلى وادى الأرز لم يعودوا ، لأن « باتا » ذبحهم إلا واحداً منهم ليقدم تقريره إلى جلالتة . فأرسل جلالتة ثمانية جنوداً عدة وجهازها بمجلات تجرها الخيل ليحضروها ، وكان معهم امرأة قد أعطيت كل أنواع الخلى الذى تتحلّى به امرأة . وعادت المرأة معها إلى مصر وقد غم الفرح البلاد بها (أى الحسنة) . وكانت موضع الحب من

(١) بجانب النيل قريباً من سراى فرعون ، ولا غرابة فى أن الخصلة عامت إلى النهر من البحر لأن كل ذلك فى عالم الخرافة .

(٢) يقصد الملك نفسه .

(٣) والمعنى حرفياً : الصحراء ، والمقصود هنا الشاطئ الرملى الناتج من رواسب النيل

جلالته فجعلها أميرة عظيمة^(١) . وتحدث الواحد (الملك) إليها في شئونها . فسألها أن تخبره عن حال زوجها . فقالت لجلالته : « مر بقطع شجرة الأرز وإبادتها » فبعث « الواحد » إلى وادى الأرز جنودا ومهمهم أسلحتهم ليقطعوا شجرة الأرز فأتوا إلى شجرة الأرز وقطعوا الزهرة التي كان عليها قلب « باتا » فخر لوقته صريحا .

وانبثق الفجر عن يوم جديد وكانت شجرة الأرز مقطوعة . وذهب « أنويس » الأخ الأكبر إلى بيته وقعد وغسل يديه (قبل الأكل) وقد أعطى قدحا من الجعة فاختمرت . وقدم إليه آخر من النبيذ فصار رديئا (حامضا) .

عندئذ أخذ عصاه وانتعل ، واشتمل بملابسه ، وحمل سلاحه وجدّ في السير إلى وادى الأرز . ولما دخل قصر أخيه « باتا » وجده راقدا على السرير وقد فارقته الحياة ، فبكى عندما رأى أخاه على الفراش ميتا . وأخذ يبحث عن قلبه تحت شجرة الأرز التي كان ينام تحتها كل مساء .

قضى « أنويس » . . . ثلاثة أعوام يبحث عنه (القلب) فلم يهتد إليه . ولما بدأ العام الرابع تاق قلبه إلى مصر فقال : « سأسافر غدا » وكان هذا حديثه لقلبه . انبثق صباح يوم جديد فأخذ يمشى تحت شجرة الأرز وقضى يومه في البحث عنه ، ولما جاء المساء كف عن بحثه ، ثم أتى نظره مرة أخرى ليجث عنه فوجد فاكهة ، فقاد بها إلى البيت وكانت هي قلب أخيه الأصغر .

فأعد قدحا من الماء البارد ورمى فيه قلب أخيه وجلس كمادة كل يوم . ولما جن الليل وامتنص القلب ماء القدح ، ارتعد « باتا » في كل أعضائه وأخذ ينظر إلى أخيه الأكبر ، على حين كان قلبه لا يزال في القدح . ثم أخذ « أنويس » أخوه الأكبر قدح الماء البارد الذي كان فيه قلب أخيه الصغير وقدمه إلى « باتا » ليشربه . ولما أخذ قلبه مكانه عاد « باتا » إلى شكله الأول فمتانقا ، وتحدث كل منهما إلى أخيه فقال « باتا » لأخيه الأكبر :

« اسمع سأصير ثورا عظيما فيه كل لون جميل جدا^(٢) ، لا يعرف طبيعته أحد ، وستركب أنت على ظهري . فإذا أشرقت الشمس فستكون في المكان الذي فيه زوجتي وهناك سأجيبها على ما فعلت . وستأخذني إلى الملك . وسيقدم إليك كل شيء طيب وستكافأ بالفضة والذهب

(١) هذه مرتبة في الحرم وسيحدثون عنها فيما بعد بأنها زوجة فرعون « الواحد » .

(٢) يقصد العلامات التي كان يعرف بها الثور المقدس مثل العجل « أيس »

على أخذى إلى فرعون ، لأنى سأكون أعجوبة ، وسيفرح الناس بى فى كل الأرض . وبعد ذلك تسافر أنت إلى قريتك » .

ولما كان يوم جديد أخذ « باتا » الشكل الذى تحدث به إلى أخيه وركب « أنوبس » على ظهره . وعند الفجر وصل إلى حيث كان الملك . وقد علم جلالتة به ففحص عن حقيقته بنفسه وفرح به فرحا شديدا ، وقدم إليه قربانين عظيمين قائلا : « عجبة عظمى تلك التى حدثت » وكان لها فى الأرض كلها رنة فرح ، وكافئوا أخاه الأكبر على هذه العجبة وزنها ذهباً وفضة . ثم استقر فى قريته وأهداه الواحد (أى الملك) ملابس كثيرة وعدة عظيمة ، وغمره الفرعون بحبه أكثر من كل الناس الذين كانوا فى البلاد جميعا

وبعد أيام من ذلك الحادث دخل الثور مطبخ « الواحد » ووقف حيث كانت الأميرة ، فأخذ يتحدث معها قائلا : « اسمى لى لا أزال حيا » فقالت له : « أرجو أن تجربنى من أنت ؟ » فقال لها : « أنا (باتا) — حقا أتذكرين حينما أوعزت إلى فرعون أن يبىد شجرة الأرز حتى لا أعيش بعدها ؟ ولكن انظرى فأنا الآن حى وإلى ثور » . وهنا وجلت الأميرة أشد الوجل للقصة التى قصها عليها زوجها .

ثم خرج من المطبخ . وجلس جلالتة وتفكه مع الأميرة وصبت الماء لجلالتة وكان ملاطفا لها كل اللطافة ، وعندئذ قالت لجلالتة : « أقسم لى بالإله قائلا : إن أى شىء ستقولينه سأستمع منك » . ثم أصفى إلى كل ما قالت وهو : « إن هذا الثور لن يفيدنا شيئا ^(١) ، فدعنى آكل كبده » . وهكذا كان قولها فحزن « الواحد » لما قالته حزنا عظيما وصار قلبه من أحله مكلوما .

وانشق الفجر عن يوم جديد ، وأعلن إقامة عيد ضخمة عظيم ، وسيكون الثور ضخمة ذلك العيد . وجىء برئيس قصابى جلالتة ليذبح الثور ، وبعد ذبحه كان موضوعا على أكتاف الناس ، فبرز رأسه فسالت نقطتان من الدم بجانب منكبى باب جلالتة : سقطت واحدة على جانب من جانبى الباب الأعظم لفرعون ، وسقطت الثانية على الجانب الآخر ، وتحولت النقطتان إلى شجرتين ناميتين من السنط وكانت كل منهما جميلة . فحمل رجل ذلك النبأ إلى جلالتة قائلا : « إن شجرتين من السنط عظيمتين قد نمتا فى الليل !! عجبة عظيمة لجلالتة !! وهما بجانب باب جلالتة الكبير » .

(١) لأن الثور سيضفى على كل حال فى أحد الأعياد .

وفرّح الناس بهاتين الشجرتين في كل البلاد وقدم « الواحد » لهما قربانا . وبعد ذلك بأيام ظهر جلالته من نافذة « اللازورد » وحول رقيقته لإكليل من كل أنواع الزهر ، وركب عجلة من الذهب . وخرج من القصر ليرى شجرتي السنط . وامتنعت الأميرة ظهر جواد^(١) خلف فرعون .

ثم قعد جلالته تحت إحدى شجرتي السنط . وعندئذ تكلم « بانا » مع زوجته : « إيه يا خاتنة ، أنا « بانا » وسأعيش بالرغم منك . حقا إنك تذكرين كيف أغربت فرعون بقطع شجرة الأرز وكيف ذبحت بإغرائك بعدما صرت ثورا . »

وبعد أيام من هذا نصبت الأميرة الماء لجلالته وكان « الواحد » متلظفا معها ، ثم قالت لجلالته :

« أقسم لي بالإله قائلا : إن كل ما تقوله الأميرة لي سأصنعي إليه . » فاستمع لكل ما تقول . فقالت : « مر بقطع شجرتي السنط لنصنع منهما أثانا جميلا . » فأصنعي الواحد لكل ما قالت . وبعد عدة أيام من هذا أرسل جلالته عمالا مهرة وقطع شجرتي السنط .

ووقف الفرعون يشاهد مع زوجه (عملية القطع) فطارت شظية ودخلت فم الأميرة فابتلعها ، وفي اللحظة عينها حملت (أى صارت حبل) . وعمل منهما (أى الشجرتين) كل ما رغبت فيه (من الأثاث) .

وبعد عدة أيام من هذا وضعت الأميرة ولدا ، فذهب رجل وبلغ جلالته قائلا : « لقد ولد لك ولد » فأحضر وعين له مرضعا وجعل له خدما . وعم الفرح به البلاد ، وأقام جلالته له الأفراح . وقد ربي وأحبه في الحال جلالته حبا شديدا ، وعينه حاكما لأثيوبيا « (ابن الملك) ، وبعد عدة أيام من هذا جعله ولي عهد للبلاد جميعا .

وبعد مضي عدة أيام على ذلك بعد أن قضى عدة سنين وهو ولي عهد للبلاد جميعها طار « الواحد »^(٢) إلى السماء . وقال الواحد^(٣) : « ليحضر إلى كل المستشارين الملكيين لأخبرهم كل ما حدث لي » . ثم أحضرت إليه زوجه وتحاكما أمام المستشارين الذين انتصفوا له منها ، وأحضر إليه أخوه الأكبر فمينه وليا للمهد في كل أملاكه .

وقضى ثلاثين عاما ملكا على مصر ثم رحل عن هذا العالم واستولى أخوه على عرشه يوم مماته «

(١) يحتمل أنه يقصد بهذا أنها كانت تركب عربة لأن المؤلف عند المصريين أنهم كانوا لا يمتطون

(٢) ظهور الخيل

(٣) مات .

(٤) الملك الجديد .

الأمير المسحور

ملخص القصة :

اشتاقت ملك أن ينجب ذكرا بعد أن حرم ذلك دهرًا طويلًا ، فأعطاه الإله ما يتمناه ، ولكن قدر على هذا المولود أن يلقي حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وعرف والده ذلك فأفرده في بيت بناء له في الصحراء ، حتى شب فرأى في الطريق كلبًا يتبع صاحبه ، ولم يكن له عهد بسحنة الكلاب ، فسأل عنه ، ثم طلب واحدًا من جنسه ، فأمر له والده بجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية ، ولا يفضبه من ناحية أخرى .

كبر الطفل ، فاشتاق إلى الحرية ، وطلب الخروج إلى أرض الله الواسعة فأجيب إلى طلبه . سافر الطفل وأبعد في سفره حتى وصل إلى رئيس النهرين ، وكانت له بنت جميلة جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التي ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعًا ، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء «سوريا» ذلك واستطاعه ذلك الشاب الوافد إليهم من مصر ، فتزوج البنت بعد لأي وامتناع ، وأحبته وأخلصت له ، وسهرت على راحته وحفظ حياته ، وأنقذته مرارًا من الموت ، حتى انتهى أجله بإحدى الطرق التي كانت مقدرة له من قبل .

وراسة القصة :

إن العنوان الذي اختاره « جورج إيرس » الأثرى الألماني المعروف لهذه القصة لا ينطبق على موضوعها ، فليس الأمير فيها مسحورًا ، وليس في القصة شيء عن السحر . والعنوان الصحيح الذي أصبحت تعرف به القصة الآن هو « الأمير المحتوم عليه الموت » . ومن الصعب علينا أن نرجع هذه القصة إلى عهدنا بالدقة ، والمرجح أنها كتبت في عهد الأسرة التاسعة عشرة . ومما يؤسف له أن نهاية البردية التي كتبت عليها قد حطمت ، ويقال إنه عثر عليها سليمة ولكن حدث انفجار في البيت الذي كانت مودعة فيه في الإسكندرية ، فأصابها التحطيم . ومن الممكن أن تبين خاتمتها من سياقها ، فنعرف أن الأمير لا بد ملاق حتفه وفق ما قدر له .

والقصة بادية في ثوب خرافي ، وإذا حذفنا منها التمساح وغيرنا الأسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة . والقصة تدور حول وحيد الأبناء المدلل المعنى به ، وتوحيد البنات التي يبذل كل نفيس في سبيل سعادتها . ويحدث أن يخرج الشاب في مخاطرة من مخاطر

الحياة فيلتقي عن غير قصد بالفتاة ، فيتحابان ويتزوجان بمد تدليل الصموبات باتيان المجزات ، وبعد التغلب على الفوارق الاجتماعية التي تكون دائماً عقبة كبيرة بين الحبيبين المدلهين . ونقرأ الآن كثيراً من شبهات هذه القصص في الأمم المختلفة ، ولا يبعد أن يكون مصدرها الأول مصر .

وإذا نظرنا إليها من ناحية الأسلوب رأيناها تشبه قصة الأخوين ، والتكرار في عباراتها واضح ، شأن قصص عصر الدولة الحديثة ، وهي ترينا من الناحية التاريخية أن السفر من مصر إلى بلاد النهرين كان ميسوراً ، وما على المسافر إلا أن يمتطي عربته . ويأكل مما يصادفه من صيد الصحراء ، ويتخذ وجهته إلى هدفه فيصل إليه ، وبخاصة لأن اللغة المصرية كانت معروفة هناك ، كما كانت معروفة في سوريا ، فإن الأمير حين قابل أولاد أمرائها تحدث معهم من غير حاجة إلى وسيط يترجم قوله إلى لغتهم أو يترجم قولهم إلى لغته ، مما يشعرا بأن أميرنا كان يعرف لغة هذه البلاد ، وليس هذا بغريب ، فإن مما يعاب عند الكتاب المصريين أن يجهل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب التي لجريانه . وسنجد في ورقة أنستاسي الأولى أن الكاتب يلوم زميله ويميره بأنه لا يعرف الطريق الحسنة التي يمتخرقها إلى سوريا . . .

هذا في عصر الدولة الحديثة الذي اختلط فيه المصريون بالأقوام المجاورة لهم عن طريق الفتح أو التجارة . أما في عصر الدولة الوسطى فلم تكن العلاقة قد توثقت بين مصر وجيرانها ، ولذلك نجد « سنوهيت » (وقد سبقت قصته) عندما فر هارباً إلى « سوريا » قال : إنه وجد أميراً هناك يعرف المصرية وتحدث معه ، مما خفف عنه بعض عنائه ، ثم تعلم لغة القوم وصار منهم . وسيجد القارئ كذلك عندما نعرض عليه قصة « وتأمون » أنه لما وصل إلى جزيرة « قبرص » سأل جماعة من الحاشية التي كانت تحيط بملكها عن يعرف منهم اللغة المصرية ، وقد أخبره واحد منهم أنه يعرفها .

فاللغة المصرية كانت منتشرة لدى جيران مصر انتشاراً يساير كثرة وقلة ما كان بين مصر وجاراتها من صلات ، وهو أشبه بذيوع اللغة الإنجليزية في كثير من بقاع العالم التي تتبع انجلترا أو تتصل بها . جاء في تماثيل « آني » : إن اللغة المصرية كانت منتشرة في كل البلاد الأجنبية (انظر نصائح آني) .

وبعد فقصتنا ليست بسيطة في تركيبها ، بل إنها تحتوي على جزأين منفصلين . وصل بينهما الكاتب كما فعل في قصة الأخوين مع اختلاف في مغزى كل من القصتين .

والقسم الأول من قصتنا يمرض القضاء المقدر على الوليد بأنه سيلاقى حتفه حتما بإحدى وسائل ثلاث : الكلب أو التمساح أو الثعبان .

والقسم الثانى ما شاع فى عالم القصص من أن ملكاً وملكة حرما إنتاج الأبناء فدعوا ربهما أو سألأ منجما عن خطيئتهما فبشرهما بإجابتهما إلى ما يبينان . وقد مزج الكاتب القسمين وصقلهما فكان منهما هذه القصة التى نتحدث عنها . وأهم ما يلفت النظر إليها أخلاق الأمير وزوجه ؛ فالأمير يعرف نوع الميته التى تنتظره على يدى التمساح أو الثعبان أو الكلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما غرض عليه ذلك ، حرصا على حياته ، حتى يمد أن أعدم التمساح والثعبان ، لأن الكلب قد تربى فى ظله ، فلم ير من الشهامة أن يزهق روحه وقد أظلهما سقف واحد . والزوجة تمثل الإخلاص النقي الصافي ؛ فهى تسهر على حماية زوجها ، وتحرص على حياته وتنتظر رحمة ربه ، فى الوقت الذى أسلم فيه نفسه لمصيره المحتوم ، وهى التى ييقظها قتل الثعبان الذى كان يتربص به ريب المنون ، وهى التى أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهى التى كانت تبتغ فيه الأمل فتقول : « إن ربك قد خلصك من أحد أعدائك وسينجيك من الآخرين » .

وإن من يرى ذلك الموقف الطاهر النبيل الذى وقفته هذه الزوجة من زوجها ، ويقرنه بموقف الخلسة الذى وقفته الزوجة مع زوجها « باتا » فى قصة الأخوين ليأخذه العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين تبعاً لاختلاف المدينين . ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب تلك ، وقد صور لنا التقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائماً شراً ، ولا تكون دائماً خيراً ، بل إنه إذا صفا جوهرها كانت مخلصه شديدة الإخلاص ، وإذا خبت معدنها كانت خائفة فاجرة فى الحياة ، وأن الطباع البشرية تختلف باختلاف نفس الإنسان وجروتمته .

منع القصة :

يحكى أن ملكاً لم يولد له ولد ذكر . وقد دعا آلهة زمانه أن يهبوه ولداً ، فقصوا أن يولد له ولد . وفى تلك الليلة حملت منه زوجته ، ولما أتمت أشهر الحمل وضعت ذكراً ثم أتت البقرات « تحتور » ليقررن مصيره ، فقلن إنه سيلاقى حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وقد سمع الناس الذين كانوا حول الطفل ذلك ونقلوه إلى جلالته ، وعندئذ صار الملك حزين القلب جداً . وأمر الملك أن يبنى له بيت من الحجر فى الصحراء مجهز بالخدم وبكل شئ .

جميل يليق بيت ملكي ، على ألا يفادره الصبي إلى خارجه . ولما ترعرع الطفل صعد إلى سطح البيت ولح كلبا سلوقيا يتبع رجلا يمشي في الطريق . فقال لخادمه الذي كان واقفا بجانبه : « ما هذا الذي يتبع الرجل في سيره ؟ » فقال له : « إنه كلب » . عندئذ قال له الطفل : « مر بإحضار واحد مثله لي » . فذهب الخادم وأخبر جلالته بذلك فقال جلالته : « دعوا جروا صغيرا يجلب إليه لثلا يحزن قلبه » ، وعلى ذلك أخذوا له جروا .

وبعد أن مضت عدة أيام نما الطفل جسما وعقلا . وأرسل إلى والده قائلا : « ما فائدة مكثي هنا ؟ انظر ! إني قد صرت في يد القدر . دعني أكن طليقا حتى أعمل حسب رغبتى ، وإن الله سيفعل ما في قلبه » . فأصغوا إليه ، وأمرُوا أن يُعطى عربة مجهزة بكل نوع من العدة ، وتبعه بخادمه بمثابة رفيق (حامل الدرع) ، ثم عبروا به إلى الشاطئ الشرقى وقالوا له : « اذهب حيث شئت » .

وقد كان كلبه معه ثم اتجه شمالا متبعا في ذلك ما يعيل له قلبه في الصحراء ، وعاشا على أحسن لحوم صيد الصحراء ، حتى وصل إلى رئيس النهرين ، ولم يكن قد ولد لرئيس النهرين إلا بنت ، وقد أقام لها بيتا ، شرفته على ارتفاع ٥٦ ذراعا من الأرض . وقد أحضر كل أولاد رؤساء بلاد سوريا وقال لهم : « إن من يصل إلى شرفة بنتي سيأخذها زوجة له . »

والآن بعد انقضاء عدة أيام مر بهم الشاب وهم يقومون بمعلمهم اليومي ، فأخذوا الشاب إلى بيتهم فاغتسل ، وأعطوا جواده علفا ، وقد قاموا بكل خدمة لهذا الأمير ، إذ ذلكوه ولقوا قدميه ، وأعطوا تابعه طعاما ، ثم قالوا له من طريق المحادثة : « من أين أتيت أيها الشاب الجميل ؟ » فقال لهم : « إني ابن ضابط من أرض مصر ، وقد ماتت والدتي واتخذ والدي له زوجة أخرى . وقد بدأت تحقتني وقد وليت الفرار منها » ، وعندئذ ضموه إلى صدورهم وقبلوه مرارا وبعد انقضاء عدة أيام قال للشبان : « ما هذا الذي تفعلونه . . . ؟ »

فقالوا له : « لقد كنا هنا منذ شهور مضت ننفق وقتنا في الطيران ، لأن من يصل منا إلى شرفة بنت رئيس النهرين فإنه سيهبها له زوجة » فقال لهم : « ليتها تكون لي . فإذا أمكنني أن أسحر ساقى فإني أذهب للطيران معكم » . ولقد ذهبوا جميعا للطيران حسب عادتهم اليومية ، ولكن الشاب وقف بعيدا يرقب ، وكانت نظرة بنت رئيس النهرين متجهة نحوه .

وبعد انقضاء عدة أيام أتى الشاب ليطير مع أولاد الرؤساء فطار ووصل إلى شرفة بنت رئيس النهرين ، فقبلته وضمته مرارا ، فذهبوا ليخبروا والدها ، وقالوا له : « إن رجلا قد وصل إلى شرفة بنتك » . فسألهم الرئيس : « ابن من في الرؤساء هو ؟ » فقالوا له : « إنه ابن

ضابط قد أتى طريدا من أرض مصر فارًّا من وجه زوج والد . « ولكن رئيس النهرين استشاط غضبا وقال : « هل أعطى ابنتى طريد مصر ؟ دعه يعتمد من هنا ثانية » . فأتوا ليخبروه قائلين : « ارجع إلى المكان الذى أتيت منه » . ولكن الابنة أمسكت به وحلفت يمينا قائلة : « بحياة « رع حور أختى » إذا أخذتموه بعيدا عنى فلن آكل ولن أشرب وسأموت فى الحال » . وعندئذ ذهب الرسل وأخبروا والدها بكل ما قالت . فأرسل الرئيس أناسا ليقتلوه فى الحال ، ولكن البنت قالت : « بحياة « رع » إذا قتلتموه فإنى عند مغيب الشمس سأكون ميتة ، ولن أعيش بعده ساعة واحدة . » فذهبوا ليخبروا والدها بذلك الابنة وعندئذ الخوف منه دخل على الرئيس . فضمه وقبله صرات ، وقال له : « أخبرنى عن حالك ، انظر . إنك لى بمشابة ابن » ، فقال له : « إبنى ابن ضابط من أرض مصر ، قد ماتت والدتى ، وأخذت والدى له زوجة أخرى ، وقد أخذت تمقتى ، وقد لذت بالفرار أمام وجهها » . وعندئذ وهبه ابنته زوجة له وقدم له جوادا ، وكذلك ضيعة وكل أنواع الماشية الطيبة .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك قال الشاب لزوجته : « لقد قدر لى أن أموت بواحد من ثلاثة : التمساح أو الحية أو الكلب . » فقالت له : « إذن فليقتل الكلب الذى يتبعك » . ولكنه قال لها : « . . . لن أقتل كلبى الذى ربيته ، منذ أن كان جروا » . وعلى ذلك أخذت تراقب زوجها بدقة ، فلم تدعه يذهب إلى الخارج وحده . والآن تأمل إلى أرض مصر . . . ليتقهقر (؟) انظر ، تمساح البحيرة . . .

وأتى إليه فى المدينة التى كان فيها الشاب بحيرة وكان فيها عفريت ماء . ولم يسمح عفريت الماء للتمساح أن يخرج ، ولكن عندما نام التمساح (؟) خرج ملاك الماء للزهة ، فعندما أشرقت الشمس وقفا يتحاربان كل يوم لمدة شهرين كاملين . والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك جلس الشاب يتمتع نفسه فى بيته . وعند حلول الليل نام الشاب على سريريه وأخذ النعاس تماما ، ولكن زوجته ملأت [كأسا بـ] . . . وكأسا أخرى بالجمعة ، وعندئذ خرجت [حية] من جحرها لتلغ الشاب ، ولكن تأمل ! لقد كانت زوجه جالسة بجانبه بقطعة الحية فشربت حتى ثملت وذهبت لتستلقى على ظهرها . وعندئذ تسببت زوجه فى أن تقضى عليها بفأسها ثم أيقظت زوجها

وقالت له : « انظر ! لقد وضع الله أحدا قدرا حتفك به فى يدك ، [وسيسلم لك الآخرا أيضا] . وعلى ذلك قدم قربانا إلى « رع » مادحا إياه ومعظما قوته كل يوم .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك خرج الشاب للتزده على الشواطىء فى ضيخته دون أن يذهب خارجها . . . وقد كان كلبه يتبعه وقد أعطى الكلب قوة الكلام . . . وهرب منه فوصل إلى البحيرة ونزل فيها [لهرب من] كلبه فقبض عليه التماسح (؟) وذهب به إلى المكان الذى كان يسكن فيه عفريت الماء . . .

وعندئذ قال التماسح للشاب : « إنى أنا قابضك الذى كان يتبعك و لمدة أيام مضت . إنى على وشك محاربة عفريت الماء ، وانظر سأطلق سراحك ولكن إذا لتحارب . . . وإنك ستصفق إعجابا بى عندما يقتل عفريت الماء (؟) . . . وإذا نظرت . . . ننظر إلى . . . والآن عندما انشق الفجر وحل اليوم الثانى . . . إنى . . . (وهنا نجد الورقة محطمة بكل أسف ولا شك أن الكلب هو الذى سيقضى على حياة الشاب) .

المصادر :

يوجد القارىء أحدث ترجمة لهذه القصة فى :

(1) The Journal of Egyptian Archeology Vol XI P. 227. etc.

(2) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians. P. 191 etc.

أما الأصل المصرى القديم فمحفوظ بالمتحف البريطانى وقد طبع فى مجموعة الأوراق البردية المعروفة باسم :

Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum Second Series. Pls XLVIII — LII) . Pap Harris 500, verso 4—8.

وقد كان أول من لفت النظر إليها جودون Goodwin وقد ترجمها كذلك « جرفت »

(3) Griffith in The World's Best Literature PP. 5250 ff.

(4) Maspero Popular Stories of Ancient Egypt P. 185.

ويوجد القارىء فهرسا كاملا لهذه القصة فى المؤلف الأخير ص ١٨٥ — ١٨٦

قصة الملك « أبوفيس » و « سقنرع »

ملخص القصة :

أرسل ملك المكسوس « أبوفيس » رسلا إلى ملك طيبة « سقنرع » مدعيا أن جاموس البحر الذى يعيش فى بحيرة طيبة يقض مضجعه بسبب أصواته المزعجة التى تصل

لقوتها إلى مقر جلالته (بصا الحجر) وأنه لذلك يأمر ملك طيبة بإبادة جاموس البحر الذى يسكن فى تلك البحيرة جميعه إن أراد أن يبقى حائراً لرضاه . . .

وراسة الفضة :

يظهر لنا أن هذه القصة ، والقصة التى تليها المسماة « الاستيلاء على يافا » أشبه بقصص التاريخ وإن بدا فى ثوب خرافى ؛ فنحن نعرف أن البلاد قد غزاها الهكسوس ، وأن ملوك « طيبة » كانوا يناهضون الغزاة ، ومن المحتمل جداً أن تكون هذه المقاومة قد بدأت فى عهد « سقنترع ثا » المعاصر لملك الهكسوس المسمى « أبوفيس » « عاقنترع » والذى اتخذ « أواريس » (صا الحجر الحالية) عاصمة له . وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغرب مجرد ذريعة اتخذها تلمة لإعلان الحرب على ملك طيبة الذى يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التى تتناولها ونتمثل بها فى التاريخ الحديث صدقاً لأختها قصة إبادة جاموس البحر فى العصر القديم . ويمرر هذا رأى بردي من عهد الدولة الحديثة تؤيد ما سبق إن لم يكن ما جاء فيها تردداً لتلك الحوادث الدامية التى أدت إلى طرد الهكسوس من البلاد .

كما أنه ليس من البعيد أن تكون هذه القصة خرافية ، وأنها من وحي الخيال جملة ، وأن درس هذه الأسماء الحقيقية التى وردت فى ثناياها كانت لتكسبها أهمية ، ولتذكر القارئ القديم بصفحة منسية من تاريخ بلاده ؛ وحينئذ تكون مسألة طلب ملك الهكسوس إبادة جاموس البحر من قبيل الأحاجى التى كان يتهداها الملوك فى ذلك العصر على ما قاله « مسبرو » ، ويسلطون عليها أشعة عقولهم حتى يجدوا حلاً لما فيها من المآزق ، وحينئذ يفوزون بمدح إن وقفوا ، أو يعمدون بقدرح إن أخفقوا ، أو أن هذا الطلب الشاذ كان لفرض دينى يتبعه ، فإذا رفض ملك طيبة مثلاً تنفيذ إرادة ملك الهكسوس أجبر على ترك عبادة إلهه « رع » إلى عبادة معبود الهكسوس الإله « سوتخ » .

ولقد ظهر فى الخرافات الشرقية مثيل لخرافتنا هذه مبنى على أساس فكرتها . وقد دونت قصتنا هذه فى عهد الملك « مرنبتاح » فى الأسرة التاسعة عشرة ، ونجد شبيهاً لها فى قصة « إعماء الصدق » من نفس عصرها ، وكذلك نجد مثيلاً لها فى عهد الملك « نقتان » من الأسرة الثلاثين ، حكيت فيما بعد على لسان « أيسوب » ومضمونها : أن الفرعون « نقتان » أرسل سفيراً إلى « ليسيرس » Lycerus ملك « بابل » وإلى وزيره « أيسوب » قائلاً : إن لدى أثنى من الأفراس لقاحها صهيل الجياد التى فى « بابل » ، فتحمل من هذا الصهيل

فا جوابك على ذلك ؟ فأعد «الفريجي» جوابه بأن أغرى بعض الأطفال بضرب قطعة في الشارع أمام الناس . ولما كان المصريون يقدسون القطعة غضبوا لذلك أشد الغضب ، وخلصوا القطعة من أيدي الأطفال ، وشكوا أمرهم إلى ملكهم ، فأحضر «الفريجي» أمامه لاستجوابه وسأله : « ألا تعرف أن القطعة من آلهتنا ؟ فلم تعاملها بهذه الطريقة ؟ » فاجاب : « لقد فعلت ذلك لأنها ارتكبت جريمة بالأمس ضد «ليسيرس» (Lycerus) فقد خنت ديكاً له مجتهداً كان يضيح في كل ساعة » . فقال له الملك : « كذبت ، فكيف تستطيع قطعة أن تقوم بسياسة طويلة كهذه في وقت قصير كهذا الوقت ؟ فأجاب «أيسوب» : « وكيف تستطيع إناث خيلك أن تسمع أصوات جيادنا مع طول الشقة وبعد المسافة فتحمل من صهيلها بمجرد سماعه ؟ » فهذه القصة التي ذكرنا لبابها صدى لقصتنا المصرية ، ظهر في خرافات «أيسوب» . وقد يحتمل أن يكون بين مستشاري «سقنرع» من أجاب بمثل ما أجاب به «أيسوب» أو مثل الجواب الذي رأيناه في قصة «إعماء الصدق» .

هذا ولا يختلف أسلوب قصتنا هذه عن أسلوب قصص عصرها ، اللهم إلا بكثرة ما رأينا فيها من الأخطاء . ولعل ذلك لجهل التلميذ المصري القديم القى ثقلها . وفيها تكرار لبعض جملها ، وغمرض في بعض نواحيها نشأ من تهشم بعض أجزائها .

من القصة :

حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء (؟) ولم يكن للبلاذ حاكم بمثابة ملك في هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون «سقنرع» كان حاكماً على المدينة الجنوبية (بمعنى طيبة) ولكن كانت الجائحة الشنعاء في بلد العامو (الهكسوس) ، وكان الأمير «أوفيس» في «أواريس» ، وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكذلك كل حاصلاتها بأكلها ، وكذلك كل طيبات تيمرا (أي مصر وقد بقي هذا اللفظ في كلمة دميرة) .

وقد اتخذ الملك «أوفيس» الإله «سوتخ» رباً له ، ولم يبعد أي طاله آخر في البلاد غير «سوتخ» ، وقد بنى معبداً ليكون عملاً حسناً خالداً بجانب قصر «أوفيس» . وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله «سوتخ» ، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يفعل تماماً في معبد «رع حور أختي» .

أما فيما يتعلق بالملك «أوفيس» فإن رغبته كانت في إيجاد موضوع للتفاريق بينه وبين الملك «سقنرع» أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبوفيس» بإحضار رئيسه
(عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات ، وقد حاول «مسبرو» ملأها
على وجه التقريب).

[..... وقال لهم (أى للمستشارين) : إن رغبة جلاتى فى أن أرسل رسولا إلى المدينة
الجنوبية لآتى بهمة] ضد الملك سقنرع . و لم يعرفوا كيف يجيبونه ، وعندئذ أمر
بإحضار كتابه والحكام من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : أيها الحاكم يا سيدنا توجد
بحيرة جاموس بحر [فى المدينة الجنوبية] النهر [.....] وهى (جاموس البحر)
لا تسمح للنوم أن يأتى لنا نهائراً ولا ليلاً ، لأن الضجيج فى أذنا ، وعلى ذلك أرسل جلاتك
إلى أمير المدينة الجنوبية الملك « سقنرع » ودع الرسول يقل له : الملك أبوفيس [.....]
يأمرك أن تجعل جاموس البحر يترك البحيرة وبذلك سترى جلاتك من يكون معه
مميناً ، لأنه لا يميل لأى إله فى كل الأرض قاطبة إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن
الهمة التى قالها له كتابه والحكام ؛ ووصل رسول الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية
فأخذه إلى حضرة أمير المدينة الجنوبية ، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك « أبوفيس » :
ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : « لقد أرسل
لك الملك « أبوفيس » يقول : «مبأن يهجر جاموس البحر بحيرته التى فى ينبوع المدينة
الجارى (المدينة هنا طيبة) لأنه (أى جاموس البحر) لا يسمح للنوم أن يغشائى ليلاً
أو نهائراً ، إذ أن أصواته الزمجة فى أذنى .

وعندئذ بقى أمير المدينة الجنوبية صامتاً وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ
جواباً لرسول الملك « أبوفيس » ، فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سيدك عن البحيرة
التي فى ينبوع المدينة الجارى ؟ فقال له الرسول : الموضوع الذى من أجله قد
أرسلك (؟) . وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك « أبوفيس » كل الأشياء الطيبة
من لحم وخبز وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبوفيس » سيدك !
أى شئ تقوله له سأفعله عندما تأتى (؟) [.....] وعاد رسول الملك « أبوفيس » مسافراً
إلى السكان الذى فيه سيده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام وكذلك كل كبار الجند الذين
كانوا عنده ، وأعاد عليهم التهمة التى بثت بها إليه الملك « أبوفيس » . وقد ظلوا صامتين

جميعاً لمدة طويلة ، ولم يعرفوا أن يجابوا بأى شيء قط حسناً كان أو سيئاً . وأرسل الملك « أبوفيس » إلى

(وهنا تنقطع القصة فى الورقة التى استعملت بقيتها فى خطابات نموذجية ، وهى أسلوب إنشائى كان بلا شك فى ذلك الوقت أكثر فائدة ، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن ، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة) .

المصادر :

كان أول من فهم مضمون هذه القصة هو « دى روجيه » ، ثم قام بترجمتها بعده عدة علماء ، وأهم التراجم ما يأتى حسب جدتها :

(1) Gunn & Gardiner in The Journal of Egyptian Archeology Vol V. P. 40 ff.

(2) Erman The Literature of the Ancient Egyptians Translated by Blackman P. 165 ff.

(3) Maspero Popular stories of Ancient Egypt P. 298 ff.

أما الأصل المصرى القديم فيوجد فى ورقة ساليه

Pap. Sallier 1—3 In the British Museum.

قصة الاستيلاء على يافا

ملخص القصة :

الملك تحتمس قاهر الأعداء يرسل قائده ليستولى على يافا ، ذلك الثغر العظيم الواقع جنوب فلسطين ، فيحاصر القائد المدينة ، وتمتنع عليه ، فيعجز عن اقتحامها فيلجأ إلى الحيلة ، ويفرى أمير المدينة بالخروج إليه لمحاذنته ، ولما تقابلا أكرمه واحتفى به ، وأدخل فى روعه أنه سينضم بجنوده إليه ، وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله . وباشترائه مع عصا تحتمس التى كانت تشبه عصا موسى تغلب على العدو ، وفتح بلاده بعد خدعة حربية رائعة .

دراسة القصة :

لقد دون تحتمس الثالث كل حروبه على جدران معبد الكرنك وعلى صحائف أثرية أخرى ، ولم يرد فيها دون من ذلك إشارة إلى حوادث هذه القصة .

والذى رواه لنا التاريخ أن تحتتمس الأول قد فتح يافا ، وزى اسم حاكمها فى قائمة غزوات هذا الملك باسم « مقهور يافا » — (وكان لقب « مقهور » يطلق على كل أمير مغلوب فى هذا المصر ، فكان يقال « مقهور » قادش ، مثلاً) .

غير أننا نرى من جهة أخرى أن « تحوتى » الذى جاء فى القصة أنه استولى على تلك البلدة كان شخصية معروفة فى عهد تحتتمس الثالث ، ومن عطاء رجاله البارزين ، ولا بد أنه كان من أعظم قواده وأمرهم فى السياسة ، ومقبرته قد كشف عنها فى مقابر طيبة . ولقد تكلم عن نفسه ، فأرانا أنه كان موضع ثقة الملك فى كل الأصقاع الأجنبية وفى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وأنه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الأراضى الأجنبية . والظاهر من كل هذا أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا كان اسمه يتردد على الشفاه أمداً طويلاً بعد انقضاء عصره . ويوجد الآن فى متحف « دارمستاد » خنجر « تحوتى » وفى متحف « اللوفر » طبق من الذهب أهداه إليه الملك تحتتمس أيضاً .

ويبدو أن الشخصيات التى مثلت أدواراً فى هذه القصة لها أصل تاريخى . أما ما نسب إليها من الأعمال فغالب الظن أنه من نسج الخيال . هذا وأرجو ألا تفوتنا الإشارة بذكر ما لتحتتمس الثالث الذى وقعت فى عهده هذه القصة من مجد حربى فاق كل أنداده من ذوى التيجان الفرعونية ؛ وقد ظل اسمه يقذف الرعب فى قلوب الأمم المقهورة التى خضعتها غزواته حتى بعد موته بعدة أجيال . وقد كانت التموينات تحمى باسمه ، ولم ينقطع أمرها بعد أن لحق بخالفه ، بل ظل الناس على ذلك قروناً عديدة ، وكان اسمه تيممة سحرية يهزم عند ذكرها الأعداء ؛ وما ذلك إلا من آثار ما خلفه فى النفوس من الذعر والهلل اللذين غرسهما بطشه وجبروته . فلا غرابة إذن فى أن يؤلف المصريون القصص عن عهده ، وأن ينسبوا إليه القدرة على هزيمة الأعداء وإن لم يبرح بلاده ، وأن يحملوا لعصاه ما لعصا موسى من السحر والغلبة ، فتقتل عدوه ، وتيسر له السبيل إلى فتح يافا .

من القصة :

والآن بعد ساعة سكرهم قال « تحوتى » ل [ساحضر] ومى زوجتى وأطفالى إلى مدينتك . فر المحاربين ليحضروا [الجياد] ويمطوها العلف ، أو مر أحد « العبر » يمر فأمسكوا بالجياد وأعطوها علفاً و الفرعون « منخبر رع » فأتوا ليقصوا ذلك على « تحوتى » . وبعدئذ قال أمير يافا « لتحتوتى » : إن رغبى فى أن أرى عصا الملك

تحتمس السماء « الجميلة » . وإنى أستحلفك بحياة الملك « منخبر رع » أن تكون في يدك هذا اليوم « الجميلة » وأحضرها . ففعل ذلك وأحضر عصا الملك « منخبر رع » وأخفاها تحت عباءته ، ثم وقف من فوقه (؟) قائلا : انظر إلى يا أمير يافا ! هذه هي عصا الملك « منخبر رع » الأسد المصور ابن « سخمت » وقد أعطاه « آمون » والده الطيب القوة ليستعملها ؛ وعندئذ ضرب جبهة أمير يافا فسقط مطروحاً أمامه فوضعه في جلد هو قطعة النحاس التي ضرب أمير يافا ووضعوا قطعة النحاس التي تزن أربعة أرتال على قدميه ، وبعد ذلك أمر بإحضار خمسمائة سلة كان قد أعدها لهذا الغرض ووضع فيها مائتي جندي وقد كبلوا أذرعهم بالأغلال والسلاسل عليها أقفالها (؟) وأعطوهم نعالهم وعصيهم (أتر) وجعلوا كل خيرة الجند يحملونها ، وكان عددهم خمسمائة رجل وقالوا لهم : عند ما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفاقكم (الذين في السلال) وتقبضوا على كل رجل في المدينة وتضموم في الأغلال . وعندئذ خرجوا وقالوا لسائس أمير « يافا » : إن سيدك يقول : اذهب وأخبر سيدتك : افرحي لأن الإله « سوتخ » قد أسلم إلينا « تحوتي » وزوجه وأطفاله ، انظري ! لقد أسرتهم يدي . وتشير إلى هذه السلال المائتين المملوءة بالرجال المكبلين بالسلاسل والأغلال . وذهب أمامهم ليخبر سيده قائلا : لقد أسرنا « تحوتي » وعندئذ فتحت حصون « يافا » أمام الجند ودخلوا المدينة فخلصوا رفاقهم وقبضوا على كل رجل كان في المدينة صغيراً كان أو كبيراً ووضعوم في السلاسل والأغلال في الحال . وهكذا استولت قوة فرعون الظافرة على المدينة ، وأرسل « تحوتي » ليلاً إلى مصر لسيد « منخبر رع » قائلا : انظر إن « آمون » والدك الطيب قد أسلم إليك أمير يافا مع كل رجاله ومدينته أيضاً ؛ فأرسل لنا رجالاً ليأخذوم أسرى حتى تملأ معبد والدك « آمون » ملك الآلهة بالمبيد من الرجال والنساء الذين سقطوا تحت قدميك إلى الأبد . لقد انتهت القصة بسرور بيد الكاتب الماهر بأنامله كاتب الجيش . . .

ولسنا في حاجة إلى أن نلفت نظر القارئ هنا إلى أن هذه القصة تشبه في بعض النقط ما جاء في « ألف ليلة وليلة » عن (على بابا والأربعين حرامي) . أما الحيل الأخرى فنجدها في قصص أخرى عند الإغريق والرومان . وأما لغة القصة فهي لا تختلف عن لغة هذا المصر وأسلوبه ، بل نجد فيها التكرار الملل للأعلام والجلل المألوف تكرارها .

المصادر :

لقد وجدت هذه القصة مكتوبة بالهيراطيقية في نفس الورقة التي كتبت عليها قصة الأمير المسحور، فهما من عصر واحد ولغة واحدة، وقد ترجمت القصة مرارا وأهم التراجم ما يأتي :

- (1) Peet : Journal of Egyptian Archeology Vol XI P. 225 ff
- (2) Maspero Papular Stories of Aneient Egypt P. 108
- /3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 197 ff.
- (4) Griffrith The World's Best Literature P. 525G ff

قصة « إزيس » وإله الشمس « رع »

دراسة القصة :

هذه القصة تعتبر من الأمثلة الطريفة في الشعر القصصى عند المصريين ، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يصلنا إلى الآن مجموعة عظيمة من هذا النوع من الشعر كما نجد ذلك في « بابل » و« فلسطين » ، ولا شك أنه كان موجودا ، وربما تجود تربة مصر بشيء منه في القريب العاجل . ولدينا في الكتابات المصرية إشارات صريحة تدل على وجوده ، فنعلم مثلا أنه كان يوجد مجموعة من الخرافات خاصة بإله الشمس وقد بقي منها نتف في « متون الأهرام » ، وكذلك قصة « هلاك الإنسانية » التي أوردناها في هذا الكتاب ، يضاف إلى ذلك قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » التي سنفصل الكلام عنها . ولا نشك في أن « بلوتارخ » عندما بدأ الكتابة عن « إزيس وأوزير » كانت أمامه معلومات طريفة عن هذا الموضوع .

وعلى أية حال فإن الحظ لم يواتنا في موضوع الخرافات المصرية ، إذ لم يبق لنا منها إلا النزر اليسير ، ولا بد أن مقدارها كان عظيما جدا . غير أننا لسنا في مركز يسمح لنا بأن نقول إنها كانت تشتمل على تلك الصفات العالية التي يمتاز بها الشعر القصصى في « بابل » و« فلسطين » .

والقصة التي نحن بصدد هذا الآن مثال من هذا الشعر ، وهي ترينا كيف أن « إزيس » خدعت الإله « رع » حتى أخبرها باسمه الخفى . ولا بد أن نفسر ذلك هنا بأن معرفة اسم الشخص تعطى من يعرفه قوة يسيطر بها عليه حسب اعتقادهم في الأمور السحرية ؛ ومن ذلك نفهم السر في أن « رع » كان يحرص على إخفاء اسمه ، وسبب خداع « إزيس » له حتى وصلت إلى معرفته .

مع الفصحى :

كانت « إزيس » امرأة حكيمة الكلام وكان عقلها أكثر مكرًا من ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الآلهة ، وكانت تعادل (؟) ملايين الأرواح ، وكانت تعرف كل ما في السموات وما في الأرض مثل « رع » الذى يعمل كل ما تحتاج إليه الأرض .

وقد كان « رع » يدخل السماء كل يوم على رأس نواتيه ويجلس على عرش الأتقين . غير أن الشيخوخة القدسة جعلت لعاب فيه يسيل (؟) ، وعلى ذلك بصق على الأرض وسقط لعابه عليها ، فجمعته (كسبته) إزيس فى يدها بالتراب الذى كان عليه . وسوته فى صورة ثعبان فخم وصورته فى شكل غير أنه لم يتحرك كأنه حى أمامها ، ولكنه امتد على الطريق الذى كان من عادة الإله العظيم أن يمر به حسب رغبته فى طريقه . وخرج الإله المتعالى فى بهاء ، وفى معيته الآلهة الذين فى القصر ليمشوا فى الخارج كما كان يفعل كل يوم . وعندئذ لدغه الثعبان الفخم حتى نفث فيه النار المتقدة التى خرجت منه فصاح الإله المقدس بصوته ، فوصل صوت جلالته إلى السماء حتى إن تأسوعه صاحوا : « ما هذا ؟ ما هذا ؟ » وآلهته : « ماذا ؟ ماذا ؟ » على أنه لم يجد صوتًا ليجيب . وارتعدت شفتاه وزلزلت كل أعضائه لأن السم كان قد أمسك بجسمه كما يست النمل بـ

وعندما استرد الإله قلبه ثانية نادى أتباعه : « تمالوا إلى أنتم يامن أتيتم إلى الوجود من جسمي ، أنتم أيها الآلهة الذين خرجوا مني . وذلك لأخبركم بما حدث لى . لقد لدغنى شيء ردى ، وقلبي لا يعرفه وعيني لم تره ، ويدي لم تسوه ، ولا أعرفه من بين كل الذين خلقتهم ، ولم أشعر بألم مثله ، ولا شيء أكثر ألماً منه . وإني أمير وابن أمير ، وإني بذرة إله اتخذت وجودها من إله . وإني عظيم وابن عظيم . اخترع والدى اسمي ، وإني واحد له عدة أسماء وعدة أشكال ، وصورتى فى كل إله . « أتوم » ، و « حور — حكنو » يلتصقان فى . وقد أعطانى والدى ووالدتى اسمي ، وقد بقى تخفياً فى جسمي منذ ولدت حتى لا يكون لساحر أو ساحرة سلطان على . والآن عند ما خرجت لأشاهد ما صنعت ، ولأسير فى الأرضين اللتين خلقتهما لدغنى شيء لا أعرفه ، فلم يكن ناراً ولم يكن ماءً ، ومع ذلك كان قلبي يحترق وجسمي يرتعد ، وتجمدت كل أعضائى . أرسلوا إلى الأولاد المقدسين الذين لهم كلام ناجع ، حكماء اللسان والذين يصل مكرمهم إلى السماء .

عندئذ أتى إليه الأولاد المقدسون كل منهم بمويله (؟) وكذلك أنت « إزيس » بمخنماتها ،

ونصيحتهما نَفَس الحياة ، وأقوالها تطرد المرض ، وكلتها تعطى الحياة من أخطأه النفس .
فقلت : « ما الذى حدث ؟ ما الذى حدث ؟ أيها الوالد المقدس ، ماذا ؟ إذا كان قد
ألقى بك ثعبان ضررا (؟) أو أى مخلوق من مخلوقاتك قد رفع رأسه ضدك فأنى سألقى به
أرضا بالسحر الفعال وأمنعه مشاهدة أشعتك » .

وعندئذ فتح الإله الجليل فاه ، وقال : « لقد كنت ذاهبا على الطريق سائرا فى الأرضين
وفى الصحراء ؛ لأن نفسى كانت تتوق إلى رؤية ما خلقتة . ولكن تأملى لقد لدغت من ثعبان
لم أره . وإنما ليست نارا وليست ماء ، ومع ذلك فأنى كنت أبرد من الماء وأحر من النار ،
وقد تصبب كل جسمى عرقا ، وإنى أرتعد ، وعينائى ليستا قويتين ، ولذلك لا يمكننى أن أرى ،
لأن الماء يتصبب على وجهى كما يحدث فى قيط الصيف » .

وبعد ذلك قالت « إزيس » « راع » : « أخبرنى عن اسمك أيها الوالد المقدس ، لأن الرجل الذى
تتلى باسمه تمويذة سيبقى حيا » . فأجابها « راع » : « إنى أنا الذى خلقت السماء والأرض وأرست
الجبال معا وسويت ما عليها . أنا الذى خلق الماء ومن ثم وجدت « محورت » ، وأنا الذى
خلقت الثور للبقرة ، وعلى ذلك جاء الأب إلى عالم الوجود . وأنا الذى كونت السماء وأسرار
الأقفيين ، ووضعت أرواح الآلهة فيها . وأنا الذى فتح عينيه ومن ثم جاء النور إلى الوجود .
والذى أغمض عينيه فجاء الظلام إلى الوجود . والذى بأمره يجرى النيل . والآلهة لا يعرفون
اسمه . وأنا الذى خلقت الساعات ومن ثم جاءت الأيام إلى الوجود . وأنا الذى افتتح الأعياد
السنوية وأنشأ النهر . وأنا الذى خلقت نار الحياة لأجل أن توجد أعمال . . . وأنا الإله
« خبرى » فى الصباح ، و « راع » فى الظهيرة و « آتوم » فى المساء » .

ومع كل فإن السم لم يكف عن مجراه ، ولا خفف ألم الإله العظيم . وعندئذ قالت « إزيس »
للالة « راع » : « إن اسمك لا يوجد بين الأسماء التى تلوتها على ، فأخبرنى به لأجل أن يخرج
السم ، وذلك لأن الرجل الذى ينطق باسمه سيميش . ثم أخذ السم يحرقه بقطاعة ، وأصبح
أقوى من اللهب أو النار ، فقال جلالة « راع » : « أعيربنى أذنك أيتها البنت « إزيس »
وسينتقل اسمى من جسمى إلى جسمك » .

وعندئذ خبا نفسه (أو الاسم) من الآلهة ، وذلك لأن المسافة كانت شاسعة فى قارب
ملايين السنين ^(١) . وعندما حانت ساعة الكشف عما فى القلب قالت لابنها « حور » : اجعله

(١) مركب الشمس الذى يسبح فيه الإله « راع » ومعه أتباعه فى السماء كل يوم من للفرق ثم إلى
الغرب ، ومن ثم يذهب إلى العالم السفلى ويسبح فى سباته ثم يظهر فى الشرق ثانية فى اليوم التالى وهكذا .

عاجزا أمامي ، وذلك بأن يحلف الإله يمينا أنه يفقد عينيه (إذا أصابها بضرر) . وعلى ذلك كشف الإله العظيم عن اسمه للإلهة « إزيس » . ثم قالت « إزيس » الساحرة العظيمة : أيها السائل السام اخرج من « رع » وأنت يا عين حور اخرجي من الإله ريق الفم . إني أنا الذي ينفذ ، وأنا الذي أرسل ، تعال إلى الأرض أيها السم القوي ، انظر . إن الإله العظيم قد باح باسمه . إن « رع » يعيش والسم قد مات . وفلان^(١) بن فلان يعيش والسم مات . وهكذا تكلمت « إزيس » العظيمة ، أميرة الآلهة التي تعرف « رع » باسمه الحقيقي .

ويرى القارئ أن هذه القصة لم تكتب بطريقة شائعة ، وذلك لكثرة ما فيها من التفاصيل الخرافية ، حتى إن النقطة التي تدور حولها القصة قد صارت غامضة لكثرة ما في القصة من الصفات التي يتحلى بها « رع » . وقد كان في مقدور الهكاتب أن يكتبها في سطور قليلة ، ولكنه أراد أن يظهر كل صفات رع ، أو بعبارة أخرى يكتب حسب الطريقة المصرية ويرخي لنفسه العنان في المترادفات .

وإذا أراد القارئ أن يرى الفرق في الاقتصاد في التعبير بين المصرية والعبرية مثلا ، فإليه إلا أن يقرن قصتنا هذه بقصة تشبهها سطحيا في التوراة ، وأعني بذلك قصة موسى والتمبان (كتاب العدد - الإصحاح الحادي والعشرون - الآيات ٤ - ٩) . فالأولى قد كتبت في صفحات والثانية في سطور ، والأولى على الطريقة المصرية والثانية على الطريقة العبرية وكلاهما طريفة في بيئتها .

المصادر

أحدث التراجم

(1) Eric Peet. A comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 19 ff.

(2) Müller- Egyptian Mythology P. 80 ff.

(١) في التماويذ السحرية يترك اسم الشخص الذي يراد رقبته خاليا ويستعاض عنه بكلمة فلان . وعندما يعرف اسم الشخص يكتب بدلا من كلمة فلان ابن فلان .

عن ملك وإلهة

مقدمة :

في متحف « برلين وثينا » قطع من ورقة بردى في حالة سيئة تتحدث عن ملك وإلهة وموظف يدعى « حورمين » . ولنا سنورد هنا القطع التي يمكن ترجمتها . وعلى خيال القارئ أن يستكمل الباقي^(١) . غير أنه يمكننا أن نقول إن وجود موظف في منف يحمل اسم « حورمين » النادر ويمضى الملك معه عشرة أيام وتظهر في بيته البنت الجميلة يجعلنا نفكر قهرا في شخص حقيقي :

القصة :

المشرف على خدر النساء الملكي في « منف » « حورمين » الشهير . وهذا الرجل العظيم قد كافأه الملك « سيتي » الأول بالذهب حينما باع حياة طويلة وعمرًا مديدًا مباركًا ، دون أن يرجع إلى الطفولة ، ومن غير أن يرتكب خطأ ما في البيت الملكي^(٢) . ونجد في كل المتاحف آثارا من قبره في سقارة^(٣) ، فمن الجائز إذن أن تكون خرافة قد علقت بهذا الرجل كما هو الحال مع القائد « تحوتي » (انظر قصة الاستيلاء على « يافا ») .

وكل أنواع الهدايا قد أحضرت إلى الملك وعند الغروب أتت (؟) على رأس القوم الذين كانوا يحملين بالهدايا بيتها ، وقالت لجلالته . . . احضر له القدح . هو . . . على السطح ونادى . . . ضابط الجنود الاحتياطي للجيش . . . احضر لي سلات فيها فضة وذهب ، وفعل وبعد أيام مضت على ذلك . . . نظرتها . وأخذت له . . . هذه ثلاث السنوات فيها ، وقد انبطحوا أمام (الملك) ؟ . . .

. . . « سأفعل ما » يمليه قلبي . . . خمسون إناء من الشهد . . . قح وجعل لجلالته . . . وأمر أن يحضر الحمل أمامه . . . تعال (؟) إلى « منف » وحينئذ سيعمل لك . . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك جاء لجلالته « منف » إلى « حورمين » المشرف على خدر النساء وأمضوا عشرة أيام . وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك . . . وحولت نفسها إلى عذراء جميلة . . . وبعد

(١) حيث لا يمكنني ترتيب القطب الباقية .

(٢) اللوفر C 213 .

(٣) شواهد قبره في برلين .

أيام عدة مضت على ذلك . . . لا تخف ؟ اصعد أنت . . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك
ركب جلالتة (عربية) ؟ ووصلوا إلى المملكة الشمالية . . . وقال القوم لفرعون ما أنت
فاعل (؟) . . . لا يرجع أحد ثانية فإن الإلهة (تذبح) الناس . . . وبعد عدة أيام مضت
على ذلك . . .

المصادر :

Erman. The Literature of Ancient Egyptians P. 172 — 173.

قصة عن عشتارت

كانت الآلهة « عشتارت » الفينيقية معروفة عند المصريين في خلال الأسرة التاسعة
عشرة . وفي حكم « رمسيس » الثانى كان لها معابد خاصة في عاصمته . ولا بد أنه كان لها
معابد غيرها في المدن الأخرى . على أن حشر إلهة أجنبية يمكن أن يكون السبب في تأليف
هذه القصة التي لسوء الحظ لم يبق منها إلا قطع صغيرة محفوظة . والظاهر أن هذه القصة
تخبرنا كيف أحضرت « عشتارت » إلى مصر من بلادها^(١) ، ويظهر من القطعة الأولى من
البردية أن إلهة يطلب الجزية بوصفه ملكا ، ويظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك في المحكمة .
و« رنتوت »^(٢) « تخاطب « عشتارت » (؟) . انظري . إذا أحضرت له جزية فإنه سيكون
رحيما بك (؟) وإذا لم تحصرى الجزية فإنه سيأخذنا أسرى ، وعلى ذلك أعطيه جزيته من الفضة
والذهب واللازورد . . . خشب وقالت « لتاسوع الآلهة » . . . جزيرة البحر . ليته يصنع
إلينا . . . وفي قطعة ثانية حيث لا يزال الموضوع خاصا بجزيرة البحر يمكن الإنسان أن
يستخلص . ثم أخذت « رنتوت » . . . وقالت : اسمع ما أقول . لا تذهب لآخر واعل إلى
« عشتارت » في بيتها ، وتكلم تحت حجرة نومها وقل لها . إذا استيقظت (؟) . . . ولكن
إذا نمت فساعمل . . . ليتك تأتى إليهم . . . انظر ، إن « عشتارت » تسكن في إقليم على
البحر . . . بنت « بتاح » الإلهة الفضلى المربعة . هل النملان اللتان في قدميك . . . هل
ملابسك التي تلبسها قد مزقت من ذهابك وإيابك الذي تقوم به في السماء وعلى الأرض ؟

(١) وإذا كان هذا التفسير صحيحا فإن القصة لابد قد ألفت على نمط خرافة البوّة التي هربت إلى بلاد

النوبة ثم أحضرها « تموت » .

(٢) إلهة الحصاد .

وقال

..... ماذا أصنع ضده ؟ وسمعت « عشتارت » ال البحر فذهبت
ودخلت في حضرة « تاسوع الآلهة » حيث كانوا فرآها (الآلهة) العظام ووقفوا
أمامها ونظرها (الآلهة) الصغار وانبطحوا على بطونهم ، وهناك قدم لها عرشها وجلست عليه ،
ثم أحضر إليها

..... وذهب رسول « بتاح » قائلا : « قدموا الخضوع « لبتاح » و « لنوت » .
و « نوت » ال التي كانت حول عنقها ووضعها في الميزان
ويجب أن نوافق كاشف هذه القطع قائلين إن ما حفظ كاف ليجعلنا نأسف على فقد
ما ذهب .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القطعة هو الأستاذ « برش »

(1) Birch, Zeitschrift für Agyptische sprache 1871 P. 119.

ثم طبعها الأستاذ « نيوري »

(2) The Amherst Papyri Pls. XIX — XXI.

وترجمها الأستاذ « ارمن »

(3) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 169 — 170.

قصة عفریت

قد وصلت إلينا ثلاث قطع من نسخ محشوة بالأغلاط ، مسطرة على أربع قطع من
الخزف لقصة ، ولكن هذه القطع لا تمكننا تماما من فهم مغزاها . وموضوعها أن شخصا
مات منذ زمن طويل ، ثم ظهر ثانية لرئيس كهنة « آمون » وأمره مهددا إياه بترميم قبره
الذي قد خرب ونسى . وبعد بحث متواصل وجد رئيس الكهنة القبر . والملك « رع حتب »
الذي عاش في زمنه المتوفى هو من ملوك العهد الإقطاعي في نهاية الدولة الوسطى . أما رئيس
الكهنة فلا بد أنه عاش في عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ، ويعرف ذلك من مدلول
اسمه [ورئيس الكهنة الذي نتكلم عنه بوصفه شابا يحتمل أنه هو الذي يتكلم في الأول

ويشتكى كما يأتي] : أنا لا أرى نور الشمس ولا أتنفس الهواء ، والظلام فوق يوميا ولا يأتون^(١)

وقال العفريت له : حينما كنت حيًّا على الأرض كنت رئيس خزائن الملك « رع حتب » وكنت ممثلاً للجيش^(٢) ، وكنت على رأس الرجال وقريبا من الآلهة^(٣) .

وفي ثاني شهور الصيف من السنة الرابعة عشرة ذهبت إلى راحتي ، وتوفيت في عهد الملك « منتو حتب » (؟) فقدم إلى أربع أوان مائمية^(٤) وتابوتا من المرمر ، وأمر ببناء أهرام لي تليق برجل في مركزى وجعلني أذهب إلى راحتي (الأبدية) انظر . إن الأرض من تحتي (؟) صارت بالية (؟) وتتساقط^(٥) (؟)

أما ما يختص بقولك لي : سأجدد المدفن ، فإني قد سمعت ذلك من قبل أربع مرات ، ولكن ما الذى يفعلونه له (؟) هذا لا يتم بكل الألفاظ^(٦)

فقال لي رئيس كهنة « آمون » ملك الآلهة « خنس محب » : أرجو أن تنطق لي بأمر حسن يقضى بأنه يعمل ذلك لي أو يجعله يعمل لي (؟) وكذلك يعطينى خمسة من الأرقاء المذكور وخمسا من الإماء ، فيكون مجموع ما أعطاهُ عشرة ليصبوا الماء لي ، وكذلك يخصص لي حقيبة من القمح يوميا لتقدم إلىَّ ورئيس يصب الماء لي^(٧)

وكان العفريت مغضبا وقال له : لأى غرض ذلك الذى تفعله (؟) أليس الخشب معرضا (؟) للشمس والحجر الذى أصبح باليا لا يمتك زمنا أطول (؟) إنه يتداعى وبهد ذكر إرسال أناس للقبر نقرأ : ثم قال له العفريت : « وعليه كذلك أن يخلد اسم والد والدى واسم والدتى » فقال رئيس الكهنة ! « سأجمله يفعل ذلك لك وسأجمله يبنى مدفنا لك وسأجمله يعمل لك ما يعمل لرجل في مركزك » . ومن المحتمل أنه يعمده أيضا أنه لن يبرد في الشتاء . ثم بعد جملة غير مفهومة يقول : ثم إن رئيس الكهنة « خنس

(١) يحتمل أن يكون المرض الذى أترله به العفريت .

(٢) لقب معروف يحملُه ضابط من أكبر الضباط (٣) أى كنت مشهورا جدا

(٤) الأوانى التى تحفظ فيها الأحشاء عند التحنيط

(٥) كان القبر يغمس في الأرض ويتداعى .

(٦) إذا كننا قد فهمنا معنى الجملة فإن العفريت لابد كان قد جاء لكاهن الأكبر ثلاث مرات وفي

كل مرة كان يعمده بالعود الجميلة .

(٧) لابد أنه كان قد عمل معه وثيقة واضحة يمكنه تنفيذها .

المحب « قعد وبكى ولم يأكل ولم يشرب » لعل ذلك بسبب أنه لم يجد القبر الذى يجب أن يرممه .

ولما كان من المحتمل أن المتوفى كان موظفا للملك « رع حتب » جاز أنه قد دفن بجواره وقد أرسل هناك الـ . . « لأمون رع » ملك الآلهة ثلاثة رجال ... فعبر النيل وتسلق إلى قبر بجانب قبر الملك « رع حتب » ، السامى هذا هو القبر الذى كان يبحث عنه ثم نزلوا إلى شاطئ النهر وعبروا إلى رئيس كهنة « آمون رع » رب الآلهة ووجدوه بينما كان يقوم بتأدية وظيفته فى المعبد .

وقابلهم بكلام يحتمل أن يعبر عن بعض الشك فيما إذا كانوا قد وجدوا المكان المقصود . وعندئذ تكلم ثلاثة الرجال بفم واحد : « لقد وجدنا المكان الطيب » ، ثم قعدوا أمامه وفرحوا وكذلك استولى السرور على قلبه حينما قالوا له : « الشمس طلعت من الأفق » ، ونادى هو ممثل بيت « آمون » المسمى « منتوكا » (وكلفه) القيام بمعمله وفى المساء عاد لينام فى المدينة وهو

المصادر :

هذه القطعة يرجع عهدها للأسرة العشرين ، وقد وجدت مكتوبة على أربع قطع من الخزف : واحدة منها فى متحف اللوفر بباريس ، والثانية فى فينا . أما الاثنتان الأخريان فى متحف « فلرنسا » بايطاليا . وكتب عنها الأستاذ « جولنيشف » فى مجلة

(1) Recueil De Travaux Vol. III 3 ff. & ibid XVI P. 31.

ثم كتب عنها ثانية « برجان »

(2) Bergmann Hierat. dem Texte, Vienna 1886 Pl. IV.

وقد ترجمها الأستاذ « مسبرو » مع بعض التصرف فى كتابه .

(3) Maspero. Papular Stories of Ancient Egypt P. 275 ff.

الشجار بين الجسم والرأس

مقدمة :

هذه قصة قد يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين ، وفيها مناظرة بين أجزاء الجسم ، تدور حول من يفضل منها بقية الأعضاء ، وقد كتبها تلميذ قديم ، ووقع في أغلاط كثيرة في كتابتها . وقد لاحظ « مسبرو » أنها شبيهة بخرافة « شجار البطن والأمعاء » . ولا نستطيع معرفة مدى وجه الشبه بينهما لأن القصة لم ترد كاملة .

الفصل :

تساجر البطن والرأس لحل متكلمين بصوت مرتفع أمام الثلاثين . وكان لا بد لهؤلاء من أن يكشفوا عن حقيقة الإهانة التي بكت من أجلها عين الرأس ، وأن يقرر الصديق أمام الإله الذي يمتك الظلم . ولما نطق البطن باتهامه صاح الرأس عاليا قائلاً بضمه : أنا ، أنا ذلك الشماع الذي في كل البيت ، والذي يحتمل الأشعة ويخضع الأشعة مما . وكل عضو يرتكن على سعيد ، قلبي سعيد . وأعضائي تنمو (؟) ورقبتى مثبتة تحت الرأس ، وعيناي تنظران بعيداً ، وأنفى يتنفس وينشق الهواء ، وأذناي مفتوحتان وتسمعان ، وفي مفتوح ويعرف كيف يجيب ، وذراعا^(١) تنموان وتعملان . (ويظهر بعد ذلك أن الموضوع خاص برجل متكبر ، يرى أن الأشراف منحطون ، ولا نعرف بالضبط من يقصد بكلامه) ثم يعود الرأس إلى الكلام . إلى سيدك ، أنا الرأس الذي يريد إخوته أن يهتموه (؟) وهذا ما قاله الفم له : « أليس هذا خطأ ؟ دع الرأس يكلمني . أتى ذلك الذي يحفظ حياً »

المصادر :

أول من كتب عنها الأستاذ « مسبرو »

(1) Maspero Etudes Egyptiennes I, P. 260 ff.

ثم ترجمها الأستاذ « لورمان »

(2) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 173 ff.

قصة إعماء الصدق ثم الانتقام له

ملخصها :

اتهم الكذب الصدق بتهمة كانت نتيجتها أن حكم على الصدق بالعمى ، ووافق « تاسوع الآلهة » على ذلك الحكم ، ويظهر أن هذه التهمة كانت تنحصر في أن الكذب أودع عند أخيه الصدق مدىة يحتفظ بها أمانة عنده ، ولكنها لسبب ما فقدت أو تلفت ، وأراد الصدق أن يعوض أخاه عنها بأخرى مثلها ، ولكن أخاه الكذب كان يتعمل بملل مختلفة ، وكان يخلع على مديته أوصافاً تضخم من شأنها ، وتمجز الصدق عن الإتيان بمثلها ، فقال عنها : إن جبال « إبل » سلاحها ، وأشجار « فقط » مقبضها ، وقبر « الإله » قراها وماشية « كار » رباطها . فمجز الصدق طبعاً عن رد مثل هذه المديّة ، فحكم عليه « تاسوع الآلهة » بالعمى كما أراد الكذب . وبعد ذلك رغب الكذب في أن يقضى على حياة أخيه ، ولكنه نجا من حباله وأخذ الصدق مكانه تحت سفح جبل ، فرأته خادم وأعجبت بجماله وأشفقت عليه فأخبرت سيدتها بأمره ، وأحضرتة إليها فأعجبت به ، واتصل بها اتصال الرجل بامرأته ، فأنجبت طفلاً جميلاً اقتص لأبيه بعد أن نما وأيقع وأوقع به بمثل المكيدة التي دبرها الكذب لأبيه ، وانتهى الأمر بإعماء الكذب وانتصار الصدق عليه .

دراسة القصة :

لا شك أن القارى يلحح شهما بين هذه القصة وقصة الأخوين في الهدف الذى ترمى إليه كل منهما ، وترجع كليهما إلى عهد الرعامسة . وأسلوب القصة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة مملّة ، وهى فقيرة فى ثروتها اللغوية ؛ وتلك سمة عرفت عن هذا العصر المتأخر . كما تمتاز بأن أسماء أبطالها ليست من أسماء البشر ، بل من الآلهة أو غيرهم ، وفيها شيء من خوارق العادات فيما يتصل بالسكين والثور . ولقد أبانت لنا بعض عادات المصريين القدماء فى عهد الرعامسة ، كاستخدام عمى الرجال فى حراسة الأبواب وإيداع الثور عند راع مقابل أجر ضئيل ، كما وضعت لنا صورة حية تمثل حياة الفلاح المصرى فى ذلك العصر والحياة المدرسية التى تشبه حياة المدارس فى عصرنا الحالى . ومما استرعى اهتمامنا أسماء أبطال القصة « الصدق » و « الكذب » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، ولم يكن ذلك منتظراً ،

لأن كلمة « صدق » أو « عدالة » في اللغة المصرية القديمة من الأسماء^(١) المؤنثة . على أن إطلاق الأسماء المؤنثة على الصور الحسية من الأمور الشائعة من قديم الزمان ، فمعدك الإلهة « ماعت » التي تدل على « الصدق » ، « العدالة » ، « الحق » — وهذا أقدم مثال للكنية ، وقد استعمله « جون^(٢) بنيان » في كتابه المشهور Pilgrim's Progress ومنزى القصة في إظهار الفوارق الأخلاقية بين الصدق والكذب .

وإذا دققنا البحث في موضوعها لمحا في ثنايا صورة أخرى لخرافة « حور » و « ست » : فالأخ الأكبر هو الذى يتحل بالفضيلة ، وهو الذى يتآمر على قتله أخوه الصغير الشرير (كما نرى في « أوزير وست » . والابن الذى جاء ينتقم لأبيه في قصتنا يعادل « حور » بن « أوزير »^(٣) في تلك ، والخلاف في مسلك الأم فيهما .

ومما يثبت لنا أن هذه الخرافة صدى مشوه لأسطورة « أوزير » تلك المحكمة التي انعدت من « التاسوع الإلهي »^(٤) ونظرت في شكاية كل من الصدق والكذب حينما رفع كلاهما الأمر إليها .

ومن التفاصيل الساذجة فيها استعمال القسم التقليدى الذى كان يستعمل دائماً من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين ، وهو القسم « بحياة أمون وبحياة الأمير » . وهذا مما يقفنا على تاريخ هذه الورقة على وجه التقريب .

المصادر :

(1) A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels 1932 P. 30 — 6.

(2) Erman. Forschungen und Forschnitte eighth year no. 4 (Feb., 1932) P. 43 — 4.

(3) Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum Vol. I Text P. 2 ff.

(١) ظن بعض علماء اللغة أن الاسم هنا منسوب إلى الصدق (صدق) وبذلك خرج عن كونه مؤنثاً ، ولكن الصورة التي ورد بها في نسختنا ليست صورة الاسم للنسب .

(٢) في كتاب « بنيان » سميت أشخاص روايته بأسماء رمزية مثل الحقد ، والأمين ، واليأس ، والجبار ، والنيد . . . الخ

(٣) لاحظ الأستاذ دى بك العالم المولدى في الخطاب الهجانى (ورقة استانس الأولى) أن « حور » قد سمي نفسه « حور بن وقرس » ، وفي فقرة أخرى قال : « لى أنا ابن الصدق » مما يتفق مع تسمية أوزير بالصدق هنا .

(٤) أى مجموعة الآلهة التسمة .

من القصة :

[ومن ثم يقول النص]

وعندئذ قال « الكذب » للتاسوع : دعوا « الصدق » [يحضر] ثم تعمي عيناه الاثنين ، ثم اجعلوه حارس باب منزلى . ولقد فعل التاسوع وفق كل ماقاله .

وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك رفع « الكذب » عينه ليشاهد فرأى فضيلة « الصدق » ، أخاه الأكبر .

وعندئذ قال « الكذب » لعبدين من عبيد « الصدق » : خذا سيدكما واقذفا به إلى أسد شرير معه عدة لبؤات رفيقات له ، ودعاها [تلتهمه] .

[وعندئذ أخذه العبدان] . وبينما هما يصعدان معه إذ قال « الصدق » لخادميته : لا تأخذانى لأجل أن تضما آخر . . .

هنا نجد أن الجزء الأكبر من الصفحة الثانية قد ضاع ، وقد تركت لنا بعض جمل ، غير أنه من الصعب أن يفهم الإنسان منها معنى متصلا . ومن المحتمل أن ثلاثة الأسطر والنصف الأولى تقص كيف أن الخادمين قبلوا رجاء « الصدق » وكيف أنهما تفاديا الأسئلة التي وجهها إليهما « الكذب » عند عودتهما . والفقرة التالية كذلك تضع أمامنا مسائل معقدة ، غير أنه يظهر أنها تخبرنا كيف أن خادمة للسيدة التي أصبحت فيما بعد والدة ابن « الصدق » (وقد فقد اسمها في كل مكان من الفقرة) — قد وجدت « الصدق » ، راقدا تحت سفح تل ، وقد تعجبت من جماله فذهبت لتخبر سيدها بالأمر ، وها هي ذى العبارة بنصها :

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء خرجت السيدة . . . من بيتها . . . وشاهدته نائما تحت سفح التل ، وقد رأت جماله ولم يكن له مثل في الأرض قاطبة . وقد ذهبوا (؟) إلى المكان الذى فيه ال . . . وكانت السيدة [تقول] . تعال معنا وانظر . . . نائما تحت سفح التل ودعهم يأخذوه ويجعلوه حارس باب بيتنا .

[وعندئذ] قالت السيدة لها (أى للخادمة) : اذهبي وأحضريه حتى أراه . فذهبت وأحضرتة ، ولما رآته السيدة رغبت فيه كثيرا ، لأنها رأت جمال جسمه (؟) ، ونام معها في الليل وعرفها معرفة الذكر لأنثاه ، فحملت منه على أثر ذلك في هذه الليلة في طفل صغير .

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء وضعت غلاما ، ولم يكن له مثيل في الأرض قاطبة ،
وقد كان أكبر من وقد كان يشبه الإله الفتي ، وقد وضعوه في المدرسة وتعلم الكتابة
بتفوق كما تعلم كل فنون الحرب ، وتفوق على أقرانه ممن هم أكبر منه سنا في المدرسة .

وعندئذ قال له زملاؤه : ابن من أنت ؟ إنك بدون أب . ثم سبوه وضايقوه قائلين : حقاً
إنك بدون أب .

وعندئذ قال الولد لأمه : ما اسم والدي حتى يمكنني أن أقوله لزملائي لأنهم يضايقوني
كثيراً بقولهم : ابن والدك ، وهكذا يقولون لي ويؤلموني .

عندئذ قالت والدته له : هل ترى ذلك الأغمى الذي يجلس بجوار الباب ؟ هذا هو
والدك . وهكذا قالت له .

عندئذ قال لها : كان خيراً لك أن تجمعي أقاربك حتى يطلبوا تمساحاً ليحاسبك (ليلتهمك) .
ثم أخذ الولد والده وأجلسه على كرسي ووضع مسنداً تحت قدميه ووضع أمامه خبزاً ،
وجعله يأكل ويشرب .

وعندئذ قال الولد لأبيه : من أعماك حتى أنتقم لك ؟ فقال له : إن أخي الصغير أعماي .
ثم أخبره بكل ما حدث له .

فذهب الولد لينتقم لأبيه ثم أخذ عشرة أرغفة وعصا ، وحذاء ، وقربة ماء ، وسيفاً ،
ثم أحضر ثوراً جميل المنظر وذهب إلى المكان الذي فيه راعي « الكذب » وقال له :
خذ هذه الأرغفة العشرة وهذه العصا وتلك القربة وهذا السيف وهذا الحذاء وارع هذا
الثور لي حتى أعود من المدينة .

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء كان ثوره قد أمضى عدة شهور مع قطع
ثيران « الكذب » .

وعندئذ ذهب « الكذب » إلى الريف ليرى ماشيته فرأى ثور الولد هذا ، وقد كان
جميلاً جمالاً فائقاً .

وعندئذ قال لراعيه : أعطني هذا الثور لآكله . فقال له الراعي : إنه ليس ملكي
وليس في مقدوري أن أعطيك إياه .

وعندئذ قال له « الكذب » : انظر . إن ماشيتي كلها معك . أعط واحدة منها صاحبه .

وعندئذ سمع الولد أن « الكذب » قد أخذ ثوره ، فحضر إلى المكان الذى فيه راعى « الكذب » وقال له : أين ثورى ؟ إنى لا أراه بين الماشية .

عندئذ قال له الراعى : إن الماشية كلها هنا أمامك . خذ منها ما يحلو لك .

عندئذ قال الولد له : هل هناك ثور كبير مثل ثورى ؟ فإنه إذا وقف فى « بالامون »^(١) ، فإن شعر ذيله يرتكز على سيقان^(٢) البردى (فى نهاية الدلتا) ، وقرنه على جبل الغرب ، وقرنه الآخر على جبل الشرق ، والنهر العظيم يكون موضع راحته ؛ ويولده ستون مجلا كل يوم .

عندئذ قال له الراعى : هل هناك ثور بالحجم الذى قتلته ؟ فأمسك به الولد وذهب به إلى المكان الذى فيه « الكذب » ثم أخذ « الكذب » إلى المحكمة فى حضرة للتاسوع .

عندئذ قالوا للولد : إنك على خطأ . إننا لم نر قط ثورا بالحجم الذى ذكرته .

عندئذ قال الولد للتاسوع : وهل هناك سكينه بالحجم الذى ذكرتموه ، سلاحها جبل « إيل » ، ومقبضها أشجار « فقط » ، وقرابها قبر « الإله » ، ورباطها ماشية « كار » ؟ وعندئذ قال للتاسوع : احكموا بين « الصدق » و« الكذب » لأنى أنا ابن « الصدق » وسأنتقم له .

وعندئذ حلف « الكذب » يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد الصدق حيا فلتعم عيناى الاثنين وأصبح حارس بيت « الصدق » .

عندئذ حلف الولد يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد حيا فأنهم سيفاقبون الكذب وسيضربونه مائة جلدة ، وسيجرحونه خمسة جروح بالغة^(٣) ، وسيعمون عينيه الاثنين ، وسيجعلونه حارس باب « الصدق » .

ثم إنه وبذلك انتقم الولد لأبيه ليحسم النزاع القائم بين « الصدق » و« الكذب » لقد أنت النهاية [طيبة]

(١) بلدة تسمى البلمون وتقع فى أقصى وسط شمال الدلتا .

(٢) اسم عام لمستنقعات شمال الدلتا .

(٣) هذا المقاب بنفسه هو ما نراه يوقع فى محاكم عصر الرعاسة كما نخبز نابذك الوثائق

قصة المحاسبة بين حور وست

ملخص القصة^(١) :

اشتد النزاع بين الأخوين « أوزير » و « ست » على عرش مصر ، فاغتال « ست » « أوزير » ، ولكن الحياة دبت ثانية في جسمه ، بفضل أخته « إزيس » فترك دنيا النذر وما فيها ، وهبط يحكم في العالم السفلي بعد أن نزل عن عرش مصر لابنه « حور » . ولقد كان من الطبيعي أن يبدأ النزاع من جديد بين « ست » و « حور » على العرش مرة ثانية ، فتشاحنا وتخاصما إلى محكمة الآلهة التي كان يرأسها الإله « رع » ، وكان « حور » يمتاز في عراكه بمدالة قضيته ، وپارته الشرعى ، وبمساعدة « إزيس » . وكان « ست » يمتد بقوته وجبروته ، ومماضدة الإله « رع » له . ومن ثم كانت الأحكام الأولية في هذه القضية في جانبه خشية بأسه ، وفوراً من أذاه ؛ حتى إذا ضاقت الحلقة ، وتضافرت الأدلة كلها ضده ، بعد تهديد « أوزير » « لرع » ومجلسه ، ولم يجد القضاة من الآلهة فرجة ينفذون منها إلى مناصرته ، أصدروا حكمهم في جانب الحق ، فأل ملك مصر إلى وارثه الشرعى « حور » .

وراسة القصة :

١ - مقدمة :

في عام ١٩٢٨ اشترى المستر « شستر بيتي » مجموعة من الأوراق البردية ، عثر عليها في « دير المدينة » الواقع في الجهة الغربية من النيل بالأقصر ، ويرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين والحادية والعشرين ، أى في عهد الرعامسة . وتعد من أكبر ذخائر الأدب المصرى القديم التي عثر عليها حتى الآن . والمرجح أن بعضاً من هذه الأوراق لا يزال مخبأً عند بعض تجار العاديات بالأقصر . ولقد أهدى المستر « شستر بيتي » ما اشتراه من هذه الأوراق إلى المتحف البريطانى ، وقام بترجمتها ونشرها في كتاب خاص الأستاذ « جاردنر » ، فرأينا من بينها وثيقة لها أهميتها الأدبية لما بدا لنا فيها من تجديد في عالم الأدب المصرى القديم ؛ ولذلك رأينا أن نمطها مزيداً من عنايتنا ، وأن نتناول عناصرها بشيء من الإطناب والتفسير :

٢ - فقر الأدب المصرى في الأساطير الدينية :

إن كل مشتغل باللغة المصرية القديمة يدرك أن القصص الخرافية التي ينحصر أبطالها

(١) الجزء الأول من الملخص مفهوم من القصة وإن لم يذكر فيها .

في محيط الآلهة وخدم قليلة أو نادرة ؛ فهذه متون الدولة القديمة والوسطى خالية من هذا النوع خلواً يثير دهشتنا ، على حين أن كل إله مهما كان مغموراً نرى لاسمه ذكراً في متون الأهرام ، أو في متون الدولة الوسطى التي كتبت على توابيت عليّة القوم بالمداد . وقد كان معروفاً ما علق بكل إله من الخرافات ، وما أذيع عنه من المعجزات فكان في تسطير اسمه ما يكفي لتذكير القوم بقصصه ووقائعه من غير حاجة إلى تطويل ، أو مزيد تفصيل وإيضاح . ولم يكن يخلو الأمر بين آونة وأخرى من ظهور ومضة تجلو بعض ما غمض من هذه الدنيا المليئة بالإبهام والإلغاز .

وكان أول ما وصل إلينا من قصص الآلهة ما وجدناه في كتب السحر وكتب الطب التي تحمل في تضاعيفها تعويذات سحرية ، ومن تلك : قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » ، وقصة إطفاء « إزيس » النار التي انغمس فيها ابنها « حور » (وقد وجدناها على لوحة « مآرنخ » الشهيرة) ، وقصة هلاك الإنسانية ، التي يحتمل أنها مقال عن أصل نشوء العالم والطوفان (وقد أوردناها في هذا الكتاب) ، وقصة غزوات « حور » (وقد وجدناها منقوشة على جدران معبد « إدفو ») ، وقصة أعمال « شو » بن « رع » الحربية العظيمة (وقد عثر على بعضها منقوشاً على مقصورة في وادي العريش) .

والقستان الأخيرتان وصلتا إلينا من نقوش عهد البطالسة أيام كانت الخرافات أحاديث السمار في المجالس ، ينسبونها إلى عهدها القديم ، ويتفكهون بها ، ويتندرون بوقائعها . أما قصة مأساة « أوزير » - ولها علاقة وثيقة بقصتنا - فقد كان مصدرها الذي يشفي الغلة ماورد عنها في كتابة « ديدور » الصقلي و « بلوتارخ » من مشهورى كتاب اليونان ، لولا ما دس فيها من العناصر الدخيلة التي شوهتها ، وإذاً فليس لنا مرجع لهذه القصة إلا نتف يسيرة مبثّرة في المتون المصرية ، وبخاصة الدينية منها والسحرية ، تبدو كالشعرات البيض في الفرس الأشهب ، وهي مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب .

وقد عزا بعضهم لإحجام « هيرودوت » عن وصف مأساة « أوزير » إلى أنه شمله رداء من الرهبة التي ألبسها المصريون أمام آلهتهم ، وأنه انساق في موجة الورع الديني التي جرفت المصريين ، فلم يشأ أن يخرج عن هذه الحال بذكر وقائع عن الآلهة قد تمس النعرة الدينية عند المصريين . وهذه الحجة مردودة بما قاله « إلامبليخوس » lamblichus^(١) : « إن

De Mysteriis, 6, 7; see Hopfner, Fontes historiae religionis. Aegyptiacae, P. (١) 501; and Porphyry, 1 oc. cit., P. 472.

المصريين وحدهم من بين أمم العالم كانوا معتادين تهديد آلهتهم^(١) . ولدينا في « متون الأهرام » وغيرها من النقوش المصرية ما يميز هذا الرأي ، وما يثبت أن المصريين لم يكن عندهم من سمو الشموه وعلو الوجدان نحو آلهتهم ما يخلق مثل هذا الجو القى يخشاه « هردوت » فيمتنع عن ذكر قصة أبطالها من الآلهة .

والقى نميل إليه أن العامل الحقيقى فى فقر الأدب المصرى من الأساطير الخرافية الدينية أو الإلهيات يرجع إلى سببين :

أولاً : أن هذا النوع من القصص الأدبية كان مألوفاً منتشرأً بدرجة عظيمة بين طبقات الأمة فى كل مراحل النمو الإنسانى من الطفولة والصبا والفتوة والرجولة والكهولة والشيخوخة ، بحيث أصبحت لا تحتاج إلى تدوين لأنها على كل لسان وفى كل قلب .

ثانياً : أنه كان فى نفوس القوم ميل غريزى إلى حب الكتمان ، فيحسون أن الألفاظ تكون أدل على الهيبة ، وأكسب للاحترام إذا كانت رمزاً أو إشارة أو كان مدلولها غامضاً . وهما يكن من الأسباب التى دعت إلى هذا الفقر فى هذا النوع من الأدب ، فلن المنشور على هذه القصة بهذا التفصيل كان كسباً للأدب المصرى ، ولوناً جديداً منه بدا للعلماء الأكاره . وقد تكون هناك أساطير إلهية أخرى خاصة كهذه بالآلهة وحدهم ، وليس للإنسان دور ولو صغير فى مسرحيتهم ، مخبأة فى جوف الأرض ولم يرض عنها النطاء بعد .

ومما يضفى على قصتنا أهمية خاصة غير التى كسبتها من موضوعها وأبطالها وممثلها أنها صورت لنا حياة البلاط الفرعونى وسياسته فى عصر خاص من عصور التاريخ المصرى كما سنورده بعد .

قصتنا ملحمة أوبية :

يقسم الفرنج الآن الشعر عادة إلى شعر غنائى وهو الذى يعبه الشاعر عما يضطرب فى قلبه من عواطف ، وشعر تمثلى وهو الذى يصور حادثة ويتصور لها أشخاصاً ينطق كلامهم بما يتفق وشخصيته وموقفه ، وشعر الملاحم أو الشعر القصصى وهو الذى يقال فى الوقائع الحربية والناقب القومية فى شكل قصة طويلة « كإلياذة هوميروس » و « شاهنامة الفردوسى » . ولكن الشعر عند قدماء المصريين فى بادىء الأمر غير ذلك ، فهناك الترون السحرية

H. Grapow, Bedrohungen der Götter in Zeitschrift für Agypt. Sprache, 49, (١)

48; Also A. H. Gardiner, art. Magic (Egyptian) in Hastings, Encycl. of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 265.

التي تتضمن تمويزات لها أثرها النافذ في نفوس القوم ، وتأثيرها القوي على عقولهم ، لما يظن من قدرتها على الإتيان بالمعجزات وخوارق الأمور ؛ وأحسن مثال لها ما جاء في « متون الأهرام » والنقوش المكتوبة بالمداد على توابيت الدولة الوسطى وغيرها من المتون التي ظهرت بعد هذا المهد . وهناك الأناشيد الدينية التي تصف الإله وأحواله وحياته ومنامراته ومعجزاته ، ومثال هذا النوع « أنشودة الإله أوزير » التي كتبت على لوحة زاهما الآن في متحف باريس^(١) ، وجاء فيها كيف حكم « أوزير » على الأرض ، وما أحاطته به « إزيس » من العناية ، وكيف ردت إليه الحياة بعد أن اغتاله أخوه « ست » ، ومن هذا النوع أيضا أنشودة الإله « آمون » العظيم ، وهناك المتون السحرية المختلطة بالخرافات ، ومثالها ما جاء في لوحة « مارتينخ »^(٢) التي نرى فيها الخرافة والتمويذات السحرية مختلطين ، ومن هذا النوع أيضا قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » وقصة هلاك الإنسانية ؛ وهناك الدراما ، وتختلف عما سبق بأنها وحدة متصلة ترمى إلى هدف معين وتدخل فيها الخرافة ، غير أنها تتميز معها وتنفى فيها فتبدوان شيئا واحدا ، وهي إما أن تمثل موضوعا حقيقيا له أصل تاريخي وإما أن تمثل موضوعا خرافيا يتصل بالآلهة ، وكلا النوعين يظهر للرأى في ثوب الحقيقة الواقعة . وبدأ هذا النوع أول ما بدأ بسيطا فكان الإنسان يمثل حادثة خرافية في صورة حقيقة واقعة يتخيلها هو ويجعلها ملموسة أمام النظارة ، ويكون هذا عادة في المآسي الدينية وغيرها كتمثيل مأساة المسيح عليه السلام أو مأساة أوزير ، وقد تدل الدراما على حادثة سياسية إلى جانب ناحيتها الدينية وتمثل أمام القوم في ثوب خرافة . ومثال ذلك « الدراما المنفية » التي يقال إنها ألقت في فجر اتحاد مصر ، فهي تمثل من جهة الاحتفال بتأسيس مدينه « منف » التي شيدها « مينا » ، ومن جهة أخرى لها مغزى ديني خاص بها^(٣) ، ولدينا نوع آخر من الدراما يمثل حوادث واقعة استعير لتمثيلها خرافة دينية رمزية ، ومثاله الدراما التي عثر عليها في « الرمسوم » ، وهي تمثل موت ملك في أوائل الأسرة الثانية عشرة (أمنمحات الأول) ، وتؤيخ ملك آخر (سنوسرت الأول) ، فقد استعير لتمثيلها مأساة موت « أوزير » ثم تؤيخ ابنه على عرش البلاد من بعده والانتقام لوالده ، وقد مثلت كلها برموز

(١) "Hymne d'Osiris", stele Bib. Nat. 20, Roeder, Urkunden zur Religion, P. 22-26

Müller, "Egyptian Mythology", P.P. 210, 211.

(٢)

(٣) وهو تمثيل قتل « أوزير » على يد « ست » ثم إحيائه على يد « إزيس » . ثم جعل « حور » يحكم البلاد جلة بعد أن كان الإله « جب » أعطى « ست » الوجه القبل و « حور » الوجه البحري وبذلك توحدت البلاد ، وهذا مغزى العيد الذي أقيم في « منف » التي أصبحت عاصمة البلاد وقد أسسها « مينا » لهذا الغرض

كانت تذكر أولاً ثم تتبع بتفسيرها . ومما تقدم نرى أن الخرافة قد ارتبطت بالحقيقة والحقيقة قد ارتبطت بالخرافة في قصص الآسي ، فقد تجد أن الخرافة تمثل الحقيقة ، كما تجد أن الحقيقة قد تصور الخرافة وتغير عنها ، فإذا ما انتهى هذا الارتباط إلى اتحاد تام واندماج كلي لا انفصام لمرآه فتبدو الحوادث الخرافية مثلاً مصورة في حوادث زمنية حقيقية ، كان ذلك نوعاً ممتازاً من القصص نسمح لأنفسنا أن نطلق عليه اسم « الملاحم » أو « الإيبك » ، فاللاحم كما عرفها الكاتب العظيم « جوليس » Jolles هي أن يأخذ الإنسان حادثة من الماضي^(١) ثم يلبسها صورة تجعلها تعيش في الحاضر ، وينطبق هذا التعريف أيضاً على « إلياذة هومر » لأنها قصص شعرى عن عصور ما قبل التاريخ وضعه « هومر » في صورة حية ناطقة تعيش في زمننا وستبقى حية ما بقي الشعر القصصى . وليس من الضروري أن تقتصر حوادث القصة على عصور ما قبل التاريخ ، بل قد تضم معها حوادث عصر تاريخى معين وتتألف من مجموعهما قصة واحدة متسقة .

على أن المصريين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى الحوادث الخرافية كأنها حقائق ثابتة واقعة ، لاعتقادهم بأن الوقت الذى سبق ظهور الإنسان كان عضراً حكمت فيه الآلهة وعاشت فيه بمفردها في دنيائها ، فلا فرق عندهم من هذه الناحية بين الحقائق التاريخية والخرافات الإلهية ؛ فتعد من الملاحم أمثال هذه القصص التى امتزجت فيها الخرافة والحقيقة وانصهرتا مما وصبتا في قالب واحد فنيت فيه شخصية كل من الزيجين فظهرتا في صورة واحدة لا يتميز فيها أحدهما . ومن هذا النوع قصة المحاصمة بين « حور » و « ست » ، إذ بينما نجد الحوادث فيها تجري على يد الآلهة وحدهم نرى ظل هذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخى معين وقع في مصر في وقت معين ، فإذا أبدلنا بالإله « رع » ومن مثل معه من الآلهة في هذه القصة ملكاً جاء في بداية الأسرة الثانية عشرة ومعه حكام الإقطاع ، رأينا أن هذه الرواية التى مثل للملك وحكام الإقطاع فصولها تنطبق تمام الانطباق على أختها التى كان « رع » وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها .

ومن الجائز أن تأخذ للملحمة صورة جديدة بما يضاف إليها ويلحق بها من حوادث تنشأ بعد عصرها وتتكون من الجميع وحدة متماسكة الأجزاء في صورة ملحمة ، وإن كانت في الواقع تتكون من عناصر مختلفة ، أولها حادث معين من عصور ما قبل التاريخ أضيف إليه

ثانيا حادث تاريخي يصف واقعة بذاتها ، ولحقت به ثالثا حوادث أخرى تناسبه جاءت في عصر غير عصره ؛ ومثال ذلك خرافة « حور » التي وجدت على جدران معبد « إدفو »^(١) ، فترى فيها أولا حوادث ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، وترى فيها ثانيا حادثة طرد المكسوس من مصر ، فيمثل « حور » المصريين ويمثل « ست » المكسوس ويطارد « حور » « ست » حتى يقذف به إلى الحدود الشرقية للدلتا ويطرده من بلاده . ثم ترى فيها ثالثا إشارة إلى غزو « الآشوريين » لمصر ، و « الآتيوبيين » و « الفرس » ، وإلى روح المداة التي ظهرت ضد الفرس في البلاد . كل ذلك يجمع في ملحمة « حور » التي كانت في أول أمرها كما قال الأستاذ « يونكر »^(٢) عنها : إنها نضال بين الشمس والظلام .

موقف « أوزير » في القصة :

كنا ننتظر من هذه القصة أن تمرض علينا في إسهاب أمر العداوة والنزاع بين « أوزير » و « ست » واعتيال ثانيهما لأولهما ، وعودة الحياة إلى « أوزير » بفضل أخته « إزيس » التي جمعت أشلاء من مظانها ، وتزول « أوزير » إلى العالم السفلي حاكما فيه بعد أن نزل لابنه عن عرش مصر . ولكن القصة أغفلت كل ذلك وجاء استهلالها مطالبة « حور » بمرش والده الذي كان ينازعه فيه « ست » عمه . وما يسترعى النظر أننا نجد في صلب القصة « ست » يدعى مرة أنه الأخ الأكبر للإله « حور » وأخرى يظهر في ثوب المم . وقد اختفى « أوزير » في طول مراحل القصة وتناوب أهم الأدوار فيها « رع » و « إزيس » ولم يظهر « أوزير » إلا في نهاية المطاف عندما كتب إليه « رع » سائلا أن يمه برأيه القاطع في هذا النزاع المحتدم بين ابنه وأخيه ، فيجيب « أوزير » بصفته حاكما للعالم السفلي بأن يعطى ابنه العرش ، معددا للإله « رع » الذي كان ظهيرا « ست » في كل أدوار النزاع فضله على العالم الذي خلق له القمح غذاء . ولكن « رع » لكون هواه في جانب « ست » يسخر منه في الرد عليه ، وعندئذ يبدى له « أوزير » ناجذيه مهددا « رع » وحاشيته بأشد أنواع العقاب ، وأنه سيصلبهم نار جهنم خالدين فيها أبداً لأنه حاكم العالم السفلي ، والسيطر على كل قواه ، وسيحشر الناس إليه أجمعون . وإذا تكلمت الأسياف أنصقت العقول والقلوب ، فهذا

(١) Kees. Kultlegende und Urgeschichte, Nachr. d. ges. d. Wiss d. z. راجع (١)
Gottingen, phil hist. Klasse 1930. s. 345 — 362.

(٢) Junker : Onurislegende P. 20, 38, 118. راجع (٢)

« رع » وأتباعه يصدعون لرأى « أوزير » ويحكمون بما قال .
وفي اعتقادي أن هذه الخاتمة دعاية للآله « أوزير » وديانته ضد الإله « رع » وديانته
التي بلغت أوجها في عهد الرعامسة .

موقف الولد « رع » :

لقد كان موضوع النزاع أمراً مفهوماً ، لا يختلف اثنان في أن الحق والمعدل يقضى
« لخور » على « ست » ، فيمتع بميراثه الشرعى ، ويجلس على عرش أبيه . ولكن « رع »
ذلك الإله العظيم كان في جانب « ست » دائماً ولم يكن يحد من غريبه أحياناً إلا ذلك المجلس
الذى كان يماونه على نصرته المدالة وهو مجلس الآلهة ، فكان هوى هؤلاء المستشارين في
جانب الحق غالباً مما غاظ « رع » ، وكان أقوام وأصلبهم في نصرته الحق ومعارضة
« رع » في موقفه الإله « تحوت » مع أنه معتبر في الأساطير الدينية وزيره . ولا يمكننا أن
نفسر موقف « رع » في هذا النزاع إلا أنه موقف سياسى أملت عليه الضرورة . وإذا
تدخلت السياسة في أمر أفسدته ، أو في قضية حجت الحق والمدالة والقانون ، وحكمت
للقوة والسلطان ، وليس من علاج لثل هذه الحال إلا المكر والخداع ، وهذا ما كان في هذه
القصة ، إذ أن « إزيس » والدة « حور » عندما رأت العرش يوشك أن يفلت من يد
ابنها أخذت تستعمل حيلة المرأة ودهاءها وخداعها باذلة ما تستطيع براً بابنها وحدا عليه .

وإن « رع » الذى كان يحكم العالم ويحمل كل الألقاب الملكية الفرعونية كان بين أمرين
أحلاماً مراً ، فإما أن يجمل « ست » يفوز بالملك لأنه أثير عنده أو انقاء لشره ، وهذا ظلم
سيلتصق باسمه ، فهو يخافه كما يخاف معارضة مجلس الآلهة الذى كان ينظر معه في أمر هذا
الخصام ، وإما أن يجمل الأمر « لخور » وهذا لا يطاوعه عليه هواء ، وقد يتعرض بسببه
لغضب « ست » البطاش الجبار ، فكان لذلك دائم التردد لا يحسم النزاع ولا يتخذ فيه رأياً
قاطعاً ، فيعقد مجلس الآلهة ثم يفرضه بعد مناقشة قصيرة لا تصل إلى حد الحكم الفاصل . وإذا
قضى المجلس « لخور » رفض « ست » ما قرره وبدأ المناقشة من جديد كما حدث في أول جلسة ،
ومع كل هذه التيارات النفسية فإنه كان يضطر في بعض الأحيان إلى تجاهلها إذا كانت الحجج
دامغة تأخذ بتلابيبه ، ولا يستطيع أن يجد فيها منفذاً لتحقيق رغبته ، كما حدث عندما احتالت
« إزيس » على « ست » وجعلته يحكم على نفسه من غير أن يدري حقيقة مراميها ، فلم يجد
الإله « رع » حينئذ بداً من أن يقول له : « لقد حكمت على نفسك بنفسك ، ولا مفر من أن

يسلم التاج لصاحبه . ولكن «ست» لم يقتنع ، وطلب مبارزة « حور » ليهرب من حكم « رع » واضطرت السياسة « رع » أن يخضع لطلب « ست » مرة أخرى ؛ ومع موقف « رع » هذا الذى وقفه فى هذه المحاصمة كانت مكانته محفوظة ، وكان احترامه مفروضاً ، حتى إن الإله « باني » عندما تناول عليه أمام الناسوع وقال له : « إن محرابك خلو من المتعبدين » ، ويكنى بذلك عن ضعف شوكته ، وأنه لا أنصار له ولا أتباع . لم يطق الناسوع أن يسمع هذا القذف وطرد الإله « باني » من المجلس عقاباً له وترضية للإله « رع » . وتصف المتون المصرية « رع » بأنه الإله الأعلى لا ينازعه فى سلطانه منازع ، وأن قوله القول الفصل ، وأنه المنتصر على كل عدو ، ولا تقف أمامه أى عقبة . ومن أجل ذلك نعتقد أن الدور الذى لعبه فى قصة المحاصمة بين « حور » و « ست » إن هو إلا دور رمزى ، أو بعبارة أوضح أن « رع » هنا فى هذه القصة كان يمثل شخصية تاريخية ، وأن القصة نفسها صدى لحادثة تاريخية بعينها ، ولا غرابة فى هذا فإن الدور الذى مثله « رع » وأعانه عليه من حوله من الآلهة يحكى قصة رمزية لبلاط ملكى على رأسه ملك توجهه حاشيته ومجلس إدارة بلاده حسبما يريدون .

موقف إزيس :

قلنا فيما سبق إن هذه القصة اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة ، وكان من هذا المزيج وحدة متماسكة الأطراف ، وإنها تعتمد على أصل تاريخى . ومن هنا نستعرض فيها حوادث خرافية ممتعة تعطيلها حلاوة وقوة ، فتبرز فيها النواحي الإنسانية سائرة فى إخاء تام مع خوارق الأعمال التى تأتيناها الآلهة فتساعد على الوصول إلى الهدف المقصود . وقد قام بتمثيل الدور الخرافى فى معظم نواحي القصة الإلهة « إزيس » ، وبذلك لم تحرم قصتنا أن تقوم المرأة بدور ممتع فيها ، يمثل القدرة والمهارة والمكر والخداع وإحكام الأحابيل ، حتى وصلت بهذه العدة إلى ما لم يصل إليه مجلس الآلهة والقانون والشرع . ومبدأ ظهورها فى هذا الدور العظيم حينما خاف بأسها « ست » وأحجم عن الاشتراك فى مجلس الآلهة لأنها عضو فيه وتحضر اجتماعاته ، وقد انصاع المجلس لأمره ، وانتقل إلى « جزيرة الوسط » ليستأنف النظر فى موضوع (وظيفة الملك) وحظر على النوتى « عنتى » أن يعبر بها إلى تلك الجزيرة التى اختاروها مكاناً لاجتماعهم . وعندئذ بدأت قدرة « إزيس » على تمثيل دورها تظهر ، وقد آلت على نفسها ألا تترك « ست » حتى يقر على نفسه ويشهد لابنها بعدالة مطلبه ، فترأت أولاً فى صورة عجوز شواء قوست ظهرها السنون ، وأغررت « عنتى » النوتى حتى عبر بها إلى جزيرة الوسط حيث كان الآلهة مجتمعين ، وقدمت له

في بادئ الأمر رغيماً أجراً له على مخالفة ما أصدره إليه الآلهة من الأوامر فأبى ، فلما رفعت المطاء إلى خاتم من الذهب لم يقو «عنتى» على مقاومة هذا الشفيح النالى وأخذ يبريقه فاندفع بمبر «إيزيس» إلى الشاطئ الآخر ، وهناك خلعت رداء الشيخوخة المزرى ولبست ثوب الكاعب الحسناء ترفل في أتوابها المهفافة ، فجذبت نظر «ست» إليها وهو جالس في مكانه بين الآلهة ، فخله في حبها وبدأ قلبه يتحدث في أمرها ، فسعى إليها بمعنى نفسه بقنيصة يتمتع بها ، وهنا مدت شراكما إليه فوق وقع فيها راضياً سعيداً ، قالت له : « إن زوجي قد مات ، وترك لى ابناً وحيداً يرعى ماشية والده ، وجاء أجنبي فأكرمه ، ولكنه ضرب ابني وأراد أن يقتصب ما نملك من الماشية (واستعملت في تعبيرها عن الماشية كلمة « يات » ، ولهذا الكلمة معنى آخر هو « الوظيفة » ، وبذلك استفادت من هذه التورية في تسجيل ما فاه به « ست » بمد) . فقال « ست » : « وكيف يمكن ذلك وابن الرجل لا يزال على قيد الحياة ؟ فلا بد أن تغفل الماشية (الوظيفة على المعنى الآخر للكلمة) لابنك » . وما كادت تسمع هذا الاعتراف الذى أراده وقصدت إليه من أول الأمر حتى فرحت وانتفضت فصارت حدأة طارت وحطت فوق شجرة وقالت « لست » : انع نفسك الآن فقد حكمت عليها بفمك ، فإن الماشية (يات) ليست إلا وظيفة الملك التى تسمى لاقتناصها من ابني « حور » ولما قص « ست » هذه الواقعة على « رع » لم يسمعه إلا أن يحكم « لحور » بملك والده راضياً أو ساخطاً .

ولم ينته دور « إيزيس » بذلك ، بل قامت بمغامرات أخرى في الزال الذى قام بين « حور » و « ست » وفي إرجاع بصر « حور » إليه عندما أعماه عمه ، ثم في إنقاذ ابنها من وهدة السقوط والفحش التى دبرها له « ست » ، بل قلبت القضية وجعلت البئر تستقبل من حفرها لأخيه ، فوضعت نطفة « حور » على شجرة الخس التى اعتاد « ست » أن يأكل منها فلصقت به الرذيلة وانكس عليه الحكم .

موقف الور « ست » :

يلاحظ في قصتنا أن الإله « ست » كان غيباً أعمته شهوته فاندفع وراءها ، ووقع في حبال « إيزيس » ، وكان من جهة أخرى قوياً عنيداً يريد أن يصل إلى أغراضه ، إما بالوعيد الإجماعى ، فقد هدد الآلهة بأن يقتل كل يوم واحداً منهم إذا وقفوا في سبيله ، وإما بالحيل الدنيئة ، وذلك عندما أراد أن يأتى الفاحشة مع أخيه « حور » حتى يسقط من قدره فلا يصل إلى الملك . وإن الدور الذى لعبه في هذه القصة كان الدور الذى يلائم شخصيته في كل أطوار

التاريخ المصرى تقريباً ، فإنه كان يمثل الشر والفدر والظلام . وقد أبرز في هذه القصة يده على الإله « رع » فإنه كان حاميه من الثعبان « إبوى » ، وقد ذكره بهذه المنة ليكون في جانبه عند القضاء . وإذا جملنا الإله « ست » رمزاً لشخص تاريخى فإن ذلك الشخص التاريخى الذى يرمز إليه « ست » يكون حاكم إقطاع من الذين كان لهم نفوذ عظيم في بداية الأسرة الثانية عشرة .

وقد كان « ست » في عهد الرعامسة أو بمباراة أخرى في عهد الدولة الحديثة يعتبر إله الحرب والقوة ، وقد تبددت بعضى المدة شهرته السيئة الماضية ، وكان كذلك معتبراً إله البلاد الأجنبية ، ولذلك وصت الإلهة « نيت » بأن يزوج من الإلهتين « عنات » و « عشتارت » وهما إلهتان أسيويتان . ورى في آخر الأمر أن « رع » رغب في النهاية أن يتخذه ابناً له يعيش معه ويكون إله الرعد في السماء . وفي ذلك ما يشير إلى أن « رع » قد انحاز إلى « ست » في النهاية حتى بعد أن غلب على أمره ؛ لأنه عدو « أوزير » الذى كانت له السيادة والكلمة العليا في ذلك الوقت ، وبذلك أصبح « ست » يسكن مع « رع » في السماء وترك العالم السفلى « لأوزير » يحكم فيه كيف يشاء .

موقف الإله تحوت :

إن الدور الذى قام به الإله « تحوت » (إله العلم والعرفان) خليق به ؛ فقد كان ينوب عن التاسوع في أعماله ، فهو الذى قدم العين المقدسة (أى مصر) للاله « رع » ليقرر مصيرها ، وهو الذى ألف الرسائل التى تبودلت بين « رع » من جهة وبين الإلهة « نيت » والإله « أوزير » من جهة أخرى ، وهو الذى حكم في نداء النطفة عند ما ادعى كل من « ست » و « حور » الغلبة له على قرنه ، وقد كوفى على عمله هذا بوضع القرص الذهبى الذى خرج من جبين « ست » على جبينه ، وبواسطة هذا القرص أخذ تحوت بالإله القمر ، لأن ذلك القرص كان يمثل القمر نفسه ، على أن هناك رواية أخرى جاء فيها أن القرص الخارج من جبين « ست » هو الإله « تحوت » نفسه الذى كان يمثل القمر . ونجد في المتون الخرافية شيئاً آخر غريباً هو أن تحوت أو القمر ولد للإلهين « حور » و « ست » ، وهذا هو الحادث الوحيد الذى نسمع فيه أن الذكرين قد تناسلا . ولكن الخرافة في الواقع تخفى في ثناياها ظاهرة طبيعية هى النضال بين النهار والليل أو بين النور والظلام ، والذى انتهى بتغلب النور على الظلام لخلق القمر الذى شد من أزره . ولما كان المصرى لا يعرف المنويات صور هذا

النضال بحسبات وحقائق ملموسة ؛ « خور » وهو النور قد تغلب على « ست » وهو الظلام بالتلفيح فنتج من ذلك القمر الذى أصبح بضئ الكون ويبدد دياجير الظلمات .

الموقف التاريخى الذى نروضه القصة :

قد أشرنا من قبل إلى أن لهذه الملحمة أصلاً تاريخياً توضحه وتشير إليه ، وعلينا أن نوضح الآن هذا الأصل التاريخى الذى تمثله ، والمصر الذى بدأ فيه .

إن « رع » يمثل شخصية الفرعون ، وآلهة التاسوع يمثلون مجلس بلاطه ، ومظاهرة « رع » « لست » على « حور » صاحب الحق الموروث تعنى رغبة فرعون فى تنصيب أحد عظماء قومه فى وظيفة حاكم متخظياً بذلك قانون الوراثة الذى تسير عليه البلاد . وما دمتنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فإنه يسهل علينا أن نعرف المصر الذى رمز إليه هذه القصة ؛ فإن موقف فرعون الذى شرحناه من أحد عظماء القوم لم يحدث إلا مرة واحدة فى تاريخ مصر ، وذلك فى المهد الذى تلا سقوط الدولة القديمة ؛ فإن أمراء الإقطاع قد ازداد نفوذهم ، وصارت المقاطعات التى يحكمونها كأنها ضياع لهم ، يستغلونها فى حياتهم ، ويورثونها أبناءهم بعد مماتهم . ولما جاء ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ووجدوا أن قوة هؤلاء الأمراء عظيمة إلى حد بعيد ، اضطروا أن يسلموا بالأمر الواقع . وبذلك اعترفوا بقانون الوراثة فى تلك المقاطعات ، ولكنهم أخذوا يعملون على هدم هذا النظام شيئاً فشيئاً بتنصيب حكام موالين لهم على تلك المقاطعات والقضاء على الأسر الوراثية كلما مكنتهم الفرص من ذلك . وأكبر دليل على أن هذه السياسة قد نفذت ونجحت هو نقصان عدد مقابر أمراء الإقطاع فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وإن كان محو هذا النظام جملة كان بطيئاً وشاقاً ، ولم تظهر بوادره إلا فى عهد « سنوسرت » الثالث . وقد أراد أحد الفراعنة جرياً على تلك السياسة التى استنوها لأنفسهم أن ينصب حاكماً قويا ممن يثق بهم على إحدى المقاطعات بدلاً من آخر يستحقها بالوراثة ؛ فقام هذا المراك بين الاثنين ، فصوّر ذلك بصورة « رع » يماضد « ست » فى الخصام الذى جرى بينه وبين أخيه على وظيفة الملك التى آلت « حور » بطريق الوراثة ، ويريد « ست » ويمضده فى تلك الإرادة « رع » أن يجعلها لنفسه بالقوة والجبروت . فإرت « أوزير » الذى كان يستحقه « حور » يُفسّر هنا بمقاطعة ، وإذن فليس الشجار الذى أماننا واقعاً بين « حور » و « ست » بل بين الملكية وبين حكام المقاطعات الوراثيين فى بداية الدولة الوسطى ؛ فهى قصة تشرح فى

طياتها موقفاً سياسياً تاريخياً يدور حول ما كان يلاقيه الملك في ذلك الوقت من الصعوبات ، وما كان لأمرء المقاطعات من القوة والبطش .

وهناك موقف آخر في القصة نستطيع أن نجد له مقابلاً يفسره في الأصل التاريخي الذي نتحدث عنه ، ذلك أن « ست » قد أصبح من أصدقاء « رع » مناقضاً بذلك الحقائق التي وردت في الخرافات المصرية . ولقد برر « ست » هذه الصداقة التي جمعت بين الاثنين مع اختلافهما بقوله : « ماذا حدث لي ؟ ! إني « ست » أعظم الآلهة قوة ، فأنا الذي أقتل عدو « رع » كل يوم لأنني أقف في مقدمة سفينة الملايين ، على حين أنه لا يوجد إله آخر في قدرته أن يعمل هذا ، ولهذا أرجو أن تسلم إلى وظيفة « أوزير » ... الخ » . وترجمة ذلك بلغة الواقع أن ذلك الحاكم الذي كان يعضده الملك كان يقوم بدور سياسى مستتر لمساعدة الملك على تعزيز ملكه وبناء سلطانه ، ومن ثم زكاه الملك بدوره ليتقلد هذه الوظيفة .

ونرى كذلك مشهداً آخر في القصة يترجم عن حقيقة تاريخية ؛ ذلك أن « ست » كانت له مكانة عالية بين أعضاء مجلس الآلهة ، فكان يعامل معاملة حسنة ، وكان في الوقت نفسه لا يباه بهم ، بذلك على ذلك أنه لما غضب منهم مرة قال لهم مهدداً : « سأخذ سيفي الذي وزن ٤٥٠٠ رطل وأقتل به واحداً منكم كل يوم » . وترجمة ذلك أن من تسول له نفسه من حكام المقاطعات أن يقوم بعمل عدائى ضد الملك فإنه مستعد لإبادته .

ومما يدل على علاقة « ست » الوثيقة بالإله « رع » ما جاء عند تبادل الآراء بين « رع » والإلهة « نايث » التي كانت تعتبر أمّاً للأله « رع » نفسه عندما سألها عن رأيها في مصير تلك الوظيفة التي تشاخن الاثنين عليها إذ قالت : أعط ابن « أوزير » الوظيفة ، ولكن في الوقت نفسه ضاعف أملاك « ست » وأعطه ابنتيك « عنات » و « عشتارت » . فلم هذا الإكرام كله « لست » ؟ وما سبب تلك الخطوة التي جعلت أم « رع » تسمى لترضية « ست » وإعطائه ما يعوضه عن التركة التي ينشدها ؟ السبب واضح وهو أن « ست » هذا ليس إلا الحاكم الذي يفضلته الملك أميراً للمقاطعة ، وأنه ما دام قد التوى عليه القصد فلم يقدر أن ينصبه في المركز الذي طمح إليه فلا أقل من أن يعوضه عن ذلك غنى وجاهاً تطيباً لخاطره ، وجزاء لما قدمه للملك من أجل الخدمات . على أننا نلاحظ هنا شيئاً ، فإن ذكر إعطاء « عنات » و « عشتارت » « لست » لا يمكن أن يتفق مع تاريخ الدولة الوسطى الذي تنسب إليه قصتنا . وليس من البعيد أن تكون تلك الفقرة دخيلة على القصة أصيغت إليها في العصر الذي كتبت فيه حينما كانت مصر على اتصال وثيق بالأمم المجاورة التي كانت تمسك فيها هاتان الإلهتان ،

وهذه ظاهرة مجددها في كثير من القصص المصرية ، فلقد وجدنا في خرافة « حور » المنقوشة على معبد « إدفو » حوادث ترجع كذلك إلى أقدم عهود التاريخ المصري ، ومع ذلك قد دس عليها وأضيف إليها حوادث ترجع إلى عهد الهكسوس وغيره .

وقد يظن القارئ أن تشبيه إرث « أوزير » بمقاطعة مع أنه كان ملكاً على مصر كلها غير صحيح أو غير دقيق ، ولكن إذا علمنا أن « رع » هو رب العالم كله كما كان يلقب بذلك ، كانت مصر من غير شك بالنسبة إلى هذا العالم الفسيح كمقاطعة من مقاطعاته ، فالتشبيه محبوك من كل أطرافه^(١) ، كما أن المرتبة التي كان يسمى إليها وارث « أوزير » قد أطلق عليها في القصة « حك » وهي وظيفة حاكم المقاطعة ، والتميز عنها بكلمة (وظيفة) لا شك أنه مقصود حتى يفهم القارئ أن هذه وظيفة تقلد لا تركة تورث ، لموقف البلاد السياسي الذي سبق شرحه . وقد لحنا في القصة بمض التناقض ، فهذا « رع » يسمى نفسه مرة « رب العالمين » وأخرى « الملك الطيب لمصر » ، وهذا مجلس التاسوع يطلق عليه أحياناً مجلس الثلاثين .

مجلس الثلاثين :

ومجلس الثلاثين ، وقد يسمى مجلس الثلاثين العظام ، يضم الحكام الذين كانوا يديرون دفة البلاد في عهد الحكم الإقطاعي ومنهم يؤلف مجلس البلاط ، وقد خلف مجلس الثلاثين مجلس العشرة العظام للوجه القبلي ، الذين كانوا يتولون أمور البلاد في عهد الدولة القديمة ، وفي ازدياد أعضاء هذا المجلس الذي أنشئ لمساعدة الملك وللحد من سلطان حكام المقاطعات قومية لهم ، وعون على تعزيز الأداة الحكومية ، وداعية إلى القبض على ناصية الحال في طول البلاد وعرضها ، لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون في الوقت نفسه حكاماً للأقاليم ، وسادت هذه الحال في العهد الإهناسي وعهد الأسرة الحادية عشرة ، وهي الفترة التي طفت فيها سلطة حكام الأقاليم واستمرت إلى أوائل حكم الأسرة الثانية عشرة . وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك في مختلف المقاطعات ، غير أنه استبدل بهم حكاماً انتخبهم بنفسه . وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطاناً قاهراً في أوائل عهد الدولة الوسطى ، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال في كل مرفق من مرافق الدولة ، ولقد كان له هذا السلطان في قصتنا أيضاً ، فقد رأينا أن التاسوع كان يفصل في الأمور الخطيرة ، وكان يحد من سلطة الفرعون . وهذا المجلس

(١) ويمكننا تفسير هذا الموقف بصورة أخرى وهي أن « بتاح » كان والد كل من « أوزير » و « رع » ، وأنه خالق كل شيء . أي أن العالم كله تحت سلطانه فلا غرابة إذا أعطى « ست » جزءاً من مصر و « رع » الجزء الآخر (انظر ص ١٤٣ هامش رقم ٣) .

بمينه كان يسمى « قنبت » أى المجمع ، ولقد عرفنا تكوينه من نقش وُجد فى « حاتنوب » القرية من ملوى ، جاء فيه عن أمير مقاطعة « الأرنب » (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمى « نَحْرَى » الأول ما يأتى : « وقد اجتمع للتشاور مع المجمع « قنبت » دون أن يعرف ذلك أحد ، وقد كان البلاط منشراحاً للآراء التى أدلى بها ، وقد كان من الرجال المخلصين ، وقد كان يأتى إليه (المجلس) الحكام (حكام المقاطعات) من الوجه القبلى . والظاهر أن اجتماع المجلس هذا كان سرى كما يدل على ذلك سياق الكلام ، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة العدو ولتسيير دفة الحرب فى الجنوب . ويمكننا هنا أن نجد وجه شبه بين مجىء « نَحْرَى » إلى هذا المجلس ، وندب الإله « با » من بلدة منديس (تل الربع الحالية) لحضور مجلس الآلهة .

أوزير والعهد الإقطاعى :

جاء فى الأساطير المصرية فى الفصل الخامس والسبعين بمقد المائة من كتاب الموتى أن « أوزير » كان إلهاً فى صورة ملك ، وقد تناول الأستاذ « كيس »^(١) هذا الفصل من كتاب الموتى بالبحث ، واستخلص منه أن « أوزير » كان الإله الرسمى عند تأسيس الملكة الإهناسية فى خلال الأسرة العاشرة ، وعلى ذلك كانت تعتبر هذه الملكة ملكاً « لأوزير » فى العهد الإقطاعى ، ومن هنا نجد النواة التى نبتت منها فكرة قيام مملكتين متجاورتين لكل منهما ملك مستقل ، كما نجد صدى ذلك فى قصتنا ، فكان « رع » يحكم فى طيبة و « أوزير » يحكم فى « هيرا كليوبوليس » (أهناس المدينة) وذلك قبل توحيد البلاد على يد « أمنمحات » الأول . وبهذا كان « أوزير » يمثل فى قصتنا مملكة « إهناس » . والواقع أن هذه المقاطعة فى هذا العهد الذى وصلنا إلى معرفته كانت من أقوى المقاطعات ، وكان الحاكم عليها صاحب صولة وسلطان يخشى جانبه وترهب سطوته ، ومن هنا كانت كلمة « أوزير » فى قصتنا فصل الخطاب .

ولقد قلنا إن هذه القصة تمثل حقائق تاريخية سياسية . فهل يتماشى ذلك مع يحدث ملك إلى الأحياء وهو فى عالم الأموات ؟ والجواب ما قلناه من أن الملاحم المصرية تجتمع فيها الحقيقة مع الخرافة ، ويتكون من المزيج المنصهر وحدة ترمى إلى هدف معين وهذا ما نراه هنا . ومما يدل على أن هذه القصة لم تكتب فى عصر الرعامسة إغفال ذكر اسم الإله « أمون » مع أن كاتب القصة يقول : إنها كتبت فى طيبة فى عهد رمسيس الرابع ، أى أيام أن كان الإله « أمون » هو الإله الأعظم للدولة ، فلو كانت قصتنا قد كتبت فى عصر الرعامسة لجاء ذكر « أمون » كما جاء فى أنشودة « أمون » العظيمة الموجودة بالمتحف المصرى ، والتى يرجع

تاريخها إلى عصر الدولة الحديثة والتي قالت : إن « أمون » كان القاضي فيها نشأ بين « حور » و « ست » من النزاع .

ومما يجب ذكره أن وصف بلاط « رع » في القصة ينطبق على حاله أيام العهد الإقطاعي وأوائل الدولة الوسطى ، فنشاهد أن إدارة الملك لم توطد في مقر واحد ثابت ، بل كانت تنتقل من مكان إلى مكان ، وقد رأينا هذه العادة في أهرام ملوك الأسرة الثانية عشرة مما يدل على أن قصتنا ليست من المصور الحديثة وأنها كما أثبتنا ذلك في مناسبات مختلفة ترجع إلى العهد الإقطاعي . وإذا بحثنا الأمر من الناحية اللغوية ، وجدنا في القصة تسميات وأساليب لا يحدقها كتاب عهد الرعامسة ، وتدل بمميزات على أنها من عهد الدولة الوسطى ، وهذا الموضوع يهم طبعاً بصفة خاصة المشتغلين بأمر اللغة المصرية القديمة . ومن شاء التوسع فيه فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ « جاردنر » ثم الأستاذ « سبيجل » في هذا الموضوع في المراجع التي أشرنا إليها . على أنا نكتفي هنا بالإشارة إلى الموقف الذي حاول فيه « ست » أن يعتدى على « حور » اعتداءً منكراً ، فقد جاء هذا الحادث في ورقة « كاهون » (Heiratic Papyri From Kahun Vol. I Pl. I — III & Vol. II P. 4.) وفي كتاب الموتى في الفصل الثالث عشر بعد المائة . وترجع أقدم رواية لها إلى الدولة الوسطى في متون التوايت التي نشرها « لأكو » ، وكذلك نجد محاربة « ست » و « حور » متشككين في صورة جاموس البحر قد جاء ذكرها في ورقة « ساليه » رقم ٤ ، ويحتمل أنها من هذا العصر . ونجد أيضاً خرافة قتال « ست » للشعبان « أبوي » عدو إله الشمس في كتاب الموتى في الفصل الثامن بعد المائة ، ويرجع أصلها إلى نقوش الدولة الوسطى (انظر (Sethe A. Z. 59. P. 77 ff.) ، كما رى قصة « أوزير » ومملكته التي وعد أن يحكم فيها والتي كان منشؤها أهناش المدينة في العهد الإقطاعي قد وردت في كتاب الموتى في الفصل الخامس والسبعين بعد المائة ، ويرجع أصلها كذلك إلى الدولة الوسطى . ومن كل ما تقدم يمكننا أن ننسب قصتنا إلى الدولة الوسطى ، ولا ينع هذا أن يكون الكاتب الذي صقلها قد أسبق عليها سمة أساليب عصر الرعامسة .

أسلوب القصة ولغزها وطريقة أسرارها :

نلاحظ في أسلوبها البساطة التي انحطت إلى حد الابتذال والتعبير بلغة العامة . وهذا عين ما نجده في أساليب الدولة الحديثة ؛ ذلك إلى أن مفردات القصة قليلة في عددها ، عادية في نوعها ، إذا استثنينا بعض ألفاظ وتراكيب أغفلها كاتب عهد الرعامسة الذي صاغ القصة

من جديد ليظهرها في ثوب يلائم عصره ، وأكثر التعبيرات سداجة ما جاء على لسان «ست»
«لرع» يقص عليه ما دار بينه وبين «إزيس» من الحديث . وفي نسج القصة تكرار ممل
دفعنا واجب الأمانة إلى تسجيله كما رأيناه . كما أوردنا الألفاظ المكشوفة في صورة تهدي
القارئ إلى ما أراده منها وأضع القصة .

وبين أسلوب هذه القصة وأسلوب قصص الدولة الوسطى الرائع فرق كبير يتضح جليا
إذا قرنتها بأخرى من إنتاج هذا العصر كقصة «سنوهيت» مثلا ، وكذلك نجد بينها وبين
كتابت عصر الرعامسة فارقا كبيرا نلمسه إذا قستها بالخطاب الوارد في ورقة أنستاسي
الأولى وسنوردها بعد .

ولابد أن يكون القاص لقصتنا هذه قد أراد أن تكون غذاء للعامة فأنحدر بأسلوبها إلى
مستواهم كما يفعل قاصو القرى الآن في مجالس الفلاحين . ومن هذا النوع قصة الملك «خوفو»
والسجرة ، وقصة الأخوين ، وقصة الأمير المسحور ، وغيرها ، وقد تشابهت في طريقها
وأسلوبها وكثير من تعبيراتها . وقصتنا من ناحية أخرى متصلة الحلقات تسير في سردها إلى
نتيجة منطقية ناجحة .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القصة هو الأستاذ جاردنر ثم كتب عنها سبيجل الألماني .

وهاك المصادر :

(1) Gardiner, "The Chester Beatty Papyrus No. I," p.p. 8 — 26, Pls I — XVI.

(2) J. Spiegel, "Die Erzählung vom streite des Horus und seth in Pap. Beatty I".

(3) Blackman, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. 19, 1933, p. 200 f.f.

(4) Gardiner, "Late Egyptian stories", p.p. 37 — 60.

من القصة :

[لقد حدثت] المحاكمة بين «حور» و «ست» صاحبي الصورة الخفية ، العظيمين ،
وأكبر أميرين وجدا .

جلس الطفل^(١) أمام رب العالمين^(٢) ، مطالبا بوظيفة والده « أوزير » صاحب الطلعة البهية ، [وابن] « بتاح »^(٣) ، والذي ينير [أرض الغرب] بضوئه ، على حين كان الإله « تحوت » يُقَرَّب العين^(٤) [المقدسة] إلى الأمير الجليل في « عين شمس » . (أى إله الشمس) .

ثم تكلم « شو »^(٥) بن « رع » أمام [آتوم] الأمير العظيم في عين شمس وقال : « إن المدالة هي رب القوة فنفذهها بقولك : « أعط الوظيفة (أى وظيفة الملك) إلى « حوز »

(١) يقصد بالطفل هنا « حور » ، وقد كان المتباد أن يقف العاكي في المحاكم المصرية أمام المحكمة ليقدم شكايته ، ومن المحتمل أن « حور » قد مثل هنا جالسا لأنه كان طفلا صغيرا لا يقوى على الوقوف ، وسنرى في سياق القصة أن « رب العالمين » يقول له « إنك ضعيف الأعضاء وأن وظيفة الملك لهذا السبب كبيرة عليك » ، يضاف إلى هذا أننا نفاهد تحتال « حربوخراد » أى حور الطفل جالسا على حجر أمه « إزيس » .

(٢) المعنى الحرفي « لرب العالمين » هو « الرب إلى النهاية » وهذه التسمية تحتل المسكاة الثانية للدلالة على اسم إله الشمس في هذا المتن وقد وردت ٢٠ مرة . أما الاسم الذى يحتل المسكاة الأولى فهو « رع — حور — أختي » وقد ذكر ٢٢ مرة . أما الاسم « رع » بدون أداة التعريف « پ » فيذكر هنا في تماير قديمة في أصلها مثل « شو » بن « رع » . ومن أسماء إله الشمس التى ورد ذكرها هنا كثيرا « آتوم » بوصفه « الأمير القوى الذى في عين شمس » . وكذلك فإن « الثور » الذى يسكن في عين شمس يقصد به إله الشمس . هذا وقد يسمى هنا إله الشمس باسم « خبى » كما سيرد بعد في هذا المتن .

(٣) « بتاح » هو إله « منف » وقد ذكر هنا بوصفه خالق كل شيء ، وهذا ما يفسر لنا في هذا المتن أبوته للإله « أوزير » و « رع » . ولا يبعد أن الأفضلية التى أعطيت للإله « بتاح » في هذه القصة تعطينا تفكرا في أنها ترجع إلى أصل متنى أو على الأقل نجد التأثير المتنى فيها ، لأن « بتاح » هو إله « منف » العظيم .

(٤) العين المقدسة هنا التى يقدمها « تحوت » للإله « رع » التى كنى عنه « بالأمير الجليل في عين شمس » هي بلاد مصر أو تاجها . وهي الموضوع الذى تدور حوله المحادثة بين « حور » و « ست » . وذلك أم لما اعتزل « أوزير » الملك ونزل إلى العالم السفلى ليحكم فيه أصبح عرش البلاد خاليا وتنازعه كل من « حور » و « ست » . وقد جاء « تحوت » بالعين المقدسة التى هي مصر نفسها ووضعها أمام الآلهة ليحكموا لمن يُعطى وظيفة الملك أنعطى « حور » أم « ست » ؟ ولذلك فإن تفسير العين المقدسة بمصر في هذا الموقف مقبول جدا . والواقع أننا نجد في المصور المتأخرة أن البلاد المصرية كان يرمز لها بالعين المقدسة (وازيت) . وكذلك كان يرمز لتاج مصر بالعين المقدسة . وقد بحث هذا الموضوع الدكتور « سبيجل » الألمانى بالتفصيل في دراسته لهذه القصة : Spiegel. Die Erzählung Vom Streite Des Horus und Seth P. 85 ff.

وفي هذه الدراسة نجد أن « تحوت » يقوم بإعطاء العين (أى مصر) سيدها التى يستحقها وهو « حور » .

(٥) « شو » : بكر أولاد « رع » ولهذا السبب كان خليقا أن يقوم بدور المتكلم عن « التاسوع »

عندئذ قال «تحت» للتاسوع^(١) : «حقا وألف ألف مرة (حقا)» .

وهنا صاحت «أزيس» عاليا وفرحت جدا ، وخرجت أمام رب العالمين وقالت : «ياريح الشمال هبي غربا ! وأنعشني «قلب وتنفر» (أوزير) بهذا الخبر وهو أن ابنه سيكون خلفه . ثم قال «شو» بن «رع» : «قرب العين (الى حور) فان في ذلك عدالة للتاسوع» . وعندئذ قال «رب العالمين» : «مامعنى أنكم تتخذون تدابيركم وحدكم !»

وهنا تكلم [التاسوع] وقال : «ليتته يأخذ خاتم الملك «لحور» وليت التاج الأبيض يوضع على رأسه» . فوجم «رب العالمين» [برهة طويلة] وغضب من التاسوع . ولكن عندئذ تكلم «ست» بن «نوت» : «دعه يخرج معي لأجملك ترى أن يدي تقبض على يده في حضرة التاسوع ، لأنه لا يعرف أحد طريقة التغلب عليه» .

وعلى ذلك قال له «تحت» : «إذن سوف لا يمكننا أن نعرف من الكذاب . فهل ينبغي للإنسان على ذلك أن يعطى وظيفة «أوزير» إلى «ست» في حين أن ابنه موجود هنا ؟» وهنا غضب «رع» — حور — اختي «جدا — لأن رغبة الاله «رع» كانت أن يمنح «ست» العظيم القوة بن «نوت» الوظيفة (وظيفة الملك) — وعندئذ صاح «أنوريس»^(٢) عاليا أمام التاسوع وقال : «ماذا ينبغي إذن أن نفعله ؟»

وحينئذ تكلم «آتوم» الأمير العظيم الذى يقطن «عين شمس» : «فليناد «با» رب»^(٣)

(١) التاسوع : كلمة التاسوع تقابل في المصرية «بسرت» وهى جماعة مؤلفة من تسعة آلهة وهو الاسم الرسمى لجماعة الآلهة من نسل إله الشمس «رع — آتوم» وذلك حسب العقيدة الشمسية التى كان مركزها مدينة «عين شمس» . وهذا التاسوع فى الأصل كان يحتوى على «آتوم» نفسه وأربعة أزواج من آلهة وهم «شو» و «تفتت» ، ثم «جب» و «نوت» ثم «أوزير» و «أزيس» ، ثم «ست» و «تفتس» .

وبعد ذلك زاد عدد أعضاء التاسوع حتى أصبح عددهم (نظريا) ١٨ أو ٢٧ لهما ، غير أنه لم تصلنا قائمة بأسمائهم .

(٢) «أنوريس» وبالمصرية (إن — حرت) ومعناه ذلك الذى أحضر الواحدة البعيدة أى العين المقدسة وهى عين الشمس ، وهو إله يعبد فى بلدة طينة بالقرب من العراة المدفونة ، وهو هنا معاضد لاله «حور» .

(٣) «با» رب «منديس» وهو إله فى صورة «تيس» يعبد فى بلدة «منديس» وهى قرية تل الربع الحالية الواقعة فى الجزء الأوسط من شرق الدلتا . وقد كان مشهوراً بأنه المظهر الحى لكل من الإله «رع» و «أوزير» أى أن كلا من هذين الإلهين كان يتقمص هذا التيس ، فضلا عن ذلك فقد كان رب التناسل العظيم ، ولذلك فإنه كان بلا نزاع أعظم الآلهة صلاحية ليثبت شرعية «حور» لذلك . وربما كانت هذه هى الأسباب التى دعت للانتجاع إليه ، وسنرى فى سياق الحديث هنا أنه لم يكن ميالا ليعطى حكمه فى هذه القضية . ولكننا نرى أنه فيما بعد كان يظهره لاله «ست» =

« منديس » ، والإله العظيم الحى ، الذى يقطن كذلك فى « سهل »^(١) أمام « آتوم » .
وكذلك أحضر معه « بتاح »^(٢) — تاتين « وقال لها : « افصلا بين الشايين واردها
عن أن يقفا متخاصمين كل يوم » .

وهنا أجاب « با » رب « منديس » الإله العظيم الحى ، على ما قيل له : « لا تدعنا نتخذ
أية تدابير على غير علم تام . فليرسل خطاب إلى « نيت »^(٣) العظيمة أم الإله . وما قوله
سوف ننفذه » .

ولكن « التاسوع » قال لـ « با » رب « منديس » ، الإله العظيم الحى : « لقد فصل
بينهما سابقا فى القاعة (المساة) « الوحيدة للمدل » .

وعندئذ تكلم التاسوع إلى « تمحوت » أمام رب المالين : « اكتب خطابا إلى « نيت »
العظيمة أم الإله باسم « رب المالين » الثور الذى يقطن عين شمس » .
فقال « تمحوت » : « سأفعل ذلك حقا . سأفعل ذلك » .

وعندئذ جلس ليؤلف الخطاب فكتب : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » رع —
آتوم « محبوب « تمحوت » رب الأرضين وإله عين شمس ، ونور الشمس الذى يضىء الأرضين
بجملها ، والنيل العظيم فى وقائه « رع حور أختى » — إلى « نيت » العظيمة أم الإله التى
أنارت فى الأزل . « ليتك تمشين فى صحه وشباب غض ياروح رب المالين الحى ، الذى يقطن
عين شمس وملك مصر الطيب . إن خادمك هنا : (أنا) (يعنى نفسه) الذى أسهر الليل من
أجل « أوزير » وأهم كل يوم بأحوال الأرضين .

= أما فيما يختص بالشك الذى كان يحوم حول شرعية « حور » فقد بحث فى كتاب بلوتارخ Plutarch
De Iside ch 54 . وكذلك راجع Lacau, Textes Religieux, XVII .

(١) هذا الوصف الذى نمت به الإله « با » رب « منديس » المقصود به هنا أن يؤحده مع الإله
« خنوم » رب « سهل » وهى جزيرة واقعة فى إقليم الشلال الأول . غير أن « خنوم » لا ينسب إلى
« سهل » إلا نادرا جدا .

(٢) يلاحظ أن « با » رب « منديس » عندما حضر جاء معه الإله « بتاح تاتين » وهو رب
الأرض وصورة من الإله « بتاح » ، غير أن السبب فى مصاحبته معه هنا غير واضح ، ولكن لدينا متن
يوضح لنا ذلك وهو مكتوب على لوحة من عهد « رعسيس » الثانى : وبعد ذلك تكلم « بتاح تاتين »
رب الآلهة لابنه ... رعسيس : « إني وألك وقد آتجبتك ، وكل أعضاءك آلهة وقد تقيمت « با » رب
« منديس » واجتمعت مع والدتك لأجل أن تجعل خلقك مثل خلقه الإله (راجع Bneasted Ancient
Records III P. 400.)

(٣) « نيت » هذه الإلهة كانت مشهورة بأنها والدة « رع » . وقد مثلت هنا بصفته إلهة محترمة
من جيل قديم تسكن منفردة فى مدينتها (صا الحجر) بالدلتا .

أقسم بحياة سبك^(١) الذى يعيش حقا إلى الأبد . « ما الذى ينبئ أن نفعله مع هذين الشابين اللذين قضيا ثمانين حجة أمام المدالة ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يفصل بينهما ؟ فهل لك أن تكتبى عما يجب أن نفعله ! »

وعندئذ أرسلت « نيت » العظيمة وأم الآله جوابا إلى التاسوع متضمنا : اعطوا وظيفة « أوزير » ابنه « حور » ولا تقتربوا تلك العمال النميعة التى ليست فى موضعها ، وإلا فإنى سأغضب وستسقط السماء على الأرض ، وليبلغ رب العالمين الثور الذى فى عين شمس : ضاعف أملاك « ست » وأعطه « عنات » و « عشتارت »^(٢) ابنتيك وأجلس « حور » مكان والده « أوزير » .

ووصل جواب « نيت » العظيمة أم الآله إلى « التاسوع » حينما كانوا جالسين فى القاعة (المساة) « حور أمام القرون » وسلم الجواب ليد « تحوت » . وعندئذ تلاه « تحوت » أمام رب العالمين ، وأمام التاسوع كله . فقالوا بجم واحد : « هذه الإلهة على حق » . فغضب رب العالمين على « حور » وقال له : « إنك ضعيف الأعضاء . ولهذا فإن الوظيفة (أى الملك) كبيرة عليك جدا ، أنت أيها الفر ذو الفم الكريه الطعم^(٣) ! فغضب « أنوريس » لذلك ألف مرة وكذلك « التاسوع » كله ، والمحلفون^(٤)

(١) الآله « سبك » وهو يمثل فى صورة تمساح هو ابن الإلهة « نيت » . وكان يبعد فى الدلتا بجوار والدته « نيت » وقد بقى اسمه الآن فى أسماء بعض البلاد المصرية مثل « سبك الثلاث » و « سبك الأحد » الخ .

(٢) « عنات » و « عشتارت » هما إلهتان ساميتان ، وتذكران كثيرا معاً فى المتون المصرية وفى ورقة « عشتارت » تسمى هذه الإلهة بنت الآله « بتاح » . والمساومة التى عرضت هنا لا توجد فى أى نص مصرى آخر . غير أنها تطابق تماما آراء العصر الذى كتبت فيه الورقة إذ كان « ست » يعتبر لها أجنيا معاديا فى ذلك الوقت .

(٣) راجع بلوتارخ (Plutarch De Iside ch. 19) : وقد اجتمعت « لإزيس » « بأوزير » بعد موته وحملت منه طفلا ولد فى غير موعده وكان ضعيفا فى أعضائه واسمه « حربوخراد » (أى حور الطفل) . والواقع أن « حربوخراد » يمثل على الدوام بطفل جالس ومن ثم لا يمكنه الوقوف

(٤) المحلفون الثلاثون كانوا يكونون منذ العهد الإقطاعى المجلس الأعلى لهر وقد كان هذا المجلس فى عهد الدولة القديمة يتألف من عشرة حكام وهذه الزيادة أتت من اشتداد سلطة حكام الأقاليم . فكان هذا المجلس بمثابة رادع لهم ليقفل من سلطانهم وقد أحد هذا المجلس بالتاسوع المصرى . وهذا المجلس كان يدير الحكومة المصرية فى عهد الدولة الوسطى . وربما جاء من هنا وجه الشبه بينه وبين التاسوع الذى كان على رأسه الإله « رع » وهو ما يقابل الملك . راجع

الثلاثون ، ولكن الآله «بأبي»^(١) قفز (من مكانه) وقال «رع حور أختي» :
«إن مقصورتك خاوية (أى لا يبعدك أحد)» . فتألم «رع حور أختي» لهذا الجواب
الذى قيل له ، فاستلقى على ظهره وحزن قلبه جد الحزن .

وعلى ذلك خرج «التاسوع» وصاحوا عاليا في وجه الآله «بأبي» ، وقالوا له : «أخرج
من هنا ! إن الجرم الذى أتيت عظيم جدا» . وذهبوا إلى ما ويهم .

وقد أمضى الآله العظيم يوما مستلقيا على ظهره في حجرته ، وكان قلبه في شدة الحزن
وظل في عزلة .

وبعد فترة طويلة من الزمن جاءت «حتحور»^(٢) سيدة شجرة الجيز الجنوبية ووقفت

(١) «بأبي» : هو إله قاض جدا لا تعرف عنه القصة الكثير ، وقد ذكر في متون الأهرام
حيث وصف بأنه ذو أذنين حراوين ودبر ملون (Pyr 1349 a) . ويحتمل قلبك أنه فرد وهو ما يطابق
المخصص الذى في ورقة «شستر يتي» التى نحن بصدددها ، وكذلك يوافق سلوكه السيء . وفي كتاب
الموتى (فصل ١٢٥) يظهر أنه مؤحد مع المارد «أما» الذى يلتهم قلوب الأشقياء في يوم الحساب .
وكذلك قد تكلم بلوتارخ في كتابه (Plutarch De Iside ch 49) عن إله اسمه «بيون»
وهو على حسب قول بعضهم كان صاحب «ست — تيفون» . وقد قال عنه «مانيتون» إنه
«ست» نفسه .

(٢) لا شك أن «حتحور» تمثل هنا إلهة الجمال «إفرديتي» اليونانية وترسم دائما طرية الجسم

«حتحور والكشف عن العورة»

حتحور : إن الطريقة التى طيبت بها الإلهة «حتحور» خاطر والدها إرب العالمين «رع» ترى
في ظاهرها من الأمور الغريبة التى تدل على القبح والدعارة ، ولكن كشف النساء عن عورتهم
عند قدماء المصريين كان يعتبر عادة دينية . وقد ذكر لنا «ديدور» وصفا لهذه العادة في عبادة
المجبل لإيس (Diodor I. 85,3) وهى تنطبق على ما جاء في قصة الخاصة . ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ
فيبر (weber) إذ عثر على تمثال من الخزف في متحف ليبزج (Leipzig Inv. Nr. 3634) في كتابه
(Berliner Terrakotten text. b 119. A. ٥. 5.) وقد مثل وهو يقوم بذلك الحركة . وكذلك قد
ذكر مردوت شيئا عن تلك العادة نفسها عند سفر القوم للاحتفال ببيد الإلهة «باست» . وهى في
ظاهرها عادة وحشية إلا أنها بلا شك ترجع إلى نفس تلك العقيدة . والواقع أن ذكر هذه المادة هنا مما
يثبت لنا أن الإغريق قد نقلوها عن المصريين حتى إننا عندما نقرأها في كتبهم ننظر إليها على أنها وحشية
فاحشة ، ولكن الكشف الحديثة تضع الأمور في نصابها . والواقع أن هذه العادة تعبر عن منتهى
الخنوع والخشوع وأن الإله هو الذى يعرف عورات النساء . ولكن مما يلفت النظر هنا هو ضحك الإله
«رع» من العمل الذى أتته أمامه «حتحور» بكشف عورتها ، لأن ذلك منتهى ما يمكن من علامات
الخنوع والدعاء ، ولا يأتى إلا عامة الشعب ، ولذلك فإن قيام ابنته به أمامه لم يكن إلا لشدة محبتها
له وإرضائه بأعظم شيء يدل على الخنوع يمكن لامرأة في عالم الدنيا أن تأتبه . فكيف إذا أتته إلهة ؟

أمام والدها «رب العالمين» وكشفت عن سواتها أمامه ، فضحك الإله العظيم منها ، وعلى أثر ذلك قام من مضجعه وجلس مع التاسوع وقال «لحور» و «ست» : «تكلمنا عن نفسيكما ! فتكلم «ست» العظيم القوة وابن «نوت» وقال : أما فيما يختص بى فإنى «ست» أعظم الآلهة قوة بين التاسوع ، ولذلك فإنى أقتل عدو «رع» يوميا لأنى (أجلس) فى مقدمة «سفينة الملايين» ، وليس هناك إله آخر فى قدرته أن يعمل هذا ، و (لذلك) أرجو أن أتسلم وظيفة «أوزير» . وعندئذ قالوا (أى التاسوع) : «إن «ست» بن «نوت» على حق» . وعندئذ صاح «أنوريس» و «نحوت» عاليا قائلين : «هل ستمنح تلك الوظيفة لأخ من جهة الأم فى حين أن ابنا من العصب لا يزال موجودا ؟» وهنا تكلم «با» رب «منديس» الإله العظيم الحى قائلا : «هل ستمطى الوظيفة هذا الفر فى حين أن «ست» أخاه الأكبر لا يزال موجوداً^(١) ؟

وعندئذ صاح التاسوع صيحة عظيمة أمام «حور» (؟) وقالوا له : «ما هذه الكلمات التى فهمت بها وليست جديرة بأن تسمع» ! ؟
وهنا تكلم «حور» بن «إزيس» : هذا ليس بالحسن فى الواقع بأن أظلم أمام التاسوع وأن تقتصب منى وظيفة والدى «أوزير» .

وغضبت «إزيس» من التاسوع وأقسمت بالله أمام التاسوع قائلة : «بحياة والدتى الإلهة «نيت» وبحياة «بتاح تاتن» ذى الريش العالى وحانى قرون الآلهة ، إن هذه الألفاظ ستوضع أمام «آتوم» الأمير الجليل قاطن عين شمس ، وكذلك أمام «خبرى»^(٢) ساكن سفينته» وعلى ذلك قال لها التاسوع : «لا تشرى فإن الحقوق ستمطى من كان على حق وإن كل ماقلته سينفذ» .

فاغتاط «ست» بن «نوت» من التاسوع عندما قالوا هذه الكلمات لإزيس الجليلة أم الإله . وعندئذ قال لهم «ست» : سأخذ سيفى الذى يزن ٤٥٠ رطلا وأقتل به واحداً منكم كل يوم .. ثم أقسم «ست» يمينا لرب العالمين قائلاً : «لن أتناقش بعد أمام العدالة مادامت «إزيس» هنا» .

(١) نجد فى هذه الفقرة رأيين متضاربين فيما يتعلق «بحور» و «ست» . فبلى حسب الخرافات الأقدم عهدا نجد أن «حور» و «ست» كانا أخوين متناظرين . وعلى حسب رواية أخرى أقل قدما من سابقها ولكنها مع ذلك ترجع إلى أزمان سحيقة ، كان «ست» و «أوزير» ابني الإلهة «نوت» . وعلى ذلك لم يكن «ست» الأخ الأكبر لحور بل خاله أو عمه .
(٢) اسم الإله «رع» وقت الظهيرة .

وعندئذ تكلم «رع حور أختي» إليهم : « اعبروا إلى «جزيرة الوسط» وافصلوا بينهما وقولوا لـ «عنتي» لا تعبر بأية امرأة في صورة إزيس . وعلى ذلك عبر التاسوع إلى «جزيرة الوسط» وجلسوا يأكلون .

وهنا حضرت «إزيس» واقتربت من «عنتي»^(١) التوتى عندما كان جالسا بقرب قاربه ، ولكن غيرت نفسها في شكل امرأة عجوز ، وسارت منحنية ، وكانت تلبس خاتما من ذهب في إصبعها ، وخاطبته قائلة : «لقد أتيت إليك لتعبر بي إلى «جزيرة الوسط» ، لأنى حضرت بهذا الوعاء من الدقيق إلى الصبي الصغير ! لقد كان يحرس بعض الماشية في «جزيرة الوسط» منذ خمسة أيام إلى هذا اليوم وهو جوعان » . فقال لها : لقد قيل لى لا تعبر بأية امرأة .

فقال له : هل ما قيل لك خاص « بإزيس » ، ذلك الذى تكلمت به ؟
فقال لها : « ما الذى ستمطينه إياى حتى أعبر بك إلى «جزيرة الوسط» ؟
فقال له « إزيس » : « سأعطيك هذا الرغيف »

وعندئذ قال لها : « ماذا يكون رغيفك ؟ هل ينبغى لى أن أعبر بك إلى جزيرة الوسط — على حين أنه قيل لى : لا تعبر بأية امرأة — من أجل رغيفك ؟ »
وعندئذ قالت له : « سأعطيك الخاتم الذهبى الذى فى يدى »
فقال لها : « أعطينى الخاتم الذهبى » .

فأعطته إياه وعلى ذلك عبر بها إلى «جزيرة الوسط» وبينما هى سائرة تحت الأشجار ، إذ نظرت فرأت التاسوع وهم جالسون يأكلون فى حضرة «رب العالمين» فى زله ، فنظرت «ست» ولحها وهى آتية من بعيد . فتلت تمويدة من سحرها وغيرت نفسها إلى عذراء جميلة الجسم لم يكن لها مثيل فى الأرض قاطبة فأحبها حبا جما

(١) إن القليل الذى نعرفه عن هذا الإله يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ زيتيه فى كتابه (Urgeschichte Und Alteste, Religion der Agypter Par. 51 and 53.)

و «عنتي» فى الأصل إله فى صورة سقر وينعت «عنتي» أى صاحب الخالب . وكان فى الأصل يقطن المقاطعة الثانية عشرة من الوجه القبلى (مقاطعة الثمان) ووظيفته نوتى ، وهى التى يعرف بها هنا فى قصتنا ، ولم تكن معروفة من قبل ، ويمكننا بالتمنى الذى فى أيدينا أن نقنع أثرها كما أشار «زيتيه» إلى ذلك فى متون الأهرام (وازن سطرى 792 a و 1359) وكذلك نلاحظ فى الرسم النفوس الذى تحت الصقر أنه لا بد أن يكون قاربا وبخاصة أن هذا القارب له سكان . وللقارب الذى وقع عليه هو قطع الجزء الأمامى من قدميه أى مخالبه التى يدافع بها عن نفسه . ومن أجل ذلك كان يطلق عليه صاحب الخالب (أى الصقر صاحب الخالب) وهذه من الأمور التى ذكر فيها السبب والنتيجة فى القصة .

وحينئذ قام « ست » بعد أن كان جالسا يأكل مع التاسوع العظيم ، وذهب ليقابلها ، ولم يكن قد رآها أحد سواه — فوقف خلف شجرة وصاح بها وقال لها : « إني أريد أن أكون معك أيتها الفتاة الجميلة ! »

فقلت له : « آه ياسيدى الرفيع ! ماحدث لى أنى كنت امرأة راعى ماشية . وقد جئت منه بولد . وقد مات زوجى وأصبح الصغير يرعى ماشية والده ، ثم حضر غريب وجلس فى حظيرتى وخاطب ولدى قائلا : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وسأطردك » . وهكذا تكلم إليه ، ورغبتى هى أن أجعلك تحميه » . وعندئذ قال لها « ست » : « هل ينبغى للإنسان أن يعطى الماشية الغريب فى حين أن ابن الرجل موجود هنا ؟ »

وعلى ذلك غيرت « إزيس » نفسها إلى حدأة^(١) وطارث ثم حطت على قمة شجرة ثم نادى « ست » وقالت له : « انع نفسك . إن فك هو الذى قالها ، وإن رأيك هو الذى قضى عليك . ما الذى تريده أكثر من ذلك ؟ »

فوقف باكيا . ثم ذهب إلى المكان الذى كان فيه « رع حور اختى » وبكى . وعندئذ كلمه « رع حور اختى » : « ماذا جرى لك ثانية ؟ »

فأجاب ست قائلا : « هذه المرأة الشريرة قد اعتدت على ككرة أخرى وقد خدعتنى مرة ثانية ، فقد غيرت صورتها إلى عذراء جميلة أمامى ثم قالت لى : « ماحدث لى أنى كنت زوج راعى ماشية وقد مات بعد أن وضعت منه ابنا وأنه يرعى بمض ماشية والده ، وأن غريبا أتى إلى حظيرتى مع ابنى فأعطيته طعاما ، وبعد مضى عدة أيام على ذلك قال الغريب لابنى : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وستكون ملكى » . وهكذا كلم ابنى . وهكذا قالت لى . »

فكلمه « رع حور اختى » : « وماذا قلت لها ؟ »

فقال له « ست » : « قلت لها : هل ستعطى الماشية (ياوت) الغريب وابن الرجل لا يزال موجودا هنا . وعلى ذلك قلت لها يجب أن يضرب المتطفل على وجهه بمصا ثم يطرد ، وينبغى أن يجلس ابنك فى مكان والده — وهكذا قلت لها . »

(١) لقد حكم « ست » بنفسه على نفسه دون أن يعلم ، لأنه هو الذى كان يريد أن ينتصِبَ وظيفة البقيم . وقد قمصت « إزيس » حدأة وسخرت منه ، وهذه الصورة التى تحولت إليها « إزيس » هى من مميزاتنا ، وذلك لأننا نعرف أنها حينما كانت تبكى عند نمش أخيها « أوزير » كانت تعرف باسم الحدأة الكبرى ، كما كانت أختها « نفيس » تعرف باسم الحدأة الصغرى . ولكن الدور الذى لعبته هنا فى صورة حدأة يختلف كثيرا عن سابقه . إذ هنا أرادت أن تثبت شرعية ابنها لحكم البلاد بحيلة .

فقال له « رع حور أختي » : « انظر . إنك حكمت على نفسك بنفسك ، فإذا تريد زيادة على ذلك ؟ » . فقال له « ست » : « مر بحضور « عنتى » ليوقع عليه عقاب صارم وسله : لماذا سمحت لها أن تمبر ؟ هكذا ينبغي أن يقال له » .

وعندئذ أحضر « عنتى » النوتى أمام التاسوع وقطعوا الجزء الأمامى من ساقيه وكفر « عنتى »^(١) بالذهب إلى يومنا هذا وقال في حضرة التاسوع العظيم : « لقد أصبح الذهب ممقوتا لمدينتى » . عندئذ عبر التاسوع إلى الشاطئ الغربى^(٢) وجلسوا على الجبل . ولكن عند المساء أرسل « رع حور أختي » وآتوم سيد الأرضين و (رب) عين شمس إلى التاسوع الرسالة التالية : ما الذى تفعلونه بمحككم هنا إلى الآن ؟ إنكم ستجعلون الشاين يعضيان كل حياتيهما أمام العدالة ، فعندما يصلكم خطابى يجب عليكم أن تضعوا التاج الأبيض على رأس « حور » بن « إزيس » ، وينبئى أن ترفعه على عرش والده « أوزير » .

وعندئذ غضب « ست » غضبا شديدا ، ولكن التاسوع قال لست : لماذا أنت غاضب ؟ ألا ينبغي أن يفعل كما قال « آتوم » رب الأرضين فى عين شمس و « رع حور أختي » ؟ وعلى ذلك وضع التاج الأبيض على رأس « حور » بن « إزيس » ، فصاح « ست » عاليا أمام التاسوع وعصف ثم قال : « هل ستمطى الوظيفة أختى الصغير ، وأخوه الأكبر ما زال موجوداً هنا ؟ »

وعندئذ حلف يمينا وقال : ينبئى أن يزرع التاج الأبيض من رأس « حور » بن « إزيس » وينبئى أن يلقى به فى الماء حتى يمكننى أن أتنازع معه على وظيفة « الحكم ! » (ياوت) ووافق على ذلك « رع حور أختي » فقال « ست » لـ « حور » : « تعال وليتقمص كل منا جاموس بحر ، ودعنا نفص فى الماء الذى فى « الأخضر العظيم » (كناية عن البحر^(٣)) ومن يطف على سطح الماء قبل مضى ثلاثة أشهر لا يعط هذه الوظيفة » .

(١) هذه العبارة من العبارات النادرة فى القصة التى يوجد فيها السبب والنتيجة . وظاهر أنه كان هناك شريعة تحرم استعمال الذهب فى بلغة الإله « عنتى » . غير أننا لا نجد ذلك مذكورا فى أى متن مصرى آخر .

(٢) يقصد بذلك حدود الأراضى المزروعة غربى الدلتا . ويقابلها من الجهة الشرقية منطقة أخرى منزوعة فى نهاية حدود الدلتا .

(٣) نجد هذه الحادثة مذكورة فى كتاب (نتيجة الأيام السعيدة والأيام المشؤمة) (Pap Sallier IV Recto 2,6) . غير أننا نجد فى هذا المصدر الأخير أغلاطا كثيرة ، ولكنها دونت بنفس التمايز التى فى قصتنا هنا . وهاك الترجمة حرفيا للنصف الأول منها : « الشهر الأول من فصل الفضيان (يوم ٢٦) =

وعندئذ غطس كلاهما في الماء وقعدت «إزيس» تبكي وقالت : إن «ست» قد قتل ابني «حور». ثم أخذت كمية من الغزل وفتلت حبلا ، ثم أخذت رطلا من النحاس وصهرته وصنعتة سلاحا للماء (شصا) ثم ربطت فيه الحبل وألقته في الماء في المكان الذي غطس فيه «حور» و «ست» ، فاشتبك الشص^(١) في جلالة ابنها «حور» فصاح «حور» عاليا ونادى : النجدة يا والدتي «إزيس» يا أمي ! مرى شصك حتى ينفك عني . إني «حور» ابن «إزيس» . فصاحت «إزيس» عاليا امرأة شصها : «انفك عنه . انظر . إنه ابني «حور» طفلي هوذا . فانفك شصها عنه .

وبعد ذلك ألقت به في الماء ثانية فاشتبك في جلالة «ست» ، فصاح «ست» عاليا وقال : ماذا فعلت ضدك يا أختي «إزيس» . مرى شصك أن ينفك عني . إني أخوك من أمك يا «إزيس» . فألمها قلبها من أجله جدا . ثم ناداها «ست» قائلا : «هل تحبين الغريب أكثر مما تحبين أخاك من أمك ؟» . فأمرت «إزيس» شصها قائلة : «انفك عنه . انظر . إنه أخو «إزيس» من الأم الذي عضضته» . وعلى ذلك انفك الشص عنه .

من أجل ذلك غضب «حور» من «إزيس» أمه وخرج ، وكان وجهه وحشيا كأنه فهد من الوجه القبلي ، وكان سكينته الذي وزن ستة عشر رطلا في يده ، فقطع^(٢) رأس والدته

== شؤم . شؤم . لا تقوم بعمل أى شيء في هذا اليوم لأنه اليوم الذي تحارب فيه «حور» مع «ست» وضرب أحدهما الآخر ثم رقدا على جنبيهما وتقدم كل منهما جاموس بحر عند باب (?) رب «خرعاعا» (مصر القديمة) ومضيا ثلاثة أيام وثلاث ليال على هذه الحال . ثم جعلت «إزيس» شصها يصيبهما فأصاب وجه «حور» وعندئذ صاح قائلا : «إني ابنك «حور»» . وعلى ذلك نادى الشص قائلة : «تنج عن ابني «حور»» . وبعد ذلك أرسلت الشص ثانية فأصاب وجه أخيها «ست» وعلى أثر ذلك صاح بصوت عال وحزن . فنادت الشص قائلة [اقبض بشدة (?)] وعندئذ ناداها «ست» صرات عدة : «هل تريد أن تماذى أخاك من أمك ؟» ثم صار قلبه حزينا جدا . وعندئذ نادى الشص قائلة «تنج» ، انظر . إنه أخى من أمي . فانفك الشص عنه وقام كل واحد منهما وولى ظهره لصاحبه

(١) كانت الطريقة التي يبقها المصري في صيد جاموس البحر هي أنه يربط شصا في خيط ثم يرمي به في الماء بوساطة رمح . وبعد أن يصاب جلد الحيوان بعدة شصاص كان يجر إلى الشاطئ بعد أن يكون قد نرف كمية عظيمة من الدم وذلك مما يسبب ضعفه على المقاومة (Gardiner Tomb of Amenmhet P48.)

(٢) الجزء الثاني من الفقرة التي ترجمنا الجزء الأول منها من ورقة سالية يتفق مع ما جاء في قصتنا وهو : «وكان جلالة «حور» غاضبا جدا مع والدته وكان مثل فهد من الوجه القبلي وقد ابتعدت من أمامه في هذا اليوم الذي أعلن فيه الحرب على المشاغف (?) (أى ست) وعندئذ قطع رأس «إزيس» ثم تقمص الإله «نحوت» صورة الإله «حكا» (وهو إله السحر) وأعادته (أى الرأس) كرأس بقرة (?) وما==

« إزيس » ووضعه في حضنة ، وصعد إلى الجبل . وعلى ذلك قمصت « إزيس » تمثالاً من الطرآن بدون رأس . ثم قال « رع حور أختي » « لتحوت » : « من هذه التي حضرت ؟ إنها حقا بدون رأس » . فقال « تحوت » « رع حور أختي » : « يا سيدي الطيب إنها « إزيس » العظيمة أم الإله ، وقد قطع ابنها « حور » رأسها » . وصاح « رع حور أختي » عاليا وقال للتاسوع : « سنسرع ونوقع عليه عقابا صارما ! »

وعلى ذلك صعد التاسوع إلى الجبل ليجثوا عن « حور » بن « إزيس » . ولكن « حور » قد مضى الليل تحت شجرة « شنوشع » في إقليم^(١) الواحة ، وقد وجده « ست » وقبض عليه وألقاه على ظهره على الجبل واقتلع عينيه من مكانهما ودفنهما في الجبل . غير أن محجري عينيه أصبحا يبضتين ، ثم نمتا فصارتا زهرة اللوتس^(٢) وأضاءتا الأرض . وعندئذ رجع « ست » وخطب « رع حور أختي » كذبا : إني لم أجد « حور » . والواقع أنه وجده .

ثم ذهبت « حتحور » سيدة شجرة الجيز الجنوبية ووجدت « حور » كما كان مضطجعا يبكي في الصحراء ، فأمسكت بفزالة وحلبتها وقالت « لحور » : « افتح عينك حتى أضع فيها هذه النقط من اللبن . ففتح عينه ووضعت فيها نقط اللبن ، ووضعت في العين اليمنى ، ووضعت في اليسرى ، وقالت له : « افتح عينك ففتح عينه » فتأملتها ووجدتها سليمة . وعندئذ ذهبت إلى « رع حور أختي » لتقول : « إن « حور » قد وُجد وقد اقتلع عينيه « ست » ولكني قد أعدتهما ثانية . انظر . إنه آت » .

== زال الإنسان إلى اليوم يقدم قربانا باسمها وباسم « تحوت » إلى اليوم .

والمقصود من هذه الخرافة هو محاولة تفسير رأس البقرة التي تظهر به الإلهة « حتحور » وثانيا تأجيل « إزيس » و « حتحور » . غير أن قصتنا لم تذكر لنا السبب ولعلك حذف منها كل الجزء الخاص بإعادة الرأس بواسطة « تحوت » .

(١) الفصل التالى من القصة كما هو مذكور هنا لم يعرف بعد في النقوش المصرية . ولدنيا خرافة قديمة جدا تفسر علينا كيف أن « ست » اقتلع عين « حور » وأن « حور » اتقم لنفسه بمجب خصيتي « ست » . ولكن في الفقرة التي نحن بصدها نلاحظ أن عيني « حور » لا عينا واحدة قد نزعنا ، وكذلك أن « حتحور » لا « تحوت » هي التي أعادت نظر الإله إليه . هل أننا نجد أن الفرق بين الحادين عظيم جدا لدرجة تجعل الإنسان يتساءل عما إذا كان كل منهما له أصل خاص به .

(٢) يظهر أن هذه إشارة للفكرة القائلة إن « حور » رب السماء وأن يمينيه هما الشمس والقمر . أما الجملة التي تلى ذلك فتشير إلى حادث لم يعرف بعد في المتنون المصرية بهذه الصورة ، غير أننا نعرف أن الإله « رع » أى إله الشمس يولد من زهرة اللوتس

وعندئذ قال التاسوع : فليناد كل من « حور » و « ست » ويفصل بينهما . فأحضرا أمام التاسوع ، وتكلم رب العالمين أمام التاسوع العظيم إلى « حور » و « ست » وقال : « اذهبا واسمعا ما سأقوله لكما ، وكلا واشربا وبذلك ستكونان في سلام ، تنجيا عن المشاحنة كل يوم ! » وإذ ذاك قال « ست » « لحور » : « تعال وسنمضي يوما سعيداً في بيتي » .

فقال له « حور » : « بالتأكيد وعن طيب خاطر ! »

ولما حل المساء فُرش (السرير) لهما واضطجع الاثنان وفي الليل دس « ست » قناته المنتشرة بين نخذي « حور » . ولكن حور وضع يديه في نخذه وتلقى بهما نقطة « ست » . وعندئذ ذهب « حور » ليقول لوالدته : « النجدة يا « إزيس » يا أمي ! تعال وانظري ما آتاه « ست » معي ! »

وفتح يده وجعلها تنظر إلى نقطة « ست » . فصاحت عاليا وقبضت على سكينها وقطعت (١) يده وألقت بها في الماء ، ثم صنعت بدا تماثلها وأخذت قطعة مرمم حلو ووضعتها على قناة « حور » فانتصبت ، ثم وضعتها في اناء وجعلت نقطة « حور » تجري إليه . وبعد ذلك ذهبت « إزيس » ومعها نقطة « حور » في الصباح إلى حديقة « ست » وسألت بستانى « ست » : « ما العشب الذى يأكله « ست » معك » ؟

فقال لها البستانى : « إنه لا يأكل أى عشب معى هنا إلا الخس » (٢) .

(١) إن حادثة قطع اليدين (لا يد واحدة كما في قصتنا) قد جاء ذكرها في الفصل ١١٣ من كتاب الموتى ، ونجد بداية هذا الحادث في رواية متون الدولة الوسطى وهى : « إني أمرف سر « هيرا كنبوليس » إنه بدا « حور » وهما اللتان قطعتهما أمه وقد قذفت بهما في الماء قائلة : « إنكما ستكونان الاثنتين الفصولتين عن « حور » حتى بعد أن تكونا قد وجدتما ثانية كاللتين وجدتهما أنا ثانية .

وعندئذ قال « رع » : « لقد شوه ابن « إزيس » هذا بما اقترفته أمه بنفسها ضده . دع « سبك » (إله في صورة تمساح) يحضر إلينا من نهاية الماء لأجل أن يصطادها لتتمكن أمه « إزيس » من إعادتهما إلى مكانهما (الأصل) . » ولنا في حاجة للتعليل هنا على أوجه الشبه والاختلافات التي توجد بين الحرافتين .

(٢) لقد برهن الدكتور « كيمر » في مجلة (Zeitschrift Fur Agypt. Sprache 59. 140) على أن النبات « عبو » المذكور هنا والذي ترجمناه بكلمة « خس » هو نوع من أنواع الخس الذى ينبت في مصر (Lactuca. Sativa. L) وهو النبات الذى يظهر غالبا مرسوما وراء صور الإله « مين » . وقد عزا الدكتور « كيمر » بحق العلاقة بين هذا الإله وبين الخس إلى العصابة التي تشبه اللبب المستخرجة من هذا النبات ، وذلك أن القوة التناسلية التي تحدثها هذه العصابة يمكن تشبيهها باللبن الذى هو رمز للخصب وعدم العقم من جهة ، ولشابهة هذه العصابة للنقطة الآدمية . وهذه الآراء قد ثبتت بالفقرة التي جاءت في قصتنا ، وكذلك أثبتنا الطب الحديث . والسبب الذى من أجله كان « ست » منغمسا في أكل =

وعلى ذلك وضعت «إزيس» نطفة «حور» عليه (الخس). ثم حضر «ست» حسب عادته كل يوم وأكل الخس الذى تمود أكله فصار حاملا من نطفة «حور»؛ وعلى ذلك ذهب «ست» ليقول لحور: «تعال. دعنا نسرع لتتخاصم معا أمام العدالة». فقال له «حور» «بالتأكيد وعن طيب خاطر!» وعلى ذلك ذهب الاثنان إلى المجلس ووقفا أمام التاسوع العظيم وقيل لهما: «تكلما عن شخصيكما!»

فقال «ست»: «لتمطلى وظيفة الحكم. أما عن «حور» وهو الشخص الذى يقف هنا فإنى قد فعلت معه ما يعمل الرجل (مع المرأة). وإذ ذاك صاح التاسوع عاليا: ابصقوا فى وجه «حور». غير أن «حور» سخر منهم. وعندئذ أقسم «حور» يمينا بالله قائلا: «إن كل ما قاله «ست» كذب. مر بأن تنادى نطفة «ست»، وسغرى من أين تجيب». فوضع «تحوت» رب «كلام الإله»، وكاتب الصدق للتاسوع، يده على ساعد «حور» وقال: تعالى يا نطفة «ست». فأجابته من ماء المستنقع، ثم وضع «تحوت» يده على ساعد «ست» وقال: تعالى هنا يا نطفة «حور»! فقالت له (أى النطفة): «من أين ينبئى لى أن أخرج؟» فقال لها «تحوت»: «أخرجى من أذنه!» وعند ذلك قالت له: «هل أخرج من أذنه وأنا النطفة الإلهية؟». وعلى ذلك قال لها: «أخرجى من جبينه!» فخرجت مثل قرص من الذهب على جبين «ست»، فغضب «ست» جدا ومد يده ليقبض على القرص الذهبى، فأخذه «تحوت» ووضعه حلية فوق رأسه^(١) هو. ولكن التاسوع

== الخس مثل الإله «مين» أنه كان يريد تقوية الناحية الجنسية عنده، ولكن بله «نطفة» «حور» مع الخس جعل «ست» يصبح حاملا محتثا بعد أن كان معروفا بقوة وبلته (وازن ذلك بما جاء فى قصة الأخوين حينما بلعت امرأة الملك قطعة الحشب وأصبحت حاملا).

(١) هذه الفقرة بأكملها تحتوى على رواية ممدلة لقصة قديمة جاء فيها أن «تحوت» قد ولد من جبين «ست». فمن المعلوم أن هذا الحادث الذى ذكر هنا كان معروفا عند المصريين منذ أقدم العصور مع الفارق أن «تحوت» فى الرواية القديمة لم يكن الحكم بل كان هو نتيجة نطفة «حور» التى كانت فى «ست». وأقدم برهان لدينا يرجع إلى الدولة الوسطى اظفر (Rec Trav 34 P 144) حيث نجد أن المتوفى يؤحد نفسه مع «تحوت» ويقول لأوزير: «إنى ابن ابلك وبذرة بذرتك، والإله الذى فصل الأخوين». ونجد على تمثال من العصر الصاوى (Turin, 74) أن تحوت قد سعى صرتين: «تحوت ابن الإلهين الذى خرج من الجبين». وفى معبد «ادفو» يوجد متنان يهيران إلى هذا الحادث (Rochemontieux Edfu I, 82 & II 44) فى المتن المطول نشاهد الملك وهو يقرب الخس للإله «مين» قائلا: «خذ لنفسك العشب الأخضر الجليل الذى أقبض عليه (?) لأجل أن يمكنك أن تدفق سائلك السرى الذى فيه (أى الذى فى الخس) وليمكن من عامته كامرأة أن يبله ويعمل منك ولدا يخرج من الجبين مثل الحكم لأجل أن يمكنك أن تبرا أمام مجلس العدالة». ويلاحظ هنا أن الإله «مين» قد أحد ==

قال : « إن « حور » على حق و « ست » على باطل . وعندئذ غضب « ست » جداً وصاح صيحة عالية عندما قالوا : « إن « حور » على حق و « ست » على باطل » .

وعلى ذلك أقسم « ست » يمينا بالله بهذه الكلمات : « لا ينبغي أن يُعطى الوظيفة حتى ينزل ممي لنصنع لنفسينا سفينتين من الحجر ، وتحارب سويا والذي يتغلب على زميله يُعطى وظيفة الحكم » .

فصنع « حور » لنفسه سفينة من خشب الأرز وغطاها بطبقة من الجبس وألقى بها في الماء عند الغروب ، ولم يره أحد في كل العالم . ولكن رأى « ست » سفينة « حور » وظن أنها من حجر ، فذهب إلى الجبل وقطع قته وصنع لنفسه سفينة من الحجر ذرعها مائة وثمانية وثلاثون ، وفي هذا الوقت نزلا في سفينتيهما في حضرة التاسوع ففرقت سفينة « ست » في الماء فتقصص « ست » جاموس بحر وسبب غرق سفينة « حور » .

وعندئذ أمسك « حور » بشص ورمى به جلالة « ست » فقال له التاسوع : « لا ترمه به » . وإذ ذاك أخذ معدات الماء (يعنى بذلك القلع والسكان والمجداف) ووضعها في سفينة ، وسار منحدرأ في النهر إلى « صا الحجر » ليتحدث إلى « نيت » أم الإله فقال : « اعملي على أن يفصل بيني وبين « ست » ، فنذ ثمانين عاما ونحن أمام العدالة ولم يعرف أحد كيف يفصل بيننا . ومع ذلك لم يعترف له بالحق دوني ، ولكن لألف مرة قبل ذلك كنت الحق الظاهر عليه كل يوم ، وعلى الرغم من ذلك لم يبال بأى شيء قاله التاسوع . وقد تخاصمت معه في قاعة المحكمة (السماء) « طريق العدالة » ، وقد كان الحق في جانبي وقد تخاصمت معه في قاعة المحكمة

= مع « حور » ولذلك يسمى « حور — مين — نخت » أى حور — مين المنتصر . ومن الجائر أن هذه التسمية المركبة قد تكون نتيجة لهذه الخرافة .

أما الرواية القصيرة فتشتمل على ما يأتي : « إنك [تدفق] ظفنتك في جسم المدو (أى « ست ») حتى يحمل وحتى يخرج ابنك (تحوت) من جبينه » والفرق الوحيد الهام الذى نشاهده في رواية قصتنا هي العبارة التي تقول إن قرصا من الذهب خرج من جبين الإله « ست » لا الإله « تحوت » نفسه ، وترى أن قرص الذهب يصبح مرتبطاً مباشرة بالإله « تحوت » عندما يضعه على رأسه بمثابة حلية . ولا نزاع في أن الخرافة كانت خارقة لحد العقول في نظر مؤلف قصتنا إذ كيف يمكن أن يكون « تحوت » في وقت واحد محكما بين « حور » و « ست » وابنا « لست » . والظاهر أن هذه الخرافة كان يرمز بها للحرب بين النور والظلمة أو الليل والنهار أى بين « حور » و « ست » وأن « حور » وهو النهار تغلب على « ست » وهو الليل وكانت نتيجة لإتيان « حور » « لست » أن ولد الأخير القمر ، ولذلك يسمى ابن الالهين . وقد شرحنا ذلك في درس القصة .

(السماة) « حور — ذى القرون — البارزة » ، وقد كان الحق في جانبي . وقد تخاضت معه في قاعة المحكمة (السماة) « حقل البوص »^(١) وكان الحق في جانبي . وقد تخاضت معه في قاعة المحكمة (السماة) « بركة الحقل »^(٢) وقد كان الحق في جانبي .

ثم تكلم التاسوع مع « شو » بن « رع » فقال : « لقد كان « حور » بن « اوزير » على حق في كل ما قال . ثم تكلم « تحوت » إلى رب العالمين قائلا : « مر بإرسال خطاب إلى « أوزير »^(٣) حتى يمكنه أن يفصل بين الشاين . وعندئذ تكلم « شو » بن « رع » : « حقا وألف ألف مرة حقا ما قاله « تحوت » للتاسوع . والآن تكلم رب العالمين إلى « تحوت » : « اجلس واكتب خطابا إلى « أوزير » وإنا نريد أن نسمع ما الذى سيقوله » . وإذ ذاك جلس « تحوت » ليؤلف خطابا إلى « أوزير » فكتب^(٤) : « الثور الأسود — الذى

(١) حقل البوص (سخت أرو) هو اسم معروف يطلق على « حقول الجنة » عند المصريين ، وهو المكان الذى يمكن التوفى أن يواصل فيه حرفة الزراعة بنجاح عظيم .

(٢) لم يثر على اسم هذه القاعة في غير هذه القصة . ومن المحتمل أن هذا الاسم يشير إلى البركة التى جاوبت منها نطفة « حور » ولا بد أن تكون هى بعينها التى ألفت فيها « لوزير » اليد النجسة

(٣) إن الدور الذى يلعبه « أوزير » فى هذه القصة هو أنه ملك متوفى يحكم فى الغرب فى العالم السفلى ، ولذلك نجيده مذكورا باسم « وتن نفر » « الكائن الطيب » وإذا استثنينا الفقرة التى نحن بصدددها الآن وهى التى وصفت فيها وظيفته وقوته بصورة حية مدهشة فإننا لا نعرف شيئا تقريبا عنه فى قصتنا . ونجد أنه قد ذكر مرة بأنه ابن الإله « بتاح » وكذلك بوصفه ابن « رع » . ولكن يرجع سبب ذلك إلى أنه كان فى هذه الحالة يمثل فرعون الذى كان يدعى ابن الشمس . أما الاسم الملصق أو الخرطوش الذى يحتوى اسمه « عظيم الفيض — رب السكوة » فإنه يشير إليه بوصفه خالق الفلال . غير أنه لا يوجد بهذه الصورة إلا فى قصتنا . على أن من يقرأ قصتنا لا بد أن يفهم منها أن القارىء يعرف ضمنا كل تاريخ مأساة « أوزير » . هنا ما يقوله الأستاذ « جادتر » عن مركز « أوزير » فى هذه القصة . أما « سببجل » فإنه قد برهن على أن « أوزير » هنا كان يمثل ملك « أهناس » المدينة وأن قصة الآلهة هنا إن هى إلا صورة رمزية لحالة مصر فى العهد الإقطاعى وما قام من الحروب والمشاخات بين حكام الإقطاع فى أوائل الأسرة الثانية عشرة . (انظر كتاب مصر القديمة جزء أول ص ٤١٥)

(٤) يلاحظ هنا أن ألقاب مرسل الخطاب هى التى ذكرت هنا . والمرسل هو « إله الشمس » . ونشاهد أن ألقابه خمسة الألقاب التى يحملها فرعون مصر وهى خمسة الأسماء التى تفسر لنا الصفات التى كان يتميز بها الملك (وقد تكلمت عنها فى كتاب مصر القديمة جزء أول ص ١٦٦) . فثلا بصفته « ملك الوجهين القبلى والبحرى » كان يصنع بأنه « الثور الذى يقطن عين شمس » . ويلاحظ هنا أن اسم الملك الحورى العادى قد اختصر إلى « الثور » بدلا من « حور الثور المنتصر » وهو اللقب الذى حل بدلا من « حور » فقط منذ حكم تحتمس الثالث . أما لقب الالهتين (نبتى) (أى العقاب والصل) ولقب « حور =

يصطاد لنفسه — والإلهتان (نبتى) — الذى يحمى الآلهة وقاهر الأرضين — و«حور» الذهبى بارىء الناس فى الأزل — ملك الوجه القبلى والبحرى — الثور الذى فى عين شمس . ابن «بتاح» المنير فى الأرضين (؟) والذى يضئ بوصفه والد تاسوعه ليغذى نفسه من الذهب ومن الطرائف المقدسة — فى حياة وعافية وصحة — : اكتب لنا عما ينبغى أن نفعله مع «حور» و«سب»، فنحن لا نريد أن نفعل شيئاً مادامنا لسنا على علم (تام) .

وبعد ذلك وصل الجواب إلى الملك ابن «رع» غزير الفيضان ورب القوة ، وهنا صاح صيحة عالية عندما قرئ الجواب أمامه .

فجواب بسرعة عظيمة إلى السكان الذى كان فيه رب العالمين موجوداً مع التاسوع فكتب : « لماذا تستعمل مع ابني «حور» القوة ؟ هل كنت أستعمل معكم القوة ! وإني أنا الذى أوجدت الشمير والحنطة ، والذى أطعم الآلهة^(١) وكذلك المخلوقات الحية بمد الآلهة . على أنه لا يوجد إله ولا آلهة فى مقدوره أو مقدورها أن يفعل ذلك » .

وقد وصل جواب أوزير إلى المكان الذى فيه «رع حور أختي» أثناء جلوسه مع التاسوع فى الحقل الأبيض فى (بلدة) «سخا» .

==الذهبي « فأنهما يقدمان كالمعاد . ويلاحظ فى الألقاب التى فى قصتنا أن المؤلف حينما أراد أن يذكر اللقب الخامس الذى يعرف عند علماء الآثار بالاسم تميزاً له عن الصفة الرابعة ، لم يكن فى الإمكان استعمال عبارة «ابن الشمس» وهو اللقب المعتاد ، لأن ذلك يظهر سخيفاً إذا وصف «رع» بأنه «ابن رع» أى الشمس . على أن هذه النعوت نفسها غريبة فى بابها ولم تكن منتظرة . فثلاً نجد أن لقب «الأسد الذى يصطاد لنفسه» قد صيغ على وتيرة لقب حورى أعطى للملك «مرنبتاح» وهو «الفهد الذى يمزق لنفسه» الخ . وهكذا نجد معظم هذه الألقاب غريبة فى بابها .

(١) لا نزاع فى أن القول الصريح فى قصتنا أن «أوزير» هو الذى خلق القمح فريد فى المتون المصرية . والواقع أن علاقة هذا الإله بالمحاصيل الزراعية كان يعبر عنه بطريقة أخرى فى كل ما وصلنا من النقوش المصرية . فقد كان الاعتقاد القديم أن «أوزير» كان مؤحداً مع القمح ، وكان يقال عنه إنه هو «نير» إله القمح . انظر (Lacau Textes Relig no LX III.)

وكذلك يمثل لنا نفس الفكرة أسرة «أوزير» المصنوعة من الفرين الصالح للزراعة والقمح الذى كان يوضع عليها لينبت فى القبور ، وكذلك التماثيل التى كانت تصنع فى عيد كيهك وهو عيد إحياء «أوزير» يضاف إلى ذلك ما جاء فى «بلوتارخ» وغيره من كتاب اليونان مفسراً لهذا رأى (Plutarch De Iside ch 65) . على أن مظهر هذا الإله فى هذه الصورة قد بحثه سير جيمس فريزر فى كتابه :

Sir James Frazer Osiris, Attis and Adonis Vol II PP 89 ff. وكذلك بحث فى

Journ. Egypt. Arch. II, 121—5 & A. Moret La mise au Mort du Dieu en Egypte.

وقد كان رأى السائد فى العصر الإغريق الرومان أن «إزيس» هى التى كشفت عن القمح

ولكن استعماله وزراعته يرجع الفضل فيهما إلى «أوزير» . راجع Plutarch De Iside Ch. 31 &

Diodorus Siculus I. 14.

وقد قرئ في حضرته وفي حضرة التاسوع وقال « رع حور أختي » : أجب بدلا مني عن هذا الخطاب بناية السرعة واكتب إلى « أوزير » ، ردا عليه : « هب أنك لم توجد بعد ، وهب أنك لم تولد قط فإن الشئير والحنطة كانا — لا بد — موجودين ! » .
وإذ ذاك وصل جواب « رب العالمين » إلى « أوزير » وقرئ أمامه .

وعندئذ أرسل إلى « رع حور أختي » ثانية ما يأتي : « قد يكون كل ما فعلت أنت يا خالق التاسوع حسنا جدا حقيقة . إنه قد سمح للمدالة بذلك أن تهبط إلى العالم السفلي ، ولكن تنبه إلى المركز الذي تجدد نفسك فيه ، أما الأرض التي أمكث فيها فإنها ملأى برسل غضاب^(١) ، لا يخافون أى إله أو آلهة . فإذا تركتهم يخرجون منها فإنهم يحضرون قلب أى إنسان يرتكب خطيئة وسيصيرون معي هنا . والالم أبقي في الغرب^(٢) وأنتم جميعا في الخارج (أى في عالم الدنيا) ! من يوجد بينكم أقوى مني ؟ ولكنهم في الواقع افتروا الكذب . و « بتاح » العظيم القاطن جنوب جداره رب « عنخ تاوى » (منف) وخالق السماء ألم يتكلم إلى النجوم التي فيها قائلا : ينبغي أن تذهبي إلى الغرب كل ليلة حيث يوجد الملك « أوزير » .

ولكن ينبغي أن يذهب بعد الآلهة البشر وعامة الخلق للراحة (الموت) أيضا في المكان الذي^(٣) أنت فيه — هكذا قال لى . ؟ (أى بتاح) » .

(١) إن فكرة الرسل هنا تقابل في التوراة والإنجيل والقرآن الملائكة الذين ينفذون أوامر الإله . ولدينا أدلة على وجودهم في النقوش المصرية في « كتاب الموتى » وفي « متون الأهرام » . ففي الفصل التاسع والعشرين من « كتاب الموتى » نجد ما يناسب الفقرة التي في قصتنا نموذجة لمنع أخذ قلب الإنسان منه ، وهي : « ابعد أنت يا رسول أى إله ، هل أتيت لتحرمنى قلبي هذا الذى أعيش به ؟ لأن أعطيك إياه ، فلي هذا الذى أعيش به . . . »

(٢) يظهر أن الغرب أو العالم السفلي هنا يقصد به أن يكون مكانا للنفي خاصة بالأشقياء وبعبارة أخرى ما يقابل جهنم عندنا .

(٣) لقد عثر على وصف ممتع للغرب (الجبابة أو عالم الآخرة) في قصيدة من أواخر الأسرة

الثامنة عشرة (Proc. Soc. Bib. Arch, 35, 168)

« إن كل أقاربنا يرتاحون فيها منذ الأزل . وكذلك من سيولدون : (الملايين) منهم نلو (الملايين) سيأتون إليها جميعا ولا يتباطأ أحد عنها في مصر ، وليس هناك فرد واحد لا يقرب منها » . وكذلك في المصور المتأخرة نجد في قصة « خامواس » (Griffith. Stories of the High Priest of Memphis)
8-46 PP) إن الموتى قد مثلوا داخلين إلى الغرب (يعنى) ليحاكمهم « أوزير » ، فالتقى يدفع به إلى المارد المسمى « اما » (الملتهم) ، أما الفاضل فإن مكانه بين الأبرار الذين يخدمون « أوزير »

وبعد ذلك وصل خطاب « أوزير » إلى حيث كان رب العالمين الذي كان مع التاسوع ،
فتسلم « تحوت » الجواب وقرأه أمام « رع حور أختي » والتاسوع .

فقالوا : « إن « العظيم في فيضانه ورب الطعام » محق في كل ماقاله » . وهنا قال « ست » :
اذهبوا إلى « جزيرة الوسط » ، وعلى ذلك يمكنني أن أتخاصم معه (هناك) . وعلى ذلك ذهب
إلى « جزيرة الوسط » وقد أعلن أن « حور » صاحب الحق عليه . وعندئذ أرسل « آتوم »
رب العالمين في عين شمس إلى « إزيس » قائلا : ايتي « بست » مكبلا بالأغلال . وعلى ذلك
أحضرت « إزيس » « ست » مكبلا بالأغلال مثل السجين .

فقال له « آتوم » : لماذا لم تقبل أن يفصل بينكما (حسب القانون) ، بل بحثت لتفتصب
لنفسك وظيفة « حور » ؟ فقال « ست » : ليس الأمر كذلك ياسيدي الطيب قط — مر بأن
ينادي « حور » بن « أوزير » ثم يعطى وظيفة والده « أوزير » .
فأحضر « حور » بن « إزيس » ، ووضع التاج الأبيض على رأسه وأجلس على عرش
والده « أوزير » . ثم قيل له : « إنك ملك مصر الطيب ! وإنك الرب الطيب لكل بلاد
أبد الآبدين ! »

وعندئذ رفعت « إزيس » صوتها عاليا أمام ابنها « حور » وقالت : « إنك الملك الطيب
وإن قلبي لفي سرور عندما تنير الأرض بهائك » .

وإذ ذاك تكلم « بتاح » العظيم القاطن جنوب جداره ، رب « عنخ — ناوي » (منف) :
ما الذي ينبغي أن يعمل لست (الآن) ؟ إذ تأمل . فإن « حور » قد جلس في مكان والده
« أوزير » . وعندئذ قال « رع حور أختي » : « أتمنى أن يسمح « لست » بن
« نوت » أن يسكن معي بمثابة ابن ، وكذلك ينبغي أن يرفع صوته في السماء (يرعد) وأن
يخاف الإنسان في حضرته » .

وعندئذ أتى من يبلغ « رع حور أختي » : « أن « حور » بن « إزيس » قد نصب
حاكما . وعلى ذلك فرح « رع حور أختي » فرجا شديدا وقال للتاسوع : « أقيموا
الأفراح في كل البلاد « لحور » لابن إزيس ! » . ولكن « إزيس » قالت : « إن « حور »
قد نصب حاكما ، والتاسوع في سرور ، والسماء في حبور ، وهم يأخذون أكاليل الأزهار
عندما يشاهدون « حور » بن « إزيس » ، وكيف أنه نصب حاكما عظيما لمصر »
أما التاسوع فإن قلوبهم كانت فرحة وكل البلاد في حبور عندما رأوا « حور »

ابن « إزيس » ، وكيف أنه قد أخذ وظيفة والده « أوزير » سيد « أبو سير » . لقد انتهى بخير في طيبة في مكان الصدق (؟)

قصة سياحة ونأمون

ملخص القصة :

كان القارب الرسمي المشهور المسمى « وسرحت » الذي كان يستعمله « آمون » طيبة في حاجة إلى خشب من أرز لبنان ، وكان ذلك سهلا مادامت بمصر قوية . ولكن حوالى سنة ١١٠٠ ق.م. كانت مصر ضعيفة فلم يكن لديها المال ولا النقود لجلب ما يلزم لإعادة بناء القارب من الخشب ، ومع ذلك فقد جمع المال بطريق التبرع واتفق على إرسال آمون نفسه إلى « ييلوس » « جبيل » ، وقد اختير لهذا الغرض تمثال للآله يسمى « آمون الطريق » وصاحبه « ونأمون » أحد موظفي المعبد (أسن رجال القاعة) ، وأخذ معه خطابات توصية « لسمندس » ، و« ننتامون » لمدته بما يحتاج إليه في طريقه إلى ييلوس « جبيل » .

وصل ونأمون إلى « نانيس » مقر « سمندس » و« ننتامون » . وفي الشهر الرابع وصل إلى « دور » في بحر سوريا العظيم . وهناك سرقت نقوده فشكا إلى أميرها فلم ينصفه ، فاستمر في سياحته إلى « زاكار بمل » أمير « جبيل » ، وقد قابل بعض الأهلالي فسلمهم كيس نقود تمويضا عما سُلِبَ ، فغضب أمير « جبيل » لما حدث وأمر بطرده من ثغره ، ولكن « ونأمون » لم ينفذ الأمر ، ودار حوار بينهما حول السفر والإقامة وسبب المجيء إلى بلاده ، وطلب ثمننا لما يراد منه ، وانتهى الأمر بإرسال سبع قطع من الخشب إلى مصر ، وأرسل « سمندس » « وننتامون » هدايا كثيرة فرح لها الأمير ، وحشد جما من الرجال والثيران لإعداد الخشب المطلوب . وبعد أن جهز الخشب على شاطئ البحر جاءت سفن من « زاكار » للقبض على « ونأمون » وسجنه وللحيلولة دون سفر الخشب إلى مصر ، فأبى الأمير أن يقبض عليه في أرضه وأرسله بعيدا عن بلاده ، فسأقت الريح سفينته إلى أرض « إرسا » وخرج أهلها ليقتلوه ، فلبجأ إلى ملكتها ، ثم كسرت البردية بعد ذلك ، فلم يعلم كيف نجى « ونأمون » من أخطاره ؟ وهل حقق الغرض من رحلته أم رجع كما ذهب .

دراسة القصة :

هذه القصة تمد من أدب الدولة الحديثة الراقى ، وإذا قسّمها بغيرها من قصص الدولة الوسطى كقصة «سنو هيت» الراقية المغزى والتميز ، أو قصة «الفريق» السهلة التناول العذبة الأسلوب ، وجدت أهم ميزة لقصتنا هذه الوصف الحى الذى تضمه أمامنا ، والحوار الحاد المتع الذى تعرضه على أسمعنا . وأهم من هذا وذاك البيئة التى أظهرها القاص فيها ، والجو الذى نقل القارئ إليه ، والنواحي النفسية التى تناولها كإبراز أخلاق «ونامون» أهم شخصية فيها ، وبيان أن الأسرة العشرى التى انحطت قوتها أعجز من أن تجلب لمصر ما اعتادت الأسرة القوية أن تفعله ؛ فلم يكن فى مقدور حاكمها أن يصدر أمراً فى مصر لينفذ فى لبنان . ولقد سرد الكاتب قصته بطريقة جميلة حتى لترسخ فى ذهنك صورة أمير «جبيل» فى حجرته العليا ، وظهره مستند إلى شرفتها ، وأمواج البحر السورى تتلاطم من خلفه ، وحتى تشارك ونامون أساءه لمروب أحد أتباعه بما كان عنده من ذهب وفضة ، وحتى لترثى لخلدانه عندما طوبل بإبراز ما يتسلح به من توصية أو عدة ، وحتى لتبكي معه سوء طالعهم عندما رأى الطيور ترحل للمرة الثانية إلى مصر وهو على حاله من الخيبة والفشل فى سوريا مقيم .

وقد وضع الكاتب أمام أعيننا صورة مدهشة لتدهور الدولة المصرية وسقوطها ، مشربة باعتقاد رقيق مؤثر فى قوة آمون ، وقدرته على انتشالها من وهبتها وإعادتها لما كانت عليه فى غابر الأزمان .

وهذه القصة جديرة بأن توضع جنباً لجنب مع بعض أحسن القصص التى وردت فى التوراة مثل قصة «يونس ورسالته» أو «قصة راعوت فى وسط القمح» ، مع فارق واحد هو أن قصتنا قد سبقت كلاهما بنحو خمسة قرون ، كما أنها تقدم لنا صورة حية عن السياحة وعن التجارة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتساعدنا على تصور ذلك العالم على حقيقته كما كان ، ذلك العالم الذى لا تزال صورته نتمتع بها فى قصة «الأوديسا» بأسلوبها البسيط الخالى من المحسنات العميقة القديمة . هذا إلى أن القاص يستميلنا أكثر من هذا بنسكاته الدقيقة التى تجرى على لسانه من غير تكلف أو اصطناع .

المصادر :

عثر على هذه البردية الأستاذ جولنيشف الروسى ، وهى الآن فى موسكو وقد ترجمها وعلق عليها سنة ١٨٩٩ وأهم من ترجمها أو كتب عنها :

- (1) Erman, Zeitschrift fur Aegyptische Sprache, XXXVIII, p.p. 1. f.f.
- (2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", (translated by Blackman), p. 174.
- (3) Eric Peet, "A comparative study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 47. f.f.
- (4) Maspero, "Popular Stories of Ancient Egypt," p. 202.
- (5) Wiedmann, Altägyptische Sagen und Märchen, (Leipzig, 1906), p.p. 94 — 113.
- (6) Breasted, "Ancient Records of Egypt", Vol. IV, p.p. 274 f.f.

من القصة

في اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف سنة خمس سافر في هذا اليوم « ونأمون » أكبر رجال قاعة إدارة « آمون » الكرنك ليحضر الخشب للسفينة الكبرى المظلمة الخاصة « بأمون رع » ملك الآلهة ، وهي التي على النهر وتسمى « وسرحات آمون » . في اليوم الذي وصلت فيه إلى « تانيس » مقر « سمندس » و « تنتامون » أعطيتهما خطابات « آمون رع » ملك الآلهة . وقد قرئت في حضرتيهما وقالا : « نم سنعمل كما قال سيدنا « آمون رع » ملك الآلهة ، وقد مكثت إلى الشهر الرابع من الصيف في « تانيس » ثم أرسلني « سمندس » و « تنتامون » مع قائد المركب « منجبت »^(١) . وفي اليوم الأول من الشهر الرابع من فصل الصيف نزلت في بحر سوريا العظيم . وقد وصلت إلى « دور » وهي مدينة « للزكار »^(٢) وقد أمر « بدر » أميرها باحضار (؟) رغيف لي وإناء من النبيذ وساق ثور^(٣) . وقد ولي الأدبار أحد رجال سفينتي سارقا : أواني من الذهب . . . يبلغ مقدارها خمسة دبن^(٤) . وأواني فضة أربعا يبلغ مقدارها عشرين دبنا . وفضة في كيس يبلغ مقدارها ١١ دبنا ، فجموع ماسرق خمسة دبن من الذهب وواحد وثلاثون دبنا من الفضة ، وكان في الكيس قطع من الفضة كانت تستعمل للتعامل زيادة على الأواني (هذا مبلغ عظيم كان لا بد أن يستعمل معظمه لشراء الخشب) .

وفي الصباح نفسه (؟) استيقظت وذهبت إلى حيث كان الأمير وقلت له : « لقد سرق

(١) كما سيتضح بعد : هو اسم قائد سوري أي فينيقي

(٢) شعب كان قد غزا ساحل فلسطين منذ ثمان سنوات مضت .

(٣) هدية له .

(٤) الدبن ٩١ جراما

في ثفرك . ولما كنتَ أمير هذه الأرض وشرطيها فابحث عن نقودى . وفي الحق أن المال ملك « آمون رع » ملك الآلهة ورب الممالك ، وهو ملك سمندس وملك « حرحور » سيدى ، وملك عظماء مصر الآخرين^(١) ومن ملكك أنت ومن مال « ورت » ملك « مكر » و « زاكار بمل » أمير « جيبيل »^(٢) . فقال لى : أنت مؤذام مسالم^(٣) ؟ انظر . أنا لا أفهم شيئاً في هذا الموضوع الذى حدثنى عنه . لأنه لو كان اللص الذى دخل السفينة وسرق المال من بلادى حينئذ كنت أدفعه لك ثانية من خزانتي إلى أن يعرف اللص المذكور . ولكن الذى سرقك هو منك وتابع لسفينتك . فانتظر هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه . وقضيت تسعة أيام مقياً في ثفري ، ثم ذهبت إليه وقلت : « انظر . إنك لم تجد نقودى (فسأقلم أنا) مع القائد ومن سيسافرون » .

وفي الكسر الكبير الذى في الورقة البردية في هذا المكان يمكن أن نقدر أن عبارة كالاتية قد قيلت . قامت مناقشة حادة بين « ونأمون » وأمير « دور » إذ قال له « الزم الصمت » وقد أساء له إنسان النصيحة بأن يعمل مثل غيره على أن يسترد ماله ثانية بنفسه أى : يذهبون ليجثوا عن سارقهم — ومن ثم أتى إلى « صور » ؟

وأتييت في الفجر من صور (واستمر في سياحته إلى زاكار بمل أمير « جيبيل » . ولسوء الطالع قابل بعض أهالى « زاكار » في خلال سياحته وظن أنه محق في أن يموض على نفسه السرقة التى كان هو فريستها في مدينتهم من متاعهم ، فسلم منهم كيساً) (؟) : وَجَدْتُ فيه ثلاثين دبناً من الفضة . فأخذتها . فاشتكوا ولكنه أجاب : (حقاً أنها) نقودكم غير أنها ستبقى معى إلى أن توجد نقودى . وعلى ذلك أوجد لنفسه أعداء من أهالى « زاكار » ثم ذهبوا ، ووصل هو إلى ثفر « جيبيل » . وهناك بحث لنفسه عن مكان أمين : وقد خبأت فيه « آمون الطريق » ووضعت فيه متاعه^(٤) . ولكن أمير « جيبيل » لم يظهر ارتياحه لزيارة رجل لم يكن على وئام مع « الزاكاريين » ، فأرسل إلى أمير جيبيل وقال : « اخرج من ثفري » (لم يبق من جواب « ونأمون » على هذا الطلب إلا الكلمات الأخيرة) : « إذا كان هنا

(١) الذين جموها

(٢) هؤلاء هم الأمراء الفينيقيون الذين سيزورهم والذين سيكون لهم نصيب من النقود عندما يجدها ثانية .

(٣) يحتمل أنه يريد أن يقول يمكنك أن تقضب لجواي . غير أن هذا الأمر لا يمتنى لأن السارق ليس من رعايى

(٤) نقود زاكار ومتاع ونأمون

أناس على سفر فدعهم يأخذوني إلى مصر . (والظاهر أن « ونأمون نفسه كان مستعداً تماماً ليتخلى عن هذه الرحلة الفاشلة ، غير أنه لم يكن لديه أى فرصة ليسافر آمناً إلى وطنه إذا لم يضمن له أمير « جيبيل » مكاناً أميناً على ظهر مركب مسافر إلى مصر . ثم يستمر المتن) : وأمضيت تسعة عشر يوماً في ثفري ، ولكنه استمر يبعث إلى كل يوم قائلاً : « اخرج من ثفري » . وبينما كان يُقدم القرايين لآلهته أصاب الإله أحد شبابه النبلاء ^(١) فصار غبولا وقال : « احضر الإله هنا ؟ أحضر الرسول الذى معه إنه آمون الذى أرسله ، إنه هو الذى جعله ^(٢) يأتى . »

وهكذا استمر الشاب المخبول في خبلة طول الليل ، في حين أتى وجدت سفينة مقلعة إلى مصر وكنت أنقل كل ماعندى على ظهرها ، وكنت أرقب الظلام حتى إذا أسدل ستاره أنزل الإله حتى لا تراه عين أخرى . وأتى إلى رئيس الثغر قائلاً : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » ، فقلت له : أأست الذى لا يفتأ يأتى كل يوم قائلاً : اخرج من ثفري ولم تقل قط « ابق ؟ » . والآن سيدع الأمير المركب التى وجدتها تسافر ، ثم تأتى أنت إلى ثانية قائلاً : « فلتذهب » ؟

فذهب وأخبر الأمير بذلك ، ولكن الأمير أرسل إلى قائد المركب قائلاً : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » .

ولما جاء الصباح أرسل إلى وأحضرني أمامه والإله بقى فى ... الذى كان فيه على ساحل البحر ، فوجدته قاعداً في حجرته العليا وظهره متكئ على النافذة وأمواج بحر سوريا العظيم تتلاطم من خلفه ، فقلت له : « رحمة (؟) آمون » ! فقال لى : ما المدة التى قضيتها منذ أتيت من مقر آمون ^(٣) إلى الآن ؟ . فقلت له : خمسة شهور كاملة إلى الآن .. فقال لى : « أحقا تتكلم الصدق ؟ وإن إذا مكتوب رئيس كهنة آمون الذى يجب أن يكون معك » فقلت له : أعطيتها « سمنس » و« تننامون » . فغضب جداً وقال لى : « انظر . ليس لديك كتابة ولا خطاب ، فأين على (أقل) تقدير سفينة خشب الأرز التى أعطاهها إياك « سمنس » ؟ وأين نواتها السوريون ؟ حقا إنه لم يسلمك ربان هذه السفينة لتذبح وتلقى فى البحر فن أين إذا أتوا ؟ بالإله ، وأنت أخبرني من أين أتوا بك ؟ » وهكذا تكلم إلى وقد قلت له : « ولكنها سفينة

(١) يقصد بالشبان الوصفاء أو من على شاكلتهم

(٢) وقد كان نبأ حضور تمثال الإله أخذ ينتشر بين حاشية الملك

(٣) الأسئلة الآتية كلها ترى إلى اعتبار ونأمون معنالا .

مصرية ونوايتها مصريون يسيحون « لسمندس » وليس لديه ملاحون سوريون ^(١) » فقال لي : « ولكن يوجد في ثغرى عشرون سفينة مشتركة مع « سمندس » ، وفي « صيدا » التي مررت بها سائحا أيضا خمسون مركبا مشتركة مع « بركات أيل » ^(٢) وهي تسافر إلى بيته . » وقد كنت صامتا في تلك اللحظة الرهيبة . فأجاب قائلا : « لأى داع أتيت إلى هنا ؟ » فقلت له : « أتيت من أجل الخشب اللازم للسفينة العظيمة الشأن ملك « آمون » ملك الآلهة ، وقد كان والدك وجدك معتادين أن يفعلوا ذلك وأنت ستفعل كما فعلا أيضا »

وهكذا تكلمت معه . فقال لي : « حقيقة قد فعلا ذلك ، وإذا أعطيتني شيئا مقابل تنفيذ هذه الرغبة فعلتها . وفي الحق أن قوى قد أنجزوا هذا الأمر ، ولكن الفرعون قد أرسل ستة مراكب هنا محملة بسلع مصر وقد أفرغوها في مخازنهم ، فعليك إذا أن تحضر لي أنت بعض الشيء أيضا ، ثم ذهب وأحضر سجلات والده اليومية وأمر بقرائها بصوت عال في حضرتي ، وقد وجد أن مادخل في سجله يبلغ ألف دين من كل أنواع الفضة ^(٣) »

وقال لي : « إذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة ولا ذهباً حينما يقول « نفذ أمر آمون » . على أنها لم تكن هدية ملك ^(٤) ، التي أعطوها والدى . وأنا لذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك ^(٥) . وإذا بعثت إلى لبنان فإن السماء تفتح وتكون الأشجار ملقاة هنا على شاطئ البحر ^(٦) . أعطني القلاع التي أحضرتها معك لتقطع بسفنك التي تعود بالخشب إلى مصر . أعطني كذلك الجبال التي أحضرتها معك لتربط بها بإحكام ^(٧) ؟ إل ... شجر الذى سأقطعه حتى أصنعها ... لك ... لأنك من غير كل هذا لا يمكنك أن تسافر بالخشب ، وإذا صنعتها لك قلاعاً لسفنك فإن أطرافها ستكون ثقيلة أكثر من اللازم وتنكسر إلى قطع ، وتهلك أنت في وسط البحر . وتأمل إن آمون يرد

(١) أسئلة لا قيمة لها . فإدام صاحب السفينة مصريا فالبحارة الفينيقيون يمكن اعتبارهم مصريين كذلك

(٢) ومعنى هذا الاسم « نعمة الله »

(٣) يقصد أواني وقطعا فنية

(٤) يريد أن يعلق أهمية على أن النقود كانت مقصورة على ثمن شراء الخشب فقط

(٥) فهو بكل احتقار يعين بالذات الكاهن الأعلى

(٦) ولما كانت هذه الأشجار نامية على جبال عالية فإن تساقطها من أعلى يدفع بنا إلى الظن أنها

ساقطة من السماء

(٧) أحمال من الخشب إذا لم تكن مربوطة بإحكام تكون خطرا على السفينة

فى السماء ويجعل « سوتخ »^(١) يثور (٢) فى وقته . لأن آمون^(٣) قد أمد كل البلاد ، وقد أمدم كما أمد أرض مصر التى أتيت منها فقد أمدها أولا . لأن الشغل الدقيق قد أتى منها إلى مقرى ، وكذلك التعليم أتى منها ليصل إلى مقرى . فإهذه السياحات الصببانية التى جعلوك تقوم بها ! « قلت له : « صه . إنها ليست سياحات صببانية مطلقا التى أقوم بها ، فليست هناك سقينة على الماء الا وهى ملك لآمون . فانه هو البحر ولبنان ملكه وهى التى تقول عنها « إنها ملكى » لأنها مزرعة للسفينة « ومرجات آمون » رب كل سفينة . وفى الحق هكذا تكلم « آمون رع » ملك الآلهة قائلا « لمارحور » سيدى : أرسلنى^(٤) واجعلنى أسافر مع هذا الإله العظيم . ولكن تأمل . لقد جعلت هذا الإله العظيم يعضى ٢٩ يوما ، وبعد ذلك نزل إلى ثرك وأنت تعلم تماما أنه كان هنا ! وهو لا يزال على ما كان عليه أبديا ، وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن لبنان مع ربها آمون . أما من جهة قولك : إن الملوك السابقين أرسلوا فضة وذهباً فإذا كانوا قد قدموا الحياة والصحة فإنهم كانوا فى غنى عن إرسال هذه الأشياء . وقد فضلوا أن يرسلوا إلى آبائك هذه الأشياء بدلا من الحياة والصحة^(٥) .

« والآن من جهة « آمون رع » ملك الآلهة فإنه هو رب الحياة والصحة ، وقد كان رب آبائك الذين قضوا مدة حياتهم يقدمون القربان لآمون ، وأنت كذلك خادم لآمون . والآن إذا قلت : نعم سأفعلها ونفذت أمره فانك ستعيش وتقلع وتكون فى صحة جيدة وستكون محسنا إلى كل الأرض وإلى قومك . ولكن لا تأخذ ثرها لنفسك أى شىء خاص « بآمون رع » ملك الآلهة ، حقا أن السبع يجب متاعه !

« دع كاتبك يحضر إلى حتى أرسله إلى « سمندس » و « تفتامون » قائدى الأرض ، وهما اللذان قد منحهما آمون الجزء الشمالى من أرضه ، وسيرسلان كل ما يحتاج إليه وسأكتب أنا إليهما قائلا : أرسلها (أى الأشياء) حتى أعود للجنوب وأرسل لك كل ما أنا مدين به لك » وهكذا تحدث له . وقد سلم خطابى إلى يد رسوله ثم حمل خشب قعر المركب والمقدمة والمؤخرة وكذلك أربع قطع أخرى ، أى أن المجموع كان سبع قطع ، وأمر بإرسالها إلى مصر .

(١) يعتبر « سوتخ » إله العاصفة وهو إله أسبوى الأصل

(٢) يتكلم عن آمون « كالاله الأعلى » وشبهه يجب أن ينظر إليه بعين الاحترام مراعاة للاله وللمصر

(٣) نامون نفسه هو الذى أمر بسفر تمثاله بوساطة الوصى

(٤) الحياة والصحة هى البركة التى يمنحها الآلهة . وهذا ما أحضر لك بوساطة تمثال الإله . وهذه

بلا شك أفضل من المال الذى كنت تتسله فى الزمن الماضى .

وقد ذهب رسوله إلى مصر وعاد إلى في سوريا في أول شهر من الشتاء وأرسل إلى « سمندس » و « تنتامون » .

عدد

ذهب ٤ أباريق وإناء كا كنت .
فضة ٥ أباريق .
ملابس من الكتان الملكي عشر قطع .

عدد

كتان جيد من الوجه القبلي ١٠ خرد
بردى جميل : ٥٠٠
جلود ثيران : ٥٠٠
حبال : ٥٠٠
جولق عدس : ٢٠
سلة سمك : ٣٠

وكذلك أحضروا لي^(١) : ملابس من كتان الوجه القبلي الجيدة : ٥ قطع وكتانا جديداً
من الوجه القبلي : ٥ خرد .

عدد

عدس ١ جولق
سمك ٥ سلات

ففرح الأمير وخصص ثلثائة رجل وثلثائة ثور على رأسها ملاحظون لقطع الأخشاب ،
وقد قطعوها وبقيت ملقاة طول الشتاء . وفي الشهر الثالث من الصيف جُرَّت إلى
شاطئ البحر .

وأقى الأمير ووقف عليها (أى الأشجار المقطوعة) وأرسل إلى قائل : تعال . ولما أحضرت
بالقرب منه سقط ظل مروحته على ، ولكن بنأمون^(٢) ساقبه وضع نفسه بيني وبينه قائل :
« إن ظل فرعون ربك قد سقط عليك » وقد غضب (الأمير) قائل : « دعه وهذه » .
وأحضرت بالقرب منه وأجاب قائل : « تأمل . إن الأمر الذى قد أداه آبائى فى الزمن الماضى
قد أدبته أيضا ، وإن كنت أنت من ناحيتك لم تفعل لى ما فعله آباؤك لى . انظر . إن آخر

(١) أرسل هذا « تنتامان » له شخصيا

(٢) رجل مصرى . غير أنا لا نعرف كيف نحدد خبث هذه الحركة

قطعة من خشبك قد وصلت الآن وهامى قد كُؤمت . والآن افعل كما أريد وتعال لشحنها ، لأنها فى الحقيقة أعطيت لك . ولكن لاتأت لتشاهد أهوال البحر^(١) ، فاذا كنت ستشاهد هول البحر فشاهد هولى أيضا . وفى الحق لم أفعل معك ما فعلوه مع رسل « خاموس^(٢) » حينما قضوا ١٧ سنة فى هذه الأرض ، وقد ماتوا حيث كانوا .

ثم قال لساقيه : « خذهُ وأره قبورهم حيث يرقدون » وقلت له : « لا تُرنى إياها ! أما عن « خاموس » فإنه أرسل لك رجلا رسلا وكان هو نفسه رجلا وأنا ليس معى أحد من رسله ومع ذلك تقول : « اذهب وانظر إلى زملائك^(٣) » ألا يحسن بك أن تفرح وتأمر بعمل لوح تذكارى لك وتنقش عليه « آمون رع » الإله أرسل إلى رسوله « آمون الطريق » ومعه « ونأمون » رسوله من البشر من أجل الخشب اللازم لسفينة « آمون رع » ملك الآلهة العظيمة الفاخرة ، وأنى قطعها وشحنها وأرسلتها فى سفنى المجهزة بملاحى ، وقد أرسلتهم إلى مصر ليلتمسوا إلى حياة عشرة آلاف سنة من آمون ، أكثر مما هو مقدر لى وسيحقق ذلك . وحينئذ عندما يأتى رسول من أرض مصر فى الزمن المقبل عالم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فإنه سيقرب لك ماءً فى الغرب مثل الآلهة^(٤) الذين هنا . فقال « إنها لشاهدة عظمى على ما قد قصصته على » فقلت له : أما من جهة الأشياء العدة التى قلتها لى فانى لو وصلت إلى مقر كهنة آمون ونظر إلى ما وصيت^(٥) به فحينئذ سيجيبك إلى هذه التوصية بمض الشئ^(٦) . وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزوما ولحمت إحدى عشرة سفينة تقترب فى البحر وهى من متاع « زاكار » وقد أنت بالأمر : خذوه سجيناً ولا تسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر . وعند ذلك قدمت وبكيت . ثم أتى كاتب خطابات الأمير إلى وقال لى : « ماذا يؤلك ؟ » فقلت له : « لا ريب أنك ترى الطيور التى تذهب إلى مصر للمرة الثانية^(٧) . انظر إليها ! إنها تذهب إلى البرك الباردة ، ولكن إلى أى وقت سأترك هنا ؟ ولا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانية ليأخذونى سجيناً » . فذهب وأخبر

(١) أى أسرع وسافر ولا تجعل رداءة جو الفصل سبباً فى بقاءك هنا

(٢) يحتمل أن يكون عرميس التاسع . ونحن هنا لسانى فى موقف يمكننا أن نخمن فيه ما حدث بالضبط . ولكن على أية حال فإن هناك إشارة إلى تهديد فى هذه الحادثة

(٣) ومعنى ذلك أن مهمتى لها صبغة إلهية

(٤) أى الملوك الأموات الذين فى الغرب (أى الآخرة)

(٥) الخشب الذى تسلمه (٦) أى سندفع حولة الخشب الثانية

(٧) لقد مضى عام كامل منذ مفادرتة طيبة . وبعد ذلك يقول بشىء من المبالغة إنه يرى الطيور

السافرة للمرة الثانية تسافر إلى مصر

الأمير بذلك . فأخذ الأمير يبكي بسبب الأخبار المحزنة جداً التي قيلت له ، وأرسل إلى كاتب خطاباته وأحضر إلى قده من التبيذ وكبشا وزيادة على ذلك أحضر لى « فتنتوت » وهى مغنية مصرية كانت معه قائلاً لها « غنى له ولا تجعل قلبه تسكنه الهموم » ، وأرسل إلى قائلاً : « كل واشرب . ! ولا تجعل قلبك مسكناً للهموم ، وستسمع كل ما أقوله غداً » وعند الصباح أمر ينادى ووقف فى وسطهم وقال لرجال « زاكار » : « ما معنى مجيئكم هذا ؟ » فقالوا له : « قد أتينا وبحشنا وراء السفن التي يجب أن تحطم وهى التي ترسلها إلى مصر مع زملائنا » . فقال لهم : « أنا لا يمكننى أن آخذ رسول آمون سجيناً فى أرضى . دعونى . أرسله بعيداً ، وعندئذ اقتفوا أثره لتأخذوه سجيناً) يظهر أن هذا كان نص القانون الدولى وقتئذ) .

فوضعتنى على ظهر السفينة وأرسلنى بعيداً عنه . . . إلى ثغر البحر ، فساقتنى الريح إلى أرض « إرسا » ^(١) وخرج أهل المدينة ليقتلونى وقد ساقونى بينهم إلى مكان سكن « حتب » ملكة المدينة ، وقد وجدتها حينما كانت آتية من أحد بيوتها داخلة إلى بيت آخر لها ^(٢) وقد حينئذ وقت للناس الذين وقفوا بجانبها : « يوجد من غير شك واحد من بينكم يفهم المصرية » فقال أحدهم : « أنا أفهمها » فقلت له : قل لسيدتى : « لقد سمعت أنه يقال من أول طيبة حتى إلى مكان « آمون » إن الظلم يفعل فى كل مدينة ، ولكن الحق يفعل فى أرض « إرسا » ، والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا » . فقالت لى : « ولكن ما الذى تمنيه بما تقول ؟ » فقلت لها : « إذا كان البحر قد هاج وساقتنى الريح إلى الأرض التي تسكنونها فإنك لن تسمحى لهم أن يقبضوا على ليزبحونى مع العلم بأنى رسول « آمون » ، فتدبرى الأمر جيداً . إني فرد سيجرى البحث عنه باستمرار ^(٣) . أما من جهة « ملاهى » أمير « جبيل » الذين يبحثون عنهم ليقتلوهم فإن سيدهم لو عثر على عشرة من ملاحيك كذلك سيقتلهم » وعلى ذلك أمرت بإحضار الناس فأحضروا أمامها وقالت لى : « ارقدوهم » . وهنا كسرت ورقة البردى ولا نعلم كيف هرب « ونأمون » من هذه الأخطار الجديدة ، وهل أفلح فى إحضار الخشب إلى مصر ؟ وهل دفع ثمنه ؟ وهل « آمون الطريق » الذى لم يستفد منه شيئاً قط فى السياحة رجع سالماً ثانية إلى الكرنك ^(٤) أو لم يرجع ؟

(١) إرسا هى « قبرص » ولكن لا نعلم كيف تخلص من « زاكار » سليما

(٢) أى كانت فى الشارع . (٣) لأنه شخصية كبيرة

(٤) « الكرنك » هو معبد الإله آمون العظيم فى « طيبة » والظاهر أن هذه الكلمة معرفة عن لفظة « الخورنق » وهو القصر المصهور . وقد جاءت هذه التسمية عن طريق العرب عند فتح مصر لما بين البناءين من التشابه . واسم معبد « آمون » بالمصرية هو « إبت — سوت » .

الحكم والتأملات

مقدمة :

تدل نتيجة البحوث التي قام بها علماء الآثار في تاريخ أدب العالم القديم أن مصر كان لها قصب السبق في الإنتاج الأدبي في باب الحكم والتأملات . فإن « بابل » و « آشور » لم تترك شيئا يستحق الذكر نسبيا في هذا المضمار .

أما فلسطين جارة مصر فقد أنتجت فيه إنتاجا عظيما ، وبخاصة في باب الأمثال والتعاليم الدينية وحكم سليمان و « الزايمير » وكتاب « أيوب » وغيرها مما نجده في التوراة من هذا النوع من الأدب .

والفكرة السائدة التي علفت بأذهان معظم المتعلمين أن الحكم المصرية والتعاليم التي وصلت إلينا عن المصريين ، كان الغرض الذي يرمى إليه الكاتب من تدوينها هو أن يكون موظفا كفئا وأن يؤدي عمله على الوجه الأكمل ، ويكون في مقدوره أن يكتب عن عمله تهريرا ليساعده على الظهور في مجال الحياة وحسب . ولكن من يعمن في النظر إلى كتب الحكمة المصرية يجد أن الكاتب المصري لم يكن غرضه الوظيفة أو جمع ثروة في الحياة فقط ، بل كان يرمى إلى معان أسمى من ذلك ومقاصد أنبل ، تخلد ذكره وترفع من شأن قومه ؛ لأنه كان يرمى إلى أن يفتح أمامهم أبوابا للدرس الحياة في نواحيها المختلفة ، ويرشد المرء إلى الطريقة التي يمكنه بها أن يتحدث مع غيره ، ويحبب عما يسأل عنه بأجوبة سديدة قولاً وكتابة ، مما يمهده له سبيل الفلاح في الحياة الدنيا ويجعله مقبولا في الآخرة .

ولقد كان الكاتب يشعر بأنه إذا أجاد في نشر تعاليمه القيمة خلد اسمه ، وعاشت حكمته على مر الأيام والدهور ، من أجل ذلك جرت العادة أن يختار المؤلف أعز الناس إليه ليضع أمامه تعاليمه وحكمه حتى يحفظها ويمثل بها ويتوارثها نسله ، ولكنه من جهة أخرى كان ينظر إلى مؤلفاته الأدبية نظرة من يريد لها البقاء ، فكان يطمحها عين العناية ، ويبدل في تأليفها جهد الطاقة ، لأنها عنده أرفع مكانة من كل أغراض الحياة ، وأبقى من البروح المشيدة من « النحاس والحديد » ، لأن كل صروح الحياة في نظره عرض زائل . أما كتاباته وتأليفه الأدبية فهي التي ستبقى بعد زوال كل شيء ، وحتى بعد زوال نسله

وقد طالعنا الكشف الحديثة بفقرة من كتاب على بردية من عهد الرعامسة ، تضع أمامنا صورة ناطقة تغير الاعتقاد القديم عن الكاتب المصرى ومراميه ، وفي الوقت نفسه تذكر لنا بعض أسماء الكتاب الذين خلدت كتاباتهم أسماءهم . ففهم من نعرفهم ومنهم من نجعلهم تمام الجهل ، مما يدل على قلة ما وصل إلينا عن الأدب المصرى .

وسنورد هذه الفقرة هنا بدون تعليق مفصل ، ونترك الحكم فيها للقارئ ليرى كيف أن المصرى يقدر الأدب للأدب ، ولتكون بمثابة مقدمة لهذا الفصل وهى :

« ولكن إذا فعلت هذه الأشياء فإنك تصبح كاتباً حاذقاً ، والكتاب

المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة ، وهم الذين تنبثوا بالمستقبل ، قد بقيت أسماؤهم خالدة ، رغم أنهم تواروا عنا لانتفاء أجلهم ، ورغم أن كل ذريتهم قد أصبحت نسياً منسياً . على أنهم فى ذلك لم يقيموا أهراماً من نحاس ، ولا صفائح قبور من حديد ، ولم يكن فى مقدورهم أن يخلقوا ورثة من الأولاد الذين ينبغى لهم أن يذكروا أسماءهم ؛ بل جعلوا لأنفسهم خلفاء من بعدهم من الكتب والتعاليم التى ألفوها . فقد نصبوا إضامات البردى التى كتبوها لتكون كاهنا مرتلاً ، وألواح الكتابة لتكون ابناً باراً ، وكتب التعاليم لتكون أهرامهم ، والقلم ابنهم ، ووجه الحجر (الذى يكتب عليه) زوجتهم (؟) وقد جعلوا الناس صغيرهم وكبيرهم أطفالاً لهم ، لأن الكاتب رئيسهم ، وقد أقيم لهم (بوابات) ومقابر (؟) ، غير أن مصيرها كان إلى الدمار . وكذلك طمست صفائح قبورهم بالأقذار ، ونسيت وانقرض كهنتها ، ولكن أسماءهم كانت تذكر عن مؤلفاتهم التى وضعوها ، وبقدر ما كانت عليه من الإتيان كان يكتب لذكر واضعها البقاء والخلود . فكان كاتباً ، وضع ذلك فى قلبك ، وبذلك يمكنك اسمك ، وإن مؤلفاً واحداً لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة ، ومن جدران قبر (؟) أحكم تأسيسها ، لأن هذا يكون لك بمثابة مقاصير وأهرام فى قلوب من

ينطقون باسمه (الكتاب). حقا إنه من الخير أن يكون اسم الإنسان في فم الناس في الجبانة. فالرجل يموت وجثته تصير جيفة قدرة، وكذلك تصبح كل ذرته ترابا. ولكن الكتب (التي يؤلفها) تجعله مذكورا في فم من يليها. وإن كتابا واحدا لاكثر نفعا من بيت مؤسس، ومن قبر في الغرب. وإنه لأجل من قصر منيف، ومن نصب تذكارى (أقيم له) في معبد. فهل يوجد إنسان مثل «حردادف»؟ وهل يوجد آخر مثل «أمحوتب»؟. على أنه ليس في عصرنا واحد مثل «نفرى» و«خيتى»، وهو الرئيس بينهما وإنى أذكرك باسمين «بتاح - أم - تحوتى» و«خمخبر - رع - سنب». وهل يوجد من يماثل «بتاح حتب» أو «كارس»؟ وهؤلاء هم الحكماء الذين تنبثوا بالمستقبل وقد وقع فعلا ما تفوهوا به، وقد وجد كلام مدون في كتبهم. وقد منحوا أولاد غيرهم وورثة لهم، كأنهم أولادهم الحقيقيون. وقد اختفوا ولكن سحرهم قد امتد تأثيره إلى كل الناس (؟) الذين قرءوا تماثيلهم، ولقد ذهبوا ونسى اسمهم، ولكن الكتابة جعلت المرء يذكرهم.

ولا بد أن أول ما يلاحظ القارىء في هذه الفقرة أن كاتبها يتمدح بفضل المؤلفين. وقد أسعدنا الحظ هنا أن يذكر لنا ثمانية من عظماء الكتاب نعرف بعضهم بأسمائهم، وبمضهم بقليلهم، والبعض الآخر نجعله تماما. على أن معظم من نعرفهم يرجع عهدهم إلى الدولة القديمة، مما يدل على أنها كانت ينبوع الأدب في ذلك العهد كما ذكرنا ذلك من قبل. فنعرف «حردادف» الذى ذكره الكاتب أولاً وقد عاش في عهد الملك «خوفو»، وقد جاء ذكره في قصة «خوفو» والسحرة. وكذلك جاء ذكره في قصيدة الضارب على العود. وكذلك نعرف «أمحوتب» الحكيم المشهور الذى عاصر الملك «زوسر» أحد ملوك الأسرة الثالثة. أما «نفرى» فجهول لنا تماما. وأما «خيتى» فقد برهن الأستاذ «جاردنر» على أنه مؤلف التماثيل التى نسبت إلى «دواوف» خطأ وتماثيل الملك أمنمحات الأول. ومن الدهش أن يذكر لنا في هذه الفقرة اسم «الشاعر الحكيم» «خمخبر - رع - سنب» الذى حفظت لنا

من تأليفه لوحة كتابة محفوظة الآن في المتحف البريطاني ، وسنوردها في باب التأملات .
أما « بتاح حتب » فهو الحكيم الذى سنورد حكمه في افتتاح هذا الفصل . والاسم الأخير
الذى جاء في هذه الورقة وهو « كارس » لا نعرفه قط ، وربما تجود الأيام بشيء من كتاباته
في كشف جديد . والواقع أن الأدب الحكيم في مصر كما وصف لنا في تلك الفقرة الفذة
يمكن تقسيمه إلى فرعين : التعليمي والتأملي . ومعظم ما وصل إلينا منهما ينسب إلى الدولة
القديمة والعهد الإقطاعي والدولة الوسطى ، وقليل منه ينسب إلى الدولة الحديثة .

وسيرى القارىء فيما وصلنا من الحكم والأمثال والتعاليم أنه كان هناك نمو مطرد
في أفق المؤلف من جهة مجال الموضوعات التى تحت حسه تمشياً مع المدنية واتساع رقعة
البلاد ، وما أحرزه المصريون من التقدم في العمران وفي الأمور الدينية . وسيدرك ذلك
القارىء عندما يوازن بين حكم « بتاح حتب » الذى ينسب إلى الدولة القديمة وبين حكم
« أمنموبى » وتعاليمه التى تنسب إلى أواخر الدولة الحديثة . فكل من هذه وتلك تبحث
في المبادئ القويمة ، ولكن شتان بين الدائرة الضيقة التى تنحصر فيها التعاليم الأولى
والدائرة الثانية الفسيحة الأرجاء التى تنتشر في نواحيها التعاليم الثانية ، فالأولى تنحصر
في البيت وما يحيط به والوظيفة وما تتطلبها ، والمعاملات مع الناس ، أما الثانية فتشمل
الحياة من كل نواحيها ، وعالم الآخرة وما يستدعيه ، وما إلى ذلك مما ستراه . وسيرى القارىء
أن الحكيم المصرى كان يحدد أهدافه التى يرمى إليها في تعاليمه في بداية مؤلفه ، ثم يذكر بها
القارىء في نهايتها ، وهو ما نشاهده في تعاليم « بتاح حتب » وتعاليم « خيتى » ، و تراها واضحة
جليّة في تعاليم « أمنموبى » ، وكذلك تحس بها في تعاليم « آنى » وإن كانت غامضة بعض
الشيء لما في المتن من الأخطاء

وسيتناول بحثنا هنا الحكم والتعاليم أولاً ، مرجئين فحص موضوع التأملات إلى ما بعد ذلك

الحكم والتعاليم

أهم ما وصل إلينا من هذا اللون من الأدب ثمان وثائق، وهي حسب ترتيبها التاريخي : حكم وأمثال «بتاح حتب»، وتعاليم «كاجنى» وهما من الدولة القديمة . وتعاليم «مريكارع» من العهد الإقطاعي . ووصايا امنمحات لابنه «سنوسرت» وتعاليم «سحتب اب - رع» وتعاليم خيتى من الدولة الوسطى، وتعاليم «آنى» وتعاليم «أمنموبى» من الدولة الحديثة . ويرى القارىء من ذلك أن لدينا سلسلة متصلة الحلقات من هذا اللون من الأدب تمثل كل عصر من عصور التاريخ المصرى .

غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن بعض هذه التعاليم وإن كانت تنسب إلى الدولة القديمة إلا أنها لم تصل إلينا من نسخ أصلية من هذه الدولة ، بل وصلت إلينا من نسخ يرجع عهد أقدمها للدولة الوسطى ، ولذلك نجد أن هناك فروقا فى الأساليب وفى المتن بين النسخ القديمة وبين نسخ عصر الدولة الحديثة . وذلك لأن الكتاب كانوا يحورونها أحيانا تحويراً كبيراً حسبما يتفق مع ذوق العصر ولقته . بل قد نرى أحيانا أن بعض الجمل كانت تشرح لقموضها على التلاميذ كما سنشاهد ذلك فى بعض المتن حتى فى الدولة الحديثة ، يضاف إلى ذلك أن معظم هذه النسخ التى ترجع إلى عهد الرعامسة كانت محشوة بأخطاء التلاميذ الذين كانوا يكلفون نقلها . ومما يؤسف له أنها هى التى وصلت إلى أيدينا ؛ فإذا اتفق أنه وصلت إلينا نسخة واحدة من هذا النوع كان من الصعب بل من المستحيل فهمها . ولكن لحسن الحظ قد وقع فى أيدينا أكثر من نسخة لبعض هذه التعاليم . ولا تزال الكشوف تخرج لنا من آن لآخر نسخاً أخرى من هذه المؤلفات القيمة فتسهل علينا حل بعض ما استغلق علينا منها . من أجل ذلك سنضطر إلى استعمال النسخ القديمة أو الحديثة مفضلين الأسهل منهما . وعندما نجد اختلافاً بينا فى التعبير أو المعنى نعرض كليهما . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذه التعاليم لكثرة استعمالها وشيوعها كان التلاميذ يكتبونها على قطع من الخبز وشظيات من الحجر الجيرى اللساء ؛ والسبب فى ذلك طباعاً غلاء ورق البردى وعدم كفايته لعدد جم من التلاميذ ، ومعظم هذا الخبز يرجع إلى عهد الرعامسة ، وعثر منه حديثاً على كيات هائلة مكتوبة وعليها فقرات عدة من هذه الحكم والتعاليم .

أمثال وحكم بتاح حتب^(١)

كان المصري عندما يشعر بدنو أجله يكتب وصيته فيقسم أملاكه ، وغالبا ما كان ينقش صورة من هذه الوصية على جدران مقبرته . على أن الأمر لم يكن يقتصر على ذلك ، بل كان أحيانا يخلف لابنه الأكبر نصائح وتعاليم عن تجاربه في الحياة وفي وظيفته لتكون عوناً له على أداء عمله الحكومى وعلى الضرب فى الحياة على أحسن حال . وسيدرك القارئ أن الحكيم كان دائماً يشير إلى ما يرمى إليه فى تعاليمه فى افتتاحها وفى نهايتها

وأقدم من خلف لابنه نصائح من هذا النوع هو « بتاح حتب »

وقد ذكر لنا أنه كان وزيراً للملك « إسيسى » (٢٦٧٠ ق . م تقريباً) . وتدل النقوش على أنه كان لهذا الملك وزير يحمل هذا الاسم ، ولا يزال قبره معروفاً لنا فى سقارة حتى الآن . وبالرغم مما يحوم من شكوك حول نسبة هذه الوثيقة إلى هذا الوزير ، فإنه من المؤكد أنها قديمة جداً . قد وصلت إلينا منها ثلاث نسخ يرجع عهد اثنتين منها إلى الدولة الوسطى ، والثالثة كتبت فى الدولة الحديثة . ومن الجائز أن بعض هذه النصائح قد فاه بها هذا الوزير العظيم ، كما يحتمل أن بعض أمثال التوراة التى تنسب إلى سليمان قد فاه بها حكيمنا فعلاً .

ومهما يكن من أمر هذه التعاليم فإن الغرض منها إرشاد التلميذ وغيره إلى السير الحكيم والأخلاق الحسنة ، ثم ليكون أسلوبها هدفاً مثالياً يحتذى به التلميذ فى تعبيره ، ليصبح ذا بصر بفنون الكلام ، وليعبر عما فى نفسه بلفظ مختارة جديرة بموظف محترم ، وهذا هو السر فى ذبوعها فى عهد الدولة الوسطى ثم فى الدولة الحديثة .

ونجد فى النسخة التى من عصر الدولة الحديثة السبب الذى من أجله ألف « بتاح حتب » تعاليمه هذه . فيقول : لجلالة الملك « إسيسى »

« قد حلت الشيخوخة . وبدا خرفها ، وامتلات الأعضاء آلاماً ، وظهر الكبر كأنه شئ جديد ، وأضحت القوة أمام الهزال ، وأصبح الفم صامتا لا يتحدث ، وغارت العينان ، وصمت الأذنان وأضحى القلب كثير

(١) وازن العالم « ديفو » بين كل النسخ التى عثر عليها من هذه التعاليم فى كتاب خاص

النسيان غير ذا كرامته والمعظم تألم من تقدم السن ، والأنف كتم فلا يتنفس ،
وأصبح القيام والقعود كلاهما مؤلماً ، والطيب أصبح خبيثاً ، وكل ذوق قد ولى
فتقدم السن يجعل حال المرء سيئاً في كل شيء .

فرنى أصنع لى سندا (عكازة^(١)) لكبر سنى ، ودع ابنى يحتل مكانى ،
فأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار من سلفوا ، وم الذين حرموا السلف
فى الأزمان الخالية ، وليتهم يعملون لك بالمثل ، حتى يتقى الشجار بين الناس
وتخدمك مصر .

فأجاب جلالته : « علمه أولاً الحديث وإنى أرجو أن يكون
مثالاً لأولاد العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكرة صائبة
من يتحدث إليه . فليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه »

ولا أشك فى أن القارىء يرى فى هذا الوصف البديع للشيخوخة وفيما يهدف الناصح
إليه من وراء تعليم ابنه ، صورة مدهشة من حيث الدقة فى التعبير ونفاذ البصيرة وضمتها
كاتب منذ آلاف السنين .

أما النسخة القديمة فقدمتها تختلف عن هذه . فقد جاء فيها :

« الكلام الحسن التعبير الذى نطق به الأمير العظيم الوزير
« بتاح حتب » عندما كان يعلم الجاهل العلم وقواعد الكلام المنسجم . فيا فلاح
من يصنى إليها ويا شقاء من يحيد عنها » .

ويبدو من هذا العنوان الذى كتب فى نسخة الدولة الوسطى أن الاهتمام بصياغة الكلام
والأصلوب الحسن من أهم ما يعنى به الكاتب فى هذا العهد . كما نوهنا عن ذلك من قبل .
ولقد وافق الملك وزيره « بتاح حتب » على تعليم ابنه (ابن الوزير) ليمده للقيام بأعباء
الواجبات الحكومية وللحياة حتى يكون مساعداً وخلفاً له ، فأخذ الوزير المذكور يسدى

النصح لابنه بالألأ يسىء استعمال الحكمة التى سيلقنُها . بل عليه أن ينهج سبيل التواضع
فقرأه يقول :

« لا تكونن متكبرا بسبب معرفتك ، ولا تكونن متفخخ الأوداج ، لأنك
رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل ، لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها ،
وليس هناك عالم مسيطر على فنه تماما . وإن الكلام الحسن أكثر اختفاء من
الحجر الأخضر الكريم ، ومع ذلك فإنه يوجد مع الإمام اللأئى يعملن فى إدارة
أحجار « الطواحين ^(١) » .

ثم يعقب ذلك اثنتان وأربعون فقرة تنتظم نصائح مختلفة . ولكن المؤلف لم يبذل أى جهد
فى ترتيبها أو تنظيمها ، بل كتب كل فقرة منها عفو الخاطر حسبما كان يجول فى ذهن رجل
مُسن قد حنكته تجارب الحياة ومسئولياتها ، وأراد أن يطرحها عن كاهله إلى كاهل ابنه .
ونرى فى حكمه الاهتمام القوى وحسن الذوق واستعمال الذهن الذى اعتاد أن يطلق عليه القلب
وقد كان أبرز الصفات القيمة التى يجدر بالشاب أن يتصف بها عنده هى أن يكون
قادراً على الإصغاء والطاعة ، فتجده يقول :

« إن الاستماع مفيد للابن الذى يصغى (يطيع) . وإن المستمع يدخل
مثل إنسان قد استمع . ومن يستمع يصبح مستمعا ، فىكون حسن الإصغاء وحسن
الكلام . وإن من يستمع يكون مالكا للفائدة ، لأن الإصغاء مفيد للسامع .
والإصغاء أحسن من أى شىء . لأن من نتائجه الحب الجميل .

أجل بالابن الذى يصغى عندما يتحدث إليه والده ! . فإنه سيصل إلى
الشيخوخة بسبب ^(٢) ذلك . وإن المستمع يحبه الله . ومن لا يستمع تبغضه الآلهة ،
والعقل هو الذى يشكل صاحبه فىكون مستمعا أو غير مستمع . وعقل الإنسان
هو حياته وسعادته وصحته ، أجل بالولد الذى يرى الواجب فى أن يصغى إلى

(١) يعنى أفقر الفقراء

(٢) بطول عمره أى يبارك له فيه لكثرة ما أفاد

والده ! . وما أعظم فرح الإنسان الذي يقول له الناس : « إنه ابن فضيلة كفضيلة سيد يستمع ! »

« أما المستمع الذي يقال له ذلك فإنه يكون فاضلاً منذ الولادة ، ومحترماً في نظر والده ، وذكره تكون في أفواه الأحياء الذين على الأرض ما داموا أحياء . أما النبي الذي لا يستمع فلن ينال نجاحاً ، إذ أنه يعتبر العلم جهلاً والطيب خيئاً ، ويمرض نفسه كل يوم للوم ، لما يأتيه من كل شيء مكروه ، ويعيش على ما يموت الناس فيه ، والقول الخبيث غذاء فيه ، وأخلاقه إذن تكون معروفة للحكام ، ويموت حياً كل يوم ، ولن يعامله الناس مطلقاً بسبب السيئات الكثيرة التي يرتكبها كل يوم »

فن ذلك يتضح أنه منذ القرن السابع والعشرين كان السلوك أمراً يقوم ، وحكمة ذات معيار ، يرثها الابن عن والده ، وكان للنجاح في الحياة المكانة السامية ، وكانت السبل التي تحقق الوصول إليه عظيمة الأهمية ، ولذلك استغرقت هذه الأمور نحو تلك النصائح « بتاح حتب » ، فبعض هذه النصائح يوحى بالتخلق بالخذر في حضرة العطاء ، وبعضها يعرفنا آداب المائدة في حضرة الرئيس ، فيقول :

« إذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين^(١) على مائدة أكبر منك (مقاماً) نخذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ، ولا تنظرنَّ إلا إلى ما وضع أمامك ، ولا تصوبن لحظات كثيرة إليه ، لأن ذلك مما تشمئز منه النفس (كا)^(٢) إذا أحفظها الإنسان . وانظر بعينيك إلى أسفل إلى أن يحبك ، وتكلم فقط بـ « ما أن يرحب بك ، واضحك حينما يضحك ، فإن ذلك سيكون ساراً لقلبه ، وما

(١) سكان المصريون يجلسون عند الأكل على موائد منخفضة ، ونظراً لأن المضيف المجد كان يجلس على مائدة في الوسط والضيوف حوله على موائد

(٢) (كا) هي تلك القوة الكامنة في الإنسان التي يتوقف عليها سلوكه كما تتبين ذلك هنا . ولذلك يجب على الإنسان أثناء المحادثات الاجتماعية أن يتلافى كل ما يضايق نفس (كا) الآخر

تفعله يكون مقبولا ، لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب ^(١) . والرجل العظيم يتوقف عزمه على أوامر نفسه ، حينما يجلس أمام الطعام . والرجل العظيم يعطى من بجواره « وقد خصص الناصح جزءاً كبيراً من حكمه لبيان الطرق السديدة الموصلة إلى حسن سير الأعمال الرسمية فقال :

« إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضع ، فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة ، واحترمه حسبما وصل إليه ، لأن الثمرة لا تأتي عفواً ، ولا تמידن قط كلمات حمقاء خرجت من غيرك في ساعة غضب . التزم الصمت فإن هذا أحسن من أزهار (تفتف) . وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المضلات . وإن الذى يتكلم فى المحفل لمفتن (يعنى فى الكلام) ، وصناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى .

وعليك أن تقدم للأمير نصيحة تساعدك ، لأن قوتك تتوقف على مزاجه ، وبطن الرجل المحبوب يملأ ، وظهره يكسى تبعاً لذلك

« كن عميق القلب نزر الكلام ... وكن ثبت الجنان طالما تتكلم ، فمضى أن يقول الأمير الذى يسمع كلامك : ما أسد الكلام الذى يخرج من فم ! »

ولا نزاع فى أن الدافع لثل تلك النصيحة هو اتباع سياسة دنيوية مبنية على اليقظة والتفطن ورمى أن ذلك السيامى المحنك كان ذا نظرة ثاقبة فى انتهاز الفرصة لمصلحته ، مع أنه لم يحرم فى الوقت نفسه حاسة الإدراك لما هو أثمن من ذلك ، إذ أن علمه بتقلبات الدهر قد علمه التواضع ، ولذلك قال ينصح ابنه :

« إذا أصبحت عظيماً بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجاً فلا تنسين كيف كانت حالك فى الزمن الماضى ، ولا تمنغن بثروتك التى أتت إليك منحة من الإله (الملك) ، فإنك لست بأحسن

(١) يجب أن تكون متحفظاً فى حضرة الرجل العظيم لأنك لا تعرف طبائمه

من أقرانك الذين حل بهم ذلك (أى الفقر) »

وفضلا عما تقدم فقد رأى أن حياة الموظف المدنية مخوفة بالمخاطر ، ولذلك يقول ناصحا :
(« احترم من الأيام التى يمكن أن يأتى بها المستقبل . »
ولإذن يكون من أصالة الراى أن يمنع غيره أموالا كثيرة بحسن نية لا يخبئه المستقبل .
كما يقول :

« أشبع أصدقاءك بما جدد لك بسبب نيلك الخطوة عند الإله (أى الملك) ،
إذ لا يوجد إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، وإذا اعترى خطوته لدى
الملك شىء فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتشون يقولون مرحبا فعليك أن
تستبق ودم لوقت السخط الذى يهدد الإنسان . ولكن سترى فيما بعد ، أنه
حينما تسوء حظوتك فإن فضيلتك ستكون فوق أصدقائك »

وتراه هنا ينصح الإنسان بأن يتحرى أخلاق أصدقائه فيقول :

« إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبتة فلا تسألنه ، ولكن
اقترب منه وكن معه وامتنع قلبه بالمحادثة ، فإذا أفشى شيئا قد رآه أو أتى أمرا
يملك تحجل له فاحذر عندئذ حتى من أن تجيبه . »

ولقد كانت مسئوليات الأسرة فى نظره أهم من الأصدقاء ، فعراه يتحدث عنها قائلا :
« إذا كنت رجلا ناجحا فوطد حياتك المنزلية وأحب زوجتك فى البيت

كما يجب . »

وفى نسخة حديثة يقول :

« إذا كنت رجلا ناجحا فأسس لنفسك بيتا واتخذ لنفسك زوجة تكون

سيدة قلبك . »

فترى فى المتن القديم أنه يجعل الحب أساسا لبناء عش الزوجية . ولكنه الحب العملى
الذى يجب على الزوج لزوجته ، ولذلك يستمر قائلا :

« أشبع جوفها واستر ظهرها » .

ومطالب المرأة كثيرة لا تقف عند حد ، ولكن ما تمتاز به المرأة الحديثة وتشاركها فيه أختها القديمة في مصرنا من التطور ينحصر فيما غلا من الروائح والدهان . ولم ينس حكيمنا أن يذكر بها ابنه إذ قال :

« إن علاج أعضائها هو الدهان » .

وبذلك يرى ذلك الوزير المحنك أن الزوج الكيس هو الذى يجعل زوجته سعيدة أولاً بالحببة التى يلزمه أن يفسح لها فى قلبه المكان الأول ثم يتبع ذلك بقضاء حاجتها من غذاء وملابس ، ثم الكاليات كالعطور ، ونراه يقول :

« اجعل قلبها فرحاً ما دمت حيّاً فهى حقل مشمر لسيدها » .

وهذا التشبيه الأخير جاء فى القرآن بعد مضى خمسة وثلاثين قرناً فى قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » (سورة البقرة آية ٢٢٢) .

أما عن الأبوة فقد كان « لبناح حطب » آراء خاصة فيها إذ يقول :

« إذا كنت رجلاً ناجحاً وكان لك بيت ، وولد لك ابن . اكتسب رضا الإله (الملك) فإذا عمل صالحاً ومال إلى طبعك ، وسمع نصائحك وكانت خططه ذات نتائج حسنة فى بيتك ، وكان معتنياً بما لك كما يجب ، فابحث له عن كل شىء حسن ، فهو ابنك الذى ولدته لك نفسك (كا) ، ولا ينفرد قلبك منه ، ولكن إذا عمل سوءاً وأعرض عن خططك (أى أوامرك) ولم يعمل حسب نصائحك وصارت خططه لا قيمة لها ، وتحدى كل ما تقوله . . . غندئذ أقصه لأنه ليس ابنك ولم يولد لك . . . »

ومع أن ذلك الوزير كان يفقه جيداً الرغبة فى النجاح الدنيوى ، وإحراز الثروة إلا أنه كان يرى ألا تطنى المادة على الروابط الأسرية . فتراه يقول :

« لا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملجأ فى الحق ، ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن الالتماس باللين يجدى أكثر من القوة . فإن القليل الذى

يختلس يولد العداوة (حتى) عند صاحب الطبع اللين (يعنى الحليم) ،
ولما كان الطمع من أم الصفات الذميمة الداعية لتفكك روابط الأسرة المتأسكة قال
يحذر منه :

« إذا أردت أن يكون خلقك محموداً ، وأن تحرر نفسك من كل قبيح
فاحذر الشراة فإنها مرض عضال ، والصدقة معها مستحيلة ، لأنها تجعل
الصديق المذب مرأ ، وتقضى ذا الثقة عن سيده ، وتجعل كلا الأبوين قبيحا ،
وكذلك الاخوان ، وتفرق بين الزوج وزوجه وهى حزمة فيها كل أنواع
الشر ، وعيبة بها كل شىء مرذول ، وإن الرجل الذى يتبع طريقة حق فى سلوكه
ويسير على صراط سوى يعيش طويلا ، ويكسب الفنى بذلك . ولكن الشره
لا قبر له »

وقد شفع « بتاح حتب » هذا البحث الذى يدل على ما للروابط الأسرية عنده من
القيمة العظيمة فى بيت الإنسان ، بوجوب احترام أهل بيت غيره ، ولو كان من غير ذوى قرباه .
فنجده يحذر الزائر تحذيراً شديداً من محاولة الاقتراب من النساء ، بل يحتم عليه أن يتباعد
عنهن بقدر المستطاع فيقول :

« إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله ، سيداً كنت أم خادماً أم
صاحباً ، فاحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذى يكن فيه ليس بالحسن ، ومن
الحكمة إذن ألا تحشر نفسك معهن ، ومن أجل ذلك يذهب ألف رجل إلى الهلاك
بسبب متعة قصيرة تضيع كالحلم ، ولا ينجى الإنسان من معرفتهن غير الموت »
وقال فى هذا المعنى أيضاً :

« وعندما يفتتن الإنسان بأعضائهن البراقة (حرفياً : أعضاء من الزجاج)
فإنها تصير بعد ذلك مثل حجر «هرست» (أى شيئاً نافعاً مثل الحلم) . والموت
يأتى فى النهاية »

وتسود حكمة « بتاح حتب » روح الشفقة الكريمة ، ولم يجعلها تنحصر في أسرته ، بل جعلها تمتد إلى من حوله ، ولذلك يأمر ابنه بأن يسلك مسلكه في ذلك إذ يقول له :
« كن طلق الوجه ما دمت حيّا »

ثم يستمر في كلامه بحالة تُشعر بأنها كانت أصلاً للمثل المشهور ، لا فائدة من النحيب على لبن مهراق (وهذا يشبه المثل : العايط في القايث نقصان من العقل) .
وهذا المرح العظيم الذي نراه فيما يأتي من قول الوزير يتفق وما ينشده من طلب الراحة والفراغ إذ يقول :

« اتبع لبك ما دمت حيّا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، ولا تنقصن من الوقت الذي تتبع فيه قلبك ، لأنه مكروه عند النفس (كا) أن ينتقص من وقتها ، ولا تشغلن نفسك يومياً بخلاف ما يتطلبه بيتك ، وعند ما يواتيك الثراء متع نفسك ، لأن الثراء لا تتم (فائدته) إذا كان معذباً »

ولا شك في أن من كانت روحه مرحة بهذا الوصف ينبغي أن تكون الشفقة عنده من الأمور المألوفة . واستمع إلى قوله في ذلك :

« إذا كنت حاكماً فكن شقيقاً حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسيء معاملته إلى أن يفسل » بطنه ، وإلى أن يقول ماجاء من أجله وإنها لفضيلة للقلب أن يستمع مشفقاً »

ولا نزاع في أن تكون هذه الشفقة ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة القائمة على الحق . ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الحق والعدالة قد اتخذتا لهما مكانة في حلمه تسمو على كل مكانة فيقول :
« إذا كنت حاكماً تصدر الأوامر للشعب فأبحث لنفسك عن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها ، إن الصدق جميل وقيمه خالدة ، ولم يترجح عن مكانه منذ خلق ، لأن العقاب يحل بمن يعبت بقوانينه . . .
وقد تذهب المصائب بالثروة ، ولكن الصدق لا يذهب بل يعمكث ويبقى ،

والرجل المستقيم يقول عنه (إنه متاع والذى قد ورثته عنه) «

لذلك كان لزاما على الشاب أيضاً أن يبلغ رئيسه الحقائق ولو كانت مرة على نفسه : ولا شك في أن هذه السبل كانت تتطلب قوة خلق عظيمة ؛ وهذا ما كان يرجوه ذلك الحكيم من ابنه إذ يقول :

« حصّل الأخلاق واعمل على نشر العدالة ، وبذلك تحيا ذريتك »

وكذلك يذكر ابنه :

« بأن الفضيلة التى يتحلّى بها الابن لها قيمتها عند الأب ، والخلق الحسن

يبقى شيئاً مذكوراً »

ويقول أيضاً :

« وإذا استمعت ووعيت ما ألقىته عليك فإن كل صنيع لك سيكون على

غرار عمل الأجداد . أما صحة هذه الأشياء فالفضل فيها يرجع إليهم (أى

الأجداد) ، وذكرها لن تحى من أفواه الناس ، لأن نصائحهم جديرة بالتقدير ،

وكل كلمة ستقبل ولن تمحى من هذه الأرض أبداً ، وسيكون لكلام قيمة

حسبما تنطق به الأمراء وعندما يصيب رئيسك شهرة جديرة

بالتقدير فإنها ستبقى حسنة أبداً ، وستخلد كل مزاياها . أما الرجل الحكيم فإن

روحه تنعم باستمرار بقاء فضيلته على الأرض . والرجل العاقل يعرف بعملة ،

وقلبه ميزان لسانه ، وشفته تصييان القول عندما يتكلم ، وعينه تبصران عندما

ينظر ، وأذناه تسمعان ما يفيد ابنه الذى يقيم العدل ويبرأ من الكذب »

وقد يجوز أن ذلك الوزير السن قد عبر عن روحه الخلقية بأوجز عبارة حينما حذر من

الطمع فيما سلف ، وأنتا نجده الآن فى صورة الظافر المنتصر إذ يقول فى غير مناسبة تربط

بين قوله هذا وبين ما تقدم :

« إن الرجل الذى اتخذ العدالة معياراً له ، وسار وفقاً لجاداتها يكون

ثابت المكانة »

وختم « بتاح حتب » نصححه لابنه بعبارة تحبب إلى نفسه العدالة إذ يقول له في منتهابها :
تأمل ! « إن الولد النجيب الذى يهبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يأمره به
والده ، فهو يقيم الحق وقلبه يسير على صراطه . وبقدر ما تصل إلى ما وصل
إليه الناس ، سيكون جسمك سليماً وسيكون الملك مرتاحاً لك فى كل مايجرى .
وكذلك ستصل إلى السن التى وصلت إليها ، والسنين التى عشتها على الأرض
ولست بالقليلة ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وحبانى الملك بمكافأة تفوق كل
مكافآت الأجداد لأنى أقممت العدل للملك حتى ضمنى القبر »

ومما سبق يتضح أن حكم « بتاح حتب » كانت ذات مكانة راجحة فى الجهات العليا من
وادی النيل ، وبخاصة إذا علمنا أن أحد ألقاب الملك « وسركاف » الذى عاش فى عهده هذا
الوزير « مقيم العدل » . وقد أفاض وزيرنا فى العدل وفضائله .

ويتناول أكثر من نصف حكم هذا الرجل العظيم أخلاق الإنسان وسلوكه ، وما بقى
يختص بالبحث فى الإدارة وسلوك الإنسان الرسمى ، ويلاحظ بوجه عام أن تلك الحكم
ترشد إلى اللطف والاعتدال والحزم الذى يصحبه التثبت . فهى بذلك فى الواقع ثم عن منتهى
ما كان عليه الوزير من حسن الذوق وسلامته فى تقدير الأمور ووزنها بالميزان الصحيح عند
ما وصى ابنه باتباعها والسير على نهجها ، فيجب أن يعرف بأن الحياة العظيمة القيمة هى التى
يحظى فيها الإنسان بقسط وافر من المتعة ، وعليه أن يحافظ على ساعات الراحة والدعة حتى
لا يتسرب منها شيء إلى أعباء الوظيفة أو غيرها . ذلك إلى أنه يجب على المرء أن يكون بادى
البشاشة والطلاقة لأنه لافائدة من النجيب على ما فاته .

وبالجملة فإن النعمة التى تغلبت على فلسفة نصح ذلك الوزير السهلة التناول هى الوازع
الخلقى الحقيقى ، وأبرز الواجبات التى تظهر فيها ما عبر عنه بقوله :

« أقم العدل وعامل الجميع بالعدالة »

على أنه ليس من باب المصادفة أن تذكر مثل تلك الحقائق المقتنة فى إضمامة من البردى
القديم تبعث فينا جواً مشبعاً بالرحمة والمحبة واحترام الوالدين والبر بهما مما يوطد دعائم الأسرة
ويوثق العلاقات بين أعضائها ، وتنأى بنا فى الوقت نفسه عن الشره الذى يقضى على الوثام

وفيكك الروابط . بل ان تلك المواطنف دروس قصد إليها ذلك العالم الاجتماعى فانقلبت إلى البيئة المحيطة به وانتشرت فيها . وسعادة الأسرة وسلامة العلاقات بين أفرادها هى الثمرة الظاهرة لهذه التعاليم .

وعلى ذلك نجد فى حكم « بتاح حتب » بهاناً قاطعاً للحقائق التى وجدت فى نقوش المقابر والمعابد التى رسمت فوق جدرانها والتى تدل على أن حياة الأسرة هى التى هيات للإنسان فى بادىء الأمر الشعور بالمسئوليات الخلقية .

من أجل كل ما ذكرنا بقيت أمثال « بتاح حتب » منارة يستضاء بها فى معايير الأخلاق وفى الأسلوب الكتابى .

ولا أدل على ذلك من أن جلا مفردة من نصائحه كانت تعيش بعد مئات السنين من وضعها . مثال ذلك أن رجلا اسمه « أمنمحات » عاش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة يقول متحدناً عن نفسه وعن رئيسه :

« لم أصوب إليه لحظات عدة ، بل ألقىت بوجهى إلى الأرض عندما تحدث إلى »

وكذلك نقرأ على أثر يمجد فتح الملك « سنوسرت الثالث » لبلاد النوبة :

« إنه ليس ابنك ، إنه لم يولد لك »

المصادر :

أهم من كتب عن هذه التعاليم ما يأتى :

- (1) Pieper " Die Agyptische Literatur " PP. 19. ff.
- (2) Peet, " A comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia " P.P. 100. f.f.
- (3) Breasted, " The Dawn of Conscience " P.P. 129 f.f.
- (4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians " P.P. 54-65.
- (5) Griffith. " The World's Best Literature ".
- (6) Petrie, " Religion and Conscience in Ancient Egypt " (translation by Griffith).
- (7) Dévaud, " Les Maximes de Ptahhotep. " (Fribourg, 1916)
- (8) Meyer, (The Oldest Books in the World " New york, 1900).

تعاليم كاجنى

لم يصلنا من هذه التعاليم إلا جزء صغير محفوظ مع تعاليم « بتاح حتب » فى « ورقة باريس » . فلا بد أنها مشابهة لها . ومن المحتمل أن الجزء المفقود قد جاء فيه أن الملك « حونى » الذى ينسب حكمه إلى أواخر الأسرة الثالثة قد أمر وزيره بأن يفرغ تجاربه حياته فى كتاب لتكون بمثابة مواظ لأبنائه ، ومن بينهم وزير يدعى « كاجنى » . ونحن لا نعرف وزيراً بهذا الاسم من ذلك العصر ، والوزير الذى نعرفه بهذا الاسم عاش فى الأسرة السادسة أى بعد ذلك ببضع مئات من السنين . فترى فى الفقرة الأولى التى وصلت إلينا أن الوزير يتكلم عن الحزم والتبصر فى الكلام فيقول :

« والمتواضع يبقى صحيحاً ، ومن يستقم فى معاملته يمدح ، وتفتح الخيمة للمتواضع ، والحذر فى كلامه يفسح له مكان رحب ، ولكن السكين ترهف لمن يحيد عن الصراط »

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن آداب المائدة فيحض على التعفف وضبط جراح النفس عند تقديم ألوان الطعام الشعى فيقول :

« إذا جلست مع أناس كثيرين (للأكل) فانظر إلى الطعام بعدم مبالاة وإن كنت تشتهيه ، فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة . وإنه لمن العار أن يكون الإنسان شرهاً ، فقدح ماء يروى الغلة ، وإن كان الفم مفعماً فإن ذلك مما يقوى القلب ، والشئ الطيب يحل محل الطيب (إن لونا بسيطاً جيداً يغنيك عما هو أحسن منه) كما أن القليل يحل محل الكثير ، وإن الرجل الشره تعس لداعى جسمه وإذا جلست مع إنسان شره فلا تأكلن إلا بعد أن يفرغ من وجبته . وإذا جلست مع سكير فلا تأخذن (من الشراب) إلا بعد أن يشبع شهوته . ولا تتكالبن على اللحم فى حضرة نخذ حينما يقدم لك ولا ترفضها ، وفكر فى أن ذلك يريحه »

وبعد ذلك ينتقل حكيمنا إلى حض الإنسان على عدم الفخر فيقول :
« لا تكونن نفورا بقوتك بين من هم في سنك ، واحذر من أى فرد
يغالبك (؟) ، لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه ، وما يفعله الله عندما
ينزل العقاب »

الخاتمة :

ونادى الوزير أولاده بعد أن أتم مقاله عن أحوال بنى الإنسان وعن أخلاقهم كما عرکها
بنفسه فقال لهم :
« أصفوا إلى كل ما فى هذا الكتاب كأنى قد تكلمته وعندئذ
سجدوا على بطونهم وقرءوه كما هو مكتوب ، وقد كان محببا إلى قلوبهم أكثر
من أى شىء آخر فى الأرض قاطبة ، وقد قاموا وقعدوا حسبما جاء فيه
(أى أنهم ساروا حسب تعاليمه) وعلى أثر ذلك عُين « كاجنى » مشرفا على
العاصمة ووزيرا »

المصادر :

- (1) Prisse Papyrus (Paris).
- (2) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians," P.P. 66. ff.
- (3) Griffith, " Notes on Egyptian Texts of the Middle Kingdom,"
" Proceedings of the Society of Biblical Archaeology," Vol. XIII, (1980)

« التعاليم التي لقنت للملك مريكارع »

هذه الوثيقة تنسب لملك من الأسرة العاشرة لم يعرف اسمه لنا بعد على وجه التحقيق ، وقد كتبها لابنه المسمى « مريكارع » والظاهر أن الملك مؤلفها قد وضعها في آخر لحظة من حياته . على أن هذه الوثيقة العظيمة الشأن لم تصل إلينا إلا عن نسخة كتبت في عهد الأسرة الثامنة عشرة . ونحن نعلم أن « مريكارع » قد عاش في عصر الثورة الاجتماعية التي قلبت نظام البلاد رأساً على عقب في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد . وتدل الأحوال على أن الملك والد « مريكارع » لم يكن يقبض على زمام الأمور في كل مصر وكانت عاصمة ملكه هيراكليوبوليس (اهناس المدينة) .

وقد تغلب هذا الملك المسن على مدينة طينة في العراة المدفونة ، التي كانت ضمن أملاك « أنتف العظيم » . أمير طيبة (انظر تاريخ مصر جزء ١ ص ٤٢٠)

ومما يؤسف له جد الأسف أن ناقل الوثيقة قد ارتكب أغلاطا كثيرة مما جعل كثيراً من أجزائها غير مفهوم ، فضلا عما بها من فجوات كبيرة . ومع ذلك فإنها تعد من أعظم الوثائق التي وصلت إلينا عن هذا العصر ، لأن ذلك الرجل المسن لم يقتصر فيها على النصائح الأدبية والاجتماعية ، بل أضاف إلى ذلك تعاليم دينية منقطعة النظير ، وتجارب سياسية كشفت لنا عن صفحة مجيدة في نوع الحكم الذي كانت تسير عليه البلاد في ذلك العهد في مدن الدلتا ، ووصفت لنا الأقوام الذين كانوا يهددون مصر على حدودها ، والعلاج الناجع لكبح جماحهم (وقد تكلمت عن هذا في كتاب أقسام مصر الجغرافية)

ولا نزاع في أن الصراع الهائل الذي قام بين الفوضى والنظام أيام العهد الاقطاعي في المدة التي تلت سقوط الدولة القديمة لم يجد حتى الآن ما يُعبر عنه تعبيراً تاماً . إذ تنقصنا كل الوثائق التاريخية البحتة عن هذه الفترة ، ولا بد أن الحياة المتحضرة في أمهات البلاد التي كانت مزدهرة في عصر الدولة القديمة مثل « منف » و « عين شمس » وغيرها من المدن التي كانت مركزاً للقوة والثقافات المدنية والحلقية كانت لا تزال باقية على ما هي عليه . أما « اهناس المدينة » فلا نعلم عنها شيئاً إلا أنها كانت عاصمة ملكنا الحكيم الذي أهدى إلى العالم تلك التعاليم العظيمة التي كان يريد بها أن تكون نبراسا يسير على هديه ابنه « مريكارع » .

وتلك الوثيقة كما قلنا مدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف « ليننجراد » ، وهي تحمل

بين سطورها أدلة قاطعة تثبت أنها كتبت في مصر الذى تنسب إليه ، ويمكن أن نعدها صوتاً حقيقياً لملك « أهناس » والد « مريكارع » . وهذا الملك المحنك يرجع بنا بنظراته للصائبية إلى الوراء لنستعيد ماضى تلك الدولة القديمة ، مما يدل على عظم احترامه وشدة محبته للحكمة التى تخضعت عنها تلك الأزمان ، إذ نرى ذلك السياسى المحنك يتحدث عن الرجل الحكيم فيقول :

« إن الصدق « ماعت » يأتى إليه مختمراً حسبما كان عليه الأجداد ، فليك إذن أن تقلد أجدادك . وتأمل ! إن كلماتهم مدونة فى المخطوطات فافتحها لتقرأها وقبله معرقهم ، وبتلك الطريقة يصير صاحب الصناعة على علم »

وإذا رجعنا إلى الوراء أمكننا أن نلاحظ فى تلك الكلمات تأثير نصائح « بتاح حتب » الذى عرف فى نصائحه الكلام بأنه صناعة ، والمتكلم الماهر بأنه محترف . ولا بد أنه كان ضمن تلك المخطوطات إضمامة البردى التى تحتوى على نصائح « بتاح حتب » . ولا بد أن ملك « أهناس » قد أمر بفتحها وقراءتها على سمعه ، حتى يمكنه التبصر فيها تحويه من الحكم التى كانت قدمضى عليها وقتئذ ما يقرب من أربعمائة سنة ، ولذلك يقول الملك المسن :

« كن صانعاً للكلام لتكون قوى البأس ، لأن قوة الإنسان هى اللسان ، والكلام أعظم خطراً من كل حرب ، وهذا القول أشبه بقولنا « القلم أشد بأساً من السيف »

وكذلك يتفق ذلك الملك الحكيم مع « بتاح حتب » فى أن اللسان الذرب يحتاج إلى توجيه حكيم ، إذ يضيف إلى ما سبق قوله :

« إن الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه »

ولقد كان من المستحيل بداهة أن يتجاهل ذلك الملك الصعوبات التى كانت قائمة فى موقف البلاد السياسى إذ ذاك . ولذلك أسدى النصيحة للأمير الصغير بالمحافظة على العلاقات السلمية التى كانت قائمة بينه وبين الوجه القبلى المستقل كما ذكرنا . وقد خصص جزء كبير للعناية بحدود البلاد المصرية المكشوفة المعروفة من جهة آسية شرقاً ولوبيا غرباً^(١) .

(١) لقد فصلت الكلام على هذا الموضوع فى « مصر القديمة » جزء أول ص ٤٢٥ الخ .

أما في سياسة البلاد الداخلية فقد تجلّت لنا فطنة ذلك السياسي العظيم إذ نجده يعترف اعترافاً صريحاً بقوة الأسر الشريفة العظيمة التي استقلت كل واحدة في مقاطعتها ، ولذلك فإنه سار في معاملتها على تلك السياسية التي اتبعها كثير من ملوك أوروبا فيما بعد ، وهي سياسة المهادة والمخالفة مع فطنة عظيمة في الوقت نفسه تشعر بضرورة البحث عن الكفايات المغمورة في الأوساط الدنيا ، وتكوين رجال جدد يمكن استخدامهم ضد رجال الإقطاع القدامى ، ولذلك يقول :

« أعل من شأن الجيل الجديد ليحبك أهل الحاضرة إن مدينتك مفعمة بالشباب المدرب الذين هم في سن العشرين . ضاعف الأجيال الجديدة من أتباعك على أن يكونوا مزودين بالأموال ، وعلى ألا ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضع ، بل آخذ لنفسك الرجل بحسب كفايته ، ومع ذلك فإنه ليس من الفطنة أن تهمل الأسر الشريفة العريقة »
وكذلك يقول :

« عظم من شأن أشرافك لينفذوا قوانينك ، لأنهم إذا لم يكونوا أهل يسار فإنهم لا يقومون بالعدل في إدارتهم للأمور . إن الرجل الغني في بيته لا يتحيز (يعني في حكمه) لأنه صاحب عقار ، وليس محتاجاً ، ولكن الرجل الفقير (يعني في وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة (ماعت) لأن الرجل الذي يقول : « ليت لى » لن يكون محايداً ، بل ينحاز إلى الشخص الذي يحمل في يده رشوة . فالعظيم من كان أصل شرفه عظيماً ، والملك الخطير من كانت له حاشية ، والرفيع من كانت أشرافه أغنياء . وإذا تكلمت الصدق (ماعت) في بيتك فإن الأشراف المتسلطين على الأرض سيخافونك ، والملك ذو العقل المحاييد يفلح حاله ، لأن داخل (القصر) هو الذي يبعث الاحترام في الخارج »

وفضلاً عن المسئولية فيما يختص بالعدالة الدنيوية يمظ الملك ابنه بأن على الملك واجبات

هامة في المبد ، وأنه محتوم عليه أن يصرف جميع عنايته لإقامة جميع الشماثر القدسية مما يظهر بكل وضوح اعتماده التام على العطف الإلهي ، وليست المظاهر هي كل شيء ، بل يجب أن يكون لها سند من العمل والمقيدة القلبية ، فليست الهيبة وحدها ضامنا كافيا لرضاء الله إذ لم تصحبها استقامة .

ولذلك نجد الوالد يحض ابنه في وصيته التي تُعد من أنبل ما جاد به التفكير الخلقى على أن يحفظ في ذهنه :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور (يقدم قربانا) من الرجل الظالم »

فلا بد لذلك الشاب عندما يترفع على العرش أن يحكم طبقا للصفات الخلقية الباطنة . لذلك يقول :

« أقم العدل لتوطد مكانتك فوق الأرض ، وواس الحزين ولا تعذب الأرملة ، ولا تحرمن رجلا ميراث والده ، ولا تضرن الأشراف في مراكزم ، ولا تتول العقاب (أى بنفسك) ، فإن ذلك لا يرفعك ، ولكن توله بالجلادين من غير إسراف ، وبذلك تستتب الأرض والله عليم بالرجل الثائر ، والله يجازى عسفه بالدم ولا تقتلن رجلا تعرف قدره ، وتكون قد جودت معه الكتابة (أى كنت معه تلميذا في المدرسة) »

أما التخلق بالوداعة التي طالما وصى بها « بتاح حتب » فقد بالغ في الحض عليها ملكنا الحكيم إذ يقول مستحلفا ابنه :

« لا تكونن فظا لأن الشفقة محبوبة ، وأسس آثارك على حب الناس ، وسيحمد الناس الله على مكافأتك لهم ، مقدمين الشكر على شفقتك ومصلين لعافيتك » وقد لاحظنا فيما سبق أن « بتاح حتب » كان كثير الاهتمام بالمستقبل في هذه الدنيا ، بسبب تقلبات الحظ التي تغدر بالإنسان في هذا العالم وتطوح بمركره ، ولكن الملك في تلك الوثيقة ينصح ابنه « مريكارع » بأن يفكر في مستقبله في عالم الآخرة فيقول :

« إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقي عند مقاضاته ، وتسوء العقوبة إذا كان المتهم هو الواحد العاقل (يعنى «تحت» الذى يدير المحكمة يوم القيامة) ؛ ولا تضمن ثقتك فى طول العمر لأنهم (يعنى القضاة) ينظرون إلى مدة الحياة كأنها ساعة واحدة ، ولكن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع أعماله بجانبه كالجبال ، لأن الخلود مثواه هناك (أى الآخرة) والفى من لا يكثرث لذلك . أما الإنسان الذى يصل إلى الآخرة دون أن يرتكب خطيئة فإنه سيثوى هناك ويمشى مرحا مثل الأرباب الخالدين (يعنى الأبرار المتوفين) »

ويرى هذا الملك الصالح أن الحياة الصالحة فوق الأرض هى المهاد الأعظم الذى ترتكز عليه الحياة الأخروية فيقول :

« إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها »

ولا شك فى أنه يقصد بذلك هنا طريقها المعتاد للخلق القيم الكريم . وقد كان القبر فى نظره فى الوقت نفسه من الأشياء الهامة حيث يقول :

« زين مثواك (أى قبرك) الذى فى الغرب ، وجعل مكانك فى الجبانة بصفتك رجلا مستقيما مقبلا للعدالة ، لأن ذلك هو الشيء الذى تركز إليه قلوبهم (أى أهل الاستقامة) »

ولما كان أمر فى حياة الإنسان هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة فإنه يقول ناصحا لأبيه أيضا :

« يمر الجيل متنقلا إلى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه . . . وإنه الواحد الذى يبهى بما تراه الأعين . فاجعل الإله يخدم بالصورة التى سوتى فيها ، سواء أكانت من الأحجار الكريمة أم من النحاس ، لأنه

كالماء الذى يحلّ محله الماء ، إذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئاً بل
يكتسح الذى (يخفيه) »

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر منذ أكثر
من أربعة آلاف سنة مضت ليست إلا محاولة منه ليميز بين الإله وبين الصنم التقليدى الذى
كان يوجد فى المعبد ، ويظهر فى الاحتفالات الرسمية ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة
الإله كالماء يكتسح السدّ أمامه ولا يمكن أن يبقى محبوساً فى الصورة المحسوسة (أى الصنم)
بل يبهز الناس بما تراه العيون ، وهذا الإله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه فلا يمكن
إدراكه ، كجسم من الماء يمتزج فى جسم آخر مثله من الماء . ومن الجائر أن هذا الحكيم
يريد بعبارة « كالماء الذى يحلّ محله الماء الخ » أن الإله الذى شُبه بالماء إذا دخل فى أى
جسم سواء أ كان من الأحجار الكريمة أم من النحاس أم من أية مادة أخرى لا بد واجد
لنفسه منفذا يخرج منه أو يظهر قوته ، ولذلك فإن تصوير الإله فى أى شيء مادى ليس
بالأمر الهام .

ولدينا فى تلك الوثيقة سلسلة أفكار عن إله الشمس نجد فيها الفكر المصرى القديم
يقترّب من عقيدة التوحيد ، إذ ترى الكاتب يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون
مقام القضاة فى عالم الآخرة ، وبذلك يعتمد بدءاً واضحاً عن الاعتراف بوحدانية الإله . على
أنه من جهة أخرى يقترّب جداً من الاعتراف بالتسلط الخلقى للإله واحد لدرجة أن كلمة إله
صارت تدلّ فى مواضع - مع شيء من التناقض - على مدلولها الحقيقى . ويمكن أن نلاحظ
صوغ هذه التأملات بصيغة التوحيد زيادة على ما ذكرنا فى الصورة الآتية التى صور فيها
الحكيم الأهناسى الخلقى والحاكم الرؤوف فى خاتمة تأملاته إذ يقول :

« إن الله قد عنى عناية حسنة برعيته ، فقد خلق السموات والأرض وفق
رغبتهم وخفف الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتجيا به أنوفهم ، وهم الصورة التى
خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع إلى السماء حسب رغبتهم ، وخلق النبات
والماشية والطيور والسمك غذاء ، وهو كذلك يعاقب ، فذبح أعداءه وعاقب
أطفاله بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره ، ويضع النور حسب رغبتهم ،

وكذلك يجعلهم ينامون ويسمعهم عند ما يكون ، وجعل لهم حكاما في البيضة
(أى وهبوا الحكم قبل الولادة) لتحضى ظهور الضعفاء منهم »

والإشارة هنا إلى أن الإله ذبح أعداءه توجيه إلى أسطورة هلاك الإنسانية التى ذكرناها
فى باب القصص . ونجد فى تلك الأسطورة ناحية خلقية تدل على حرمان الإنسان المطف
الإلهى ، وكذلك نتعرف فيها سيادة إله الشمس سيادة خلقية مطلقة . وقد كان واضحا فى
ذهن الملك الأهناسى المسن محاولة الموازنة بين تصوره السامى للزاد الخلقى وبين التقاليد الموروثة
الخاصة بقيمة المتاد المادى ولذلك يقول لابنه :

« أقم آثارا باقية للاله لأنها تجعل اسم صانعها يبقى ، ودع المرء يعمل ما فيه
صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى ولبس النعلين الأبيضين وزيارة المعبد ،
وإماطة اللثام عن الرموز الدينية ، والدخول فى قدس الأقداس وأكل الخبز فى
المعبد . وضاعف القربان وأكثر من عدد الرغفان ، وزد فى القربان الدائم لأن فى
ذلك خيرا لفاعله ، واجعل آثارك ثابتة حسب ثروتك ، لأن يوما واحدا (أى
عمل يوم واحد) قد يبقى إلى الأبد ، ورب ساعة واحدة تنفع للمستقبل . والله
عليم بالفرد الذى يقوم له بأية خدمة »

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج إليه الإنسان من مادة ، وما يحتاج إليه من أخلاق
ظاهرة فى الكلام القيم اقتبسناها فيما سبق عند ما كان الملك المسن يقول :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور الظالم ، ومع ذلك قرب
للله ليكافئك بالمثل بقربان تُزود بها مائدة القربان ، وبالتقوش لأن ذلك هو
ما يخلص اسمك . والله يعلم من يقرب له القربان »

ف نجد هنا اعترافا صريحا عن قيمة الحياة الصالحة فى نظر الإله وهو الذى لا يقبل أن
تقوم الهدايا عنده مقام الأخلاق .

وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها ما يأتي :

- (1) Pieper "Die Agyptische Literatur", pp. 30. ff.
- (2) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 154 ff.
- (3) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 75. ff.
- (4) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archeology", Vol. I, p. 20. ff.
- (5) Golenischeff, "Les Papyri Hieratiques Nos. 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermatiige Imperial á St. Petersburg". (1913).

التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات » الأول

كتبها « خيتي » بن « دواوف »

عن أقدم نسخة عرفت حتى الآن

تدل الشواهد على أن تعاليم الملك « أمنمحات » لابنه « سنوسرت الأول » كانت تحتل مكانة عظيمة بين الوثائق الأدبية التي خلفتها لنا الدولة الوسطى .

غير أن البحوث الحديثة تكاد تثبت أن هذه التعاليم لم يفه بها « أمنمحات الأول » وأنها كتبت بعد وفاته ، لتكون بمثابة دعاية سياسية لابنه « سنوسرت الأول » الذي تولى الحكم بعده مباشرة ، وقد دلل الأثرى الكبير الأستاذ « دى بك » على ذلك بأدلة قوية مقتبسة من صلب متن التعاليم نفسها ، وكذلك من وثيقة عثر عليها بين أوراق « شستريتي » . فقد جاء في هذه الورقة مانصه وأنه : « هو (أى الكاتب خيتي) الذى كتب مؤلفا يسمى « تعاليم الملك سحتب — اب رع » عندما ذهب ليستريح منضما إلى السماء وداخل بين أرباب الجبانة (١) »

وقد تشكك الأستاذ « جاردنر » فى أن « خيتي » هذا هو مؤلف هذه التعاليم قائلا إنها قد تنسب إليه بسبب جهل أحد الكتاب فى عهد الرعامسة . راجع :

Gardiner *melanges maspero* I. P. 491 ff.

غير أنه من جهة أخرى يرى أن هذه التعاليم قد كتبت فى عهد « أمنمحات » الأول وإن كان لا يميز بالطريقة التى دونت بها . وكل ما قاله فى هذا الصدد لا يخرج عن كونه مجرد حدس وتخمين .

فقال : « إنه من المحتمل عندما أشرك « أمنمحات » ابنه « سنوسرت » فى حكم البلاد فاه أمام رجال بلاطه بنصائح غالية تحمل فى طياتها ما لاقاه من المصاعب والمصائب ، وما قام به من عظيم الأعمال ، وما جعله يشرك ابنه معه فى حكم البلاد . ولا يبعد أن رجال الحاشية الذين أعجبوا بهذه النصائح وتلك الحكم الثمينة التمسوا من الملك أن يدونها ، فكلّف بدوره كاتباً ملكياً بذلك » .

ثم قال الأستاذ « جاردنر » إنه يمكن أن يقاس ذلك بالخطاب الذى ألقاه الملك عند تولية الوزير كما نجد ذلك فى مقبرة « زخمرع » وغيرها من المقابر .

“Chester Beatty Papyrus IV”, Gardiner, “Hieratic Papyri in the British (١)

Museum”, Vol. 3, p. 43.

أما الأستاذ « دى بك » فيرى أن الملك « أمنمحات » قد قتل في مؤامرة قامت ضده في القصر ، ويدلل على ذلك بجمل في صلب متن التعاليم ويبراهين أخرى ، إذ يقول : إنه جاء في صلب المتن الجملة التالية :

« ولو كنت استللت سلاحى بيدي لكنت جعلت هؤلاء المختئين يولون الأدبار ، ولكن لا شجاع في الليل ولا أحد يحارب وحيدا ، ولا يحرز النصر بدون عضد »

فاذا اعترفنا أن « أمنمحات » يشير في هذه الفقرة إلى مؤامرة ناجحة ضده ، وهذا على ما يظهر هو الرأى الصحيح ، وأن ما جاء في ورقة « شستريتي » من أن « خيتي » هو مؤلفها كان لابد لنا من أن نأخذ بنظرية من يقول « إن الملك كان يتكلم ، أو كان مفروضا أن يتكلم من قبله » . على أن ذكر الميت الذى يترجم حياة نفسه ، خاصة لا تقتصر على المتن الذى نتحدث عنه ، بل نجدها في متون جنازية أخرى . يضاف إلى ذلك أن هذه ليست هى الظاهرة الوحيدة في تعاليم هذا الملك التى تذكرنا بأسلوب الكاتب الذى يترجم حياة نفسه . وأكبر دليل على ذلك ما يأتى :

« لقد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وقد جعلت الرجل المغمور الذى ذكر يصل إلى غرضه مثل صاحب المكاة »

وكذلك نجد في فقرة أخرى وهى من الصنف الذى نمر عليه في تراجم الأموات :

« أنا الذى أنشأت الغلال والذى أحبه « نير » (إله الحبوب) والفيضان قد حياتى باحترام (أى كان معتمدا فى أيامى) ولم يجمع إنسان فى سنى حكمى ، ولم يمشى خلالها أحد ، وكل ما أمرت به كان فى موضعه الصحيح »

ولا شك فى أن أى عالم أترى يقرأ هذه الفقرة دون أن يعلم أنها من تعاليم « أمنمحات » لا يشك فى أنها كانت على لوحة مائمية .

ولدينا فقرة أخرى يمكن أن تعتبر تفسيراً للظروف التى انفجرت فيها المؤامرة ، وهى فى الوقت نفسه تمدنا بسبب من الأسباب التى بها نجحت فى بادية الأمر وهى الفقرة التى يقول فيها « أمنمحات » :

« انظر إن المصيبة قد حلت بي عند ما كنت بدونك »

والقول بأن الثورة قد بدأت و « سنوسرت » بعيد عن العاصمة يتفق تماماً مع بداية قصة « سنوهيت » إذ تقرأ هناك أن « أمنمحات » قد مات عند ما كان ابنه عائداً من حملته إلى بلاد لوبيا . على أن السرعة التي عاينها « سنوسرت » ليصل إلى مقر الملك مع كتبان الأمر عن جيشه ، والرسالة التي بعث بها لإحضار أولاد الملك الذين كانوا يرافقون ذلك الجيش ، وذعر « سنوهيت » الغريب وهربه ؛ وسؤال الشيخ الفلسطيني « لسنوهيت » عما إذا كانت قد حدثت كارثة في العاصمة ، ثم محاولة « سنوهيت » اقناعه بعدم حدوث أى شئ شاذ ، (وأن كل ما حدث هو أن « أمنمحات » قد رحل إلى الأفق) وأن ابنه قد دخل القصر وتولى ميراث والده) واعترافه بأن موت « أمنمحات » لا تعرف نتائجه ، كل هذه الحقائق توحى إلينا أن هذا الموت لم يكن طبيعياً مما يتفق وما جاء في سياق التعاليم .

ثم يأتى بعد ذلك في المتن (هذا إذا كان ما ترجم هو المتن الصحيح) :

« قبل أن يسمع رجال البلاط أنى سأسلمك (الحكم) وقبل أن أجلس معك ، وإنى أفهم من هذه الكلمات أن « أمنمحات » قد حال بينه وبين إعلان ابنه ملكاً على البلاد بصفة رسمية موته المفاجئ .

وإذا كان هذا رأى هو الصحيح عن محتويات هذه التعاليم فما هو إذن الغرض منها وما القصد الذى من أجله كتبت ؟

والجواب عن ذلك أن هذه الوثيقة مقال سياسى فى صورة قطعة أدبية صيغت دعابة لتعزيد حزب « سنوسرت » الأول ، فقد رأينا أن « سنوسرت » بعد موت والده قد أسرع إلى مقر الملك ، وقد وصل فى الوقت المناسب لينع ما يخشى من الأحداث ، وقد أفلح فى تسلم مقود المملكة التى كان والده قد أعدها له .

ولكن لا بد أن يكون تيار المعارضين قويا ، إذ كان المنافسون له على وشك الوصول إلى مأربهم ، وربما كان لديهم من الأسباب الحق ما يبرر موقفهم ويقوى جبهتهم ويضعف من « سنوسرت » واستحقاقه العرش .

فمن المحتمل أن يكون « سنوسرت » قد لجأ إلى قوة السلاح الأدبى لتهدأ النفوس عقب الضربات القاصمة التى أودت بحياة الملك الكبير .

فقد كتب أديب بايعاز من « سنوسرت » أو بوازع من نفسه هذه التعاليم يظهر فيها الملك

المتوفى بسلطانه العظيم يعضد «سنوسرت» ويخاطبه من قبره بوصفه الملك الشرعى على البلاد ،
ومتهمها أولئك الأوغاد الذين أودوا بحياته . ولما كان غرضه من هذه التعاليم أن يعضد ابنه جاء
في مستهلها بما يؤكدها ويثبت صدقها فذكر الجلة التالية «يقول لابنه في رسالة صادقة»^(١)
وقد كان من الأمور الطبيعية في التفكير المصرى أن يأتى الوالد المتوفى من عالم الأموات
لمساعدة ابنه على الأرض ، وذلك لأن موتى المصريين كانوا دائماً حاضرين ، وكان لديهم من
القوة ما يؤثر على حظوظ الأحياء . فكثيراً ما نجد الحى يطلب مساعدة المتوفى وحمايته ، وقد
عثر على كثير من الخطابات التى أرسلها الأحياء إلى الأموات مما يوضح لنا تأصل هذه
الفكرة في معتقدات المصريين .

وإذا كان من الممكن الاتصال بالموتى بالرسائل ، وإذا كان في مقدور المتوفى أن يقرأ
بإحدى يديه من رسائل الأحياء فمن العقول المنطقية - وكان المصريون منطقيين في مثل هذه
الأمور - أن يكتب الأموات بأنفسهم للأحياء . ولهذا عثرنا على عدد قليل من الخطابات
أرسلها الأموات للأحياء مقابل ما يصل إليهم من أقاربهم ، ومن بين هذه الوثائق ورقة
« هارس » التى وصفها « ستروف » الأثرى الروسى بأنها تزيف ولكنه قديم ، وقد ذكر
فيها أن الملك رعمسيس الثالث المتوفى (وقد كان كذلك فريسة لمؤامرة نسوية) قد أفرد
أحد أولاده بأن يكون الوارث الشرعى للعرش ، ويرجو من الآلهة والشعب أن يعاضدوه ،
وبذلك أفسد الغرض الذى لاقى من أجله الملك حتفه . ولا شك في أن المتن الذى بين أيدينا
الآن بمثابة مثال مبتكر من نفس هذا النوع من المقالات السياسية التى كتبت للدعاية .

على أن الحرب بالأسلحة الكتابية أو الأدبية لم تكن من مبتكرات الملك « أمنمحات »
الأول . وإذا كان من الممكن أن يصل إليه صدى من تعاليمه في العالم السفلى الذى غُيب فيه
فانه لا بد أن يذكر بابتسامة نبوءات « نفرروهو » عنه بأنه هو الخالص المنتظر الذى
سينشر في البلاد عهد سعادة ورخاء . فقد كانت تلك النبوءات دعاية له في أول عهده عند ما
كانت شوكة الحزب النتمى للأمرأة الحادية عشرة لاتزال قوية . وقد كان من نتائج هذه الدعاية
أن ضمت إلى جانبه شعور القوم الدينى ومهدت له السبيل إلى اعتلاء عرش البلاد

وفى اعتقاده أن هذه التعاليم تعد من نوع هذه الوثائق . ورغم أننا لا نرى أمامنا صورة
ذلك الملك المسن اليقظ الصارم الذى لم يتخذه الأوهام ، فإن لدينا في مقابل ذلك مقال دعاية
سياسية ليس بأقل حيوية ولا إنسانية من شخصه .

(١) جاء في بحث جديد للأستاذ « جن » (راجع J. E. A. Vol 27 B. 4 etc أن « أمنمحات »

ظهر لابنه في رؤيا صادقة (حلم) بعد موته وهذا هو رأى القديم

التعاليم

التعاليم التي أَلَّفها جلالة الملك « سحتب اب رع » ابن الإله « رع » « أمنمحات »
الأول متحدثاً عن رسالة صادقة لابنه رب العالمين يقول :

« أنت يا من ظهرت إلهاً (أصبحت ملكاً) اصغ لما سألقيه عليك حتى
تصير ملكاً على البلاد وحاكماً على شواطئ النهر ، وحتى يمكنك أن تفعل الخير
(أكثر مما ينتظر) . خذ الحذر من مرءوسيك لأن الناس يصفون لمن يُرهبهم .
ولا تقتربنَّ منهم على انفراد ، ولا تثقنَّ بأخ ، ولا تعرفنَّ لنفسك صديقاً ،
ولا تصطفينَّ لك خلاناً لأن ذلك لا فائدة منه »

وبعد أن حذّر ذلك الملك العظيم ابنه الثقة ببني الإنسان عامتهم حتى الأخ ، حذّره كذلك
اتخاذ الخلان . لأن تجاربه الشخصية عرفته أن أقرب الناس إليه هم الذين اغتالوه .
وبعد ذلك ينتقل الملك إلى نصيح ابنه ألا يتكل على أحد آخر في أن يحافظ عليه ، وذلك
بعد أن رأى بعيني رأسه أن إحسانه وعطفه قد قوبلا بإنكار الجليل . قال :

« وعندما تكون ناعماً كن الحارس لشخصك حرصاً على قلبك ، لأن الرجل
لا صديق له في يوم الشدة . فإني قد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وجعلت
من لا ثروة له مثل صاحب الثراء . وقد كان آكل خبزي هو الذي جند
الجنود ضدي ، والرجل الذي مددت له يد المساعدة هو الذي أحدث لي بها
المتاعب ، والذين يرتدون فاخر كتاني عاملوني كالذين في حاجة إليه ، والناس
الذين يتضمخون بعطوري قد لوثوا أنفسهم وهم يستعملونه (بخيائتي) »

وانتقل « أمنمحات » بعد ذكر هذه الصورة التي تدل على الشك في الناس والتشاؤم
منهم إلى حث خلفه وهم لا يزالون يذكرون تأملاته المحزنة وما آتاه من الأعمال الحربية العظيمة
أن يعوا هذه المعلومات في نفوسهم ، وذلك لأن الخلف دائماً ينسى ما قام به السلف ، ومع ذلك
فإن الإنسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة . اسمع إليه وهو يقول :

« وأتم يا نسل من الأحياء ويا من سيخلفوني من الناس . اعملوا على أن تكون أحراني كأنها أشياء لم يسمع بها ، وكذلك اجمعوا ما قت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى . وذلك لأن الإنسان يحارب في ساحة الوغى وقد نسى (ما جرى) بالأمس ، ومع ذلك فإن الإنسان الذي يتناسى العلم لا تتم له سعادة »

وينتقل الملك بعد ذلك إلى وصف الحالة التي كان عليها حينما هاجمه المتآمرون ، قال :
« لقد كان ذلك بعد العشاء حينما دخل الليل . وكنت قد أخذت ساعة من الراحة واضطجعت على سريري ، وكنت متعبا ، وأخذ قلبي يجرد وراء النوم ، ثم شعرت كأن أسلحة تلوح ، وكأن إنسانا يسأل عني ، فانقلبت كأني ثعبان الصحراء (أي قت منتصبا) » .

وبعد هذه القطعة أخذ « أمنمحات » يصف موقفه المرح عند الهجوم عليه ، وهنا تختلف الآراء كما أوضحنا فيما مضى فيقول « دى بك » : إن الملك اغتيل فعلا . أما « جاردنر » فلا يمتد ذلك . ولهذا نجد أن كلا منهما يترجم الجملة التي تشير إلى ذلك حسبا يظن :

« وقد استيقظت (على صوت الحرب) وكنت وحيدا ووجدت أنها حرب جنود . ولو كنت أسعفت بالسلاح في يدي لكنت قد شنت شمل المختئين شذر مذر . ولكن لا شجاع في الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدا ، إذ لا نصر بدون معين »

يرى بعد ذلك « أمنمحات » أنه قد أصبح طاعنا في السن وليس في مقدوره أن يحكم البلاد وحده . ولما لاحظ أنه قد أصبح غير قادر على أن يتنبأ ويموق المؤامرة التي دُبِرت ضده نزل عن الملك لابنه « سنوسرت » ، وهو الذي أشركه معه في حكم البلاد ، ولذلك يقول :
« تأمل لقد أريق الدم وأنت بعيد عني ، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط . وعلى ذلك دعني ، أفعل ما تريد ، وذلك لأنني

لم أحتط لنفسى ضد هذه (المؤامرة) فإنى لم أفطن لها من قبل . هذا فضلا عن أن قلبى لم ينتبه إلى تراخى الخدم .

ينتقل بعد ذلك « أمنمحات » إلى التنويه بأن هذه المؤامرة قد دُبِّرت في الخدور . وقد وضع المؤلف هذه الحادثة في ثلاثة أسئلة قد اختلف كثيراً في ترجمتها . ونظن أن الأستاذ « جاردنر » قد قارب الحقيقة إذ يقول :

« هل حدث أن النساء اصططفن في ميدان المعركة ؟ وهل من لا يرى حرمة القانون قد شبَّ في القصر ؟ أو هل الماء الذى كسر السد قد انطلق ، وعلى ذلك خاب الفلاحون في عملهم ؟ »

ويمكن فهم السؤالين الأولين تماما . أما الثالث فإنه استعارة تشبيهية من الطراز الأول ؛ إذ من المحتمل أن نفهم منها أن الشعور بالولاء الذى نَمَّاه الملك قد تلاشى ، فأصبح الوئام الذى كان يسود القصر مقضياً عليه جملة ، ولذلك شبهه بتوزيع مياه الفيضان في وقت الزرع بواسطة القنوات الصغيرة تشق الحقول وتقسّمها إلى مربعات مثل رقعة الشطرنج ، فإذا حدث خلل في هذه القنوات فإن كل المساحة تغمرها المياه ، وبذلك يضيع تعب الفلاحين سدى . على أن ما يأتى لا يثبت أن المؤامرة قد خابت ، ويمكن فهم نتیجتها ضمناً من قوله :

« وسوء الحظ لم ينتبنى منذ ولدت ، هذا فضلا عن أنه لم يتأت لإنسان قط أن يقوم بمثل ما قت به من الأعمال العظيمة بوصنى رجلاً شجاعاً »

ثم ينتقل « أمنمحات » إلى تعداد ما أحرزه من النجاح في ميدان الأعمال المادية فيقول : « لقد اقتحمت طريقى إلى الفنتين (أسوان) ونفذت حتى منافع الدلتا . ووقفت عند نهاية حدود الأرض وشاهدت وسطها ، ووصلت إلى معاقل الحدود بقوة ساعدى وباهر أعمالى العظيمة »

ثم يأتى ذكر أعمال الخير التى قام بها الفرعون المسن مادحاً إياها قائلاً :

« لقد كنت مؤسساً للمحاصيل الزراعية محبوباً من الإله « نبر » رب الغلال وقد حيّانى النيل في كل رقعة من الأرض المكشوفة ، ولم يجمع إنسان في سنى

حكى ، ولم يسغب أحد خلالها (السنون) . ولكن القوم جلسوا فى سلام بما عملت لهم وتحدثوا عنى وكل ما أمرت به كان فى موضعه الحق . ولقد أذلت الأسود واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل واوات ، وأسرت قوم الماتو ، وجعلت الآسيويين يمشون كالكلاب ، وأقمت بيتا مزينا بالذهب وسقفته من اللازورد ، ورقعته وأبوابه من النحاس وأقفاله من البرنز وقد صنعتها لتبقى إلى زمن لا نهاية له ، والأبدية تخشاها ، لأنها لا يمكنها أن تقضى عليها ،

وبأتى بعد ذلك عدة جل لا يمكن فهمها لأن المتن مشوه .

ولا نزاع فى أن كاتب هذه التعاليم قد رسم لنا صورة التشاؤم والريبة التى بمثلها أحوال البلاد فى ذلك العصر ، رغم ما قام به « أمنمحات » من إعادة النظام القديم الذى كانت عليه البلاد بقدر ما استطاع ، إذ كانت الأحوال قد حتمت عليه أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا وشبوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى عقب عصر الأهرام ، وكانت قلوبهم قد أشربت حب القوضى والفساد اللذين هوى إلى حضيضهما الشعب المصرى عدة قرون ولم ينقذه منها فى ذاك الوقت إلا « أمنمحات » ، وإن كانت بقاياها قد ظهرت ثانية فى حادثة اغتياله على يد من أحسن إليهم . لذلك بدا شعور النفوس فى المجتمع المصرى فى ذلك العهد مملوءا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفنون فى ذلك العصر ، وأعنى بذلك فن نحت التماثيل البشرية ، فظهر فى هياكل التماثيل الخالدة التى تمثل لنا ملوك الدولة الوسطى سمة الرزاة والوجوم التى تلمح فى أقوالهم ونصائحهم والتى كانوا ينظرون بها فى عصرهم إلى الحياة الدنيا . وعندما ننعم النظر فى تلك الوجوه التى تدل على الجرأة والبطولة أمثال « سنوسرت » الثالث « وأمنمحات » الأول والثالث وقد ظللتها سحائب اليأس والقنوط ، نرى أن نفس هذه الوجوه تمد كشفاً جديداً فى ميدان الفن يعيط لنا اللثام من غير شك عن روح ذلك العصر الذى يعتبر أقدم عصر معروف تخلص من الأوهام ولم يتخدع بها . وسنرى ذلك جليا فى باب التأملات عند الكلام على موضوع شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه .

المصادر

أهم المصادر التي يرجع إليها ما يأتي :

- (1) Gardiner, "The Earliest Manuscripts of the Instruction of Amenemmes I", "Melanges Maspero", Vol. 1, pp. 479 ff.
- (2) Peiper, "Die Agyptische Literatur", pp. 37. ff.
- (3) Peet, "A Comparative Study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 107 ff.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 205 ff.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 12. ff.
- (6) Maspero, "Les Enseignements d'Amenemhait 1^{er}".
- (7) Griffith, "A. Z.", Vol. XXXIV, pp. 35 ff.
- (8) Battiscombe. Gunn Journal of Egyptian Archeology Vol 27 P 2.
(Notes on Ammenemes I.)

تعاليم « خيتي بن دواوف » لابنه « يبي »

لقد ظلت هذه التعاليم تعرف باسم تعاليم « دواوف » إلى أن برهن الأستاذ « جاردنر » على أن اسم كاتبها هو « خيتي بن دواوف » وأن « خيتي » كتبها لابنه « يبي »

وقد وصلت إلينا نسخ كثيرة من هذه التعاليم بعضها على أوراق بردية ، وبعضها على لوحات خشبية ، وقررات على قطع الخرف ، وشطيات من الحجر الجيري الأبيض الأملس ، وأقدم قررات وصلت إلينا منها هي التي امتدى إلى حلها « بيانكوف » ، ويرجع عهدا إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقي لنا بعض أجزاء منه . وهي بلا شك ترجع إلى عهد العصر الإقطاعي كغيرها من قطع الأدب ، ولا غرابة فإنه هو العصر الذي ازدهر فيه الأدب بدرجة عظيمة (راجع تعاليم أمنمحات) .

وهذا النوع من التعاليم الذي سنسوقه للقارئ كان محبباً بصفة خاصة عند مدارس الدولة الحديثة ، ولذلك نال مكانة ممتازة ، غير أن الطريقة التي عث بها التلاميذ في المتون كانت منسية لدرجة يقصر أمامها كل وصف ، فلا يكاد القارئ يتم قراءة قررات منها حتى يتساءل بياس عما كان مكتوباً في الأصل^(١) ، لأن ما كتبه التلاميذ كلمات لا معنى لها غالباً ، وقد يكون السبب في ذلك عدم فهمهم ما نقلوه ، أو عدم إقبالهم على عملهم وإجبارهم عليه . ولكن من حسن الحظ أن القطع التي عثر عليها « بيانكوف » وقرنها بما يقابلها في النسخ الأخرى قد حلت لنا بعض معضلات هذه التعاليم وإن كان الجزء الأكبر منها لا يزال غامضاً ببعض الشيء في نقط ومغلقات تماماً في أخرى .

ويرجع السبب في خطوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس عهد الرعامسة إلى أنها كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية المدرسية وبامتدادها لمهنة الكاتب ، وهي بالضبط كالرسائل التي كانت تتبادل بين المدرسين في عهد الدولة الحديثة .

وعصر هذه التعاليم قد أصبح محققاً إذا كان « خيتي » هذا هو الذي كتب تعاليم الملك « أمنمحات » الأول . ويفتح الحكيم « خيتي » هذه التعاليم كالمادة بذكر اسمه وابنه الذي من أجله كتبت هذه النصائح فيقول :

(١) وجدت هذه المتون إما على ألواح من الخشب أو على ورق البردي أو على شطيات من الحجر الجيري ومعظم هذه الوثائق كان مدفوناً مع أصحابها

« تعاليم ألفها مسافر في حجرة سفينة » اسمه « خيتي » بن « دواوف » لابنه « يبي » حينما سافر مصعداً في النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام »

وهذا العنوان وحده يكشف لنا عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية .
فنه نعلم أنه كان يوجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد عليّة القوم في عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ في الوجه القبلي ، لأنه كان على « خيتي » أن يقطع بسفينته مصعداً في النهر . ومن الجائر أنها كانت وقتئذ « أهناس المدينة » أو « ظيبة » ، هذا إلى أن هذه المدرسة كان يعلم فيها أولاد حكام المقاطعات ومن في طبقتهم . وسنرى أن « خيتي » يقول لابنه وستكون رئيساً لمجلس « قنبت » ، وهو ذلك المجمع الذي كان يدير حكومة البلاد في العهد الإقطاعي (انظر قصة المحاصصة بين « خور » و« ست ») وكان معظمه في ذلك الوقت من حكام المقاطعات .

ونجد أن أول ما يلقي « خيتي » على ابنه من النصائح هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يفرّيه بأن يحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول له إنه عاجز عن تصوير جماله له ، ثم يشير إليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف ، وأنه لو تعلمها فإن القوم يهنتونه على ذلك فيقول :

« لقد رأيت من ضرب ، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد شاهدت من أعتق من الأشغال الشاقة . تأمل ! لا شيء يفوق الكتب .

اقرأ في نهاية « كمت » (لعله اسم كتاب قديم ؟) تجد فيه هذه : إن الكاتب عمله في كل مكان في حاضرة الملك ولن يكون فقيراً^(١) . والرجل الذي يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح . ليتني أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك . وليت في مقدوري أن أظهر جمالها أمام وجهك . إنها أعظم من أي حرفة وإذا أخذ (التلميذ) في سبيل النجاح وهو لم يزل طفلاً فإن الناس

(١) قد يحتمل أن كل وظيفة يشغلها لها صلة بالبلاط ، وعلى ذلك فلكاتب نصيب قبل غيره في الأرزاق التي توزع هناك

تهنئة، ويكلف تنفيذ الأوامر، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل
أرباب الحرف الأخرى »

بعد ذلك يصف الأب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من الشرف وبين
المهن الأخرى التي يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله، وتعرض محترفها للأخطار فيقول :

« على أنتى لم أَرَقَط قاطع أحجار كلف برسالة ولا صانعا أرسل في مهمة »

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقارة بالنسبة لمهنة الكتابة . ويقدم
لابنه درساً في الحياة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه نواحي مصر الصناعية ، ونصيب كل صانع
من متاعبها ، يذكر ذلك في قىء من المبالغة ، ولكنه يكشف لنا في الوقت نفسه عن نوع
الحرف التي كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذي يتحدث عنه .

وإذا كان القارىء الأجنبى لا يحفل بهذا المرض كثيراً فإن القارىء المصرى يستهويه
أن يراه ، لأن فيه صفحة مضى عليها أربعة آلاف سنة ، يستطيع أن يقرنها بصفحة مصر
الحاضرة فيرى أن الأخيرة تكاد تطابق الأولى مع طول العهد بينهما ، وأن هذه المطابقة تشتد
وتقوى في الدساكر والقرى حيث يصف تأثير المدنية الحديثة .

فيتكلم أولاً عن صانع المعادن فيقول :

« ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الآتون وأصابه كجلد
التمساح (أى أنها مجعدة وخشنة كجلد التمساح) ورائحته أكثر كراهية من
البيض والسمك »

ثم ينتقل إلى الخراط فيقول :

« وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة^(١) (؟) فإن الإعياء يناله أكثر ممن
يفلح الأرض ، وميدانه الخشب وفأسه المخرطة (حرفيا المدن) وفي الليل

(١) لا شك أن حكيمنا يبالغ في هذه الصورة التي يضمها أمام ابنه . لأنه مما لا شك فيه أن بعض
أصحاب هذه الحرف كان يحب مهنته لذاتها . وإلا لما وصلت إلينا تلك القطع الفنية النادرة في إتقانها من
أيدى هؤلاء الصنائع .

حينما يطلق سراحه يعمل فوق طاقة ساعديه . وفي الليل يشعل النور «
(أى يستمر فى عمله فلا راحة له)

ثم ينتقل إلى الكلام على البناء وما يناله من التعب الجثمانى فيقول :
«والبناء يبحث عن عمل له (؟) فى كل أنواع الأحجار الصلبة . وعندما ينتهى
منه تكون ذراعاؤه قد تكسرتا ، ويصبح مُضنى ، وعندما يجلس امرؤ كهذا
عند الغبش فإن نخذه وظهره تكون قد حطمت »

بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه أنها مضنية ، صاحبها لا بد أن يجول فى الشوارع
ليبحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه . فتراه يقول :

«والحلاق يخلق متأخرا إلى الغروب ويجول من شارع إلى شارع
ليبحث عمن يخلق له ، وينهك ذراعيه لأجل ملء بطنه ، كالنحلة التى تأكل
وهى تكد^(١) . »

وكذلك يظهر له المتاعب التى يلاقها التاجر (؟) الجوال ليحصل على ثمن سلعه فيقول :
« والتاجر (؟) يسبح إلى الدلتا ليحصل على ثمن سلعته ، ويكد فوق طاقة
ساعديه ، والبموض يقتله (لما يحمله من الجرائم) »
ويتناول بعد ذلك أحقر الحرف وهى صناعة اللّبن فيقول :

« وصانع اللّبن (ضرب الطوب) الصغير الذى يصنعه من غرين النيل
يقضى حياته بين الماشية (؟) وهو على أية حال مختص بالكروم والخنازير
(فى المصرية تورية بين كلمة كروم وخنازير ، وربما كان ذلك هو السبب فى ذكرها هنا)
وملابسه تكون خشنة وهو يشتغل بقدميه ويدق »

والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة عند المصريين ، حتى إن حكيمنا هنا قد رصد لها
فقرتين غير ما ذكر ، ولكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

(١) أى أنه يأكل أثناء عمله . وهذا ما نشاهده الآن فى القرى المصرية

« دغنى أحدثك فضلا عن ذلك عن البئاء الذى يكون غالبا مريضا (؟) وملابسه قدرة وما يأكله هو خبز أصابه ، ويفسل نفسه مرة واحدة وهو أتعب مما يمكن أن يتحدث عنه الإنسان بحق (؟) . فهو كقطعة حجر (؟) فى غرفة طولها عشر أذرع فى ست والخبز يقدمه إلى بيته ، وأطفاله يضربون ضربا . . . » (وهذه القطعة غامضة فى الأصل)

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستاني . ويظهر أنه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول :

« أما البستاني فيحضر أثقالا وذراعه ورقبته تتألمان من تحتها . وفى الصباح يروى الكراث وفى المساء الكروم (لأن ذلك أحسن وقت لريها عند ما تكون محملة بالفاكهة) خرفته أسوأ من أية حرفة . »

ثم ينتقل إلى وصف حالة الفلاح ، وهو ذلك الوصف الذى ينطبق على حالة فلاح مصرنا ؛ فالأمراض تفتك به وصاحب الأملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحیوان الضعیف الذى يعيش بين الأسود فهو لابد ما كول . فيقول الحكيم :

« أما الفلاح فحسابه مستمر (أى أن صاحب الأرض يطالبه دائما بتأدية ما عليه من الديون) إلى الأبد ، وصوته أعلى من صوت الطائر « أبو » (دائما يشكو) ، وهو كذلك أكثر تعباً ممن يمكن التحدث به ، وحالته كحال الذى يعيش بين الأسود ، وهو فى غالب الأوقات مريض (؟) وعندما يمود إلى بيته فى الغروب ، فإن المشى يكون قد مزقه إرباً إرباً » (أى أن طول الطريق يجهد إجهاداً كبيراً فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم)

يتناول بعد ذلك « خيتى » حكيمنا الناسج الذى يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بعميدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائماً ، فإذا تباطأ عن العمل يوماً ضرب بالسوط . وفى رواية أخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة . وإذا

أراد أن يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء فلا يصل إلى ذلك إلا بالرشوة . فيقول :
« وحال الناسج داخل مصنعه أتعس من حال المرأة ، فركتباه تكونان
في بطنه ، وهو لا يمكنه أن يستنشق الهواء وإذا أمضى يوما دون عمل انتزع
(من مكان راحته) مثل ما تنتزع زهرة السوسن (في رواية أخرى فإنه يضرب
بسوط ذى ٥٠ شعبة) أو (فإنه يضرب كسائمة الضحية ٥١ سوطا) . وهو يقدم
لحارس الباب خبزاً ليسمح له بالخروج في ضوء النهار »

بعد ذلك يصف هذا الحكيم المحنك لابنه « حرفة » من الحرف التي كانت شائعة في
ذلك العصر ، ولكنها قد اختفت في عهدنا تدريجاً بانتشار المدنية ، وأعني بذلك صناعة « السهام »
التي لم يفتأ يستعملها المصري لأنها كانت من أهم أسلحة الحرب ، فيصف كيف يحتم على
صاحبها أن يذهب إلى الصحارى والجبال حيث الطران الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك
من بعد المسافة ، وما يعانیه هو وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده إلى الطريق فى
وسط تلك الفياق والقفار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب . فيقول :

« وصانع السهام يكون تمسا عندما يرحل إلى الصحراء ، وإن ما يعطيه
حماره لكثير . هذا فضلا عن أنه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك
الذين فى الحقول والذين يرشدونه إلى الطريق كثيرا أيضا . وعند ما يصل إلى
بيته فى المساء فإن السير يكون قد أنهكه »

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى من التي أخذت تتلاشى فى مصر وإن كانت لم تزل باقية
فى بعض الجهات المتطرفة التي لم تصلها المدنية الحديثة ، وأعني بها نقل البريد رجال خصصوا
بذلك . فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه إلى بلد أجنبي يترك وصيته خوفا من
عدم عودته ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى إذا عاد إلى مصر ثانية فإنه لا يعود مرتاح
النفس ، لأن التعب يكون قد أضناه ، فيقول :

« وحامل البريد عندما يسافر إلى بلد أجنبي يوصى بأملأه لأولاده
خوفا من الأسود والأسويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعندما يعود إلى

بيته يكون تمسا لأن المشى قد كسره . وسواء أكان بيته من النسيج أو اللين (؟) فإنه لا يعود منشرح القلب^(١) . (وفي رواية أخرى : وعندما يصل إلى بيته مساء فإن قلبه يكون فرحا) «

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل إلى كنه معناها ، والفرض من ذكرها هنا هو أن يظهر له بشاعة رائحة محترقها ، ولذلك سنورد الكلمة هنا بأصلها المصرى :

« أما الـ « سثنوى » فإن رائحة إصبعه تكون نقتة ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ، وعيناه تكونان مثل (؟) بسبب المسوح وهو لا يُقضى عنه « سثناوى » وهو يقضى وقته فى تقطيع الخرق (؟) وما يمقته هو الملابس »

ثم يشفع ذلك بالتحدث عن حرفة يظهر أنها تشبه السابقة فى قدارتها ، وأعنى بها حرفة الإسكاف . فيصف الحكيم لابنه كيف أن هذا التمس يحمل أوانيه التى فيها آلاته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء وجسمه يهزل وقد يجبر على قطع الجلد بأسنانه فيقول :

« والإسكاف يحمل أوانيه إلى الأبد (وفي نسخة أخرى : يحمل آلاته إلى الأبد) . وصحته تكون كصحّة الجيفة ، وما يعرض عليه هو الجلد »

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الفسال ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التماسح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جبانى ، وما يشعر به من تمس عندما يضع مثرر سيده ليؤدى فيه عمله . فيقول :

« والفسال يفسل على الموردة ، وإذ ذاك يكون جاراً قريباً للتماسح (فى صورة إله) وعندما يخرج الوالد (الفسال) متجها نحو الماء المضطرب فإن ابنه وابنته يكونان فى عمل هادىء بمنزل عن كل عمل آخر ، وعندئذ يقول ابنه وابنته : إن هذا ليس بعمل يجد فيه الإنسان راحة ، وهو منفصل عن أى عمل

(١) لأن أولاده يكونون قد قسموا ملكة ظنا منهم أنه قد مات فى طريقه

آخر . وغذاؤه يكون مختلطاً بمكان حساباته . وليس فيه عضو سليم . وإذا ارتدى منظر المرأة فإنه وقتئذ يكون تمسا ، وهو يبكي حيناً يمضى وقته حاملاً « مكاتن » ويقال له - « الفتيل » - اسرع إلى

ويمقب هذا بحرفة أخرى ليست من نوع الحرف السابقة ، بل هي حرفة لهو ، ولذلك يقول عنها إنها تجعل صاحبها يهمل أعماله ، وأعنى بها حرفة صيد العصافير ، فيقول : « وصائد العصافير تراه في منتهى التمس في عندما يشاهد ما في السماء ويهمل أعماله (وفي رواية أخرى : وعندما تطير الطيور المتنقلة^(١) في السماء يقول : ليت عندي شبكة هنا . ولكن الله لا يهيء له نجاحاً (؟) »

بعد ذلك ينتقل إلى حرفة صيد السمك ، ويصف الحكيم لابنه ما فيها من أخطار التماسح ، فيقول :

« إنى مخبرك كيف أن حرفة صياد السمك أكثر تمسا من أية حرفة أخرى . فإنه يشكو منها . أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (؟) . وإذا لم يقل له الإنسان يوجد تماسيح فإن خوفه يعميه »

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم إلى إطرء حرفة الكتابة . فيقول :

« إن صاحبها هو الذى يصدر الأوامر »

ثم يصفها بأنها أحسن من كل الحرف التى استعرضها أمامه فيقول :

« تأمل ! . فإنه لا توجد حرفة من غير رئيس لها إلا صناعة الكاتب فهو رئيس

نفسه^(٢) . فإذا عرف الإنسان الكتب فإنه يقال عنه بحق : إنها مفيدة لك ... وما أقوم به فى سياحتى إلى الحاضرة تأمل ! إنى أقوم به حباً فبك . ويوم فى المدرسة مفيد لك وما تعله فيه يبقى مثل الجبال »

(١) تؤلف الطيور المتنقلة عنصراً هاماً فى طعام المصريين

(٢) هذه الفكرة هى الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من كل أقواله

ويمقب هذه الكلمات الحكيمة بعض فقرات غير مفهومة وتدل مقدمتها هذه :

« دعنى ألق عليك فضلاً عما سبق كلمات لأعلمك » على أنها تبحث في موضوع

جديد ؛ ومن المحتمل أنها إضافات قد أدخلت على المتن الأصلي فيما بعد . ففها فقرة تعلم الإنسان حسن السلوك في حضرة العظيم . فيقول حكيمنا :

« إذا دخلت ورب البيت في داره مشغول بآخر قبلك فمليك أن تجلس ويدك في فمك . ولا تسألن عن أى شيء ، وفضلاً عن ذلك لا تتكلمن بكلمات غامضة ، ولا تنطق بلفظة وقحة ثم إذا حضرت من المدرسة وقد أعلن وقت الظهر لك وأنت سائر تصيح فرحاً في الطرقات ، فحينئذ وإذا أرسلك رجل عظيم برسالة فأدها كما ألقيت عليك ولا تنقص منها ولا تزد »
وبلى ذلك نصيحة غالية في القناعة في المأكل والشرب من أحسن ما قيل في هذا الباب إذ يقول :

« كن قنوعاً بطعامك ، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان وشرب قدحين من الجمعة ، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى بعد فخاره (١) »

ثم إن الحكيم يحض ابنه على أن يستمع لكلمات الرجل العظيم ويتخذ لنفسه صديقاً من سنه . فيقول :

« انظر . إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمتع منفرداً إلى كلمات العظيم ...
اتخذ لنفسك رجلاً صديقاً من جيلك »

وفي النهاية نرى « خيتي » يقول لابنه إنه قد وضعه على الطريق الإلهية وإن ربه « حصاد الكتاب » على كتفه منذ يوم ولادته ، أى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل إلى أعلى وظيفة في البلاط ، بأن يصبح عضواً في المجلس الأعلى للحكام (قنبت) ، بل قد يكون الرئيس فيه بما أوتي من علم وحكمة ، ثم يخبره أن هذا الطريق ممهد أمامه وأمام أولاد أولاده . فيقول :

« انظر . إني قد وضعتك على طريق الإله ، وإن « رننوت »^(١) الكاتب (أى ربة الحصاد للكاتب) قد أصبحت على كتفه منذ يوم ولادته . وهو يصل إلى باب مجلس « القنبت » عندما يصل إلى سن الرجولة . تأمل ! إنه لا يوجد كاتب قد حرم القوت الذى هو متاع بيت الملك عاش فى صحة وفلاح . و« مسخت » (إلهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على رأس المجلس الأعلى (قنبت) . ويجب على الإنسان أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الأحياء . والآن تأمل ، فإن هذا (أى ما نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك . وقد انتهى هذا بسلام »

المصادر :

أهم المصادر التى يمكن الرجوع إليها فى دراسة هذه التعاليم ما يأتى :

(1) Papyrus^{*} Sallier II; and Papyrus Anastasi VII (British Museum, London).

(2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 30.

(3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 104 ff.

(4) Piankoff, "Quelques Passages des Instructions de Douaf sur une Tablette du Musee du Louvre", "Revue d'Egyptologie", Tome II. (1933) pp. 51 — 74.

(5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 67 ff.

(6) Maspero, "Genre Epistolaire", pp. 48 ff.

(١) يظهر أن « رننوت » ربة الحصاد كان لها علاقة بعادة نعرها من التماثيل ، وذلك أن يكتب الإنسان اسم سيده بطريقة « الوسم » أو الوشم على الجزء العلوى من الذراع ، وبذلك يكون الكاتب ملكاً للالهة التى تمدّه بالحبر الوفير .

(تعاليم سحتب أبرع)

كان الفرعون « أمنمحات » الثالث (١٨٤٤ - ١٧٩٦ ق م) من أعظم ملوك الأسرة الثانية عشرة . فقد بلغت البلاد أوج مجدها في عهده بعد أن كانت في حالة فوضى واضطراب في عصر المهد الإقطاعي ، وقد بدأ روح الوحدة يدب في جسم الدولة خلال حكمه بفضل جيل الموظفين الجديد الذي عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم ، وليكون لهم نصيراً وظهيراً على تسيير أداة الحكم في البلاد والقضاء على حكام المقاطعات الذين كانوا أكبر عقبة في سبيل توحيد نظام الحكومة والنهوض بها . فلا غرابة إذن أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لملكهم في نفوس أولادهم . وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعاليم بعضهم لأبنائه تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له ، لا أن ترشدهم إلى الحياة الصالحة السعيدة كما كانت التعاليم التي وصلت إلينا حتى الآن . بل إن الكاتب الذي فعل ذلك غالى ، فلم يشأ أن يكتب تعاليمه على ورق بردى ، بل نقشها على صفحة حجرية وجعلها شاهداً لقبره حتى يضمن خلودها وبراهها أولاده في كل وقت يزورون فيه قبره ، لأن القبور كما نعلم كانت تحاط بكل عناية في كل أزمان التاريخ المصري ، وكان بكر أولاد المتوفى يُنصب عادة كاهناً يزورها ويقدم لوالده القربان كل يوم .

ولا غرابة في أن تشيع هذه العادة في ذلك المهد . ولم يصلنا بكل أسف إلا هذه اللوحة الحجرية التي تحدثنا عنها . وقد يكون لكاتبها صلة خاصة وثيقة بالملك أكثر من غيره ، فعلى في حبه لمولاه ونقش هذه التعاليم إظهاراً لولائه للفرعون وليسير أولاده على نهجه في جهم وولائهم له . والواقع أن كاتب هذه النصائح كان موظفاً كبيراً في المالية ، ويقول إن الملك قد مدحه أمام (الملايين) وإنه كان صديقاً حميماً لسيدته الذي كان يطلعه على أسرارها الخفية . وقد صاغ الكاتب عقود الدح لهذا الفرعون وأظهر عظمته ، ومثله أمام أولاده بأنه يفوق كل إله وأنه هو الذي يعطى من يشاء ويحرم من يشاء . ويرى القارى أن المؤلف ينصح أولاده أن يحاربوا في جانب الملك مما يتفق وروح العصر الذي كان عصر نضال وحروب لتثبيت عرش الملكية بتوحيد البلاد تحت حكم ملك واحد .

وقصارى القول أن هذه اللوحة كانت نوعاً من الدعاية للملكية في ذلك المهد ، ولكنها دعاية فريدة وحاذقة في بابها . ومن الجائز أنها كانت عادية منتشرة وقتها ، غير أنه لم يصلنا نحن منها إلا هذه الوثيقة وصيغتها :

المتن :

« إنى أتحدث عن أمر عظيم ، وأجعلكم تصفون إليه . وإنى أنقل إليكم فكرة للأبدية^(١) وحكمة للحياة الصحيحة ، ولأجل أن تمضوا مدة الحياة في نعيم . احترموا الملك « نى معات رع » بأجسامكم ، وألقوا بين قلوبكم وجلالته . إنه هو الفهم الذى فى القلوب ، وعيناه تفحصان كل إنسان . وإنه « رع » الذى يرى الناس بأشعته . وإنه يضىء الأرضين أكثر من الشمس ، ويجعل الأرضين أكثر نضارة من نيل عال ، وإنه ملأ الأرضين قوة وحياة

والأنوف تصير باردة حينما يخنح إلى الرعب^(٢) . وعندما يكون طلقا يتنسم الناس الهواء ، وهو يعطى من يخدمونه القوة الحيوية ، ويعد بالطعام من يسير على نهجه . والملك قوة حيوية وفه^(٣) الرءاء بعينه

وإنه هو الذى يطعم من سيكون ، وإنه الإله « خنوم »^(٤) لكل الأجسام والمبدع الذى يخلق كل الناس ، وهو « باستت »^(٥) التى تحمى الأرضين ، ومن يحترمه ينبج من ساعده ، ولكنه الإلهة « سخمت » لمن يتعدى أمره . حازبوا لاسمه ، ودافعوا عن حياته حتى تنجوا من الكريهة (الغدر) . ومن كان صاحباً للملك فانه سيكون محترماً ، ومن كان عدواً للملك . فلا قبر له وجسمه يلقى فى الماء فافعلوا ذلك لتصح أجسامكم . نعم ، إن ذلك لمجد لكم إلى الأبد »

المصادر :

(1) Stele, Cairo Museum, No. 20538.

(2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 84 — 85.

(١) أى تفكرون فيها دائماً

(٢) يعنى أن نفس الحياة الذى يعطى الجسم حرارة يخرج من الأنف فاذا انقطع أصبح الأنف بارداً وذهبت الحياة عنه

(٣) الذى ينطق بأوامر

(٤) كما أن خنوم يسوى الأجسام فهو كذلك ينشئ العظام

(٥) باستت هى الإلهة الشقيقة لها رأس قطرة . أما « سخمت » فهى الإلهة المربعة ولها رأس أسد .

(نصائح «آنى»)

لقد كانت دراساتنا فى باب الحكم والنصائح والتعاليم حتى الآن مستقاة مما وصل إلينا من الدولتين القديمة والوسطى على ما يظهر ، وإن كان بعضها قد أعيد كتابته بلغة الدولة الحديثة تمشياً مع التطورات الأدبية والاجتماعية ؛ إذ قد لاحظنا فى أثناء دراساتنا للوثائق الخاصة بذلك العصر أن الكتاب الواحد قد كتب فى عصر الدولة الوسطى مثلاً ثم أعيدت كتابته فى الدولة الحديثة مع ظهور تغيير جوهرى عن النسخة القديمة . ولا أدل على ذلك من أمثال « بتاح حتب » التى عثرنا على نسخ منها من الدولة الوسطى وأخرى من الدولة الحديثة . وما يدرينا ! لعل الأيام تسعدنا فجأة بنسخة من الدولة القديمة التى تنسب إليها تلك الأمثال والحكم الغالية .

أما فى الدولة الحديثة فقد وصلت إلينا حتى الآن وثيقتان : واحدة تمثل أدب هذا العصر أو على الأقل كتبت بلغة هذا العصر التى تسمى باللغة الحديثة . وهذه الوثيقة هى نصائح « آنى » لابنه « خنسحتب » . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ هذه الورقة من أسماء الأعلام التى وردت فيها فهى بلا شك كانت أعلاماً مستعملة فى عهد الدولة الحديثة ؛ فاسم « آنى » وابنه « خنسحتب » من الأسماء المتداولة منذ الأسرة الثامنة عشرة ، غير أن الكاتب « آنى » نسب نفسه إلى بيت الملك « نفر كارع تارى » الذى ينسب إلى الأسرة الثامنة ، رغم أنه سمي نفسه وابنه باسمين من أعلام الدولة الحديثة ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما كان للأدب القديم وبخاصة أدب الأمثال والحكم من منزلة ، فكل ما كان قديماً له فى نظر القوم روعته واحترامه . وهذا ما نشاهده فى الأدب العربى ، فكم من قصيدة كتبت فى العصر العباسى أو العصر الأموى ثم نسبت إلى شعراء الجاهلية لتكون أوقع فى النفوس وأبهج للعين وأحلى للأذن . ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة فى كل من الأدب العربى والأدب المصرى ، وذلك من التعابير والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور الأدب .

واللغة التى كتبت بها هذه النصائح يرجع تاريخها إلى بداية العصر الذى استعملت فيه اللغة المصرية الجديدة وهو نهاية عصر « الهكسوس » . ولا أدل على ذلك من أن النسخة التى وصلت إلينا قد نقلها تلميذ من تلاميذ الأسرة الثانية والعشرين حسب رأى الأستاذ « أرمين » .

وقد وجدنا بها أغلطا كثيرة جداً لدرجة أصبح من المستحيل معها تقريباً فهم فقرات بأكملها . ومن المحتمل جداً أن هذا التلميذ لم يفهم كثيراً من محتويات الكتاب ، لأن اللغة الحديثة التي كتب بها لم تكن لغة العصر الذي عاش فيه ؛ بل كانت لغة القوم الذين عاشوا قبل زمنه بنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة . ولدينا دليل مادي على ذلك ، إذ وجدنا في متحف « برلين » أدوات كتابة لتلميذ عاش في خلال الأسرة الثانية والعشرين ، ومن بينها لوحة كتابة مكتوب عليها الكلمات الافتتاحية لنصائح « آنى » . غير أننا لاحظنا أن التلميذ لم يفهم هذه الجمل الافتتاحية ، ولذلك وجدنا معها شرحها باللغة التي كانت مألوفاً له . فنقرأ :

« أول التعليم الوعظي (= فاتحة التعاليم الوعظية) لمؤلفه الكاتب « آنى »
(= التي ألفها الكاتب آنى) التابع لبيت « نفر كارع تارى »

وهذا طبعاً ما نجد بالضبط عندما نقرأ مؤلفاً قديماً لم يكن في مقدور القارئ فهمه فيسهل أمر فهمه بالشرح والتعليق عليه .

وهذه النصائح كما قلنا من قبل تقليد حديث لكتب الحكمة القديمة . والواقع أنها تشبهها من ناحية أنها تعليم والد لابنه ، إلا أن المجال هنا على ما يظهر أوسع أفقاً ، ويشتمل على حيوية وتجارب أكثر مما نجد في تعاليم « بتاح حتب » وغيره ممن كتبوا في هذا الموضوع . غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه قد وصل إلينا في نسخة واحدة كما قلنا مشوهة لحد بعيد ؛ ولذلك فإن قيمة هذه الوثيقة الحقيقية لا يمكن أن نقدرها قدرها الذي يليق بها في الأدب المصرى إلا إذا عثر على نسخ منها خالية من تلك الأغلاط الفاحشة . ومع كل فهي على حالتها تعد من أحسن ما وصل إلينا من الأدب المصرى في النصائح والحكم والتجارب والمعاملات الإنسانية من حيث الأخلاق والدين والسلوك في الحياة الدنيا .

وسنتناول هنا الموضوعات التي عالجها « آنى » بقدر ما يسمح به فهمنا للمتن ، تاركين ما غمض منها للوقت الذي تجود به تربة مصر علينا بنسخة أخرى من هذا المؤلف العظيم ، وعندئذ تلقى علينا ضوءاً جديداً لفهمها .

يفتح هذا الحكيم كتابه معداً لابنه ما تحمله نصائحه من فوائد وما سيمود عليه منها لو اتبعها فيقول :

« إني مخبرك بكل فاضل ، وبما يجب أن تعيه في لبك ، فاعمل به ، وبذلك تكون محموداً ، ويتعد عنك كل شر . . . وسيقال عنك (إذا اتبعت ما أقول)

إنه على خلق عظيم ، ولن يقال : « إنه قد أتلف وإنه بليد » . وإذا تقبلت كلماتي فإن كل شر سيبتعد عنك »

ثم يتلو هذه النصيحة الأولى عدة نصائح أخرى في الحذق في الكلام وقلته وعدم التفاخر بالقوة ، غير أنها كلها قد استمصى علينا فهمها ، إلى أن نصل إلى نصح حكيمنا لابنه في أن يتخذ لنفسه زوجة وهو لا يزال في ريعان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم ويربهم في حياته ، فيقول :

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب لك ولدا . ويجب أن تنتجبه لك وأنت لا تزال صغير السن . ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلاً (؟) فما أسعد الرجل الكثير النسل ! فهو يحترم بسبب أولاده »

وبعد أن تكلم لابنه عن تأسيس الأسرة أراد أن يذكره بجانب ذلك بتقوى الله وأداء ما عليه من الواجبات نحوه فيقول :

« احتفل بعيد إلهك وإن الله يغضب على من يستخف به . واجعل شهوداً يقفون عند قربانك (التي تقربها لله) فإنه لأحسن شيء لمن يؤديه (؟) . وإن العناء والرقص والبخور لمتعلقة بخدمته (؟) . أما تقبله الاحترام فن حقوقه فقدمها للإله حتى تعظم اسمه »

(وجاء في القرآن الكريم « واذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »)
ينتقل بنا بعد ذلك « آتى » إلى تعليم ابنه المعاملات الاجتماعية ، فيعلمه أولاً أدب الزيارة ، فلا يدخل بيتاً إلا بعد الاستئذان ، وعندما يدخل يفض طرفه عن كل عيب ولا يتكلم عن شيء رآه مريباً في زيارته ، فيقول :

« لا تدخلن بيت غيرك ولا تمنن في النظر إلى الشيء المتقد في بيته ، إذ يمكن لعينك أن تراه . ولكن ازم الصمت ، ولا تتحدثن عنه لآخر في الخارج ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تُسمع (؟) »

وبهذه المناسبة يحذره الزنا ويذكره بأن المرأة لغز ملتوفلا ينخدع بإغرائها، وبأن ارتكاب الفاحشة يعاقب عليه بالقتل أمام القانون . فيقول :

« خذ حذرك من المرأة الأجنبية تلك التي ليست معروفة في بلدتها ولا تغمرن لها بعينك . . ولا تبغ معها (؟) ، فهي ماء عميق لا يعرف الرجال التواءاته (تياراته) . والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم « إني جميلة » ، ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقمك في حبالها وإن ذلك (الزنا) لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان . ثم يعلم بذلك الملاء ، لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب » يتحدث بعد هذا « آنى » في فقرة صغيرة عن سمعة الرجل أمام القضاء بعد أن تكلم عن سمعته أمام الناس بالنسبة للمرأة فيقول :

« لا تدخلن وتخرجن في قاعة العدل (المحكمة) حتى لا يفوح اسمك (من كثرة القضايا) . ولا تتكلمن كثيرا ، وكن صامتا لتكون سعيدا ، ولا تكن ثرثارا » ويطالعنا بعد ذلك بتعليم ابنه معنى التقوى الحقيقية نحو الله ثم نحو أبويه فيقول :

« إن بيت الله يمقت المهرج ، فصلّ بقلب محب ولا تجهر بصلاتك ، وبذلك ستقضى كل حوائجك ، وسيسمع (الله) ما تقول ويتقبل قربانك » هذا عن الإله . أما عن الأبوين فيقول :

« قرب الماء لأبيك وأمك اللذين يسكنان في وادى الصحراء (الجبانة) ولا تنس أن تؤدى هذا حتى يعمل لك ابنك بالمثل »

ثم نرى « آنى » يحض ابنه على الابتعاد عن السكرات شارحاً له في صورة حية ناطقة ما يبدو على السكير من سوء الحال فيقول :

« لا تُلزمن نفسك (من باب الفخر) بأنك تستطيع أن تشرب إبريقاً من الجعة ، فإنك (بعد ذلك) تتكلم ويخرج من فيك قول لا معنى له . وإذا سقطت وكسرت ساقك فلن تجد أحداً يمد يده إليك (ليساعدك) . أما إخوانك في الشراب

فيقفون قائلين ، « أبعادوا : هذا الأحق » . وإذا حضر إنسان ليبحث عنك
ليستجوبك فستكون طريح الثرى ، ومثلك (فى هذا) كالطفل الصغير »

ثم يذكره بعد هذا بالألا يتردد على البيوتات المريبة فيقول :

« لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه (؟) ، واجعل كل بيت تحبه معروفا
(حتى لا يرتاب أحد فى سلوكك) »

وبعد أن تكلم عن كل هذه الأشياء الفاضلة التى يجب على ابنه أن يرعاها فى الحياة انتقل
إلى تذكيره بالموت وأنه يجب عليه أن يعد لنفسه قبرا ليثوى فيه ، وهذا أمر كان يهتم به
كل مصرى قديم طوال حياته ، إذ كان إعداد القبر فى المنزل الأولى . فيقول :

« أعد نفسك مأوى جيلا فى وادى الصحراء ، وهى الحفرة التى ستوارى
جثمانك ، فاصنعه أمام عينيك فى مشاغلك مثل السلف العظام الراقدين فى
مداقبهم (؟) . وإن الذى يبنى القبر لنفسه لن يقابل باللوم (على ذلك) . وإنه لجليل
أن تعد لنفسك كذلك على هذا النحو (قبرا) . وسيأتى إليك الرسول (الموت)
وسينصب نفسه أمامك ، فلا تقولن . « إني لا زلت صغيرا جدا لتختطفنى ،
لأنك لا تعرف حتفك . والموت يأتى ويختطف الطفل الذى لا يزال يرضع
ثدى أمه ، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسنا »

يأتى بعد هذه الفقرة فقرة طويلة بعض الشيء ينصح فيها « آتى » ابنه بأن يكون يقظا
فى المعاملات الاجتماعية ، غير أن معظمها غير مفهوم لنا تماما :

« تأمل ! إني أقص عليك أشياء أخرى طريفة ، يجب عليك أن تعيها فى
لبك . فأدّها وستكون بذلك سعيدا ، وسيبتعد عنك كل سوء »

ثم يشير على ابنه بعد هذه المقدمة بأن يتخير صديقه بعد التجربة على ألا ينزل إلى طبقة
العبيد ويأخذ منهم صديقا فيقول :

« ابتعد عن الرجل المعادى ولا تتخذنه خذنا لك ، بل اصطف لنفسك

صديقا مستقيما عادلا . وعندما ترى ما فعله (؟) ولا تتخذن لنفسك صديقا كان عبداً لآخر سيء السمعة فإذا اقتنى أثره إنسان ليقبض عليه وليأخذ من كان في بيته (أى العبد) فإنك ستكون تمسا وتقول : « ما العمل ؟ »

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن لايفتر بالمال ، وأنه ليس مصدر سعادة وألا يعتمد على مال غيره ولا يبنى قصوراً على ما سيرته من مال جده . فيقول : « يبنى الإنسان بيتا لنفسه ، (وهب) أن قطعة أرض صارت ملكا لك وقد حُوِّطت بسياج من النبات المزهر أمام حقلك الخصب ، وغرست فيها شجرة الجوز وأنت قد ملأت يدك بكل الأزهار التى تتصورها العين ، ولكن مع كل هذه (الأشياء) قد يكون الإنسان شقيا لا تتكلم على مال إنسان آخر ، واحذر أن تفعل هذا ، ولا تعتمد على متاع الآخر ولا تقولن « إن والدأى له بيت » ... لأنه إذا جاءت القسمة مع إخوتك فإن نصيبك لا يكون (إلا) مخزنا . « وإذا أراد الله أن يولد لك طفلا »

ثم يحض حكيمنا ابنه على احترام غيره فيقول : لا تعتمد إذا كان غيرك أكبر سناً واقفاً أو آخر يشتغل فى مهنة (مك) زمناً أقدم منك .

وينتقل بنا « آنى » إلى موضوع المعرفة ومكانتها فى المجتمع والكتاب وسمو حرفته ، فيقول : « إذا كنت ماهراً فى الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله . إذن خصص نفسك للكتب وضعها فى لك ، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازاً ، كل وظيفة يمين فيها الكاتب فإنه (لا بد) يستشير فيها الكتب (وبذلك يلزمه النجاح) . فليس هناك ولد للملاحظ الخزانة ولا وارث للملاحظة الحصن

.... الوظائف لا أولاد لها (وفي هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيرا) »

ثم يعود « آنى » إلى تحذير ابنه ليكون محتسبا في كلامه خوفا من الخطأ في القول وبملمه أن جوفه يتسع لحفظ كل ما يريد أن ينطق به لسانه فيقول :

« لا تفضين بما فى قلبك إلى ... رجل فإن كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من ممعها تجعل لك أعداء ، وإن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه . وإن بطن الإنسان أوسع من مخزن الفلال ، فهو مفهم بكل أنواع الأجوبة . وعليك أن تنتخب خير الكلام وتحدث به ، واجمل القبيح سجيئا فى بطنك . وفى الحق ستكون دائما مئى ، وستجاوب من يضرنى بقول الكذب ، ومع ذلك فإن الله يحكم فى صالح الحق ، وعندئذ سيأتى عقابه ويلحق به (يظهر أن المؤلف يشير إلى عدو قد ألحق به ضررا قد ذكر فى الجزء المفقود من نصابه فى أول الكتاب) . »

وبعد ذلك يعود مرة ثانية إلى العلاقة التى يجب أن تكون بينه وبين ربه فيحثه على تقديم القرآن ، وعلى ألا يفتال حقوقه ، ولا يسأل عن صورة ربه ، ولا يمشى الخلاء فى موكبه مما يذكرنا بقوله عز وجل فى القرآن : « ولا تمش فى الأرض مراحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ، وأن الله هو الذى يحمل من يشاء عظيما . ثم يشير من طرف خفى إلى أن الله واحد ممثل فى الشمس ، وأما الآلهة الذين على الأرض فهم صور مختلفة له فيقول :

« قدّم قربانا لآلهتك واحفظ نفسك من التعدى (على حقوقه) ولا تسأل

عن صورته ، ولا تمش الخلاء حينما يخرج فى موكبه (أى الإله) ولا تتزاحم على حمله (فى الموكب) ... ودع عينك تعرف قيمته ، واحترم اسمه لأنه هو الذى يعطى القوة (ملايين) المخلوقات . ومستقصر العظمة على من يجعله هو عظيما .

إن إله هذه الأرض هو الشمس التى فى الأفق و (لكن) صورته على الأرض ، فليقرب إليها البخور كل يوم »

وبعد أن عرف حكيما ابنه كيف يعامل ربه انتقل به إلى معاملة الوالدة وما لها من فضل عليه في حمله وتربيته مما يذكرنا بقول الله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » فيقول : « ضاعف مقدار الخبز الذى تعطيه والدتك ، واحملها كما حملتك ، ولقد كان عبوها ثقيلا فى حملك ولم تتركه لى قط أبداً ، وحينما ولدت حملتك كذلك ثانية بعد شهور حملك حول رقبتها ، وقد أعطتك ثديها ثلاث سنوات ، ولم تشمئز من برازك ، ولم تكن متبرمة ولم تقل « ماذا أفعل أنا » . ولقد ألحقتك بالمدرسة عندما تعلمت الكتابة ، وقد وقفت هناك يوميا (خارج المدرسة) ... بالخبز والجمعة من بيتها . وحينما تصبح شابا وتتخذ لنفسك زوجة وتستقر فى بيتك اجعل نصب عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك بكل الوسائل . فليتها لا تضرك بالآلا ترفع أكف الضراعة إلى الله ، وليته لا يسمع عويلها^(١) » ثم عرج بعد ذلك الحكيم ناحيا لابنه أن يكون شقيقا على الناس كذلك ، وألا يثق بالثروة لأنها كجرى الماء لا يبقى على حال ، فمن يكون غنيا اليوم قد يصبح فقيرا فى الغد ، فيقول : « لا تأكل الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون أن تمد يدك إليه بالخبز ، فواحد غنى وواحد فقير ومن كان غنيا فى السنين الخوالى قد أصبح هذا العام سائسا . ولا تكن شرها فيما يختص بملء بطنك . وإن مجرى الماء الذى كان يجرى فيه الماء فى السنة الماضية قد يتحول هذا العام الى مكان آخر ، وقد أصبحت البحار العظيمة أما كن جافة وأصبحت الشواطىء هوات (أى بحارا) . . . » ثم يعود ثانية « آنى » إلى التحدث عن الزيارة وآدابها فيقول لابنه :

« لا تذهبن إلى بيت إنسان بحرية . بل ادخله فقط عندما يؤذن^(٢) لك . وحينما يقول هو لك (أى رب البيت) أهلا بك بفمه (وتأتى بعد ذلك

(١) فى هذه النصيحة إشارة لما تلاقيه الأم من ألم الفيرة عندما يتزوج ابنها وتلك سنة طبيعية تجدها فى كل زمان ومكان

(٢) قد جاء فى القرآن الكريم (يأياها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية

جملة مبهمة) اعطه الإله واعطه يوما ثانيا للإله والغد مثل اليوم ، وسترى ما يفعله الإله إذا لُطخ اسم الذى لُطخك »

ويحتمل أن هذا الكلام يشير إلى إنسان قد ارتكب خطيئة وسيتولى الله عقابه عليها .

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن يتجنب الشغب . فيقول :

« لا تدخلن فى زحام إذا رأيت أنهم مستعدون للضرب ... حتى لا تلام فى المحكمة أمام القضاة بعد تأدية الشهادة (؟) ابتعد عن أهل الشر ... »

ثم ينصح ابنه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيما فى سلوكه مع زوجه حتى يعتمد عن كل شجار أو خلاف فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجك فى بيتها إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ، ولا تقولن لها : أين هى ؟ أحضرها لنا ، إذا كانت قد وضعتها فى مكانها الملائم . واجعل عينك تلاحظ فى صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة (وأنها) لسعيدة اذا كانت يدك معها وبذلك يتجنب الرجل تحريك الشجار فى بيته »

ثم يُذكر « آنى » فى الوقت نفسه ابنه بأن يحذر النساء الأجانب فيقول :

« لاتذهبن وراء امرأة حتى لاتتمكن من سلب لباك »

ولم يفت « آنى » أن يضع لابنه الخطط فى معاملة الرئيس حتى يكون سعيدا معه فيقول :

« لاتجبن رئيسا فى حالة غضبه ، بل ابتعد من أمامه . واذكر حلو الكلام

حينما ينطق بمره لأى إنسان ، وأعمل على تهدئة قلبه ، فإن الأجوبة الشديدة

تحمل غضبا (تؤدى إلى ضربك) وبذلك تنهار قواك . وإن الغضب يصوب

نفسه نحو أعمالك فلا تنفصن نفسك ، على أن الرئيس سيلتفت ويثنى عليك

بسرعة بعد فوات ساعته المخيفة (ساعة غضبه) . وإذا كانت كلماتك مهدئة

للقلب فإن القلب يميل لاستيعابها . وجدّ في أن تكون صامتا واخضع لما يفعل .

وبعد أن رسم له الطريقة الرشيدة في معاملة رئيسه لم يفته أن يلفت نظره إلى أن يكون على وفاق مع رجال الشرطة ، فيقول :

« اتخذ من شرطة شارعك صديقا ولا تجعله يشور عليك ، وأعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها في بيتك (في أيام العيد) ولا تتفاض عنه وقت صلاته ، بل قل له « المديح ^(١) لك » .

يتلو ذلك قطعة غير مفهومة ثم محادثة هي خاتمة الكتاب . وبعد أن فرغ « آتى » من إلقاء نصائحه على ابنه أجاه الأخير بأنه يتمنى أن يكون مثله ، ولكن شتان ما بينه وبين والده الذي كان صاحب همة عالية ومطامح سامية ، وأنه ربما يتعذر عليه أن يصل إلى ما وصل إليه « آتى » فيقول :

« آه ياليتني مثلك ... حتى أعمل حسب تعاليمك وحتى يرقى الابن إلى مرتبة والده ... إنك رجل صاحب مطامح عالية ، فكل كلماتك مختارة ، وإن الولد الذى يتصور خبثا في نفسه يقول ... فى الكتب . إن كلماتك مريحة لقلبي ولبي يميل إلى استيعابها ، وإن قلبى لفرح . ولكن لا تجعلن فواقك يتجاوز الحد فى غزارته ... إن الولد لا يعمل حسب التعاليم التى تثقف حتى لو كانت كل الكتب على لسانه ^(٢) »

غير أن الوالد لما سمع هذا الجواب من ابنه أخذ القلق يساوره وأخذ يضرب له الأمثلة الطريفة فى الطاعة ويحثه على اتباع ما ألقاه عليه من النصائح فيقول « آتى » بجواب ابنه « خنسحتب » :

« لا تثقن فى هذه الأشياء (؟) الخطرة ، وتجنب أن تعود إلى الشكوى

(١) وهذا ما يقابل عند المسلمين قول الإنسان « حرما »

(٢) ومعنى هذه الفقرة : أن الولد يقول لوالده لا تقال فى طلبائك ، وإلا فإنه رغم أنى أنفل حكمتك فى فى فلن يتسنى لى أن أعمل حسبما جاء فيها

فإن قلبى لا يصنى إليها ، فإن الثور المحارب الذى قتل ما فى الخطيرة من ثيران
لا يمكنه أن يفادر الحلقة (إذ يجب عليه) أن يأخذ أوامره من سائقه ، وكذلك
الأسد المفترس يخفف من ثورته ويمر بكآبة على الحمار ، والجواد يخضع لنيره
... والكلب يصنى للكلام ويتبع سيده ، والحيوان « كبرى » يحمل ...
إناء الذى لم تتحمله والدته . والإوزة تحط على البركة الباردة حينما تصاد ، وبذلك
تنفض فى الشراك (حزنا) . والعبيد قد تعلموا الكلام المصرى وكذلك السوريون
وكل الأجانب . وقد تكلمت كذلك عن كل الحرف التى يمكن أن تسمع
عنها وأعرف ما يجب أن يفعل »

أما الجواب الذى أجاب به « خنسحتب » أباه فبهم ، ومن المحتمل أنه يشير إلى الحقيقة
القائلة (بأن كل الناس لاقية لهم) . فيقول :

« إن هناك جما غفيرا من الأدياء ، وليس هناك فرد يعرف تعليمه ، وإذا
وجدت إنسانا حازما فإن الأكرية أغبياء »

(ومن المحتمل إذن أنه يماهد والده على الطاعة) فيقول :
« كل كلماتك ممتازة ... وإنى أعطيك الموائيق بأن أضعها على طريقتك
(التى رسمتها) »

وعلى ذلك يجيب الكاتب « آنى » على ما قاله ابنه ببعض أمثال حكيمة لا تزال تأخذ
بالألباب وتستهوى النفوس لأنها تنفذ إلى الأعماق . فيقول :

« ولّ ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التى ينبو عنها السمع ، فإن العصا
المعوجة الملقاة فى الحقل والمعرضة للضّح والنّى يحضرها الصانع ويجعلها مستقيمة
ويصنع منها سوطا للشريف ، ولكن قطعة الخشب المستقيمة هى التى يصنع
منها لوحا (للكتابة) ^(١) »

(١) ويقصد الكاتب أن الإنسان يمكنه أن يشق كل إنسان وإن كانت النتيجة تختلف . وبنى أن
نعرف هل هذا الحكيم يفضل السوط الجميل أو اللوح (؟)

آه أيها القلب الذي لا يمكنه أن يتبصر في العواقب ، هل كانت آراؤك
في أن تعطى الموائيق أو أنك تفشل »

ومن الجائز أن « آنى » يعبر في الجزء الباقي عن أملة في أن يكون ابنه الذي يعرف
القوة التي في يده (أى يشعر بقوة نفسه) ، عاقلا كالطفل الذي في حضن أمه ، فإنه عندما يبلغ
سن التمييز لا يريد الاستمرار في الرضاعة بل يجد فيه (أى يتكلم) ليقول أعطنى خبزا .

المصادر :

هذه التاليم لا تزال غامضة وتحتاج إلى درس جديد وأهم المصادر التي يمكن الرجوع
إليها حتى الآن هي :

- (1) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 319 f.f.
- (2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 234 f.f.
- (3) Spiegel, "Die Praambel des Amenemope und die Ziellsetzung
der Agyptischen Weisheitsliteratur", p. 15.

تعاليم «أمموبى»

مقدمة :

لابد أن القارئ قد لاحظ فى نصائح « آتى » نموا وتطورا كبيرين فى الوعى الإنسانى يرجعان فى أصلهما إلى المؤثرات الاجتماعية ، ثم إلى التفكير العميق فى هذا العصر ، إذ نجد أن المتعبدين يمتفون بالوعى الإنسانى ويدكرون من غير تحفظ أنه أمر الله نفسه . على أن تلك الفكرة كانت قد ظهرت قبل بداية عهد الامبراطورية المصرية بنحو خمسمائة سنة . ولكن فى العصر الذى نحن بصده الآن ، أى العصر الذى يمد عصر الورع الشخصى صار « الضمير » هو الإيحاء الإلهى الحق ، وذلك ما لم يحدث من قبل أبدا ، وفى تلك الأحوال لم يكن هناك بالطبع إخفاء للخطيئة أو إنكار لها بمد وقوعها من الخطيئة ، إذا كان المتعبد فى ذلك الوقت يشعر بأن أمره كان معلوما عندربه لأنه كان يضع نفسه بدون تحفظ فى يد الله المرشد والمهيمن على كل حياته وحظه ، ومع أن إرضاء المجتمع كان لا يزال الأمر الهام وأن الإحساس بضغط المؤثرات الاجتماعية كان لا يزال موجودا ، فإن المسئولية أمام الإله العليم بكل شئ كانت مع ذلك فوق كل شئ . وهذا الموقف الجديد الذى شاهدنا بوارده فى التعاليم الماضيه قد كشف لنا غطاؤه فى مقال مجمع وأعنى به تعاليم « أمموبى » . وقبل أن نتكلم عن محتوياتها والرسالة التى أدتها إلى العالم يجدر بنا أن نتكلم ببعض الإيجاز عن تاريخها فنقول : وجدت هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى . وقد حصل عليها السير « ولس بدج » عام ١٨٨٨ ومعهما ورقة أخرى تشتمل على جزء من كتاب الموتى وقد بقيت تعاليم « أمموبى » فى زوايا النسيان إلى أن نشر الأستاذ « بدج » بعض قطع منها فى عيد شمبليون .

(1) Recueil d'Etudes Egyptologiques dediees à la Memoire de Jean François Champollion, (Paris, 1922). pp. 341 — 346, ("The Precepts of Life by Amen-em-apt", described by E. A. Wallis Budge).

وفى العام التالى طبع الأستاذ « بدج » متن كل التعاليم بالهيراطيقه ثم كتبه بالهيرغليفية وترجمه وعلق عليه فى :

(2) Wallis Budge, "Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum", with Description and Summary of Content (Second Series, London, 1923) pls. 1 — 14.

وبعد ذلك قام بدرسها الأستاذ « لنجا » الأثرى الدنماركى ، وخطا خطوات واسعة في إعطاء معناها الحقيقي وأعقب ذلك درس الأستاذ « إرمين » لهذه الوثيقة .

(3) "Das Weisheitbuch des Amen-em-Ope", Orientalische Literaturzeitung (1924), pp. 241 — 252.

وفي يناير سنة ١٩٢٤ طبع « بدج » هذه النصائح مرة ثانية وأضاف على الترجمة بعض إصلاحات .

(4) "The Teaching of Amen-em-apt", (London, 1924).

وبعد ذلك طالعنا الأستاذ « إرمين » بمقال عن هذه النصائح والتعاليم برهن فيه على أن هذه الوثيقة كانت مصدرا أخذت منه حكم سليمان عليه السلام .

(5) Erman, "Eine Agyptische Quelle der Sprüche Salomos", Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische klasse (1924), pp. 86 — 93.

تم تناول هذا الموضوع ثانية الأستاذ « لنجا » في كتابه .

(6) "Das Weisheitbuch des Amen-em-ope".

وقد طبعه في عام ١٩٢٥ .

وقام بترجمة هذه الوثيقة الأستاذ « جرفث » في « مجلة الآثار المصرية » ووازن بينها وبين أمثال سليمان .

(7) Griffith, "The Journal of Egyptian Archaeology, "Vol. XII, pp. 191 ff.

ويجد القارئ في الترجمة الأخيرة بعض تحسينات جديدة في قراءة الأصل الهيراطيقي .

وأخيرا نجد الأستاذ برستد قد تناول هذه الوثيقة يبحث ممتع في كتابه « فجر الضمير » .

(8) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 320 — 330, 331, 364 — 366, 371, 372 — 382.

العصر الذى كتبت فيه التعاليم

وقد اختلف علماء الآثار في تحديد تاريخ هذه الوثيقة . غير أن رأى الأخير يجعل عصرها ينحصر ما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، وهذا هو رأى كل من الأستاذ « إرمين » والأستاذ « لنجا » .

وقد كان رأى الأستاذ « إرمان » يتركز على أن هذه التعاليم تشبه تعاليم « آنى »
السالفة من حيث السادة واللغة ، ومن حيث الشيوع فى الاستعمال ، إذ الواقع أن تعاليم
« أمنموبى » كان لها شهرة عظيمة للدرجة أنها كانت تستعمل بمثابة كتاب مطالعة^(١)
وتعمرن فى المدارس فى عهد الدولة الحديثة ؛ فقد عثر على لوحة فى متحف « تورين » من الخشب
عليها طبقة من الجص مكتوب على كل من وجهيها فقرات من هذه التعاليم . وهذا
ما لاحظناه سابقا فى ورقة « آنى » .

المتن

المقدمة

- ١ بداية درس الحياة .
- ٢ والإرشاد إلى الخير .
- ٣ وكل قواعد الاندماج بين كبار الموظفين .
- ٤ وعادات معاملة رجال القصر .
- ٥ ليعرف كيف يجيب (شفويا) عن سؤال يلقي عليه ^(١) .
- ٦ وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها ^(١) .
- ٧ ليرشده إلى سبيل الحياة (أى مواقف الحياة المختلفة) .
- ٨ وليجعله يفلح على الأرض ^(٢) .
- ٩ ويجعل قلبه يدخل في محرابه ^(٣) .
- ١٠ وبذلك يبعده من الشر ^(٤) .
- ١١ ولينجيهِ من فم ^(٥) الناس .
- ١٢ وبذلك يكون ممدوحا في أفواه القوم .

المؤلف ^(٦)

- ١٣ ألفه ملاحظ الأراضي الحاذق في عمله .

(١) معنى السطرين الخامس والسادس هو المقصود من كل هذه النصائح .
(٢) يفلح على الأرض أى ينجح في حياته
(٣) يقصد بهذه الجملة أن قلبه يساعده على الاحتفاظ بسكينة وكرامة . وما يستحق الذكر هنا أنه منذ النصف الثانى من عهد الدولة الحديثة كان الجمران الجنائزى وهو الجمران الذى كان يوضع مكان قلب الميت ليتمله يوضع في حلية على شكل محراب ويتدل على الصدر
(٤) يعود ضمير الغائب في « يبعده » على القلب الذى يقوده بعيدا عن الشر
(٥) فم الناس أى ألسنة السوء
(٦) يبدو لنا من عنوان هذا الكتاب أنه يشتمل على مقطوعتين كل منهما ستة سطور : فالأولى تبصر بالإرشاد إلى الفلاح الدينى والثانية تبصر بالإصلاح الخلقى

- ١٤ وهو نتاج^(١) كاتب مصرى .
- ١٥ ملاحظ الفلال ومدير المكاييل^(٢) .
- ١٦ وهو الذى يدير محصولات الفلال لسيدته .
- ١٧ والذى يقيد الجُزر والأراضى الجديدة^(٣) .
- ١٨ بالاسم العظيم لصاحب الجلالة (أى باسم الملك) .
- ١٩ ويضع العلامات عند حدود الأرض المزروعة .
- ٢ : ١ وهو الذى حفظ ذكرى الملك بنقوشه^(٤) .
- ٢ ومسح الأرض السوداء .
- ٣ الكاتب الذى يقرر الأوقاف الإلهية الخاصة بالآلهة كلها .
- ٤ والذى يمنح الإيجار من يشاء .
- ٥ ملاحظ الفلال والقابض على زمام الأظعمة .
- ٦ والذى ينقل مخازن الفلال .
- ٧ التاوى حقا فى « تاور » بطينة .
- ٨ والمغفور له فى « آبي »^(٥) .
- ٩ وصاحب القبر الهرمى الشكل فى غربى « سنوت »^(٦) .
- ١٠ وصاحب الضريح فى « المراءة » .
- ١١ « امنموبى بن كاخت » .
- ١٢ المبرأ فى « تاور » .

(١) هذه الكلمة قد تشير إلى أن المؤلف ابن كاتب مصرى أى « كاخت » أو إلى كتابه كانه
 ثمرة كاتب مصرى وفى هذه الحالة الأخيرة يؤكد المعنى بمقابله بالجملة السالفة
 (٢) مدير مكاييل (واز) وهى عين حورس . وهذا هو الاسم للقدس لمكيال الفلال
 (٣) الجديدة أى المتخلفة عن فيضان النيل
 (٤) يلاحظ فى هذا السطر وما بعده أنه أظهر ولاءه للملك ثم تناول خدماته للآلهة والناس باختصار
 (٥) السطران السابع والثامن يشيران إلى الموت فقط ومعناها أنه مات ساكن فى القبر وله مدفن
 حقيقى فى « تاور » وهو المكان المقدس فى المراءة للمدفونة ، وله مدفن تذكارى فى « أخيم »
 (٦) اسم بلدة بانوبوليس (إخيم) وكانت هذه البلدة واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل ويشير المتن
 إلى موقع مقبرته الهرمية الشكل فى غربى « سنوت » والظاهر أن الضريح كان موضوعا فى مكان فى الجهة
 الأخرى من النهر بعيدا عن جبايات « بانوبوليس » التى كانت منحوتة فى صخور الصحراء الشرقية

الابن الموجهة إليه هذه التعاليم^(١)

- ١٣ لابنه أصغر أولاده .
- ١٤ وهو صغير إذا قيس بأقاربه .
- ١٥ المشرف على أسرار « مين » ثور أمه .
- ١٦ صاحب سقاية الإله « وننفر »^(٢) .
- ١٧ المنصب « حور » على عرش والده .
- ١٨ وحارسه في محرابه المعظم .
- ١٩ غاسل (؟) ملابس « إزيس » العظيمة .
- ٣ : ١ وحارس (؟) أم الإله .
- ٢ ومفتش البقرات السود التابعة لمعبد الإله « مين » .
- ٣ والمحافظ على (صورة) « مين » في محرابه .
- ٤ واسمه الحقيقي « حار — مع — خر »^(٣) .
- ٥ وهو ابن نبيل من « آبي » .
- ٦ وابن لاعبة الصنج للآلهين « شو » و« تفنوت » .
- ٧ ورئيس خدر « حور » المسمى « تومرى » (أو رئيس ضارب الصنج للآله حور المسمى « تومرى ») .

الفصل الأول^(٤)

واجب التلميز

- ٨ يقول الفصل الأول .
- ٩ أسلم أذنيك واستمع إلى (الكلمات) التي تقال .

(١) وصف المؤلف هذا الفصل وصفا أدبيا نحاشى فيه أن يضع الألقاب الرسمية . ولأنه لمن الصعب جدا أن نحدد بالدقة ألقاب هذا المؤلف إلى أن تنسج معلوماتنا عن نظام الحكم في مصر بعد عصر الدولة الحديثة .

(٢) « وننفر » معناه الكائن الطيب وهو اسم من أسماء الإله « أوزير »

(٣) أى حور البرأ

(٤) هذا الفصل مقدمة يكلف فيه التلميز الانتباه إلى التعاليم

- ١٠ واشحذ ففكرك لتفسرها (أى تفهمها) .
- ١١ وإنه لمن الخير أن تضعها فى لبك^(١) .
- ١٢ ولكن الويل لمن يهملها .
- ١٣ دعها (أى التعاليم) تستقر فى صندوق بطنك^(٢) .
- ١٤ حتى تُكوّن بها قفلا لقلبك .
- ١٥ فإذا جاءت عاصفة من الكلام .
- ١٦ فإنها (التعاليم) ستكون بمثابة (وتد) (رادع) للسانك .
- ١٧ وإذا أمضيت مدة حياتك . وهذه الأمور فى قلبك .
- ١٨ فإنك ستلقى بها نجاحا .
- ١ : ٤ وستجد فى كلماتى ذخيرة الحياة .
- ٢ وسيفلح جسمك على الأرض^(٣) .

٣ الفصل الثانى^(٤)

الإنسانية ونصائح منوعة

- ٤ احذر أن تسلب فقيرا بأثسا .
- ٥ وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيب الجناح .
- ٦ ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا (بسوء) .

(١) وازن ٢٧ : ١٣ — ١٤ وسفر الأمثال فصل ٢٢ : ١٧ — ١٨

(٢) يعنى فى قرارة نفسك

(٣) أى وستنتج فى حياتك ، وازن هذين السطرين بما جاء فى تعاليم جناح حنبل

(٤) قد قسم هذا الفصل أربعة أقسام : فالأول والثانى مقطوعات رباعية والثالث متركب من ثمانية سطور تصف كيف يقع الرجل الشرير فى الخطر المحقق ، ويلي ذلك ستة سطور يتبين منها كيف أن الرجل الرحيم ينجى الشرير مقابلا للإساءة بالاحسان ، والقسم الأخير يحتوى على سطرين موضوعهما يظهر فى الفصل التالى .

والعلاقة بين هذه الأقسام الأربعة ليست واضحة إلا أنها تبحث فى السلوك وأحوال أخرى مختلفة :

- أ : كن متلطفا مع الضيف والمسن
- ب : تباعد عن الفروع فى عمل خاطئ ولا تجتهدن فى تبرير أعمالك الخاطئة
- ج : كن رحيما مع المذنب عندما تنتابه المصائب
- د : فكر قبل الكلام .

- ٧ ولا تسخرن من كلمة رجل هرم .
- ٨ ولا تجعلن نفسك رسولا في مهمة ضارة (أى رسول سوء) .
- ٩ ولا ترغبين في مصاحبة من قد أداها .
- ١٠ ولا تصخبين مع من قد آذيت .
- ١١ ولا تردن عليه بجواب لتجعل الحق في جانبك .
- ١٢ ومن فعل فاحشة فإن المرفأ يفلت منه ^(١) .
- ١٣ وأرضه المبللة تحمله بميدا ^(٢) .
- ١٤ وكذلك إعصار الشمال يهب ليقضى على حياته .
- ١٥ ويتحد مع العاصفة .
- ١٦ أما الرعد فقاصف والتماشيخ نقيشة .
- ١٧ وأنت أيها الرجل الأحمق . ما حالك ؟
- ١٨ إنه يصيح وصوته (يصل) إلى (عنان) السماء .
- ١٩ وأنت أيها القمر (تحوت) الذى ثبتت جريمته .
- ١ : ٥ حرك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا (؟)
- ٢ لأننا لا نرتكب ما ارتكبه ^(٣) .
- ٣ ارفمه ومد يدك إليه .
- ٤ وأسله إلى ذراعى الإله .
- ٥ واملأ جوفه بخبزك
- ٦ حتى يشبع ويبي (؟)
- ٧ وهناك شيء آخر محبب إلى قلب الإله :
- ٨ هو التأتى قبل الكلام .

(١) [فإن المرفأ يفلت منه] أى « وليس جديرا بإدراك فايته »

(٢) أى « ونفسه القريرة تمنع به في سبل الهلاك »

(٣) أى لا نفعل فإذا جاء إلينا صار منا ولا يعمل سوءا

الفصل الثالث^(١)

٩

الحزم في الخافضة

- ١٠ لا تشبكن في جدال مع أحق .
- ١١ ولا تخزنه بالألفاظ^(٢) .
- ١٢ تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم .
- ١٣ ونم ليلة قبل التكلم^(٣) .
- ١٤ لأن العاصفة تهب مثل النار في الهشيم .
- ١٥ والرجل الأحق في ساعة غضبه .
- ١٦ يجب أن تنسحب من أمامه وأتركه لكايده (أو سامحه فيها)
- ١٧ والله يعلم كيف يجيبه (يجزيه) .
- ١٨ وإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء في قلبك .
- ١٩ فإن أولادك سيبصرونها .

الفصل الرابع^(٤)

٢٠ : ٥

الرجل الوهمي والرجل العظيم

- ١ : ٦ أما الرجل الأحق الذي يخدم في المبد .

(١) يتناول هذا الفصل البحث في الحزم عند إجابة الخصم فهو بذلك تعقيب على السطرين الأخيرين

من الفصل السابق

(٢) أى ولا تجرحه بالألفاظ

(٣) أطل التفكير قبل الكلام

(٤) ينقسم هذا الفصل إلى مقطوعتين كل منهما تحتوي على ستة سطور ، فهما يقابل بين حظ

الرجل الأحق والرجل الرزين ، وكل منهما في خدمة المبد ، فالأول شبه بشجرة برية تستعمل لبناء السفن

أو تحرق ليصنع منها الفحم

ويمكن للوازنة بين أوجه الشبه والخلاف في أشخاص يتوكلون على الإنسان وعلى الإله بما هو

مذكور في نبوءة « أرميا » في الفصل السابع عشر : ٥ . « هكذا قال الرب ملمون الرجل الذي يتوكل

على البعر ويجعل اللحم ذراعا له وقلبه ينصرف عن الرب » ٦ . « إنه يكون كالأنثى في البادية ولا يرى

الحير إذا أقبل ، بل يسكن الرمضاء في البرية الأرض السبعة التي لا ساكن فيها » ٧ . « مبارك الرجل =

- ٢ فثله كشجرة نبتت في الغابة (١)
- ٣ ففي لحظة تفقد خضرتها .
- ٤ ويكون مصيرها في مرهاً الأخشاب .
- ٥ أو (١) تنقل بعيداً عن مكانها .
- ٦ والنار كفنها (مثواها) .
- ٧ أما الرجل الحليم حقاً : فهو الذى يضع نفسه جانباً (حيث يجب) .
- ٨ فثله كشجرة باسقة في حديقة .
- ٩ تنمو يانعة وتضاعف ثمرتها .
- ١٠ فتقف أمام سيدها .
- ١١ وثمرتها حلوة وظلها ظليل .
- ١٢ وينتهى مصيرها في الحديقة^(١) .

١٣ الفصل الخامس^(٢)

الأمانة والرزاة في العبد

- ١٤ لاتسيئن استعمال أنصبة المعبد .
- ١٥ ولا تكونن جشماً (حتى) تجد الخير المميم (أكثر مما كنت تنتظر) .
- ١٦ ولا تعزلن خادم إله .
- ١٧ لكي تؤدي خدمة لآخر .

= الذى يتوكل على الرب ويكون الرب معتمده « ٨ . » إنه يكون كالشجر المغروس على المياه الذى يلقي أصوله في الرطوبة ولا يرى الحر إذا أقبل بل يبق ورقه أخضر ، وفي سنة القحط لا خوف عليه ولا يكف عن الثمار .

(١) جاء في القرآن الكريم (وضرب الله مثلاً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها —) الآية

(٢) ينقسم هذا الفصل إلى ثلاث مقطوعات :

فالمقطوعة الأولى : تحض على احترام أملاك المعبد

والمقطوعة الثانية : تذكر الإنسان بأن الأمور تنقلب كالنيل

والمقطوعة الثالثة : معناها كن رزينا وثق بالله

وقد تكون الفكرة مستمرة وقد يحتمل أن يزيد دخل العبد أو عمله مما يتوفر منه ولذلك فإن الرجل المتسرع الذى لا ضمير له لا يتأخر في اختلاسه ولكن القدر قد يطوح به في الغد .

- ١٨ ولا تقولن إن « اليوم مثل الغد » .
- ١٩ فكيف تكون نهاية هذه الأشياء ؟
- ٧ : ١ فإن الغد يأتى واليوم رآئح .
- ٢ وقد تصبح اللجة العظيمة حافة من الأمواج ^(١) .
- ٣ وتنكشف التماسيح ويصير جاموس البحر على اليابس .
- ٤ والسماك يلقف الهواء .
- ٥ وبنات آوى تصبح بطانا والطيور المفترسة تصبح في عيد .
- ٦ والشباك تصبح خاوية .
- ٧ أما من حيث العلماء كلهم في المبد .
- ٨ فإنهم يقولون إن الشيء العظيم رضا رع رضا طيبا ^(٢) .
- ٩ احرص تماما على الرجل الحليم وبذلك تجد الحياة .
- ١٠ وسينم جسمك على الأرض .

١١ الفصل السادس ^(٣)

التعدي هي أرضه الغير

- ١٢ لاتحزرن الحد الفاصل (بين الحقول) .
- ١٣ ولا تحولن موقع خيط المقياس .
- ١٤ ولا تطمعن في ذراع أرض
- ١٥ ولا تقذفن^٤ بحدود الأرملة (أى لاتتعد عليها) .

(١) أى يصير ماؤها ضحاما

(٢) الفكرة المقصودة هي الخضوع لإرادة « رع »

(٣) الجزء الأول من هذا الفصل الطويل يحتوى على مقطوعتين وعلى مقطوعة مزدوجة تخص على عدم اغتصاب أرض الغير بدون حق ، ويتلو ذلك مقطوعتان تناولتا البحث في الموضوع مرة أخرى . والجزء الثالث ينصح السامع بأن يرضى بزرع أرضه وذلك في مقطوعتين بينهما مقطوعة على الفجر مع السعادة . ووجه الشبه كبير بين أمثال هذا الفصل وسفر الأمثال . وازن سفر الأمثال ٢٢ — ٢٨ ، ٢٣ — ١٠ ، ١١ . والمقطوعة الأخيرة بسفر الأمثال ١٥ — ١٦ ، ١٧ وكذلك ١٦ — ١ . (من سفر الأمثال) .

- ١٦ وإن المسلك الذى عبّده الزمن^(١) .
- ١٧ من يقتصبه ظلما فى الحقل .
- ١٨ بأن يتصيد بالأيمان الكاذبة .
- ١٩ فإن بطش القمر يوقعه فى حباله
- ٨ : ١ وراقب جيدا من ارتكب ذلك على الأرض .
- ٢ لأنه يكون ظلما للضعيف .
- ٣ وهو عدو يعمل لخرابك [للإضرار بك] .
- ٤ والقدر بفقدان الحياة فى عينه .
- ٥ وبيته عدو للمدينة .
- ٦ ولكن أجرانه تخرب .
- ٧ وأمتته تنزع من يد أطفاله .
- ٨ وأملاكه تُعطى غيره .
- ٩ احترس من أن ترمى (تغير) حدود الأرض المزروعة .
- ١٠ خوف أن يملك الفزع [يستولى عليك الفزع] .
- ١١ والإنسان يستعطف الإله بقوة ربه .
- ١٢ عندما يُعيّن حدود الحقل .
- ١٣ ارغب حينئذ فى أن تجعل نفسك سعيدا
- ١٤ واحذر رب العالمين .
- ١٥ ولا تتعدين على حرث آخر .
- ١٦ وخير لك أن تكون مستقيما بالنسبة له (الحرث) .
- ١٧ ازرع الحقول حتى يمكنك أن تجد ما تحتاج إليه .
- ١٨ وتجنّب خبزك من حرثك .
- ١٩ ، ٢٠ وإن السكّال الذى يعطيكه الله خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبنى .
- ٩ : ١ فإنها لا تمكث يوما واحدا فى المخزن ولا فى الجرين .
- ٢ ولا يعمل منها طعام فى وعاء الجمعة .

(١) يقصد الطريق التى يوجد بين حدود الحقول ، وقد عبّده الأيام فأصبح ملكا للجسيم .

- ٣ ولا تمكث إلا لحظة في الحزن .
- ٤ فعند ما يأتي عليها الصباح تفيض .
- ٥ والفقير على يد الله .
- ٦ خير من الغنى في المخازن .
- ٧ وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير لك .
- ٨ من ثروة مع شقاء .
- ٩ الفصل السابع^(١)

البحث وراء الثروة

- ١٠ لا تندفن بقلبك وراء الثروة
- ١١ إذ لا يمكن تجاهل « شأى » و « رننت » (إلهى الحظ) .
- ١٢ ولا تضمن أفكارك في أمور في الخارج .
- ١٣ فكل إنسان مقدر له ساعته (ساعة الحظ)^(٢) .
- ١٤ ولا تبجهدن نفسك في طلب المزيد .
- ١٥ عند ما تكون قد حصلت (بالفعل) على حاجتك .
- ١٦ لأن الثروة لو أنت لك من طريق السرقة .
- ١٧ فأنها لا تمكث معك (سواد) الليل .
- ١٨ إذ عند مطلع الفجر لا تكون في بيتك بعد .
- ١٩ وسترى مكانها ولكنها لن تكون (هناك) .
- ٢٠ (فرجاً) قد فطرت الأرض فاهاً فتأخذها وتبتلعها .

(١) هذا الفصل يضم الفصل السابق ويقع في أربعة أقسام :
الأول : مقطوعة ثنائية تحت على ضرورة التلميح لما قدر على الإنسان .
الثاني : اثنا عشر سطراً عن الثروة التي لا تدوم .
الثالث : ستة أسطر عن مزية القناعة .
الرابع : أربعة أسطر عن صلاة الرجل القنوع .
(٢) [مقدر له ساعته] أى أن خيره موكل بحظه

- ١٠:١ وتغوص بها في (تاي) في العالم السفلى .
- ٢ أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا بقدر حجمها .
- ٣ ثم تفيض بنفسها في مخزن الغلال .
- ٤ أو أنها تعمل لنفسها أجنحة مثل الأوز .
- ٥ وتصعد إلى السماء .
- ٦ لا تفرحن من أجل ثروة أتت من طريق السرقة .
- ٧ ولا تثنين من الفقر .
- ٨ فإن مفوق السهام (النابل) الذي يكون في المقدمة ويندفع إلى الأمام .
- ٩ تهجره جنوده في الخطر .
- ١٠ وكذلك قارب الشره يترك ويموقه الطين .
- ١١ وقارب الرجل الرزين يقطع (مع النسيم) .
- ١٢ ويجب عليك أن تتعبد إلى « آتون » حينما يشرق .
- ١٣ وقل : « امنحنى السلامة والصحة » .
- ١٤ وسيفتحك ما تحتاج إليه طول الحياة .
- ١٥ وتأمين الخوف .

١٦ الفصل الثامن^(١)

لا تقل سرا

- ١٧ ضع طيبتك في جوف الناس (في أعماق نفوسهم)
- ١٨ حتى يحبك كل إنسان .
- ١٩ لأن الإنسان يرحب بالصل (الثعبان الذي على جبين الملك)
- ٢٠ ويبصق على الثعبان « أبوي »

(١) يحتوي هذا الفصل على ثلاثة أجزاء :

- ١ — مقطوعة رابعة في أهمية الشهرة الحسنة . فإن « الصل » له خطورته كماى ثعبان آخر إلا أنه يحيا بالفرح في حين أن الثعبان « أبوي » عدو « رع » منبوذ
- ٢ — يثلو ذلك مقطوعة سداسية تحض على التباعد عن الكلام الخبيث
- ٣ — ومقطوعة أخرى سداسية تنصح بإخفاء التقرير الضار

- ٢١ احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة .
 ١:١١ وبذلك ستصبح المفضل عند الآخرين .
 ٢ وستجد مكانك في المبد
 ٣ وطعامك من خبز قربان ربك .
 ٤ وستحترم في شيخوختك وتُؤارى في كفئك .
 ٥ وستكون في مأمن من بطش الإله .
 ٦ لا تصيحن : جريعة في وجه إنسان^(١)
 ٧ عند ما يكون سبب فراره خفيا (وأخف حالة هرب الهارب)
 ٨ وإذا كنت مستمعا لتحكم في شيء سواء أكان خيرا أم شرا .
 ٩ فافعل ذلك في الخارج حيث لا تسمع^(٢)
 ١٠ وضع تقريرا حسنا على لسانك^(٣) .
 ١١ أما ما يبيع فأخفه في بطنك .

١٢ الفصل التاسع^(٤)

نجنب الرجل الأحمق وسبد

- ١٣ لا تخالطن الرجل الأحمق .
 ١٤ ولا تدن منه لتجاده .

(١) أى لا تفضحن إنسانا بهتك سره
 (٢) أى فكون رأيك في نفسك
 (٣) أى وتلف في تقريرك
 (٤) على الرغم من طول هذا الفصل فإن أجزاءه وحدة مرتبطة بعضها ببعض وهو يحتوى على ستة وثلاثين سطرا . ويظهر أن السطر التاسع عشر المكتوب بالمداد الأحمر بداية الجزء الثانى من الفصل من جهة العدد فقط وليس للمعنى دخل
 ومعنى المتن كله أنه يجب على الإنسان ألا يصاحب الأحمق ولا يقلده
 والفصل يتبدى وينتهى بمقطوعة ترمى إلى هذا الغرض . وبين هاتين المقطوعتين : أولا ثمانية سطور تحض على عدم إجابة الرئيس بحمق . ويتلو ذلك أربعة وعشرون سطرا قد يجوز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام نصف الرجل الأحمق .

- ١٥ واحفظ لسانك سليما من مجاوبة رئيسك .
- ١٦ واحذر من أن تذمه
- ١٧ ولا تجعله يرى بكلامه ليحبلك (ليوقعك في أحبولة) .
- ١٨ ولا ترخ العنان لجوابك .
- ١٩ ويجب أن تناقش الجواب مع رجل على شاككتك .
- ٢٠ واحذر الاندفاع في النطق به .
- ١:١٢ فإن الكلام يكون سريعا عند ما يؤذى القلب .
- ٢ أكثر من الريح أمام الماء (؟) كالزوبعة التي تسبق المطر .
- ٣ فالإنسان يبني ويهدم بلسانه .
- ٤ ومع ذلك فإنه يقول قولاً مقنعا .
- ٥ ويجيب بجواب يستحق الضرب
- ٦ (لأن) حولته الشر .
- ٧ ويقوم بسياسة مثل كل العالم (ويخلق الشجار بين الناس) .
- ٨ غير أنها مثقلة بالألفاظ الكاذبة .
- ٩ ومثله كمثل النوتي^(١) في نسج (؟) الكلام .
- ١٠ يروح ويفقدو بالمشاحنة .
- ١١ وعند ما يأكل ويشرب في الداخل
- ١٢ يسمع جوابه في الخارج
- ١٣ والواقع أن يوم إظهار جريمته .
- ١٤ يكون يؤسا على أطقاله .
- ١٥ ليت الإله « خنوم » يحضر حقا حقا (؟)
- ١٦ عجلة صانع الفخار لصاحب الفم الناري .
- ١٧ حتى يشكل ويصهر القلوب (مثل الأواني) (ويصلح من سبله) (وأنه مثل)
- ١٨ وهو كائن الذئب في ساحة المزرعة .
- ١٩ يحول لإحدى عينيه معا كسة للأخرى .
- ١:١٣ ويشير الشجار بين الإخوة .

(١) الذي يعبر في النهر جيئة وذهابا

- ٢ ويسير كالسحاب أمام كل نسيم
- ٣ وينقص من لون الشمس
- ٤ و يخضب (؟) ذيله مثل التمساح الصغير
- ٥ وينكمش في نفسه جالسا
- ٦ وشفتاه حلوتان ولسانه بارد؟ (أى مر)
- ٧ ولكن اللهب يتقد في جوفه
- ٨ فلا تغفون لتنضم إلى هذا (الزميل)
- ٩ وإلا يذهب بك الفرع

١٠ الفصل العاشر

الافهمي

- ١١ لا تصاغخ قرنك الأحمق على الرغم منك
- ١٢ ولا تحزن قلبك من أجل ذلك
- ١٣ ولا تقولن له « السلام عليكم » رياء
- ١٤ عند ما يكون في باطنك حقد (تداير ظليمة)
- ١٥ لا تسكمن مع إنسان كذبا
- ١٦ فذلك ما يحقته الله .
- ١٧ ولا تفصلن قلبك عن لسانك
- ١٨ حتى تكون كل طرفك ناجحة .
- ١٩ وكن ثابتا أمام غيرك من الناس
- ١:١٤ لأن الإنسان في مأمن في يد الله .
- ٢ وإن المقوت من الله من يزور في كلام
- ٣ لأن أكبر شيء يكرهه هو النفاق (؟)

الفصل الحادى عشر^(١)

٤

التابع

- ٥ لا تطمئن فى متاع تابع .
- ٦ ولا تنظلمن (جوعا) لخبزه .
- ٧ والواقع أن متاع التابع شجا للحلق .
- ٨ ومقيء للزور
- ٩ وعند ما يحصل عليه بالإيمان الكاذبة .
- ١٠ تنمكس رغبته ببطنه^(٢) .
- ١١ والنجاح (؟) يخطيء (؟) الإنسان الخائن .
- ١٢ ويخيب كل من الحسن والقيبح .
- ١٣ وعند ما تخيب أمام رئيسك .
- ١٤ وتكون ركيكا فى كلامك .
- ١٥ فان تضمراتك تجاب باللعنات .
- ١٦ وخضوعك بالضرب .
- ١٧ ولقمتك الضخمة من الخبز تلتهمها وتقيها .
- ١٨ فأنت إذن قد جردت من متاعك .
- ١٩ دقق جيدا فى امتحان التابع .
- ١٠:١٠ حينما تصله المعصية (أى يضرب) .
- ٢ وعند ما يكون كل أهله فى الأغلال .
- ٣ فأين المنفذ^(٣) ؟ (أو ومن منهم يستحق القتل)
- ٤ وحتى عند ما يصفح عنك أمام رئيسك .
- ٥ فإنك تكون محقرا أمام مرءوسيك .

(١) المقطوعتان الأولى والأخيرة تلخصان الموضوع الأساسى وهو يومى فى الواقع بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب فى هذه الدنيا .

(٢) أى يلوى عليه القصد فما يريد أن يبتله فى بطنه يلفظه ثانية

(٣) ربما يقصد من ذلك أن بنادى على الجلاد

- ٦ ويجب أن يتباعد عن التابع على الطريق .
٧ وستراه ، وأبعد نفسك من متاعه .

٨ الفصل الثاني عشر

الرافع الشريف

- ٩ لا تطعمن في متاع شريف .
١٠ ولا تعطين مقداراً عظيماً من غذاء الخبز تبذيراً
١١ وإذا نصبك على إدارة أعماله
١٢ فابتعد عما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه
١٣ ولا تشارك رجلاً أحق
١٤ ولا تخالطن رجلاً خائناً
١٥ وإذا أرسلت لنقل التبن
١٦ فابتعد عن مكيال الغلال ، (لأنك لم ترسل لتقوم بذلك)
١٧ وهتك ستر الرجل في أمر حقير ،
١٨ يموق استخدامك كرة أخرى أيضاً

١٩ الفصل الثالث عشر

قائب الحسابات الطيب

- ٢٠ لا تضرن رجلاً بحجرة قلم على بردية^(١)
٢١ لأن ذلك يمقته الله
١:١٦ ولا تؤدّين شهادة كذبا
٢ ولا ترحزن إنساناً آخر بلسانك
٣ ولا تفرضن ضريبة على شخص لا يملك شيئاً
٤ ولا تستعملن قلمك في الباطل
٥ وإذا وجدت فقيراً عليه دين كبير

(١) أي لا تخطن على رقعة ما يضر إنساناً

- ٦ فقسمه ثلاثة أقسام
- ٧ وساعه في اثنين وأبق واحدا
- ٨ وستجد ذلك سبيلا للحياة
- ٩ وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا (وستهدأ)
- ١٠ وفي اليوم التالى ستجد أنها (ما فعلتها) أخبار سارة (على الألسنة)
- ١١ وخير للإنسان مدح الناس وحبهم له
- ١٢ من الثراء فى المخازن
- ١٣ وخير للإنسان (أكل) الخبز مع قلب سعيد
- ١٤ من الثراء مع الكدر

١٥ الفصل الرابع عشر

الكرامة

- ١٦ لا تحتر من شخصا [لا تفرض على نفسك الذلة لشخص] .
- ١٧ ولا تجهدن نفسك لتبحث عن يده (أى مساعده) .
- ١٨ إذا قال لك « خذ رشوة » .
- ١٩ إذ ليس بالرجل المعدم من يقبلها (؟) (أو أن ذلك ليس بالأمر الهين) .
- ٢٠ ولا تكن خجلا (أمامه) وتحنى نفسك (له) .
- ٢١ ولا تلقين بنظرك إلى أسفل .
- ٢٢ وسلم عليه بغمك وقل له « سلام عليك »
- ١:١٧ وعندما يقطع عن ذلك فإن موهبتك ستظهر .
- ٢ ومع ذلك يجب ألا تقصيه عندما يقترب منك أول مرة
- ٣ فإن أمراً آخر (فرصة أخرى) سيقصيه بميدا (عنك) .

٤ الفصل الخامس عشر

الولم « محوت » والطالب

- ٥ اعمل خيرا حتى تعرف من (؟) أنا .
- ٦ ولا تغمسن قلما فى اللداد لتفعل ضررا .

- ٧ فإن منقار « ايبس » هو أصبع الكاتب .
- ٨ واحذر إزعاجه .
- ٩ فالقرد يسكن في بيت « الأشمونين » .
- ١٠ غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين .
- ١١ فإذا رأى من يضر بأصبه .
- ١٢ فإنه يرى بطعامه إلى اللجة المميقة .
- ١٣ أما الكاتب الذي يضر بأصبه .
- ١٤ فإن ابنه لن يحفظ في السجل .
- ١٥ فإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأمور في قلبك .
- ١٦ فإن أطفالك سيرونها .
- ١٧ الفصل السادس عشر

الموازين المقسومة والمزينة

- ١٨ لا تتلاعبن بكفتي الميزان ولا تطففن الموازين .
- ١٩ ولا تنقصن من أجزاء مكاييل الفلال .
- ٢٠ لا ترغبن في مكاييل الحقول (أى الضريبة) .
- ٢١ ثم تهمل مكاييل الخزاة^(١) .
- ٢٢ فإن القرد يجلس بجوار الميزان (الإله تحوت) .
- ١:١٨ وقلبه اللسان (الميزان) .
- ٢ وأين يوجد إله عظيم مثل « تحوت » .
- ٣ الكاشف لهذه الأشياء ليصنمها ؟
- ٤ لا تصنمن لنفسك موازين منقوصة .
- ٥ فإنها تخر بالجيوش (؟) بقوة الإله .
- ٦ وإذا رأيت إنسانا يفش .

(١) أى كل بدقة محصول الفلاح ولا تهتم بما يدفع للخزاة ، عليك أن تلاحظ أن ما يدفعه الفلاح هو ما يجب عليه دفعه وخذ من دخل الخزاة نصيبا لك .

- ٧ وجب عليك أن تمر به ميتعدا .
 ٨ ولا تقتالن النحاس .
 ٩ واجتنب الكتان الجميل .
 ١٠ وما فائدة عباءة من نسيج « مك »^(١)
 ١١ إذا كانت ضلالا أمام الله .
 ١٢ وإذا كانت قشرة الذهب توضع فوق السيكة لتظهرها ذهبيا خالصا .
 ١٣ فإنها في الفجر تكون من قصدير .

١٤ الفصل السابع عشر

كبل الفحول

- ١٥ احذر إساءة استعمال مكاييل عين حور (وازيت) .
 ١٦ أو الفش في أجزائها .
 ١٧ ولا تكونن ظالما مثل « ابن ناخت »^(٢) .
 ١٨ ولا تجعلها خالية في بطنها (أى تجعل لها قعرا مغموشا) .
 ١٩ وأوفر مكيالها حسب حجمها بالدقة (؟) .
 ٢٠ ويدك تكيل بالحق .
 ٢١ ولا تتخذن لنفسك مكيالا ذا حجمين (سعتين) .
 ٢٢ لأنك إذن ستعمل فقط للجة العميقة .
 ٢٣ لأن المكيال هو عين رع .
 ١:١٩ وما عفته هو الرجل المدلس .
 ٢ وكيال الغلال الذى يضاعف الفش .
 ٣ تبث عينه التهمة ضده .
 ٤ لا تتسلن جزية الفلاح على حصاده .

(١) نوع من الكتان المختار .

(٢) يحتمل أن يكون « ابن ناخت » بطل قصة أو لعل المعنى هو لا تأتين قسوة في ضوء مجموعة النجوم المعروفة باسم « المارد » وهذه المجموعة قد وجدت في جداول النجوم الموجودة في مقبرة رعمسيس السادس ورعمسيس التاسع . ومن المحتمل أنها كانت تظهر في وقت الحصاد أو غير ذلك .

- ٥ ثم تمقد وثيقة ضده ليُضار .
- ٦ ولا تتأمرن مع كيال الللال .
- ٧ ولا تلمعن لعبة « ترتيب الداخل »^(١) (؟)
- ٨ وإن أرض درس الشمير لها قوة (قوة خارقة للعادة) إغراء أكبر
- ٩ من الحلف بالعرش العظيم^(٢) (أو في المكان العظيم) .

١٠ الفصل الثامن عشر

قافم الهم

- ١١ لا ترقد في الليل متخوفا من الغد .
- ١٢ وعندما يطلع النهار فما شكل الغد ؟
- ١٣ إذ لا يعلم الإنسان ما سيكون عليه الغد [إن حوادث الغد في يد الله] .
- ١٤ والله دائماً في فلاحه [تديره المحكم]
- ١٥ والإنسان دائماً في خيبته [ظنونه الطائشة] .
- ١٦ والكلمات التي يقولها الناس شيء .
- ١٧ والأشياء التي يفعلها الله شيء آخر [أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد]
- ١٨ ولا تقولن « ليس لي جريمة » (ليس ذلك بخطأ مني) .
- ١٩ ولا تجهدن نفسك للبحث عن الشجار .
- ٢٠ فإن الجريمة من عند الله .
- ٢١ وهو الذي يختمه بأصبعه .
- ٢٢ وليس هناك فلاح مع الله .
- ٢٣ ولا خيبة أمامه .
- ٢٠:١ فإذا وجهه إلى الحصول على الفلاح .
- ٢ فإن الإنسان يفسد ذلك في لحظة .
- ٣ كن حازماً في قلبك وثباتاً في عقلك .

(١) هذه اللعبة ليست معروفة ولكن ما يقصد منها مفهوم على وجه عام

(٢) يشير إلى محراب الاله أو عرشه

- ٤ ولا تتحرك (؟) مع لسانك .
٥ لأن لسان الإنسان كسكان القارب .
٦ ورب العالمين هو القائد .

٧ الفصل التاسع عشر

الكلام في المحكمة

- ٨ لا تدخلن قاعة المحكمة قبل نبيل .
٩ ثم تزيّف كلماتك .
١٠ ولا تتذبذب في جوابك .
١١ عندما يكون أشهادك قد وقفوا .
١٢ ولا تخترعن في إيمانك ربك .
١٣ بكلام في مكان التحقيق (عبارة عن احتجاج بالبراءة وبعد ذلك اعتراف بالجرعة)
١٤ قل الصدق أمام الشريف (القاضي) .
١٥ وألا يكون له سلطان على جسمك .
١٦ فإذا حضرت أمامه في اليوم التالي .
١٧ فإنه يقبل كل ما تقوله .
١٨ وسيدكر قولك في الداخل^(١) أمام مجلس الثلاثين .
١٩ وستكون مفيدة (؟) كرة أخرى أيضا .

٢٠ الفصل العشرون

الأمانة في الوظيفة

- ٢١ لا تفسدن رجلا في قاعة المحكمة .
٢٢ ولا تزعمين الرجل الحق (؟)
١:٢١ ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس (؟) ملابس بيضاء ناصعة .
٢ بل اقبله في خرقة البالية .

(١) في قاعة المحكمة .

- ٣ ولا تقبلن هدية رجل قوى .
- ٤ ولا تظلمن الضعيف من أجله .
- ٥ لأن المدل هبة عظيمة من الله .
- ٦ وسيططها من يشاء .
- ٧ وحقا فإن قوة من يماثله (أى الإله) .
- ٨ تنجى الفقير البائس من ضربه .
- ٩ لا تؤلفن لنفسك وثائق مزيفة .
- ١٠ لأن ذلك خيانة عظمى (تستحق) الإعدام .
- ١١ لأنها إيمان عظيمة
- ١٢ وتكون موضع تحقيق من المبلغ (عنها) .
- ١٣ لا تزيغن فى الدخلى على وفارك .
- ١٤ وبذلك تفسد تدبير الإله .
- ١٥ لا تجلبن على نفسك غضب الإله .
- ١٦ بدون قرار « شأى » « ورننت » .
- ١٧ وسلم الأمتة لأربابها .
- ١٨ وايع الحياة لنفسك .
- ١٩ ولا تدع قلبك يبنى فى بيتهم (لا تقتصب متاعهم)
- ٢٠ وإلا كانت عظامك لخشب الإعدام .

٢١ الفصل الحادى والمشرون

الصمت

- ١: ٢٢ لا تقولن : « أوجد لى رئيسا قويا .
- ٢ لأن رجلا فى مدينتك قد أضر بى .
- ٣ ولا تقولن « أوجد لى مخلصا .
- ٤ لأن رجلا يكرهنى قد أضر بى » .
- ٥ وفى الحق أنك لا تعرف تدابير الله .

- ٦ ولا يمكنك أن تعرف الغد .
- ٧ فاجلس بين يدي الله .
- ٨ وحملك سيتغلب عليهم .
- ٩ والواقع أن التمساح الصامت .
- ١٠ يكون الفزع منه شديدا .
- ١١ لا تفضين بقرارة نفسك لكل إنسان .
- ١٢ ولا تتلفن بذلك نفوذك .
- ١٣ ولا تنشرن أقوالك لآخرين
- ١٤ ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما في قلبه .
- ١٥ والرجل الذي يخفي أخباره في نفسه .
- ١٦ خير من الذي يفشى شيئا لضرره .
- ١٧ والإنسان لا يجري ليصل إلى الكمال .
- ١٨ ولا يرمى (؟) ليضر بنفسه (؟) .
- ١٩ الفصل الثاني والعشرون

المحاورة

- ٢٠ لا تتآمر ضد قرنك في المحاورة .
- ٢١ ولا تجعله يخبر حديث القلوب .
- ٢٢ ولا تبرزن لتذهب لمقابلته .
- ٢٣: ١ وأنت لم تر ماذا يفعل .
- ٢ وستفهم أولا من جوابه .
- ٣ وكن هادئا وعندئذ تأتي معرفتك .
- ٤ ودعه لنفسه حتى يُفرغ مافي قرارة جوفه .
- ٥ واعرف كيف تنام وسيفهم .
- ٦ اقبض على قدميه ولا تحقرنه (وفي الكلام العاجي جر رجله) .

- ٧ وخفه ولا تهمله .
 ٨ والواقع أنك لا تعرف تدابير الله .
 ٩ ولا يمكنك أن تحقق ما في القدر .
 ١٠ اجلس بين يدي الله .
 ١١ فإن حطك سيتغلب عليهم^(١) .

١٢ الفصل الثالث والعشرون

تجنب أكل السم

- ١٣ لا تأكل الخبز في حضرة شريف .
 ١٤ ولا تكن أول من يلوك بقمه .
 ١٥ وإذا كنت مرآحا للمضغ الكاذب (أى مضغ الخبز الذى آتى عن طريق النخب) .
 ١٦ فإن ذلك يكون مجرد تسلية لريقك^(٢) .
 ١٧ انظر إلى الوعاء الذى أمامك .
 ١٨ واجمله يكتفى حاجتك .
 ١٩ وكما أن الشريف عظيم في مقر وظيفته .
 ٢٠ فإن مثله كمثل البئر تغزر بمتج (الماء) منها .

٢١ الفصل الرابع والعشرون

الأميين

- ٢٢ لاتصغين إلى أجوبة شريف في بيت .
 ١:٢٤ ثم تنشره إلى آخر في الخارج .
 ٢ ولا تجعلن كلامك يذاع في الخارج .
 ٣ حتى لا يتألم قلبك .

(١) : هذا الجمع ليس مفهوما هنا تماما
 (٢) لا بد أن يكون هنا خطأ في النص

- ٤ وقلب الرجل (ضميره) هو منقار الإله « محوت » .
 ٥ فاحذر أن تهمله .
 ٦ والرجل الذى يقف بجوار الشريف .
 ٧ يجب ألا يعرف اسمه حقا .
 ٨ الفصل الخامس والعشرون

امتزاز العاقبة

- ٩ لا تسخرن^(١) من أعمى ولا تهزان من قزم .
 ١٠ ولا تفسدن قصد رجل أعرج .
 ١١ ولا تحفظن رجلا في يد الله (ما يعبر عنه الآن بالمجذوب) .
 ١٢ ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعدى الحدود^(٢) .
 ١٣ إذ الواقع أن الإنسان من طين وقش (وهما اللتان يصنع منهما اللبن)
 ١٤ والله هو مسويه .
 ١٥ وهو يهدم ويبنى كل يوم .
 ١٦ وهو يصنع ألف تابع حسب إرادته .
 ١٧ أو ينصب ألف رجل مشرفين (؟)
 ١٨ عند ما يكون في ساعة حياته (؟)
 ١٩ ما أسعد الذى قد وصل إلى الغرب (مات) .
 ٢٠ وهو آمن في يد الله .
 ٢١ الفصل السادس والعشرون

معاضة من هم أكبر مقاماً في المجتمع

- ٢٢ لا تجلس في الحانة (بيت الجمعة) .

(١) من سطر ٩ إلى ١٢ أنظر الكلام على تحوت

(٢) « يأبى الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم »

- ١:٢٥ ونخالط من هو أكبر منك مقاما (وظيفة) .
 ٢ مهما كان صغيرا في السن فإنه عظيم في الرتبة .
 ٣ أو أكبر في السن .
 ٤ واصطحب من في مرتبتك .
 ٥ فإن الإله « رع » مساعد من بعد^(١)
 ٦ ولكن إذا رأيت رجلا أعظم منك في الخارج .
 ٧ وله أتباع وراه فقدّم له الاحترام .
 ٨ مدّ يد المساعدة لرجل مسن إذا كان قد ثمل بالجمعة .
 ٩ واحترمه كما يحترمه أولاده .
 ١٠ لأن الذراع القوى لا يرتحنى (?) عندما يكشف
 ١١ والظهر لا يكسر عندما ينحنى .
 ١٢ والفقر لا يأتي للرجل عندما يقول الشيء السار .
 ١٣ ولا يأتي له الفنى عندما يكون قوله من القش^(٢) .
 ١٤ والنوتى الذى يرى من بعد .
 ١٥ قاربه لا يفرق .
 ١٦ الفصل السابع والعشرون

الخصوع للمسن

- ١٧ لا تلمن أكبر منك سنا .
 ١٨ لأنه شاهد « رع » قبلك .
 ١٩ ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه .
 ٢٠ قائلا « شاب آخر قد سب مسنا » .

(١) انظر ص ٥٠ (مقطوعة ٢٥ : ٥)

(٢) أى عندما يكون قوله هراء

- ٢١ فإنه مؤلم جدا أمام « رع » .
١:٢٦ أن يسب شاب رجلا مسنا .
٢ دعه يضربك بيده في صدرك .
٣ دعه يسبك وأنت ملازم السكون .
٤ فإذا حضرت أمامه في اليوم التالي .
٥ فإنه سيمطيك خبزا لا حصر له .
٦ وإن طعام كلب الصيد (من شأن) سيده .
٧ إذ أنه ينبج على من يقدمه له (الطعام) .
٨ الفصل الثامن والعشرون

كرم الأعمى

- ٩ لا تسألن عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها في الحقل .
١٠ ولا يفوتنك أن تتذرع بالصبر لإجابتها .
١١ ولا تمرن على غريب بإساءة زيتك .
١٢ بل اجعله يتضاعف أمام إخوانك .
١٣ وإن الله يحب سعادة المتواضع^(١) .
١٤ أكثر من احترام الشريف .

١٥ الفصل التاسع والعشرون

عبور النهر (التعزية)

- ١٦ لا تمنن أناسا من عبور النهر .
١٧ عندما يكون في قاربك مكان .

(١) انظر ص ٥٦ (مقطوعة ٢٦ : ١٣)

- ١٨ وإذا أحضر لك محرك سكان في وسط اللجة العميقة .
 ١٩ فإنك ستحني يديك لتأخذه .
 ٢٠ ولن ينالك غضب من الله .
 ١: ٢٧ إذا لم يرحب بك نوتى .
 ٢ ولا تصنعن لنفسك معبرا على النهر .
 ٣ ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره .
 ٤ خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة .
 ٥ ورحب بمن لا يملك شيئا .

٦ الفصل الثلاثون

الختام

- ٧ تأمل لنفسك هذه الفصول الثلاثين .
 ٨ فأنها تتمتع وتعلم .
 ٩ وهي تفوق كل الكتب .
 ١٠ فهي تعلم الجاهل .
 ١١ فإذا قرئت أمام الجاهل .
 ١٢ أصبح طاهرا بها (من الخبائث)
 ١٣ فاملاً نفسك بها وضعها في قلبك .
 ١٤ لتكون رجلا يعرف تفسيرها (عندما تعرفها تماما) .
 ١٥ وتكون مفسرا لها كعلم .
 ١٦ أما من حيث الكاتب المدرب في وظيفته .
 ١٧ فإنه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط .
 ١٨ وهذه نهايته .
 ١: ٢٨ كتبه « سنو » بن (الكاهن) « بمو »

(١) تعليق على تعاليم «أمنموبى»

من مقدمة هذه التعاليم نعلم أن «أمنموبى» هو ابن «كانخت»؛ وتزوج «أمنموبى» من «توزيرى» وأعقب «حور ماخر» وهو الذى كتب له أبوه هذه التعاليم كمادة مؤلفى التعاليم عند قدماء المصريين .

ويحمل «حور ماخر» ألقاباً دينية كثيرة تربطه بمعبد «بانو بوليس» (إخميم) غير أن هذه الألقاب نادرة الوجود فى الوثائق المصرية الأخرى .

أما ألقاب والدته فعادية شائعة ، غير أنها لاتدلنا على المكان الذى أمت منه .

وكان الولد يحمل ألقاباً دينية من صغره ، وقد كان المجال فسيحاً أمامه أن يتحلى بالصلاح والرزانة اللتين كانتا من صفات والده . ولا ندرى أثمرت تعاليم والده نفعاً نحو مرتبة عليا فى الحكومة - لأن الغرض من هذه التعاليم كما جاء فيها يرمى إلى العروج فى مصافى الوظائف - أم لم تثمر فiq حيث كان .

وتقسم متن هذا الكتاب إلى أبيات من الشعر ليس بالأمر العادى ، وعندما مثل واحد معروف من هذا النوع من الأسرلة الثانية عشرة ، وأعنى بذلك قصيدة «سنوسرت الثالث» المكتوبة فى ورقة «اللاهون» وكذلك عثرنا على مثلين فى الديموطيقى : (الأول) حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى قصيدة هجائية . (والثانى) يرجع تاريخه إلى القرن الأول بعد الميلاد ، وهو مكتوب فى ورقة «ليدن» الخلقية .

(٢) التعاليم كتبت شعرا

وتقسم التعاليم إلى فصول مرقومة شىء فريد فى المتون الهيراطيقية ، غير أنه كرر فى ورقة «ليدن» نفسها الآنف الذكر ، وتحتوى على خمسة وعشرين فصلا فى الحكم الخلقية . أما من ناحية صياغة الشعر فليس هناك قافية ولا وزن معين ، والتأثير الشعرى نلحظه فقط من المقابلة فى الأبيات .

وسطور هذه التعاليم مركبة من مقطوعات ، كل مقطوعة مركبة من سطرين ، وما شذ عن ذلك أتى من حذف سطر أو إدماج سطرين فى سطر واحد أو كتابة سطر واحد فى سطرين . وكذلك نجد مقطوعات مكونة من أربعة أسطر .

ولحسن الحظ وصلت إلينا كل هذه التعاليم كاملة من أولها إلى آخرها ، فكان ذلك مساعداً لنا على قدر المستطاع أن نصل إلى كنهها وغايتها .

أمنموبي

(٣) يحمل رسالة خاصة للعالم

الواقع أن « أمنموبي » كانت له رسالة يحملها إلى العالم ، إذ أنه ترك النصائح العادية ظهريا . وأول ما يلفت نظر القارئ في تعاليمه التي تتألف من ثلاثين فصلا شيئا : هما تدوين هذا المؤلف الشاعر ، واعتداله . والواقع أنه لم يصلنا إلى الآن من الكتب المعروفة في الأخلاق والتعليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هذا الروح ؛ ولذلك يجب علينا أن نعتبر تعاليم « أمنموبي » من أمتع الكتب وأعظمها قيمة . ولقد كان مؤلفنا حريصا على أن يضع في أول تعاليمه الغرض الأساسى من تأليفها في الفصل الأول من كتابه ، وبخاصة في السطرين الخامس والسادس . وقد كان أول من لفت النظر إلى ذلك هو الأستاذ « سيجل » ، إذ أنه كان أول من فهم المعنى الحقيقى لهذين السطرين فيقول : إن هذا الكتاب يحتوى على بداية درس الحياة والارشاد للخير ، وكل قواعد الانحراط بين كبار الموظفين وآداب معاملة رجال القصر . ثم يذكر لنا بعد ذلك في السطرين الخامس والسادس ، وهما يعبران عن هدفه ، وليعرف كيف يجب (شفويا) عن سؤال يلقي عليه وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها .

أما من الوجهة الدينية فنجد المؤلف قد ذكر في تعاليمه عدة آلهة مختلفة وبالرغم من ذلك يرى القارئ الذى ينظر بعين فاحصة ويحس أن هناك قوة أخرى عظيمة خفية وراء تلك الأسماء الرمزية ، وهى الله العلى العظيم الذى لا إله غيره ؛ إذ الواقع أننا نجد خلافا لأسماء الآلهة التى جاء ذكرها في التعاليم من مثل « تحوت » و « خنوم » و « رننوت » وغيرها ، أن « أمنموبي » يذكر لنا بصفة خاصة اسم الله أو الإله ، وهذا يطابق تماما ما جاء في الدين الإسلامى ، مما يدل على أن « أمنموبي » كان لا يؤمن إلا بإله واحد ، وعلى ذلك كان لكل فرد أن يصور هذا الإله في أية صورة شاء (انظر فيما يلى الكلام على لفظة الإله) . ولقد لاحظنا في التعاليم السابقة التى فاه بها من سبقه من الحكماء ورجال الفكر أن الصلاح كان فضيلة ، وأن التفكير في الموت والأبدية كان حافزا يدفع الإنسان إلى أن يسلك الصراط السوى في الحياة الدنيا مخافة الله ، إذ أن الله هو الذى يسعد ويعفى ، ولكن كان التدين في نظر « أمنموبي » يقوم بدور أعظم من ذلك ، إذ كانت فكرة وجود الله في نظره هى المستوى

الذى وضعه أمامهم لفهم الحياة . فالله هو الذى يجب أن يكون مديراً لسكان سفينة الحياة ، وهو رب الأرزاق ؛ لذلك يجب على الإنسان ألا يخاف غيره ، وأن الكمال لله وحده ، وأن الإنسان هو المخطئ ، والحساب ينتظر المخطئ ، وأن محاولة الإنسان الوصول إلى الكمال ضرب من المحال . ومجمل القول أن الله هو القوى القهار ، وأن الإنسان خلق ضعيفاً ، ومع ذلك فإن الله كذلك عادل فيمكن للإنسان أن يتكل عليه . والله يبارك العمل ، ويحب الخير وكرم الضيافة ، ولكنه تمتق اللق والغش . وبعد الموت يكون الإنسان فى يدى الله (ما أسعد الذى قد وصل إلى الغرب (مات) وهو آمن مطمئن فى يدى الله) .

ولقد كان المثل الأعلى بين الناس فى نظر « أمنموي » هو الرجل الرزين أى الرجل المتواضع المعتدل فى حياته . ولعمري هل يستخلص الإنسان من هذا التواضع الذى أظهره لنا المؤلف - وهو على طرفى تقيض ، من حكاء العصور الماضية إذا قسناء بهم - أنه يصور لنا العقلية المصرية فى العصر الذى أخذت فيه البلاد تنحدر طبقاً للضرورات السياسية التى فرضت عليها فى ذلك العهد ؟

ونقيض الرجل الرزين أو الحليم فى نظر « أمنموي » هو الرجل الأحمق أى الحاد الطبع ، المندفع ، المتوحش ، الغضوب . ويحمد القارىء أن المؤلف جعل مدح الرجل الرزين وذم الرجل المندفع من أهم النقاط التى تناولها فى تعاليمه . فترى هذا الحكيم الذى شاب فى تأدية عمله بذكور ابنه دائماً بأن المثل الأعلى فى الحياة هو الرزانة (الصمت) .

وقد كان « أمنموي » يسير على نهج غيره من الحكماء الذين سبقوه مثل « بتاح حتب » و « آنى » من جهة أنه كان يبحث على الناحية الإنسانية العملية فى الحياة . فتراه يشير إلى واجبات الموظف فلا بد أن يكون عادلاً مستقيماً رحيماً . ويطلب إليه أن يكون أميناً وأن يكون متسامحاً مع الفقير ويحذره الغش فى الدفاتر ، وألا يسىء استعمال فن الكتابة السامى .

وكذلك نجد حكيمنا يضع قواعد لسلوك الإنسان مع أخيه الإنسان خارج أعماله الرسمية ويحض على ألا يختلط الإنسان إلا بمن هو على شاكلته ، وأن يتجنب محادثة العظماء (فصل ٢٦) ، وكذلك يجب على الإنسان ألا يتعلق بالأشراف ، بل يجب أن يكون مستقلاً بنفسه عنهم ، ومع ذلك يكون مؤدباً نحوهم (فصل ١٤) وكذلك يجب عليه ألا يكون عالة على الأشراف العظام (فصل ٢٣) ولكن يجب عليه فى الوقت نفسه أن يعاملهم كما يعامل الإنسان من هو أسن منه بالاحترام والأدب (فصل ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧) . ويجب على الإنسان أن يكون طلقاً فإن

البشاشة لا تكلفه شيئا (فصل ٢٦) ويحض «أمنموي» على أن يكون الإنسان لين الجانب مع المرأة الفقيرة التي تجمع الحبوب من حقول الغلال ، وأن يكون حسن الضيافة للغريب ، (فصل ٢٨) وأن يكون رحيما بالأعمى والمقعد والأقزام (فصل ٢٧) ، وأن يهيئ أسباب الراحة لمن يريد أن يعبر النهر من ضفة إلى ضفة ، وألا يأخذ الإنسان أجرا من عابر فقير (فصل ٢٩) .

وفضلا عن ذلك يجب على المرء ألا يتناول على شريف ، وألا يمارض عظيما وإن أساء معاملته ، وحتى إذا لطمه فليضع يده على صدره ، فإن العظيم سيصبح فيما بعد مهادنا له ، لأن خضوعه سيسكن من حدة فيمطيه خيرا (فصل ٢٧) ، وليعمل على احترام الناس له باعتقال لسانه عن قول السوء (فصل ٨) ، وليكن بصيرا وحذرا ، وليكن حريصا مع من يحبون المتاعب وليرغب عن مخالطهم (فصل ٢) ، وهذا شيء يسير مما جاء في تعاليم «أمنموي» ، ومنها يرى القارئ الفرق الشاسع بين ما كتبه وبين ما كان يكتبه حكماء المصور التي سبقتة . فلا غرابة إذن أن تمد هذه التعاليم بحق مصدرا عظيما للأمم المجاورة وبخاصة فلسطين التي كانت تعتبر مصر الأم التي ترضعها لبان العلم والعرفان .

الآلهة التي ذكرت في التعاليم

لقد جاء ذكر آلهة عدة من الآلهة المصريين في سياق هذه التعاليم . والإشارة إليها لها قائلتها للمستفهل بالبيان المصرية القديمة .

وبعض هذه الآلهة له علاقة بصناعة الكاتب ، والبعض الآخر له مساس بالموضوعات العامة .

١ — «اله الشمس» : «رع» أي الشمس وهو الذي يتجه الناس إلى قرصه «أتون» بصلواتهم في الصباح . ويعتبر الإله المسيطر الذي يعمل كل الصالحين لكسب رضاه .

المقطوعة ١٠ : ١٢ — ١٥ (بدلا من البحث وراء الثروة) .

يجب أن تصلى إلى «أتون» حينما يشرق

فأثلا «امنحنى الفلاح والصحة»

وسيعطيك ما تحتاج إليه في الحياة

وستكون آمنا من الخوف

المفطرة ٢٥ : ١٧ — ٢٦ ، ٢١ : ١

لاتسبن من هو أكبر منك سنًا
لأنه شاهد « رع » قبلك
ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه
فأثلا « شاب آخر قد سب مسنًا »
فإنه مؤلم أمام « رع »
أن يسب شاب رجلا مسنًا
المفطرة ٧ : ٨ (الرزين)

فإنهم يقولون : « إن أهم شيء هو رضاء « رع » »
ومن المحتمل أن مثلاً حكماً يظهر فيه :

المفطرة ٢٥ : ٥

« إن « رع » يساعد من بعيد » ويقصد : ولكنه خطر لمن يقترب منه .
والصل المنتقم الذي يوضع على جبهة « رع » وكذلك الثعبان
« أبوي » الضخم عدو « رع » كلاهما مخيف ، قد ورد ذكرهما ليوضحا
الفائدة التي تعود على الإنسان من اكتساب سمعة حسنة .

مفطرة ١٠ : ١٩ — ٢٠

فالإنسان يرحب بالصل
ويبصق على الثعبان « أبوي »
وميكيال الغلال الذي لعب دوراً هاماً في حياة الكاتب المصري هو
عين إله الشمس ، ويطلق عليه اسم « وزيت » أى عين « حور »
أو عين « رع »

وهذا المبدأ القديم لتشجيع الأمانة كان شائعاً من قبل تعاليم
« امنموبى » هذا بزم من بعيد . وقد شرح أحد العلماء الألمان « جورج ملر »
أن الإشارات الدالة على تقسيم ميكيال الغلال إلى $\frac{1}{4}$ = \curvearrowright ، $\frac{1}{4}$ = \circ ،
 $\frac{1}{8}$ = \sim ، $\frac{1}{16}$ = ⌢ ، $\frac{1}{32}$ = ⌢ ، $\frac{1}{64}$ = ⌢ تتفق مع الأجزاء
الستة التي تتركب منها صورة العين .

٢ — « الحظ » : كان « شاي » « المرتب » ورننت « المربية » إله الحظ وإلهته ، وكذلك إلهة الحصاد ، وقد ظهرت « رننت » في مناظر الحصاد وعصير الخمر في قبور الدولة الحديثة على شكل ثعبان « cobra » . ونشاهد « شاي » « ورننت » يمثلان الحظ في منظر وزن الروح في كتاب الموتى فصل ١٢٥ في ورقة « آنى » وورقة « أنهاى » : ففي الأولى نجد أنهما مثلاً بشكل آدمى ، وفي الثانية في شكل قالبين من اللبن للولادة برأس آدمى ليدلا على حظ الإنسان . ويقول « أمنموى » في :

مقطوعة ٩ : ١٠ — ١٣

لا تندفن بقلبك وراء الثروة
إذ لا يمكن تجاهل « شاي » و « رننت »
ولا توجهن أفكارك إلى أشياء في الخارج
فكل إنسان مقدر له ساعته [خيره موكل بحظه]

مقطوعة ٢١ : ١٣ — ١٦

لا تزيقن في الدخول على دقاتك
وبذلك تقسد تدبير الإله
لا تجلبن على نفسك غضب الإله
بدون قرار « شاي » و « رننت » (إله وإلهة)

٣ — « اوله منوم » : وظيفة هذا الإله تشكيل الإنسان على عجلة صانع الفخار . وهذه فكرة سائدة ، ونجدها ممثلة في معبد « الدير البحرى » وفي معابد العصر الإغريقى الرومانى ، وكان يمد الإله الرئيسى في بلدة « شطب » حيث يجد أن « شاي » إله الحظ كان إلهاً ثانوياً مرافقاً له ، حسبما جاء في قطعة من النقوش يرجع عهدها إلى أواخر الدولة الحديثة

مقطوعة ١٢ : ١٥ — ١٧ (أما من جهة الرجل الأحمق)

ليت الإله « خنوم » يحضر حقاً حقاً
عجلة صانع الفخار لصاحب القم النارى
حتى يشكل ويصهر القلوب مثل الأوانى (ويصلح سبله)
(وإنه مثل . .)

٤ - **أول الكاتب :** يعتبر « تحوت » إله الاختراع والعلم وإله كل صناعات الكاتب ، وكان القرد الذي يمثله يرسم في كل مصلحة حكومية لينظم أعمال الكتاب الكبير منهم والصغير . ونجد له مكانة بارزة في تعاليم « أمنموي » . وقد ظهر اسمه مرة في الفصل السادس عشر ١٨ : ٢ والقرد ذكر في نفس المتن وكذلك في مقطوعة ١٧ : ٩ « تحوت » مخترعا وحارسا

مقطوعة ١٧ : ٢٢ - ١٨ : ٣ (لا تفنن الموازين والمكاييل)

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وأن يوجد إله عظيم مثل « تحوت »
الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
لا تصنعن لنفسك موازين منقوسة
فإنها تصير جيوشا عدة بقوة الإله
ومن مظاهر « تحوت » الطائر « إيبيس » (أبو قردان)

مقطوعة ١٧ : ٧ - ١٢

فإن منقار « إيبيس » هو أصبع الكاتب
واحذر من إزعاجه
فالقرد يسكن في بيت « الأشمونين »
غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين
فإذا رأى من يضر بإصبعه
فإنه يرمي بطعامه إلى اللجة العميقة .

ويحتمل هنا أن عين القرد يقصد بها القمر ، وعلى أية حال فإن « تحوت » يمثل إله القمر . ونجد في تعاليم « أمنموي » أن القمر في الليل يكشف عن الخيانة . وعند ما يكون الرجل الأحمق المرتكب للخطأ على شفا الموت فإن « تحوت » ينادى (عند محاكمة « أوزير ») بإدانتة .

مقطوعة ١٩ : ٤

وأنت أيها القمر (تحوت) أظهر جريمته
ومقطوعة ١٨ : ٧ - ١٩ (من يتمد على أرض الآخر)
فإنه إذا تصيده بالإيمان الكاذبة
فإن بطش القمر يوقعه في حباله

٥ - « الله » : قد جاء في التعاليم ذكر « الله » فقط بدون ذكر اسم إله معين
وكذلك جاء ذكر لفظة « الإله » وليس هناك فرق بينهما في الفرض .

البر : جاء ذكر يد الله داعماً في مقطوعة ٩ : ٥ : ١٤ : ١ : ١٩ : ٢٢ ؛
٢٤ : ١١ ، ٢٠ : ٢٦ : ٢٠ :

و « يدى الله » في مقطوعة ٢٢ : ٧ : ٣٣ : ١٠
ولكننا نجد « أنف الإله » (منقار إيبس) في مقطوعة ٢٤ : ٤ ؛
و « قوة الإله » في مقطوعة ١١ : ٥ : ١٨ : ٥ : ٢١ : ١٥ ؛
و « تدبير الإله » في مقطوعة ٢١ : ١٤ : ٢٢ : ٥ ؛
و « لعنة الإله » في مقطوعة ١٣ : ١٦ : ١٥ : ٢١ ؛
و « كره الإله » في مقطوعة ١٤ : ٢ ؛
و « حب الإله » في مقطوعة ٢٦ : ١٣ ؛

وقد رأى حكماء مصر بثاقب فكرهم ما وراء معتقدات العامة والمعبودات المحلية الخاصة
ببلادهم من الأثر . ولم يكشف من بين كتبهم إلى الآن كتاب أظهر أماننا هذه الفكرة
عن تلك المعتقدات وأبرزها بشيء كثير من الوضوح مثل كتاب « أمنموبي » هذا ، فضلاً
عن أن تعاليمه ملأى بالتقوى . ولا غرابة إذا قلنا إن ديانة « أمنموبي » في أصلها ديانة
توحيد . وإن كان هذا الحكيم قد استعمل خرافات عامية ليؤكد أفكاره .

وقد يكون من العبث في كثير من الحالات أن نبحث عن آلهة فردية معينة في حين
أنه يسمى ربه بلفظة الله أو الإله فحسب .

سفر الأمثال نقل عن ترجمة لا عن أصل مصري

ويرى شيخ علماء المصريين « أرمن » أنه في وقت ما قد ترجمت هذه التعاليم إلى العبرية أو إلى الآرامية ، وأن الذى جمع « سفر الأمثال » في التوراة قد استعمل الترجمة غير أنه أفسد المعنى عند الاستعارة . أما الدكتور « جرسمان » فله رأى آخر إذ يقول : إن الاستعارة لم تأت من طريق نقل الألفاظ مباشرة ، بل نقلت الأفكار وظهرت في ثوب جديد حسب مقتضيه الحاجة .

ويميز رأى « أرمن » مثل ظاهر ، وهو كلمة « ثلاثون » فإنها تكون كلمة لا فائدة منها ولا معنى لها في ثوبها الجديد أى في « سفر الأمثال » ولكنه فسرهما كما باتى :

قسمت تعاليم « أمنموي » إلى ثلاثين فصلا ، ومن ثم أخذها المؤلف العبرى في القسم الثالث من سفر الأمثال قاعدة لمجموعته التي أخذ يؤلفها من ثلاثين حكمة ، ولذلك أشار إليها بمح في جملة تشابه الجملة التي أشار بها إلى هذا المدد « أمنموي » في مؤلفه .

ويقول الأستاذ « جرسمان » إنه عندما أخذ المبرانيون بأسباب المدنية في حكم « سليمان » وخلفائه كانوا يتطلعون بخاصة إلى مصر وبابل لتعلم فنون الحياة . ولا غرابة إذا كان الكاتب الملكى — مثل « حزقيا شينا » — عبداً أجنبيا ذا تربية عالية ، وكان في قدرته أن ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم . وكان في وسعه كذلك أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة السياسة التي كانت في هذا العصر « اللغة الآرامية » ، والواقع أنه كان وزير الخارجية .

على أن ذكر « رجال حزقيا » الذين نقلوا القسم الخامس من الأمثال (من فصل ٢٥ — ٢٦) يدلنا على العصر الذى كان فيه إنشاء محتويات « سفر الأمثال » قائما على قدم وساق . ونشاهد أن الدول الراقية قد لحظت ضرورة التفاهم فيما بينها ، ويدلنا على ذلك مراسلات « تل الهامة » ، ومراسلات « بوغاز كوى » ، والألفاظ الأجنبية الكثيرة التي نجدتها في اللغة المصرية في عهد الدولة الحديثة .

ويظن الدكتور « جرسمان » أن كلمة « ماهر » التي في ورقة « انسطاسى رقم ١ » ، وفي متون أخرى من متون الأسرة التاسعة عشرة ، تدل على جندى ، ترجمان ، كاتب ، كانت وظيفته أن يتعلم اللغات الأجنبية وعلم الجغرافيا . وهو يشبه في ذلك الضباط الحاليين .

كتاب « سفر الأمثال »

وتعاليم « أمنموي »

ظهر عدد عظيم من الأقوال المأثورة أمثالا في « سفر الأمثال » العبري ، وقد وجد ما يشابهها في تعاليم « أمنموي » مشابهة قوية في الأفكار وفي الأساليب ، مما آثار موضوعا طريفا للبحث ذا أهمية عظمى لعملاء كتاب « المهد القديم » . ولا يخفى أن بعض المقابلات في هذه الأمثال مما يوجد في كتالبت الحكماء في كل البلاد وكل العصور . على أن هناك أمثالا أخرى ليست بالقليلة تلفت النظر بشبهها العظيم في كلا الكتائين ، مما أوجد النظرية القائلة بأنها ترجع إلى أصل واحد ، فتكون هذه الأمثال العبرانية قد قُلت عن تعاليم « أمنموي » أو أن كلا من « المهد القديم » و « أمنموي » أخفعا من كتابات قديمة .

وقد لفت ما وجد متشابهها في كتاب « أمنموي » وفي كتاب « سفر الأمثال » علماء الألمان من المشتغلين بدرس كتاب المهد القديم ، وخلق لهم موضوعا جديدا ، وهو البحث عن الصلة بين الآداب العبرية ومدنيتهما ، ومصر القديمة .

وأول من بحث في هذا هو « أدولف أرمن » و « زيت » و « هيوبرت جريم » . وقد أتى كل منهم بمض الضوء على علاقة الكتائين ببعضهما ببعض ، ولكن البحث المستفيض في هذا الموضوع يرجع الفضل فيه إلى « هوجو جرسمان » في مقالته المشهورة :

'Die neugefundene Lehre des Amen-emope und die vorexilische Spruchdichtung Israels in Zeitscher. f. d. Altest Wiss 1924, 272—296'.

وفي كتابه الصغير :

'Israels Spruchweisheit im Zusammenhang der Weltliteratur'.

وفي هذين الكتائين شرح آراهما بالنسبة إلى العلاقة بين بعض أجزاء كتاب سفر الأمثال وتعاليم « أمنموي » .

وفيما يلي ما جاء في كتاب سفر الأمثال رصدناه حذاء ما جاء في تعاليم « أمنموي » جنبا لجنب حتى يرى القارئ القرابة بين الاثنين .

والواقع أن كتاب سفر الأمثال قد استعار أمثاله هذه من كتاب « أمنموي » . والرأي القائل بأن « أمنموي » قد أخذ من غيره ثم استمير منه سفر الأمثال لا يستند على حجة قوية إلى الآن . وهاك المقارنة :

« سفر الأمثال »

فصل ٦ : ٢١

اربطها على قلبك دائماً ، قلدها عنقك

فصل ١٢ : ٢٢

شفتا الزور رجس عند الرب والعاملون
بالصدق مرضاته

فصل ١٢ : ٢٣

الرجل الذكي يستر المعرفة
وقلب الجاهل ينادى بالحق

فصل ١٥ : ١٦ ، ١٧

القليل مع مخافة الرب خير من كنز
عظيم مع الاضطراب .
أكلة من البقول مع المحبة خير من ثور
ملوف مع البغضة .

فصل ١٦ : ٨

القليل مع العدل خير من الغلال
الكثيرة بغير حق .

تعاليم « أمموني »

مقطوعة ٣ : ١١ — ١٣

ولأنه لمن الخير أن تضعها في لبك
ولكن الويل لمن يهملها
ثم دعها تستقر في صندوق بطنك

مقطوعة ١٣ : ١٥ — ١٦

لا تتكلمن مع إنسان كذبا
فذلك ما يمتقته الله
[ثم يقول تأ كيذا لهذا]

مقطوعة ١٤ : ٢ — ٣

لأنه لمقوت من الله من يزور في كلام
لأن أكبر شيء يكرهه هو النفاق ؟

مقطوعة ٢٢ : ١٥ — ١٦

والرجل الذي يخفي أخباره في نفسه
خير من الذي يفشى شيئاً لضرره

مقطوعة ٩ : ٥ — ٨

والفقر على يد الله
خير من الغنى في المخازن
وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير
لك من ثروة مع شقاء

مقطوعة ١٦ : ١١ — ١٤

وخير للإنسان مدح الناس وجههم
له من الثراء في المخازن
وخير للإنسان أكل الخبز مع قلب

« سفر الأمثال »

فصل ١٦ : ٩

قلب الإنسان يفكر في طريقه والرب
يهدي خطواته

فصل ١٦ : ١١

لرب قبان القسط وميزانه . كل معاير
الكيس عمله

فصل ١٧ : ٥

المستهزئ بالمعوز يميّر صانعه والشامت
للمطرب لا يترك

فصل ١٨ : ٦

شفتا الجاهل تدخلان في الخصام وفيه
يدعو إلى التضارب

فصل ١٩ : ٢١

في قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن
مشورة الرب هي تثبت

تعاليم « أمنموبي »

سميد من الثراء مع الكدر

مقطوعة ١٩ : ١٦

والكلمات التي يقولها الناس شيء
والأشياء التي يفعلها الله شيء آخر

مقطوعة ١٧ : ٢٢ — ١٨ : ١ — ٥

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وأين يوجد إله عظيم مثل « نحوت »
الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
لا تصنع لنفسك موازين منقوصة
فإنها تزخر بجيوش عدة بقوة الإله

مقطوعة ٢٤ : ٩ — ١٢

لا تسخرن من أعمى ولا تهزأن من
قزم ولا تقسدين مقاصد رجل أعمى
ولا تحفظن رجلا في يد الله
ولا تكونن عابس الوجه حينما
يكون قد تمدى الحدود

مقطوعة ١٢ : ٥

ويجب بجواب يستحق الضرب

مقطوعة ١٩ : ١٥ — ١٦

والله دائماً في فلاحه
والإنسان دائماً في خيئته

« سفر الأمثال »

فصل ٢٠ : ٩

من يقول إني زكيت قلبي تطهرت من
خطيئتي .

فصل ٢٠ : ١٩

الساعي بالنميمة يفشى الأسرار
فلا تخالط فاجر الشفتين

فصل ٢٠ : ٢٢

لا تقل أجزي على الشر

بل انتظر الرب فيخلصك

فصل ٢٠ : ٢٣

معيار ومعيار رجس عند الرب وميزان
الغش ليس بصالح

تعاليم « أمنموبى »

مفطورة ١٩ : ١٨

ولا تقولن « ليس لى جريمة »

مفطورة ٢٢ : ١٣ — ١٤

ولا تنشرن أقوالك لآخر
ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما
فى قلبه

مفطورة ٢٢ : ٣ — ٦ ، ٧ — ٨

ولا تقولن أوجد لى مخلصا
لأن رجلا يكرهنى قد أضربى
وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
ولا يمكنك أن تعرف الغد
فاجلس بين يدى الله
ورزانتك ستتغلب عليهم

مفطورة ١٧ : ١٨ — ١٩

لا تتلاعبن فى كفتى الميزان ولا
تغشن الموازين ولا تنقصن من أجزاء
مكايل الغلال

وإذا كنا لم نلاحظ تشابها دقيقا فى الأمثلة السابقة وما يقابلها فى تعاليم « أمنموبى »
فإن الموازنة فيما سندكره بعد ستسفر لنا عن شبه قوى دقيق يدعو إلى الدهشة . بل سنرى
فصولا بأكملها فى كتاب سفر الأمثال قد أخذت عن تعاليم « أمنموبى » بنفس الترتيب
الذى كتبت به .

مفطورة ٣ :

فصل ٢٢ :

٩ — أسمع أذنيك واسمع (الكلمات)

١٧ — أمل أذنك واسمع كلام الحكماء

« سفر الأمثال »

ووجه قلبك إلى على

١٨ — فإنه يلد إذا حفظته في باطنك

وبفيض أيضا على شفيتك^(١)

— ١٩

إني ليكون اتكالك على الرب
علمتك اليوم^(٢)

٢٠ — ها إني كتبت لك حكما جلية
من المشورة والعلم^(٣)

— ٢١

لأعلمك حقيقة أقوال الحق لترد جواب
الحق للذين أرسلوك

— ٢٢

لا تسلب الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق
البائس عند الباب

تعاليم « أمنموبي »

التي تقال واشحد فكرك لتفسرها

١١ — وإنه لمن الخير أن تضمها في
قلبك

[١٢ — ١٥ ليس لها ما يقابلها في
سفر الأمثال]

١٦ — فإنها ستكون بمثابة وخر
للسانك

مقطوعة ١ : ٧

ليرشده إلى سبيل الحياة

مقطوعة ٢٧ : ٧ — ٨ تأمل لنفسك هذه
الفصول الثلاثين
فإنها تتمتع وتعلم

مقطوعة ١ : ٥ — ٦

ليعرف الإجابة (شفويا) عن سؤال
يلقى عليه
والرد على مسألة لمن يستفسر عنها

مقطوعة ٤ : ٤ — ٥

احذر أن تسلب فقيرا معدا
وأن تكون شجاعا أمام رجل
مهيض الجناح

(١) بحسب « جرسان » و « سبن » هي — أي الكلمات — إذا وعيتها كانت بمثابة
وتد لشفيتك .

(٢) ويرى « سبن » و « جرسان » أن يضاف إلى هذا « سبيل الحياة »

(٣) واستنادا إلى « سبن » تقرأ هذه الحكمة :

« ألم أكتب لك ثلاثين فصلا من المشورة والعلم ؟ »

« سفر الأمثال »

— ٢٣

[لا يقابلها شيء في أمنموبى]

— ٢٤

لا تصاحب الرجل الفضوب ولا تسأير
الإنسان الحق

— ٢٥

لثلا تعلم سبله وتأخذ لنفسك وهنا

— ٢٦ ، ٢٧

[لا يقابلها شيء في التعاليم]

— ٢٨

لا ترح الحدود القديمة التي وضعتها
آباؤك

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ١١ : ١٣ — ١٤

لا تخالطن الرجل الأحمق
ولا تدن منه للمخاداة

مقطوعة ١٣ : ٨ — ٩

فلا تقفز لتتنغم إلى هذا الرجل
وإلا يذهب بك الفزع

مقطوعة ٧ : ١٢ — ١٣

لا ترحزن الحد الفاصل بين الحقول
ولا تحولن موقع خيط المقياس

[سيأتى ذكر هذا مرة ثانية تحت الفصل ٢٣ : ١٠]

مقطوعة ٢٧ : ١٦ — ١٧ أمامن جهة

الكاتب المدرب في وظيفته
فإنه سيجد نفسه أهلاً لأن يكون
من رجال البلاط

مقطوعة ٢٣ : ١٣ — ١٨

لأننا كلن الخبز في حضرة الشريف
ولا تسكن أول من يلوك فيه
وإذا كنت مرتاحاً للمضغ الكاذب
فإن ذلك يكون مجرد تسلية
انظر إلى الوعاء الذى أمامك
واجعله يكفى حاجتك

٢٩ — أرايت الإنسان الذى يجد فى
عمله ! إنه يقف أمام الملوك ولا يقف
أمام الخاملين .

فصل ٢٣ :

١ — إذا جلست تأكل مع ذى سلطة
فتأمل أشد التأمل فيما أمامك
٢ — وضع سكيننا لخنجرتك
إن كنت ذا شره
٣ — لانتشته أطايبها فإنها طعام غرور

« سفر الأمثال »

٤ -

لا تغمب لتستغنى

عد عن فطنتك هذه (١)

• (١) أنطمح عينك إلى ما لا يكون (٢)

تعاليم « أمنموبي »

مقطوعة ٩ : ١٤ - ٢٠

لا تجهدن نفسك في طلب المزيد
عندما تكون قد حصلت (بالفعل)
على حاجتك

لأن الثروة لو أتت لك عن طريق
السرقه فإنها لا تمكك معك سواد
الليل

إذ عند مطلع الفجر لا تكون في
بيتك وسترى مكانها ولكنها تختفي
فربما ففرت الأرض فاما فتأخذها
وتبتلمها

مقطوعة ١٠ : ١ - ٣

وتنوص بها في « ناي » العالم السفلى
أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا
بقدر حجمها

ثم تفيض بنفسها في مخزن الفلال

مقطوعة ١٠ : ٤ - ٥

أو أنها تعمل لنفسها أجنحة كالإوز
وتصعد في السماء

مقطوعة ١٤ : ٥ - ٦

لا تقتنصن متاع تابع
ولا تتطلعن لخبزه

• (ب) -

إن الفنى قد صنع لنفسه جناحين
وطار كالنسر إلى السماء

٦ -

لا تأكل خبز شرير العين
ولا تشته أطايبه

(١) بدلنا الوزن على أن هناك كلمة محذوفة . إلا أننا نلاحظ أن « سميسن » ذكر هذه الحكمة مختلفة اختلافا تاما ، إذ يقول : « قف عن الاستعداد للقوة » وهو يرى أن الحكمة المثار إليها في وضعها الحالي تؤدي معنى الأسطر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من تعاليم أمنموبي على وجه موزج
(٢) ذكرها « سميسن » بالشكل الآتي : « ألم يعمل مجهودك لنفسه أجنحة ثم أصبح كأن لم يكن »

« سفر الأمثال »

٧ (١) —

فإنه كما نوى في نفسه كذلك يكون

٧ (ب) —

يقول لك كل واشرب وقلبه ليس معك

٨ —

لتمتلك التي أكلتها تقيها وتضيع
كلماتك المذبة

٩ —

لا تكلم في مسمع الجاهل فإنه يستهين
بما في أقوالك من الفضل

١٠ —

لا تزع الحدود القديمة ولا تدخل حقول
الأنعام

تعاليم « أمموي »

مقطوعة ١٤ : ٧ - ٨

والواقع أن متاع التابع شجا للحلق
ومقيء للزور

مقطوعة ١٤ : ٩ - ١٠

وعندما يحصل عليها بالآيمان الكاذبة
تنمكس رغبته ببطنه

مقطوعة ١٤ : ١١ - ١٦

[ليس لها ما يقابلها في كتاب سفر
الأمثال]

مقطوعة ١٤ : ١٧ - ١٨

ولقممك الضخمة من الخبز تلتهمها
وتقيها
وأنت إذن قد جردت من متاعك

مقطوعة ٢٢ : ١١ - ١٢

لا تفضن بقرارة نفسك إلى كل
إنسان ولا تظنن بذلك نفوذك

مقطوعة ٣٠ : ٧ - ١٢، ٨، ٩

لا ترحزن الحد الفاصل بين الحقول
ولا تحولن موقع خيط المقياس
ولا تطمنن في ذراع واحد من
الأرض

ولا تظننن بمحدود الأرملة (أى
لا تمتد عليها)

احترس من أن تغير حدود الأرض
المنزعة

« سفر الأمثال »

١١ -

فإن وليهم مقتدر وهو يخاصم لخصومتهم
ملك

فصل ٢٤ : ١١

أنتخذ السواقين إلى الموت
ولا تحذل القودين إلى القتل

٣٩ -

لا تقل كما صنع بي هكذا أصنع به

تعاليم « أمنموبي »

مقطوعة ٨ : ١٠

ولا يذهب بك الفرع

مقطوعة ١١ : ٦ - ٧

لا تصيحن « جريمة » في وجه إنسان
عندما يكون سبب فراره خفيًا

مقطوعة ٥ : ٢

لأننا لا نرتكب ما ارتكبه

قد تكون الموازنة فيما سندكره بعد غير واضحة . لكنني أرى أن الأمثال وما يقابلها من تعاليم « أمنموبي » كانت نواة « المهد الجديد » وهي التي نسج عليها الحكماء المصريون والصربون مثلهم العليا .

مقطوعة ٥ : ١ - ٦

حرك اللفة حتى يمكن الرجل الخليل
أن يعبر إلينا (؟)
لأننا لا نرتكب ما ارتكبه
أرفقه ومد يدك له
وأسله إلى ذراعي الإله
وأملأ جوفه بخبزك
حتى يشبع ويبي

مقطوعة ٢٢ : ٥ - ٦

وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
ولا يمكنك أن تعرف الند

فصل ٢٥ : ٢١

إن جاع مبغضك فأطعمه خبزاً
وإن عطش فاسقه ماء

فصل ٣٧ : ١

لا تفتخر بيوم الند
فإنك لا تعلم ماذا يلد ذلك اليوم

« سفر الأمثال »

فصل ٢٧ : ١٤

من بارك صديقه بصوت جهير في الصباح
مبكرا تحسب بركته لمنة

تعاليم « أمنموبى »

مقطوعة ١٣ : ١١ - ١٤

لا تصاغفن قرنك الأحمق على
الزغم منك
ولا تحزن قلبك من أجل ذلك
ولا تقولن له « السلام عليكم » رياء
عندما يكون فى باطنك حقد

وأما الفصول الباقية من كتاب « سفر الأمثال » فهى بعيدة عن موضوع بحثنا، إذ أن التشابه بينها وبين تعاليم « أمنموبى » معدوم . وقد عالجها العالم « جرسمان » تأييدا لنظريته القائلة بأن المدنية والأدب القديم كانا إرثاً مشاعاً بين الدول المختلفة .

التأملات

إن هذه التسمية وإن كانت تشير إلى موضوعنا إلا أنها لا تنتظم كل نواحيه ، فليس موضوع القطع التي سنعرضها قاصراً على التأمل والتفكير ، بل إنه يرى فوق ذلك إلى غرض اجتماعي عظيم هو إصلاح الحال ، وتديير أمور الناس ، وضبط ما اختل من أصول المجتمع الذي يضم شتيهم ويسير بسفينتهم .

وقد أخذ هذا النوع من الأدب يظهر في البلاد على أثر سقوط الدولة القديمة مباشرة ، فقد كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات ، تنفزع فيها البلاد من وقت لآخر بغزو الأجانب وشرور الثائرين . فلم يأمن الأحياء في بيوتهم أن يسرقوا أو يقتلوا ، ولم يأمن الموتى في أهرامهم أن يسلبوا وينهبوا ، حتى عمت البلاد موجة من الذعر والهلح وتطلع الناس إلى يد رحيمة تضمد جراحهم وتسكب عليهم فيضاً من الأمن والاطمئنان ، بهذه الحال تأثرت القلوب فانطلقت الأقلام تصف الكارثة ، وتلتبس في عماية الفوضى مسلكا نيرا يصل بالبلاد إلى مأمنها ، ويغلب عليها الأمل حيناً فتنبأ بمستقبل باسم ، وتبشر نفسها بمهد سعيد مزهر دائم .

وإذا كانت المصور الحديثة قد علمتنا أن للأدب وحياً ، وأن هذا الوحي تنتشره النفوس ويصل إلى موضع الإحساس من القلوب فيدفع بالإنسان إلى الغاية التي رسمها القلم وهدف إليها الكاتب أو الأديب ، فإننا نجد كذلك أن رجال المهد القديم قد أدركوا أن للأدب أثراً فعالاً فاتخذوه وسيلة إلى التقويم والإصلاح .

وكما أن شارلز ريد في عصرنا هذا وصل إلى غايته من إصلاح السجون في إنجلترا بقصته Charles Rede, It is Never Too late To mend ، وكما أن قصة كوخ الم «توم» للكاتبة الأمريكية (= Harriette Beecher, "Uncle Tom's Cabin.") حققت هدفها في نصرة زواج أمريكا ، والسيد عبد الله النديم نجح في تنبيه المصريين إلى حقوقهم المسلوبة من طريق الكتابة والرواية وسحر القلم ، فكذلك كان كتابنا القدامى يلجئون إلى الكتابة كملاج يسكنون به ما حاق بالأمة من أمراض وأوجاع ، ويلتمسون من نقيمتها البرء والشفاء لجسم الأمة المريض المنكوب . ولقد وصل الكتاب المصريون القدامى إلى هدفهم أيضاً ، فبدأ صلاح الحال على يد الملك العظيم «أمنمحات» مؤسس الأسرة الثانية عشرة . وسنعرض هذه التأملات تباعاً مراعين في سردها الترتيب الزمني لكل منها على قدر ما وصل إليه استنتاجنا .

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه

مقدمة

لقد كان من نتائج تدهور البلاد وتمزيق أوصالها في المهد الاقطاعي أن عمت الفوضى ، وساءت الأخلاق ، وفسدت العقائد الدينية إلى درجة يقصر عنها الوصف ، حتى إن الجم الغفير من الناس وخاصةً المعلمين منهم قد اعتنقوا مذهب التشكك ، فألقوا بتعاليم آبائهم ظهرياً ، ورأوا الحياة مسرحاً لإشباع الشهوات النفسية وداراً لترك حسن الأحدثة بعد الموت . وقد أعقبت هذه الأفكار عند بعض الناس حالة من سوء الظن لا يرجى معها خير ، وساءت الأخلاق ووقع الناس في الإثم إلى الأذقان ، ولم يهتموا بحسن الأحدثة التي كانوا من قبل شديدي الاحتفال بها ، كما نشاهد ذلك في أغنية الضارب على العود التي سنورهاها في فصل الفناء .

وهذا الموقف الغريب الغامض الذي نشاهده في حالة مصر قد مثل لنا في ورقة هامة محفوظة الآن في متحف برلين ، وهي الوثيقة التي سميتها « شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه » . ولا يفوتنا أن نذكر القارئ هنا بأن العنوان الأصلي قد فقد بسبب تهشم الورقة ، وقد كان الاعتقاد عند المصريين أن الروح كائن حي مستقل عن جسد الإنسان ويمكنه أن ينضم إليه عند الموت ويمكنه كذلك أن يقف بجانبه موقف إخلاص .

وموضوع هذه المحاوراة العام هو التشاؤم المخيم الذي نتج من الحالة السالفة الذكر واليأس الذي أفضى إلى الموت ، والموت هو المخلص الوحيد من حياة عابثة شقية ، ولا يحفز المصري القديم إلى اختيار مثل هذا الموضوع في عهود التاريخ الأولى إلا إذا كانت الحالة قد وصلت إلى حد الحرج والألم . فهذا الموضوع يدل على الحالة العقلية والتجارب الباطنة التي جربتها شخصية معذبة كانت تتألم مما حاق بها من الظلم وسوء الطالع ؛ وبذلك يعد هذا الموضوع أقدم قطعة أدبية لبابها تجربة روحية وشعور شخص نحو الحياة في تلك المصور البائدة ، وهي في نظرنا تمد أقدم كتاب يمثل لنا صورة من قصة نبي الله « أيوب » المبتلى عليه السلام . وقد كتب هذا المقال طبعا قبل أن تظهر قصته بنحو ألف وخمسمائة سنة .

ومما يؤسفنا أن المقدمة التي تقص علينا أسباب ذلك الاضطراب الروحي قد فقدت مع العنوان الذي سميت به القصة . غير أن بمض الحقائق التي كان يجب أن تحتويها تلك المقدمة والتي كانت تضع أمامنا أسباب تلك المحاورات يمكن استنباطها من المحاورات ذاتها .
والمتشائم الذي نحن بصده (لأننا لم نعرف له اسما) كان رجلا لطيف الروح ، ولكنه قد دهمه الحظ المائر ولازمه المرض فابتعد عنه أصدقاؤه حتى إخوانه الذين فرض عليهم سواسته في مرضه ، ولم يجد في دنياه خلا وفيها .

وفي وسط هذه الغمرة التي طوته بين لججها سرق جيرانه متاعه ونسوا ما عمله معهم من صالح بالأمس .

وبالرغم من أنه عرف بالحكمة فقد حيل بينه وبين الدفاع عن حقه وقد حكم عليه ظلما ؛ فلوث اسمه وهو الجدير بالاحترام ، وبدت سيرته خبيثة الرائحة تركم الأنوف ، وإن كانت في حقيقتها نقية طاهرة .

وفي ذلك الوقت العصيب عندما كان يسبح في ظلمات اليأس بدت له بارقة من الراحة في الانتحار ، فتراه على حافة القبر وروحه تفر فزعة من الظلمة وتأبى عليه أن تطاوعه في فعلته تلك . ثم ندرك من محاورة طويلة أن ذلك المنكود الطالع كان يتكلم مع نفسه ، ويناجي شخصا جرده من روحه كأنه يتحدث مع ذات أخرى .

وقد كان أول الأسباب التي جعلت روحه تعصيه وتمتنع عن متابته إلى الحياة الآخرة خوفها ألا تجد طعاما في القبر بعد الموت .

وقد يظهر ذلك غريبا جدا لأول وهلة من رجل يشك كثيرا في مثل تلك الممدات التي كانت تعمل للمتوفى عند تشييعه إلى آخرته . ولكن غرابنا تزول إذا أدركنا أن هذا التعليل الذي التمسته الروح ليس إلا حيلة أدبية أراد الكاتب أن يتخذ منها فرصة للتنديد بتلك الممدات الجنازية التي كان يهتم بها كل مصرى ما عاش في دنياه .

والظاهر أن روحه نفسها قد اقترحت عليه الانتحار حرقا ، ولكنها فرت بنفسها من تلك النهاية الفظيعة .

ولما لم يكن من بين الأحياء صديق أو قريب حميم لتلك النفس يقف بجانب نغمس صاحبها ويحتفل بجنائزه أخذ يستحلف روحه أن تقوم له بكل ذلك ، ولكن الروح أبت عليه الانتحار بأى شكل كان . ثم أخذت تصف له فظائع القبر : « ثم فتحت روحي فيها وأجابت عما قلته : إذا تذكرت الدفن فإنه حزن ، وذكراء تثير الدمع وتغم القلب أسي ، فهو ينتزع الرجل من

بيته ويليقي به على الجبل (أى الجبانة) ولن تخرج قط ثانية لترى الشمس . على أن هؤلاء الذين بنوا بالجرانيت الأحمر الجميل وصاروا مثل الآلهة ترى هناك موائد قربانهم خاوية كموائد أولئك المتممين الذين يموتون فوق الجسر من غير خلف لهم ، فيبتلع الفيضان ناحية من أجسامهم وتلفحهم حرارة الشمس أيضا ، ويلتهمهم سمك شاطئ النهر ويعيث بهم . أصغ إلى ، وإنه لجدير بالناس أن يصغوا . تمتع بيوم السرور وانس الهموم .

كان ذلك جواب الروح عندما تمثل أمامها منظر الموت المألوف . وقد أكد ذلك قول التشائم : « من كان في هرمه ومن وقف أحد الأحياء بجوار سرير موته كان سميذا ، وقد سعى أن تقوم روحه بدفنه بتقديم القرابين له وتقف عند القبر يوم الدفن لتجهز السرير في الجبانة » ولكن كان مثله مثل ضارب العود في أنشودته إذ تذكرت روحه قبور العظماء التي خربت ، وموائد قربانهم التي خوت وصارت مثل موائد العبيد التمساء الذين ماتوا كالذباب في وسط الأعمال العامة على جسور الري ، وقد صارت أجسامهم عرضة للحر اللافت والسمك الملتهم في انتظار الدفن ، فلم يكن هنالك إلا حل واحد للتخلص من كل ذلك وهو : « أن يعيش الإنسان ناسيا حزنه منغمسا إلى آذانه في السرور ، ويلاحظ أنه إلى هنالم تختلف هذه المحاورة التي تنحصر كل فلسفتها في أن يأكل الإنسان ويشرب وفي أن يكون مرحا في يومه لأنه سيموت في غده ، عما جاء في أغنية الضارب على العود ، ولكننا بعد ذلك نجدها تأخذ في الخروج والافتراق عن زميلتها بنتيجة خطيرة تمتاز بها عن تلك الأنشودة ؛ إذ صارت تستدل على أن الحياة فوق أنها لم تكن فرصة للسرور والملاذ الدائمة ، فإنها عبء ثقيل أثقل من الموت لا يمكن احتمالها . وقد وضع ذلك في أربع مقطوعات شعرية خاطب بها ذلك التمس روحه ؛ وتلك المقطوعات هي التي تؤلف الجزء الثاني من تلك الوثيقة . ولحسن الحظ نجدها مفهومة بدرجة عظيمة أكثر من الجزء الأول منها . والمقطوعة الأولى تصف لنا مقت العالم بغير حق لاسم ذلك التمس ، وتكون كل ثلاثة أبيات منها مقطوعة تبتدىء بالمقطع التالى « إن اسمي ممقوت » . ثم يرى الكاتب بعد ذلك أن يقوى ذلك المقطع بذكر شيء ممقوت مما يوجد في حياة الشعب المصرى اليومية ويسمه بسمته المبهضة له وخاصة رائحة السمك النتنة والقاذورات التي كثيرا ما نشاهدها في حياة سكان وادى النيل . وهاك المقطوعة الأولى .

مقت اسمه ظلما

« انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام الصيف عندما تكون

السما حارة . انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من مقت صيد السمك في يوم صيد
تكون السماء فيه حارة .

انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة الطيور وأكثر من تل الصفصاف المملوء بالإوز
انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة السمك وأكثر من شواطئ المستنقعات

عندما يصاد عليها

انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة التماسيح

وأكثر من الجلوس حيث التماسيح

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من زوجة عندما يقال عنها الأكاذيب لزوجها

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من صبي شديد قد قيل عنه إنه لمن يكرهه^(١)

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من مدينة

وأكثر من نازي ولّي الأديار

ومع أن ترديد ذلك الشعر يدل على أن اسم ذلك الرجل قد صار تنافيا في أنوف أصدقائه
إلا أننا نجد في الشعر الثاني يترك ذكر نفسه ليهم بأولئك الذين كانوا سببا في تماسه ، ففراهم
يلقى نظرة على مجتمع أهل عصره فلا يجد فيه فاشيا إلا الرشوة والخيانة والظلم وعدم الإخلاص
حتى بين أسرته هو .

وهذا الشعر أيضا هو شكوى مرة كان يستهل كل مقطوعة منه دائما بجملة استفهامية
خرج فيها الاستفهام عن معناه إلى التوبيخ أو التحقير ، وهي « لمن أنكلم اليوم ؟ » وربما كان
يقصد بذلك : أي صنف من الناس هؤلاء الذين أخاطبهم ؟ وقد كان الجواب الذي يعقب كل
استفهام برهانا جديدا لمقاصده . وهاك ما قال في ذلك :

الشعر الثاني

لمن أنكلم اليوم ؟ الإخوة شر وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب

لمن أنكلم اليوم ؟ الناس شرهون . وكل إنسان يقتال متاع جاره

(١) لا شك يقصد أنه ولد من أم أخرى

لمن أنكم اليوم ؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب في كل مكان^(١)
لمن أنكم اليوم ؟ فإن من كان ذا وجه طلق أصبح خبيثا وأصبح الخير ممقوتا في كل مكان
لمن أنكم اليوم ؟ فإن الذى يستفز غضب الرجل الطيب بأعماله الشريرة يجعل كل
الناس يضحكون^(٢) حينما تكون خطيئته شنيعة

لمن أنكم اليوم ؟ الناس يسرقون وكل إنسان يفتصب متاع جاره
لمن أنكم اليوم ؟ فقد أصبح الرجل المريض هو الصاحب الذى يوثق به . أما الأخ الذى
يعيش معه فقد صار العدو^(٣)

لمن أنكم اليوم ؟ لا يذكر أحد الماضى ولن يفعل أحد الخير لمن يسديه إليه
لمن أنكم اليوم ؟ الإخوة شر ، والإنسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله
لمن أنكم اليوم ؟ إذ لا ترى الوجوه ، وأصبح كل إنسان يلتقى بوجهه فى الأرض
إعراضا عن إخوانه^(٤)

لمن أنكم اليوم ؟ والقلوب شرهة والرجل الذى يعتمد عليه القوم لا قلب له
لمن أنكم اليوم ؟ فالصديق الذى يعتمد عليه أمسى معدوما وأصبح يعامل الإنسان كأنه
رجل مجهول رغم أنه قد جعل نفسه معروفا

لمن أنكم اليوم ؟ إذ لا يوجد إنسان فى سلام والذى ذهب معه لا وجود له^(٥)
لمن أنكم اليوم ؟ فأنى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى^٦
لمن أنكم اليوم ؟ فالخطيئة التى تصيب الأرض لا حد لها

لقد نئحت روح ذلك المتألم عن الموت ثم أخذت تقترح عليه أن يعيش عيشة اللهو
والملاذ مثل الذى جاء فى أنشودة الضارب على العود . ولما أحس من أعماق قلبه فظاعة الموت
وأخذ يفهم عدم فائدة العناد المادى المحض لدفع غائلة الموت عنه . نكص على عقبيه مدة
قصيرة ثم عاد يتأمل فى الحياة . والنظمان اللذان دونهما هنا يصوران لنا ماذا رأى عندما
رجع لبحث الحياة . أبا ما يلى فهو وثبة منطقية تدل على أنه ليس هناك أى بصيص من

(١) تكرر هذا البيت فى التعذيرات

(٢) يسخر الناس من الرجل الطيب عندما يستفزه الخبيث

(٣) قد يعنى بما أن أأاربه قد هجره فانه لم يعد له صديق الآن إلا من كان فى حالة سيئة

(٤) أى أنه لا يوجد إنسان يواجه إنسانا آخر وجها لوجه

الأمل في الحياة مع الاعتناق التام بأن الموت هو الخلاص الوحيد من ذلك البؤس الذي صار مغموراً به .

والنظم الثالث أنشودة قصيرة في مدح الموت . غير أنها ليست بحثاً سامياً في فوائد الموت مثل الذي نلقى به أغلاطون بعد ألف وخمسمائة سنة من ذلك العهد في قصة موت سقراط ، كما أنه لا يمكن قياسه ببقيدة التشاؤم الفلسفية التي جاء ذكرها في سفر ابتلاء « أيوب » النبي صلوات الله عليه ، ولكنها تعد أقدم صيغة ذكرت عبرها الإنسان الذي عذب ظمناً عن الموت وأول صرخة من متألم يرى وصل إلينا صداها من عهود ذلك العالم القديم . وهي بحق تعد ذات قيمة فريدة قد لا تخلو من جمال بما احتوته من حرارة نفسية خلابة

ومما يلفت النظر أنها لا تحتوى على أية فكرة عن الإله ، بل هي تبحث عن التخلص السار من آلام الماضي التي لا تحتمل دون أن تتطلع إلى المستقبل ، وقد كان من خصائص العصر والجو الذي نشأ فيه ذلك النظم ، ظهور ذلك التخلص السار في شكل صور محسوسة مأخوذة من الحياة اليومية لسكان وادي النيل الأقدمين . وهاك ما قاله في ذلك :

الموت خلاص سار « إن الموت أمامي اليوم كالريض الذي يقدم على الشفاء وكالغهاب إلى حديقة بعد المرض

إن الموت أمامي اليوم كرائحة بخور المر وكإنسان يقعد تحت الشراع في يوم شديد الريح
إن الموت أمامي اليوم كرائحة زهرة السوسن وكما يقعد الإنسان على شاطئ السكر
إن الموت أمامي اليوم مثل مجرى النهر الصغير ومثل عودة الرجل من سفينة
حربية إلى داره

إن الموت أمامي اليوم كسماء صافية ومثل رجل يصطاد طيوراً لا يعرفها
إن الموت أمامي اليوم كمثل رجل يتوق لرؤية منزله بعد أن مضى سنين عدة في الأسر »
وبالرغم من أن تلك الصور مأخوذة من الحياة الدنيا المتوعدة في القدم فإن معظمها غير مألوف لنا إلا أنها لم تفقد كل تأثيرها في أنفسنا ، إذ نجد فيها الحياة مشبهة بمرض طويل يشقى بالموت مثلاً يدخل النافق حديقة جميلة ، والموت مثل عير المر تحمله ريح النيل العذب ، ومثل المسافر يجلس تحت الشراع الذي تزجيه الريح ، وأوبة المحارب المهوك القوى الذي كان يسير في المياه البعيدة ثم يقترب من وطنه أو مثل السرور الذي يحدث في نفس الأسير المائد من المنفى النائي إلى الوطن السميد . فتلك الصور لها تأثيرها الكبير في نفس كل

إنسان في أى عصر وفي أى جو .

وموضوع النظم الرابع هو النظرة العاجلة إلى المستقبل النهائي الذى لم تتعرض لذكره الأنشودة السابقة ، ونجد كلا من مقاطعه الثلاثة يبتدىء بقوله : « إن الذى هنالك » وهى جملة عادية ، وبخاصة لأنها قد وردت بصيغة الجمع : « إن الذين هنالك » ويقصد بهم الأموات ، وهم الذين رأيناهم مذكورين فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » و « إن الذى هنالك » سيكون نفسه إلها « ويوقع عقاب الشر على مرتكبه » لا على البرىء كما هو الحال فى حياة ذلك الشمس الذى نحن الآن بصدد « وإن الذى هنالك ينزل فى السفينة السماوية مع إله الشمس وسيرى أن أحسن القربان تقدم لمعابد الآلهة ولا تصرف (عبثا) فى الرشوة أو يسلبها السارق من الموظفين »

و « إن الذى هنالك » هو حكيم محترم لا يطرد عندما يشكو إلى الموظفين الفاسدين ، بل يوجه شكايته إلى إله الشمس (رع) ويهيب له تلك الفرصة بوجوده يوميا مع الإله .

وقد أعلن ذلك الشمس فى بداية شجاره مع روحه أنه مقتنع ببراءته فى عالم الآخرة . ثم هو يعود مرة ثانية إلى ذكر ذلك الاقتناع فى النظم الرابع الذى هو خاتمة تلك الوثيقة المهمة . وبذلك تكون محتزمة بمحل يوافق الحلول التى كان أدركها نبي الله « أيوب » عليه السلام ، وهى الالتجاء إلى العدالة فى الحياة الأخروية — ولو أن « أيوب » عليه السلام لم يتخذ من مرضه مبررا لطلب الموت — وهو بذلك قد جعل الموت طريقا إلى الدخول فى قاعة المحاكمة الإلهية ، ولذلك كان سعيه إلى بلوغ تلك النهاية سعيًا سريعًا لا هوادة فيه ، فيقول :

الميزات السامية للقائنين هنالك (يعنى فى الآخرة)

إن الذى هنالك سيقبض على المجرم كأنه إله ويوقع عقاب الإجرام على من اقترفه
إن الذى هنالك سيقف فى سفينة الشمس ويجعل أحسن القرائن هنالك تقدم للمعابد
إن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ مصليا (رع) حينما يتكلم .

ولما كان هذا الشمس يتوق للخلاص السار الذى يهيئه له الموت ، وكان يظهر عليه أنه قد استعاد بعض الثقة بما كان سينعم به من الميزات السامية فى عالم الآخرة ، فإن روحه تستسلم له فى النهاية فيدخل فى ظلال الموت ويسير فى طريقه ليكون مع أولئك الذين هنالك على أننا نحن بدوينا نرغب بشئ من الإحساس الرهف هذا الرجل المجهول الاسم

الذى يمد أقدم روح بشرية معروفة لنا يذهب إلى تلك الحجرات الماخلية في عالم الآخرة .
وقبل أن نختم كلامنا عن هذه الوثيقة نقول إن بعض من كتب عنها يرى أن فيها ما يمثل
رجلين : أحدهما يرى أن الموت هو الخلاص الوحيد للإنسان إذ يعيش بعده في عالم سلام
وأمان . والثاني رجل شهوة يرى أنه من الواجب على الإنسان أن ينسى كل أحزان الحياة
وآلامها وأن يجعل السرور وحده يسيطر على حياته .

المصادر :

المصادر الهامة التي يعتمد عليها في درس هذا المقال ما يأتي :

(1) Pieper " Die Agyptische Literatur " pp. 26. ff.

(2) Peet, " A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine
and Mesopotamia " pp. 114 ff.

(3) Breasted, " The Dawn of Conscience, " pp. 168. ff.

(4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians, " pp. 86. ff.

(5) A. Mekhitarian, " Chants de Détresse et d' Amour, " pp. 4. ff.

وقد طبع الأصل المصري القديم الأستاذ إرمان في :

Erman, " Abh. der Berliner Akademie in 1896.

« شكوى خنبر رع سنڤ »

هذه الوثيقة الأدبية واحدة من سلسلة المقالات التي كتبها مؤلفوها يشكون فيها الحالة التي وصلت إليها البلاد من التدهور الأخلاقي والانحطاط الأدبي والفوضى الشاملة في المهد الإقطاعي . والظاهر أن كاتبها عاش في عهد الملك « سنوسرت » الثاني كما يستدل على ذلك من اسمه . لأن لفظة « خنبر رع » هي اللقب الرسمي الذي كان يحمله « سنوسرت » الثاني ، وكلمة « سنڤ » معناها الصحة ، فيكون معنى اسم كاتبها « خنبر رع في صحة » . وهذه طريقة في التسمية للأعلام نجدها منذ الدولة القديمة ، فيقال مثلاً « خنرع عنخ » أى « خنرع عايش » وهكذا .

وهذه الوثيقة رغم أنها تنسب إلى الدولة الوسطى فإنها كثيرها وصلت إلينا مكتوبة على لوحة تلميذ من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول من عنى بحل رموزها الأستاذ « جاردنر » ، والورقة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى . على أن مجرد وجود هذه الوثيقة مكتوبة على لوحة تلميذ بعد تأليفها بعدة قرون لا كبر دليل على أنها كانت من القطع الأدبية المختارة التي كانت تعتبر نماذج للأسلوب الراقى وطلاوة العبارة . ولا غرابة في ذلك ، فإن مؤلفها كان يبحث وراء الأسلوب الجميل والكلمات الحكيمة ليعبر عن مقصده ، ولذلك جعل عنوان مقاله : « جمع الكلمات ، وقطف الحكم ، والبحث وراء التعابير ، ومناجاة القلب التي ألفها كاهن عين شمس . . . » « خنبر رع سنڤ » الذي يسمى « عنخو » أيضاً . ومن غريب الاتفاق أن اسم هذا المؤلف قد جاء ذكره بين أسماء أعلام الكتاب الذين كانت لهم شهرة عظيمة في الأدب المصرى ، ومن كان يضرب بهم المثل في عهد الرعامسة عند التحدث على المؤلفين الذين بقيت كتاباتهم خالدة .

على أن مقال هذا الكاتب العظيم له أهمية خاصة ، إذ يدلنا ما جاء في أوله على أمثال أولئك المؤلفين الذين كانوا يعيشون في المهد الإقطاعى شاعرين في قرارة أنفسهم بحاجتهم إلى الوثوب ، ومفكرين في توجيه جديد لحالتهم ، وأنهم قد أقلموا عن التلطف التقليدى الذى كانت تتميز به نصائح آبائهم . ويفتح كاهن عين شمس هذا مقاله القصير بما يأتى : « ليتنى كنت أعرف صيفاً للكلام لا يعلمها أحد ، وأمثالا غير معروفة أو أحاديث جديدة لم تذكر (يعنى من قبل) خالية من التكرار ، لا الكلام الذى تحدث به من زمن بعيد

مضى ، وهو ما تكلم به الأجداد . . . » لقد تحدثت بحسب ما رأيت مبتدئا بأقدم الناس إلى أولئك الذين سيأتون بعد . . . »

« إن العدالة قد نبئت في حين أن الظلم قد أخذ مكانه في وسط قاعة المجلس
وخطط الآلهة قد انتهكت حرمتها ، وأهملت نظمها ، والبلاد صارت في م ، والحزن عم كل
مكان ، وصارت المدن والأقاليم في عويل ، وكل الناس صاروا على السواء يرزحون
تحت عبء الظلم . . . »

« أما الاحترام فإن أجله قد انتهى . . . »

« وعند ما أريد أن أتحدث عن كل ذلك تنوء أعضاء جسمي بحمله ، وإني من أجل قلبي
لحزون . وإنه لألم أن أهدى روعي من جهته . إذ لو كان قلب آخر لاشفى (ولكن) القلب
الشجاع في الملمات يكون رفيقا لسيده ، ليت لي قلبا يتحمل الألم . فنحن كفت أطعمين إليه ...
» تمال إذن لأنكلم إليك يا قلبي . لتجيبني عن كلامي ، ولتفسر لي ماهو كائن في الأرض
. . . لأنني أفكر فيما قد حدث .

« إن المصائب تقع اليوم ، ومصائب الندم تأت بعد ، فكل الناس لاهون عن الندم مع
أن كل البلاد في اضطراب عظيم ، وليس إنسان خاليا من الضر فإنه يصيب جميع الناس على
السواء والقلوب بالحزن مغممة . فالأمر والمأمور صاروا سواسية ، وقلب كل منهما راض
والناس عليه (يعني الضر) يستيقظون في صباح كل يوم ، ولكن القلوب لا تنبذه ، ولا تزال
اليوم على ما فعلته بالأمس ، ولا يوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان غاضب يتكلم ، والناس
تستيقظ في الصباح كل يوم لتألم ، وإن مرضى لثقيل وطويل ، والرجل الفقير ليس له حول
لنفسه ولا قوة ليتخلص ممن هو أشد منه بأسا

« وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان صامتا عن الأشياء التي يسمعها ، وإنه لمؤلم أيضا أن
يجيب الإنسان الرجل الجاهل . »

ففي ذلك المقال نجد إنسانا قد تحركت نفسه من أعماقها لأنها أثرت بما شاهده من
الفساد ، فهو يتأمل في هذا المجتمع وينظر إليه نظره إلى أسرة مترتبة متساندة ، ويؤله
ما يراه من قيود تكبل هذا المجتمع ، وتنحو به نحو الشقاء ، كما يؤله قصور المجتمع عن
إدراك شقائه ، وعجزه عن إصلاح حاله إن أدرك شيئا من هذا الشقاء .

ولقد تحدث عن نفسه في كل مذهب إليه ، وإن كان يعني بما قال مجتمعه
الذي يعيش فيه .

على أن كثيرا من تلك الأفكار يمكن أن نجد لها مكانها الآن عند بعض الناقدين الاجتماعيين في عصرنا هذا ممن امتازوا بحاستهم الخلقية الرفهة . وصدور مثلها في هذا الزمن القديم يدل على الوقت الذى استيقظ فيه القوم لأول مرة في تاريخ البشر وشعروا فيه شعورا عميقا بما أصاب المجتمع البشرى من الانحطاط الخلقى .

ويعود سبب هذه الحالة الجديدة التى وصل إليها أولئك المفكرون الاجتماعيون إلى وجود إدراك خلقى حساس أخذ في النمو ، وإلى بعض العوامل التى ساعدت على عدم انخداعهم بالظواهر .

فهؤلاء المفكرون كانوا قد تأثروا تأثرا عميقا بتدبرهم الحياة البشرية الاجتماعية فوق الأرض ، والصير الإنسانى فيما بعد الموت — فأنكشفت لهم تلك الحقيقة المحزنة ، وهى عدم فائدة العوامل المادية المحضة التى كانوا يمولون عليها لضمان سعادة الروح فى الدار الآخرة . فهذه الأمور المادية التى كانت تؤدي تقليدا للأجداد ويرجع تاريخها إلى أزمان غابرة ، قد انتهت ، وبانهارها ذهب معها كل ما كان معتبرا لضمان حياة الإنسان فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .

ومن المحتمل أن تقهّم التقليدية المتينة فى فطنة أجدادهم كانت قد انهارت من أساسها انهياراً عنيفاً . وإذا كانت تلك حالهم فى تجاربهم التقليدية الموروثة فيما يختص بالحياة فى عالم الآخرة . فإن حالتهم فى تجاربهم عن الحياة الدنيوية كانت أسوأ مآلا . فقد قام فى فترة ألف سنة (أى منذ عهد مينا) نظام قومى ثابت الأركان فى البلاد المصرية القديمة كان يمثل ويحافظ عليه الفرعون بصفته نائبا عن الله فى الأرض ، وكان اسم ذلك النظام « ماعت » أى (الصدق — الحق — العدالة) .

ولكن هذا النظام كذلك قد أخذ بدوره ينهار ، فقد وجد فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » بالفعل أن الأمة قد انقسمت قسمين ، مملكة فى الشمال وأخرى فى الجنوب ، وأن الملك كان همه منصرفا إلى تحصين مملكة الشمال من خطر الغزاة الأجانب . إذ قد انحلت تدريجا قوة الأمة النظامية التى دامت عليها موحدة مدة طويلة حتى كشف الغزاة الأجانب عن مواطن الضعف فى البلاد التى كانت فى يوم ما مؤلفة من أمة عظيمة ذات نظام ثابت الأساس ، فتدفق الغزاة الأجانب إلى الدلتا من جهة آسية شرقا ، ومن جهة لوبيا ، وهكذا سادت الفوضى فى البلاد تماما ، ولابد أن تلك النسكبة هى التى وصفها لنا كاهن عين شمس « خمخبر رع سنب » .

المصادر :

أهم مصادر هذا المقال ما يأتي :

- (1) Writing-board, British Museum, No. 5645.
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 49.
- (3) Peet, "A comparative study of the Literatiures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 120.
- (4) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage", p.p. 95. f.f.
- (5) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 178 f.f.
- (6) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 108 f.f.

« تحذيرات متنبى يدعى إپور »

هذه الوثيقة محفوظة الآن ضمن كنوز متحف « ليدن » الأثرى بالقسم المصرى وتعرف باسم ورقة « ليدن » رقم (٣٤٤) . وقد ضاع أولها وهنم آخرها وبها فجوات كثيرة في وسطها ، ولذلك كان من الصعب الاهتداء في أول الأمر إلى موضوعها الحقيقي ؛ وكان المفهوم منها جملة أنها ورقة تعليمية ، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن طالع العالم الأستاذ « لنجة » الأثرى الدانماركى بمقال كشف فيه عن مضمونها الحقيقي ، إذ قال إنها تنبؤات حكيم مصرى ، وذلك في عام سنة ١٩٠٣ . وقد سهل ذلك الحل الطريق إلى علماء الآثار لدرس هذه الوثيقة . ولم تمض بضعة سنين حتى قام الأستاذ « جاردنر » بدرسها دراسة وافية ، علق عليها بشروح علمية ولغوية بقدر ماسمحت به حالة الوثيقة المهلهلة وما بها من الأخطاء التى لا بد قد ارتكبتها ناسخها . وبدل ماجاء في هذه الوثيقة من الوصف والإشارات البعيدة التاريخية على أنها تصور لنا عهداً خاصاً كانت فيه البلاد في حالة فوضى وارتباك يقصر عنه كل وصف من الوجهتين السياسية والاجتماعية^(١) . على أننا إذا طبقنا ماجاء فيها من وصف الحوادث والمحن على التاريخ المصرى فلا نجد لها شبيهاً إلا عهد العصر الإقطاعى حينما تمزقت أوصال البلاد شراً ممزق . ولأجل أن يفهم القارى مضمون هذه الوثيقة ويطبقها على هذا العصر سنتبع في دراستها طريقة خاصة ، وذلك بأن نصف له حالة البلاد بعد سقوط الدولة القديمة وهو العصر الإقطاعى ، ثم نتناول بعد ذلك تحليل ماجاء في هذه الوثيقة مستشهدين بمقتطفات منها في وصف الحالة العامة للبلاد وما أصابها من خراب ودمار في جميع مرافقها السياسية والاجتماعية بحيث يمكن للقارى أن يرى أمامه صورة واضحة منطقية لذلك العصر ، وذلك لأن حكيمنا قد أفزعته الحالة التى وصلت إليها البلاد من الأخطا فكان ينتقل من وصف موضوع إلى آخر دون أن يكون هناك أى رابطة بين ما وصفه أولاً وما انتقل إليه ثانياً ، مما يدل على أن كل شيء

(١) وتاريخ هذه التحذيرات يمكن تحديده تقريباً من فقرتين وردتا فيها وقد ورد ذكرهما أيضاً في مقالات أخرى قديمة ، إحداها جاءت في الشجار الذى قام بين إنسان سُم الحياة وروحه وهى في موضعها المناسب في المناقشة أكثر من موضعها في مقالنا هنا . أما الفقرة الثانية فهى على العكس من ذلك لأنها لأسباب خاصة تنتمى من غير شك إلى كتابنا على حين أنها قد وجدت في التعاليم المنسوبة لامنمحات ولقد حفرت فيها بشكل قلق مشوه ، ومن ذلك يستنتج أن « تحذيرات إپور » قد جاءت بعد شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه وأنها أقدم من التعاليم المعزوة « لامنمحات » .

أمامه في البلاد كان قد هوى إلى الحضيض . وبعد ذلك سنضع أمام القارى نص الوثيقة كما وجدت في الأصل فيستطيع القارى الأديب أن يفهم بنفسه نفسية هذا الفيلسوف عند ما كان يضع تلك الصورة البشمة عن حالة مصر بعد سقوط الدولة القديمة .

سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفراعنة في الأسرة السادسة آخذة في التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة في عهد « يبي الثاني » الذي حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال ، وقد انتهى الأمر بعبه بالحلل البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين هامين :

الأول إغارة الأجانب من البدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم في عهد « يبي الأول »^(١) لم يفقدوا الأمل في غزو البلاد المصرية التي كانت في تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد سنحت لهم الفرصة في عهد الملك يبي الثاني^(٢) لنيل مأربهم إذ كانت الأحوال مهيأة لهم . فقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثنين منهمكا في المحافظة على مقاطعته التي كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة .

أما في الوجه البحرى الذى كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفتين حول الملك بعض الشيء . ودافعوا عن بلادهم . غير أنه ليس لدينا وثائق تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط . وعلى أية حال كان موقف الحكومة المصرية في هذا العهد يرثى له ، حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة تشبه الثورة التي قام بها البلاشفة ، امتد لحيها أكثر من قرنين من الزمان كانت البلاد ترزح فيهما تحت عبء ثقل من الفوضى والخراب ، إذ كان سلطان « فرعون » قد زال وأملأه قد اختفت ، ولا أدل على ذلك مما ذكره لنا « مانيتون »^(٣) من أنه قد حكم البلاد في عهد الأسرة السابعة سبعون ملكاً في مدة سبعين يوماً . أما الحقوق المدنية والدينية فقد تولاهما كل من كان في قدرته أن ييسط يده عليها . وأخذ كل شخص يغير على ما يستطيع أن يصل إليه ، ضارباً بكل نظام وقانون عرض الحائط . وقد كان من

(١) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٧

(٢) انظر تاريخ مصر القديمة ص ٤٠٦

(٣) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٨

جراء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط وعم الانحلال الخلقى وعسدم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة . وليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم إلا معلومات ضئيلة جدا ، ولكن من جهة أخرى قد أسعفتنا الوثائق الأدبية الشعبية بشيء مما يزيد ، إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على أذهان القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القاصين ، فنراهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قاست من ويلات وخراب بعبارات مؤثرة جدا خارجة من الأعماق .

وقد كان هناك في ذلك العصر مفكرون اجتماعيون قد أحسوا الحاجة إلى وجود حاكم عادل ، فكان من بين الحكماء الذين يتطلعون إلى وجود مثل هذا الملك العادل — الحكيم « اپور » وهو أحد التنبئين الاجتماعيين الذين كانوا يعيشون في ذلك العصر ، وقد ألّف مقالا في شكل تمثيلي مؤثر ، ولم يقتصر على آهام أهل تلك الأزمان بحرارة فحسب . بل وصى في مقاله ذاك بالإصلاح وتطلع من وراء القيام بذلك إلى إيجاد نهضة جديدة يقوم بها المجتمع ، كما كان ينتظر أيضا وجود عصر ذهبي يخلقه هذا الإصلاح المنشود . وتلك الوثيقة المذكورة تعد من أهم الوثائق التي تلفت النظر من بين كل تلك المقالات الاجتماعية والخلقية التي كتبت في ذلك العهد الإقطاعي ، ويصح لنا أن نسميها « تحذيرات التنبئى اپور » . ومما يدعو إلى الأسف أيضا أن بداية هذه البردية قد فقدت ، وهى الجانب الذى كان يحتوى على الأحوال التى دعت ذلك الحكيم إلى الإدلاء بتحذيراته المذكورة فى هذه الوثيقة ، وإن كانت تلك الأحوال فى ظواهرها الرئيسية واضحة . ويمكن تلخيص تلك الوثيقة فيما يأتى : يقوم الحكيم « اپور » بإلقاء آهام طويل مغمم بالغضب على حالة عصره أمام حضرة ملك [لم يعرف اسمه بالتحقيق للآن] وشهده بعض الناس الذين يحتمل أنهم كانوا حاشية ذلك الملك مجتمعين عنده فى ذاك الوقت ، ثم ينتهى بإسداء النصيح لقومه فيحذرهم الإهمال ويدعوهم إلى الإصلاح ، ثم يلى ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهى المقال بتعقيب للحكيم المذكور على الرد الملكى . وقد سلخ الخطاب الرئيسى الذى ألقاه ذلك الحكيم نحو ثلثي ذلك الاتهام الطويل .

فهذا الخطاب يتألف منه معظم المقال المذكور لأنه يقع فى نحو عشر صفحات من الأربع عشرة صفحة التى يحتوىها المقال . على أنه لا يظهر فى ذلك الاتهام أى ترتيب منطقي فى عناصره بالرغم من ظهور الجهد فى ترتيب أقوال ذلك الحكيم ، لأنها موضوعة على هيئة مقاطع مقفاة ، وكل مقطوعة منها تبتدى بنفس العبارة السابقة لها ، وهذا يطابق شعر الرجل التمس وروحه .

وسنحاول في الفقرات التالية أن نلخص أهم محتويات ذلك الاتهام في شكل مواضع مقتبسة باختصار يبدو منها نوع الكلام الذى أفضى به ذلك الحكيم .

ولما كانت هذه البردية ممزقة كما أسلفنا ، ولقنها عويصة صعبة ، كانت ترجمتها ترجمة متصلة من الأمور المستحيلة حتى ولو توفرت الشروح التى تكفل إزالة هذه الصعوبة .

ونرى فيها ذلك الحكيم يخلق بنظرة ثاقبة مشرطا على الحياة المنتظمة لأهالى وادى النيل فى ذلك الوقت ، فيجد أن كل شيء قد آل إلى القوضى ؛ فالحكومة قد وقفت بالفضل حركتها وقوانين قاعة العدل قد ألتى بها ظهريا فصارت تدوسها الناس بالأقدام فى الحال العامة . والفقراء يفضونها على قارعة الطريق^(١) .

ويرجع السبب فى سوء النظام هذا إلى حالة الهياج والحروب العائرة فى داخل البلاد « فلرجل يذبح أخاه من أمه فما العمل فى ذلك ؟ »

« انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى نفسه .

« والرجل ينظر لابنه نظره لعدوه يذهب الرجل إلى الحرث والزرع

وهو مسلح بدرعه »

ويضاف إلى سوء النظام أيضا وإلى الثورة الداخلية أهوال الغزوات الأجنبية المتتدية على البلاد ، فإن أملاك مصر بعد أن صارت فريسة لسوء النظام والفتنة الصاربة أطنابها بالبلاد قد صار رجالها أيضا غير قادرين على صد غزوات الآسيويين عن حدود شرق الدلتا للبلاد المصرية ؛ وبذلك وقف سير الحركة الاقتصادية .

« انظر ! لا صانع يعمل والعدو يحرم البلاد حرفها ... »

« انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرث لنفسه

يملأ مخزنه وإن الحصاد يتحدث . ولكن لم يذكر عنه شيء . والكاتب يجلس فى مكتبه ولكن يداه لا تعملان شيئا !!! »

« انظر ! إن الماشية قد تركت ضالة سبيلها ولا إنسان يجمعها ويلبس شعها .

(١) لقد كانت هذه فلة شماء فى نظر النظام المصرى ؛ إذ كان سحب الكتابات والوثائق من المصالح العامة للاستعهاد بها أو للاطلاع عليها من الأمور المنتظمة تنظيما دقيقا . فالقواعد التى كانت تحدد وظيفة الوزير قد بقيت لنا . (انظر Breasted Ancient Records Vol II P. 276)

فكل إنسان يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يعلمها) ... والحروب الداخلية لا تدفع ضريبة فما فائدة بيت مال بدون دخل ؟ »

« والتجارة الخارجية تنحط وتختفى في مثل تلك الأحوال التى كانت عليها داخلية البلاد » فأصبح الناس لا يسيحون إلى « جيل » اليوم . وإذن ماذا نصنع ^(١) للحصول على خشب الأرز اللازم لمومياتنا ؟ فالكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمرء حتى بلاد كفتيو (كريت) يخططون بزيتها ، فهى لا ترد بعد قط (الأخشاب) . ووقوع مثل تلك الأحوال كان محتملا لأن الأمن العام والتجارة قد اختفى أثرهما . وبالرغم من أن الطرق كانت محروسة فإن الناس كانوا يرصدون فى الأجرار حتى يمر السائح الذى دمه الليل فيسلبوه ما يحمل ويحردوه ممامعه ويضرب بالعصى ويدبح ذبحا شنيعا . وفى الحق لقد أصبحت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار . ونظام البلاد قد قلب رأسا على عقب . فمن كان لصا صار رب ثروة . والغنى صار إذ ذاك إنسانا منهوبا .

وهكذا انقلبت أوضاع كل الأشياء طبقا لما يدل عليه مفهوم تشبيهها بعجلة صانع الفخار ، فالشئون الاجتماعية انقلبت انقلابا تاما .

وإننا نجد فى أطول مجموعة من فقرات تلك الوثيقة — التى أنشئت على وتيرة واحدة — أن ذلك الحكيم يضع أمامنا تغير تلك الأحوال بالنسبة لأفراد طبقات الشعب ، فهو فى فقرة واحدة يضاهى بين ما كان عليه الماضى وبين ما يجرى فى ذاك الوقت إذ نراه يقول :

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك زوجا من الثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا .

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرانا . ومن كان يبحث لنفسه عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويحملها توزع »

(١) وكانت ييلوس (جيل) فى ذلك العهد أعظم ثمر تجارى فى فينيقية

ونجد في ذلك الخراب الشامل الذى حاق بالبلاد . فالانحطاط الخلقى قد أخذ مأخذه غير أنه لم يكن ظاهرا ظهور ذلك البؤس العام الذى يصفه فيقول :

« والمتحلى بالفضائل يسير وهو محزون ، ويقول الرجل الأحق : إذا عرفت أين يوجد الإله فاني أقدم له قربانا ، وفي الحق كانت (العدالة موجودة في الأرض باسمها فقط ، وما يعملها الناس حينما يلتجئون إليها هو العسف) » .
فلا محب إذن من وجود ذلك البؤس الشامل :

« وفي الحق قد مات السرور ولم يعد يحتفل به بعد ولا يوجد في الأرض إلا الأتنين المزوج بالمويل » .

حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول :
« ليتنى كنت ميتا ؟ والأطفال الصغار يقولون كان يجب عليه ألا يجعلنى على قيد الحياة » ...

« حقا فإن قلوب كل الماشية صارت تبكى والقطمان تندب حالة البلاد » .
على أنه لم يكن في مقدور ذلك الحكيم أن يشاهد كل ذلك دون أن تثور عواطفه ، إذ كان بدووه متأثرا تأثرا عميقا لتلك الكارثة العامة .
فتراه يطلب من الله أن يجعل لتلك الحال نهاية ! إذ يقول :
« ليت آخر الناس يكون قد حل فلا حمل ولا ولادة ؟ ليت العالم يتخلص من الفوغاء وتنفض المشاحنات » .

على أن ذلك الحكيم كان يقرّ نفسه لأنه لم يسع من جهته لإنقاذ ذلك الموقف من قبل . فيقول أيضا :

« ليتنى رفعت صوتى في ذلك الوقت حتى كنت أُنقذ نفسى من الألم الذى أنا فيه الآن . فالويل لى لأن البؤس عم في هذا الزمان » .

فتلك هي الصورة المظلمة التى رسم لنا ألوانها ذلك الحكيم المصرى القديم . ويجب أن نعتبر تلك الشكاية التى سبق ذكرها ، والتى تشغل نحو ثلثي الوثيقة كما حفظت لنا ، أنها قد وصفت لنا الحالة عند قدماء المصريين في عهد معين . هذا إلى أن العلاقة المتينة بين ذلك

المقال والمقالات الأخرى التى من ذلك المهد الإقطاعى من حيث اللغة والفكر ووجهة النظر لا تدع للشك مجالاً فى تحديد تاريخ عهدها بالضبط .

وحالة مصر السيئة التى صورها لنا ذلك الحكيم ، هى ظواهر الحالة التى أعقبت انهيار نظام الحكومة والاعتداء على البلاد الذى جاء على أثر سقوط الدولة القديمة ، أى فى نهاية عصر الأهرام وانهلال اتحاد البلاد كما ذكرنا . على أن « إپور » لم يشأ أن يترك أهل الجيل الذى عاش فيه فى تلك الحال الموثسة التى صورها لنا ، بل رأى هناك أسباباً تدعوه إلى أن يأمل ويطمئن إلى حسن المستقبل .

ثم بعد ذلك تصادفنا فجوة كبيرة فى تلك البردية يعقبها فى النهاية أهم فقرة فى مقال ذلك الحكيم وهى تعتبر أروع ما دون فى كل الأدب الفرعونى . إذ فى هذه الفقرة العظيمة يتطلع ذلك الحكيم إلى المستقبل متوقفاً لإعادة الإصلاح فى البلاد على أن يكون ذلك بلا نزاع نتيجة طبيعية للنصائح الإصلاحية التى كان قد فرغ من غرسها فى قلوب مواطنيه .

فهو يرى الحاكم الأمثل والملك الأمثل اللذين يتوق إلى ظهورهما مجتمعان فى الحكم الذى كانت عليه مصر فى يوم من الأيام فى صورة « إله الشمس » .

ولما كان ذلك الحكيم يرى فى عهد سلطان إله الشمس المصر الذهبى فإنه يوازنه من جهة أخرى بالحكم الفاسم الذى ترزح تحت عبئه البلاد فى عصره إذ نراه يقول :

« فهو يجلب البرودة إلى اللهب (الحريق الاجتماعى) ويقال عنه إنه راعى الإنسانية ولا يحمل فى قلبه شراً . وحينما تكون قطمانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محمومة (من الحزن) وليته عرف أخلاقها فى الجيل الأول ، فعندئذ كان فى مقدوره أن يضرب الشر وكان فى قدرته أن يمد ذراعه ضده (يعنى الشر) وكان فى مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك وعلى وراثتهم . فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر ! إن بأسه لا يرى »

فنجد فى ذلك صورة الملك الأمثل وهو الحاكم العادل الذى لا يحمل فى قلبه شراً ، وهو الذى يجول بين رعيته كالراعى يجمع شتات قطيعه المتناقص الظمان . وذلك الحكم العادل الذى كان لحكم نبي الله « داود » عليه السلام ، قد حدث ويمكن أن يحدث ثانية .

على أن عنصر الأمل بظهور الملك الصالح المنتظر كان أقرب إليه من جبل الوريد ، إذ كان

محققا عنده كما ندل الكلمات الختامية التي وردت بالفقرة السابقة عند قوله :

« أين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر إن بأسه لا يرى »

على أن الأهمية الخاصة التي نستنتجها من تلك الصورة تنحصر في أن المثل العليا كانت على أقل تقدير في الاجتماعيات إن لم تكن تحتوى بالفعل في المنهج الاجتماعي على الحاكم الأمثل الذي يتصف بطهارة الأخلاق وبالقاصد الخيرية والتي يمز عشيرته ويحميها ويسحق الأشرار . وسواء نسباً بظهور هذا الحاكم أم لا ، فإن رؤية أخلاقه وأعماله قد كشف لنا النقاب عنها ذلك الحكيم القديم . وقد كشف النقاب عنها في حضرة الملك الموجود إذ ذاك وفي حضرة أولئك الذين اجتمعوا حوله حتى يقتبسوا شيئاً من بهائه . وذلك بطبيعة الحال هو عين التبشير بالسيحية قبل أن تظهر بين العبرانيين بما يقرب من ١٥٠٠ سنة .

وقد أدت تلك الموازنة الخفيفة التي كانت تجول في ذهن ذلك الحكيم المصري القديم ، بين الحاكم الذي يمثل الملك الأمثل وبين الفرعون الحاكم الذي يقف بحضرته ذلك الحكيم إلى أن ينطق الحكيم بأقصى الاتهامات ضد مليكه ، فكان مثله في ذلك مثل البلاشفة حينما قضوا على نير حكم الملكية الظالم . فلقد وضع الحكيم المسئولية فوق عاتق الملك ، إذ يقول للمليكه : « إن الأمر الملكي والمعرفة والعدالة (يعني ماعت) في قبضة يدك . ولكن

ما تصنعه في البلاد هو النزاع وصوت القلاقل . . . ولقد فعلت هكذا لتشتد علينا هذه الأمور . لقد نطقت زوراً وبهتاناً » .

وعندما انتهى ذلك الحكيم من خطابه الطويل ، أجابه الملك بنفسه على أقواله ، غير أنه ليس في وسعنا أن نصل إلى ما قاله الملك في إجابته على الحكيم مما بقى لنا من تلك النكتة المفتحة من الصفحة الممزقة التي دونت عليها تلك الإجابة ، وسنظل كذلك في شوق إلى ذلك الجواب إلى أن يكشف لنا عن نسخة تامة من هذه الوثيقة .

وقد وصلت تقريمات ذلك الرجل الحكيم إلى قتها في قوة التمييز اللفظية الموجهة إلى أخلاق ذلك الفرعون التقليدي فهدمتها ، وهي التي كانت تشمل الأمر الملكي والمعرفة والعدالة (يعني ماعت) أي النظام الإداري والخلق القديم الذي سار عليه ملوك الاتحاد الثاني مدة ألف سنة وهو الذي قد حلت الآن محل الفوضى .

فواضح الآن تماماً من ذلك أن حالة سوء النظام الشاملة التي وصفها في أقواله (إبور) قد ظهرت في فترة من العهد الذي جاء بعد سقوط تلك الدولة القديمة . ويستحيل علينا

الآن أن ندرك موقف ملوك « أهناس » الذين أنتجوا مثل تلك المقالات المثالية المدهشة ، أو نحدد علاقتهم بالنسبة إلى انهيار نظام الحكم . فهل كان احتذاؤهم النمل الأعلى في مثل ذلك العصر ، سببا من أسباب ضعفهم السياسي ؟ فقد لاحظنا أنه في وسط ذلك الخراب القوي الذي صور لنا بتلك الطريقة من غير تحفظ ، أن الحكيم « ابور » كان ولا يزال يحمل في نفسه بعض الأمل طمعا في التخلص من ذلك الخراب .

فهل كان يبق في ذهنه شيء عن بعض الرجال المروفين بقوة الشكيمة ممن أبق عليهم الدهر من أسر الأمراء القدامى ؟ على أنه من الجائز أن آماله كانت موجهة إلى قائد كان بأسه لا يرى . وسنرى ذلك في تنبؤات « نفرور هو » .

نص المتن

يشمل فقرات ثرية وست قصائد شعرية ، وهذه تكون نواته الحقيقية . ويتبدى كما وصلنا بأن نرى الحكيم قد أخذ فعلا في تصوير مصيبة البلاد : فيقول حراس الأبواب : « فلنذهب لنهب » . والفسال يتنحى عن حمل حمله . وصائدو الطيور قد جهزوا أنفسهم للواقعة ، وآخرون من الدلتا يحملون الدروع . وقد ثار القوم حتى أصحاب أهدأ الحرف كبائى الحلوى وصانئ الجمعة ، وأصبح الرجل ينظر لابنه نظره إلى عدو والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب ما حاق بالأرض وأصبح الأجانب مصريين^(١) في كل مكان .

الشعر الأول

يعنى بصفة خاصة بالبوأس العام — السرقة ، والقتل ، والتخريب ، والقحط ، وقد طرد الموظفون ودمرت الإدارة ، والتجارة الخارجية قد قضى عليها . وانتشر الأجانب في البلاد واحتل عامة القوم مراتب عليتهم .

وكل بيت من هذه القصيدة يتبدى بكامتين يمكن ترجمتهما إلى العربية هكذا : « حقا لقد » أو « وفي الحق » التي تدل على إثبات شيء لا يمكن تفنيده . « حقا لقد شحب الوجه والأجداد قد تنبؤوا . . . »

(١) كل ما يقصد هنا هو أن الأجانب العديدين الذين سكنوا مصر في ذلك الوقت قد تجرؤوا على أن يضعوا أنفسهم موضع المصريين في هذا الانقلاب العام .

وبعد كسر طويل بمض الشيء نقراً :
 حقا فإن . . . (والبلاد) ملأى بالمصائب ويذهب الرجل ليحرق ومنه درعه .
 حقا فإن الخجول يقول : . . . (مهشم) .
 حقا فإن الوجه قد شحب ، وحامل القوس أصبح مستمدا ، والمجرمون في كل مكان ،
 ولا يوجد رجل من رجال الأمس ^(١)
 حقا إن الناهيين في كل مكان . . .
 حقا إن النيل في وقت الفيضان ، ومع ذلك لا يحرث أحد من أجله . وكل إنسان يقول
 « لا نعرف ما حدث في أنحاء البلاد » ^(٢) .
 حقا لقد صارت النساء عاقرات ، وانقطع الحمل وأصبح الإله « خنوم » لا يسوى الناس
 بعد بسبب حالة الأرض ^(٣) المضطربة .
 حقا لقد أصبح المعوزون الآن يمتلكون أشياء جميلة ، ومن كان يخسف نمليه فيما مضى .
 أصبح صاحب ثروة .
 حقا إن أرقاء الرجال أضحى قلوبهم في حزن ^(٤) وأصبح العظماء لا يشاطرون
 أهلهم أفراحهم (٥)
 حقا إن القلب لثائر . والوباء قد انبث في كل الأرض ، والدم صار في كل مكان . . .
 ولقائف الموميات تتكلم ، وإن لم يقترب الإنسان منها .
 حقا لقد دفن رجال عديدون في النهر ، فأصبح النهر قبرا ، وصار المكان الطاهر ^(٥) مجرى .
 حقا لقد أصبح الحزن يملأ (قلوب) أصحاب الأصل الرفيع ، أما الفقراء فقد امتلأوا
 سرورا ، وأضحى كل بلدة تقول : فلنقص القوى من بيننا .
 حقا لقد أصبح منظر الناس كمنظر طير « جم » ^(٦) ، والقاذورات منتشرة في كل البلاد ،
 ولا يوجد امرؤ بملابس بيضاء في هذا الوقت .

-
- (١) أى لا يوجد رجل كان محترما بالأمس .
 (٢) أى أنه ليس لأحد ثقة كافية ليفلح الأرض في هذه الأوقات الحرجة .
 (٣) أى أن اختوم أمراض الآن عن هذا العمل غير المجدى .
 (٤) أرقاء الأغنياء الجدد .
 (٥) مكان التعنيط . كانت الجثث من السكرة بحيث أصبح دفنها متعذرا ، ولما فإنها ألقيت في الماء
 كالأشياء الميتة .
 (٦) نوع من الطير المائي له سيقان طويلة ورقبة طويلة كذلك ويظهر أنه طير قنر .

حقا لقد أصبحت الأرض تدور كمجلة صانع الفخار . وصار اللص صاحب ثروة (ثم يأتي بيت ممزق) .

حقا لقد تحول النهر دما . فهل يشرب الإنسان منه ؟ إنه يعافه بوصفه آدميا (لأن) الإنسان يظلم للماء .

حقا إن (البوابات) والعمد والجدران قد ألهمتها النيران (ومع ذلك) فإن حجرة (؟) قصر الملك لا تزال باقية ، وواقفة ثابتة .

حقا لقد أصبحت سفينة الجنوب^(١) شاردة (؟) ، ودمرت البلاد ، وصار الوجه القبلي صحراء خاوية (؟)

حقا لقد أصبحت التماسيح في نخمة بما قد سلبت ، إذ يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد أصبحت سيئة ويقول القوم : لاتدوسوا هنا ، ولكنهم يدوسون هناك كأنما هناك سمك ، لأن الرجل الجبان ينقلب غايه في الغباوة من الرعب .

حقا لقد أصبح الناس قليلين . على أن من يدفن أخاه في الأرض يرى في كل مكان^(٢) وبعد أن يتكلم المرتل يهرب على الفور .

حقا لقد أصبح ابن سلالة المجد لا يعرف (؟) وأصبح ابن زوجته ابن خادمته^(٣) (؟)

حقا لقد أصبحت الأرض الحراء^(٤) منتشرة في كل البلاد . وخربت المنازل . ونزل قوم أغراب من الخارج إلى مصر^(٥) . « البيت التالي ينتهي » : « ولا رجال في أى مكان »^(٦)

حقا إن الذهب واللازورد والفضة والياقوت والكرنيليان والبرنز والمرمر . . . تحلى جيد الجوارى . والهبيدات النبيلات (؟) يمشين في طول البلاد وربات الخدور يقلن : ليت عندنا بعض الشيء لنأكل^(٧) ،

(١) يحتمل أنه يقصد بذلك مصر العليا .

(٢) أى أن حفارى القبور يرون في كل مكان .

(٣) لم يعد هناك أى تمييز بين ابن ربة البيت (الزوجة) وبين ابن الخادمة .

(٤) أى الأراضي الأجنبية يقرنها بالأرض السوداء (مصر) وهذه التمييز مأخوذة من الأراضي الصفراء والسوداء . والمعنى المقصود هو أن الإنسان أصبح يلتق الأجنبى في كل مكان .

(٥) هذا التمييز يظهر أنه لا يدل على غزو معاد .

(٦) أى أن المصريين لا يرون الآن (وذلك لأن كلمة « رمت » أى الرجال كانت تستعمل للمصريين

فقط وما سواهم كانوا متوحشين) .

(٧) يستجدين .

حقا فإن . . . أعضاء السيدات في حالة يرثى لها إذ يرتدين الخرق البالية . وقلوبهن تنفطر حينما يُحْيَيْن (١) .

حقا فإن صناديق الأبانوس تكسر . وخشب « سسم » الثمين يقطع قطعا للأسرة (٢) .
حقا لقد أصبح بناءو (الأهرام) عمالا في الحقول ، والذين كانوا في سفينة الإله أصبحوا تحت نير واحد (٣) . ولا يسبح الناس إلى « جبيل » اليوم (٤) . وإذن ماذا نصنع للحصول على خشب الأرز اللازم للموميات ؟

فالكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمراء حتى بلاد كفتيو (كريت) (٥) يمنحون بزبها ، فهي لا ترد بعد قط ، والذهب قلّ وال . . . الذي كان يستعمل في كل الحرف قد انتهى . . . وكم يظهر للإنسان عظما عند ما يأتي إليه أهل الواحات حاملين محصولاتهم من نبات وطيور (٦) .
حقا فإن « إفتنين » و « طينة » (؟) وهما من ممتلكات الوجه القبلي أصبحتا لا تؤديان الضرائب بسبب الحروب الداخلية . وهناك حاجة إلى الفاكهة والفحم وكل أنواع التجارة ، وكل ما ينتجه الصناعات . . . فما فائدة وجود بيت مال بدون دخل ؟

ولاشك في أن قلب الملك يسر عند ما يقف على الحقيقة (٧) . فقد دخلت (البلاد) كل مملكة أجنبية ، وهذا ماؤنا : وهذه سمادتنا . . . ولكن ما العمل ؟ وكل شيء ينحدر إلى الدمار !
حقا لقد قضى على الفرح ، ولم يعد يقام ، بل الحزن هو الذي يتمشى في طول البلاد ممزوجا بالأسى .

حقا فإن الأموات أصبحوا مثل الأحياء (؟؟) ومن كانوا مصريين أصبحوا أجنب (؟)
حقا لقد سقط شعر كل إنسان ؟ وأصبح لا يميز بين ابن الرفيع وبين ابن من لا والد له . . . والجلبة لم تكن غير متوفرة في سنى الجلبة ولا نهاية للضوضاء .
حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول : « ليتنى كنت ميتا » ! والأطفال الصغار

(١) المعنى أنهم يخجلون حينما يشاهدون في حالة بؤسهن

(٢) أى أن مهندسى وريان السفن الملكية (وهى التى يقصد بها سفن الإله) يشتغلون عمالا عاديين

(٣) ميناء لبنان الذى منه يجلب خشب الأرز وزبجه

(٤) كريت التى كانت تحت السيطرة المصرية منذ عهد قديم

(٥) أصبحت هذه التجارة الحقة مما تراجح إليه النفوس بسبب أن قضى على كل أنواع

التجارة الواسعة

(٦) قد يعنى بذلك الحقيقة التى لم يخبر بها الملك

يقولون : « كان يجب عليه ألا يجعلنا على قيد الحياة » .

حقا فقد أصبح أولاد الأمراء يضرب الناس بهم عرض الحائط — وأطفال الشهوة يلقون على قارعة الطريق^(١) . وأصبح الإله « خنوم » يئن تعباً
حقا فإن الذين كانوا في « المكان الطاهر » قد ألقوا على قارعة الطريق ، وأصبح سر
المحنطين جهرا^(٢) .

حقا فإن ما كان لا يزال يرى حتى أمس قد دمر وهجرت الأرض لآلامها كما يقتلع
الإنسان الكتان^(٣) (من أصوله)

حقا فإن الدلتا أصبحت غير محمية (كما كانت) والاعتماد على أرض الشمال أصبح
(الآن) طريقاً ممعبداً^(٤) . وماذا يفعل الإنسان ؟ . . . وسيقول الناس حقاً : لمن المكان
الوعز ! ولكن انظر فقد أصبح الآن ملكاً على السواء لمن يجهلونه ومن يعرفونه ، وأصبح
الأجانب مهرة في صناعات الدلتا .

حقا فإن المواطنين قد ألقى بهم على أحجار الطواحين . وهؤلاء الذين كانوا يرتدون
الكتان الجليل أصبحوا يضربون . . . واللائي لم يشاهدن نور النهار قد خرجن^(٥) . . .
واللائي كن على أسرة أزواجهن ، أصبحن ينمن على مضاجع مقضنة . . . وأصبحت السيدات
يتألن مثل الإماء ، ومغنيات الخدور أصبحت أغانيهن للإلهة الفناء أنشودة حزن ، والقاصون .
. . . يجلسون على أحجار الطواحين^(٦)

حقا فقد أصبحت الخادومات من الإماء يوجهن ألسنتهن حيث شئن^(٧) ، وعند ماتكلم
سيداتهن فإن ذلك يكون مملاً للإماء

(١) الحاجة اضطرت القوم إلى إلقائهم

(٢) مومياء عليه القوم قد انتزعت من المقابر

(٣) حينما يقطع الكتان لا يترك منه شيء قط في الأرض

(٤) أى أن مستنقعات الدلتا وبحيراتها التي كانت تعد أداة دفاع طبيعية أصبحت قليلة الجدوى ،
إذ دخلها الأجانب في عصابات واشتعلوا بحرقها . ولا ينبغي على القارئ أن الدلتا كانت في أواخر العصور
القديمة وخلال القرون الوسطى مركزاً للصناعة والتصدير ، ومن الجائز أن الحالة كانت كذلك في هذا
العصر القديم

(٥) ربما يريد الكاتب . كما في الجملة التالية أن سيدات الطبقة الراقية اللائي كن يسكن في البيوت
أصبحن مرغمات على العمل الشاق في الخارج في حرارة الشمس

(٦) يقصد بذلك المغنيات والقاصين الذين كانوا يسلون ربات الخدور

(٧) أى يقلن ما يرغبن

حقا . . . وسيقول الناس حينئذ يسمعونها : « لقد أتلف الفطير لمعظم (؟) الأطفال ،
وليس هناك طعام لأجل ... ، فما طعم هذا اليوم ؟
حقا فقد أصبح الحكام جياعا وفي بؤس
حقا فإن الرجل الأحمق يقول : « إذا عرفت أين يوجد الإله فاني أقدم له قربانا » (لقد
أصبح الصدق كذبا في الأرض ، والحصاد قد اغتصب كل متاعه)
حقا فإن كل قلوب الماشية تبيكي والقطعان تندب حالة البلاد
حقا لقد أصبح أبناء الأمراء يضرب بهم القوم عرض الحائط ، والأطفال الذين كانوا
محبوبين قد ألقى بهم على قارعة الطريق . والإله « خنوم » يشكو بسبب إعيائه^(١) .
بيت سبهم :

حقا لقد . . . عمت الوقاحة (في كل البلاد) عند كل الناس^(٢) . والرجل يقتل أخاه
من أمه . فما العمل في ذلك ؟ . . .
حقا لقد أصبحت الطرق . . . والشوارع تحرس^(٣) والناس يختبئون في الأعشاب
حتى يأتي المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه حمله . وما عليه يسرق ، ويضرب بالمصاحي
ينقطع نفسه ثم يذبح ظلما
وفي الحق لقد دُمر ما كان مرثيا بالأمس ، وقد تركت الأرض لمتاعبها ، كما يقتلع
الإنسان منها الكتان^(٤) ، والفقير . . . في شجى . . . ليت آخر الناس يكون قد حلَّ ، فلا
حمل ولا ولادة ! ليت العالم يتخلص من القوغاء وتنفض المشاحنات !
وفي الحق لقد أصبح القوم يعيشون على الحشائش ويشربون الماء . وقد أصبحت الطيور
ولا فاكهة ولا أعشاب تأكل منها . وقد أصبحت القاذورات تحتطف من أفواه الخنازير
دون أن يقال (كما كان يقال في الزمن السالف) « هذا أحسن لك مما هو لي » لأن
القوم صاروا جياعا^(٥)

(١) وذلك لأن التعب الذي لاقاه بسبب تسويته بني الإنسان قد ظهر له أنه تعب ضائع . وهذا
البيت من الشعر قد ورد ذكره فيما سبق

(٢) هذه الجملة مأخوذة عن الشجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه مما يدل على أن هذا المقال
قد كتب بعد مقال الشجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه

(٣) أي بالصبر

(٤) قد ورد ذكر هذه الجملة آنفا

(٥) أي أن القوم أصبحوا يأكلون ما كانوا يطعمون به الدجاج والخنازير

وفي الحق قد انعدمت الغلال في كل مكان ، وجرّد القوم من الملابس والمطر والزيت وصار كل إنسان يقول : « لم يبق شيء » . وصار الحزن خلوا ، وحارسه قد أصبح ملقى على الأرض ، وإن ذلك ليس بالأمر السار لقلبي . وليت في مقدورى أن أرفع صوتى في هذه الآونة حتى كان يخلصنى من الألم الذى أنا فيه الآن ^(١) !

وفي الحق لقد سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوفاً . . . وفي الحق لقد أذيع سر التعاويذ السحرية ، وصارت لا أثر لها (؟) لأن القوم قد حفظوها في أذهانهم ^(٢) .

وفي الحق لقد فتحت الإدارات العامة ، ونهبت قوائمها . وصار المييد أصحاب عبيد ^(٣) وفي الحق لقد ذبح الموظفون وسلبت قوائمهم . فتمسكوا ببسب البؤس في مثل هذا الزمن ! وفي الحق لقد دمرت دفاتر كتاب الحقيقة ، وأصبحت غلال مصر ملكاً مشاعاً ^(٤) . وفي الحق لقد وضعت قوانين قاعة المحاكمة في البهو . وصار القوم يطئونها في الطرقات ويمزقها الفقراء في الأزقة .

وفي الحق لقد وصل الفقير إلى مرتبة الآلهة التسعة ، وإجراءات بيت الثلاثين قد أفضيت ^(٥) .

وفي الحق لقد أصبحت قاعة العدل العظمى مكتظة ^(٦) . ، والفقراء يروحون ويحيثون في البيوت العظيمة ^(٧) .

وفي الحق لقد أصبح أولاد الحكام يلقون في الشوارع . ومن كان صاحب معرفة يقول : نعم ، والجاهل يقول : لا ، فالذى لا علم له يظهر ذلك عنده حسناً ^(٨) .

(١) هل يقصد بذلك أن النبي يؤنب نفسه لأنه لم يأت متقدماً في الوقت المناسب ؟

(٢) لقد أصبحت عديمة الجدوى لأنها صارت معروفة . ويجب أن يلاحظ أن التعاويذ السحرية كانت تعد ملكاً ثميناً للحكومة

(٣) كانت نتيجة ضياع القوائم أن أصبح الإنسان لا يعرف من كان عبداً

(٤) محصول الغلال الذى يعيش عليه كل الناس أصبح الآن تحت رحمة أى فرد لأن الوثائق التى ينظم على أساسها توزيعه قد فقدت

(٥) أى أنه لم يعد لثلاثين موظفاً الذين كانوا يتولون أعلى المناصب في البلاد أى تأثير على القوم الذين صاروا كآلهة

(٦) أى أن القاعة أصبحت مزدحمة

(٧) أى أن الرعايا أصبحوا يدخلون الآن البيوت الستة العظمى (الحاكم العليا القديمة) بدون خوف ولا وجل .

(٨) قد حفر هذا البيت بطريقة مشوهة في تعاليم « أمنمحات »

وفى الحق أصبح أولئك الذين كانوا فى « السكان الطاهر » يلقون على قارعة الطريق .
وصار سر المحنطين مكشوفاً^(١) .

[الشعر الثانى]

إن المصائب التى يتحدث عنها هذا الشعر تفوق بمراحل تلك التى كان يُشتكى منها فيما سبق ؛ إذ دمرت الملكية وأصبح الشعب هو القابض على زمام الأمور تماماً . وقد نوه مرارا بأن سفلة القوم أصبحوا من أهل اليسار ، على حين أنف عليه القوم قد انحطوا إلى حضيض البؤس .

وكما أن الشعر الأول يبتدىء كل بيت فيه « حقاً فقد » . أو « وفى الحق » ، ليصور لنا حقيقة معلومة قد وقعت ، فإن الشعر الثانى يبتدىء بتكرار كلمة « انظر » ليضع أمامنا بجلاء حوادث قد حدثت فى الحال أو لا يزال جارياً وقوعها .

انظر ! إن النار قد اشتعل لهيها عالياً ، ويندلع شررها ضد أعداء البلاد .
انظر ! لقد حدثت أمور لم تحدث منذ زمن بعيد مضى ، إذ اختطف الفقراء الملك^(٢) .
انظر ! إن الذى دفن كصقر^(٣) أصبح يرقد على نمش ، وما خبأه الأهرام^(٤) قد أصبح خلواً .
انظر ! لقد تجاسر بعض الخوارج فحرموا البلاد الملكية .
انظر ! لقد آل الأمر إلى أن يُظهر الناس العداء للص^(٥) (حامى ؟) رع الذى جعل الأرضين فى سلام .

انظر ! إن سر الأرض الذى لا يعرف أحد حدوده^(٦) قد أفشى ، وأصبح مقر الملك رأساً على عقب فى لحظة .

انظر ! إن مصر قد أصبحت تصب الماء ، ومن كان يصب الماء على الأرض وقد قبض على الرجل القوى ، وهو فى بؤس (صب الماء كان يقوم به الفقراء من الناس)

(١) قد ورد ذكر هذا البيت آفاً

(٢) يقصد بذلك نهب القبر الملكى

(٣) أى الملك

(٤) الثابوت

(٥) صل الملك وإله الشمس (رع) وهو الثعبان الذى يوضع فى مقدمة التاج الملكى لينفث السم

فى وجه كل من يريد أن يقترب من الملك بسوء

(٦) الأمور السرية التى لا يعرفها أحد غير الملك

انظر ! إن الحية « كرحت »^(١) قد أخذت من وكرها . وبذلك أفشى سر ملوك الوجه القبلي والبحرى .

انظر ! إن مقر الملك خائف لاحتياجه . وال وسيحدث الاضطراب وليست هناك مقاومة .

انظر ! إن الأرض ملأى بالمصابات ، والرجل القوى يفتصب التمساء متاعه^(٢) .

انظر ! إن الحية « كرحت » . . . التميمين^(٣) . ومن لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتا أصبح يملك قبراً^(٤) .

انظر ! إن أبواب المقابر^(٥) (المكان الطاهر) قد ألقى بهم على قارعة الطريق . وذلك الذى لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه كفناً أصبح الآن صاحب ثروة (؟)

انظر ! لقد حدث هذا بين الناس ؛ فمن لم يكن فى قدرته أن يقيم حجرة أصبح الآن يملك فناء مسوراً

انظر ! إن قضاة البلاد قد طردوا فى طول الأرض . . . طردوا من بيوت الملوك

انظر ! إن العقيلات الشريقات يرقدن على الفراش الخشن ، والأمراء ينامون فى الخزن . ومن لم يكن ميسوراً له أن ينام على الجدران أصبح صاحب سرير

انظر ! إن الرجل الغنى أصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدى منه الخثالة أصبح يملك الجمعة القوية^(٦) .

انظر ! إن أولئك الذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، ومن كان لا ينسج لنفسه أصبح الآن يملك الكتان الجميل .

انظر ! إن الذى لم يبن قط لنفسه قارباً أصبح الآن يملك سفناً ، وأصبح صاحبها ينظر إليها ، ولكنها لم تعد ملكه بعد .

(١) حية تسكن الأماكن المقدسة (القصر فى هذه الحالة) ملاكا حارساً

(٢) أى أن الفرد الذى كان لا يزال قوياً حتى الآن أصبح الرعاع ينهبونه وهم مجتمعون عصابات .

والآيات التالية توضح هذا

(٣) الموتى

(٤) قد سرقه لنفسه

(٥) يقصد بذلك الموتى

(٦) أى الجمعة التى تسكر

انظر ! إن الذى لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس أصبح يملك ظلا ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعاع العاصفة^(١) .

انظر ! إن من كان يجمل الضرب على المود أصبح يملك عودا ، ومن كان لا يفتى له أحد أصبح الآن يثنى على إلهة الفناء

انظر ! إن الذين كانوا يملكون موائد شراب من النحاس أصبح لا يُحملى إناء^(٢) واحد لفرد منهم (؟؟)

انظر ! إن من قد نام أعزب بسبب الحاجة أصبح الآن يجد السيدات (؟) ...
انظر ! إن من كان لا يملك شيئا أصبح ذا ثروة ، وأصبح الرجل العظيم^(٣) يمدحه
انظر ! إن فقراء الأرض أصبحوا أغنياء ، ومن كان يملك متاعا أصبح لا شيء عنده .
انظر ! إن الذين ... أصبح لهم طاقة من الخدم ، ومن كان رسولا أصبح يرسل غيره
انظر ! إن من كان لا يملك الخبز أصبح يملك جرينا ، وما يعلأ به مخزنه هو متاع غيره
انظر ! إن الأصلع الذى كان لا يستعمل الزيت أصبح يملك أوانى العطور الزكية
انظر ! إن من كانت لا تملك صندوقا أصبحت تملك صوانا ، وتلك التى كانت تشاهد وجهها فى الماء أصبحت تملك مرآة

[بيت ترك ناقصا]

انظر ! إن الرجل يصبح سعيداً حينما يأكل طعامه . أنفق مالك فى سرور دون أن تقل يدك ! فإنه خير للرجل أن يأكل طعامه ، فإن الله يمنحه من يمدحه^(٤)
انظر ! إن من كان يجمل إلهه أصبح يقدم له قربانا من بخور آخر ...
انظر ! إن السيدات النبيلات والسيدات المظلمات اللاتى كن يملكن متاعا حسنا أصبحن يقدمن أولادهن إلى الأسرة^(٥) .
انظر ! إن من اتخذ سيدة زوجة أصبح والدها يحميمه ...

-
- (١) أى أنهم أصبحوا بدون مأوى معرضين لحرارة الشمس اللافة والزعاع
(٢) التين هنا مشوه ، وقد يكون هنا إشارة إلى عادة وضع أزهار حول أوانى الخمر
(٣) أو الموظف الكبير ؟ وقد كان عليه أن يقدم الخضوع للمحدثين
(٤) يظهر أن هذه الجملة مقتبسة من كتاب قديم ، غير أن موضعها هنا ليس ملائما أو أتا
لا تفهم مناسبتها هنا
(٥) هل معنى هذا أنهم أصبحن طاهرات ؟

انظر ! إن أولاد رجال البلاط أصبحوا في خرق بالية وماشيتهن صارت متاع الناهيين .

انظر ! إن القضاة يذبحون الماشية للفقراء ...

انظر ! إن من لم يذبح لنفسه قط أصبح الآن يذبح ثيرانا

انظر ! إن القضاة يذبحون الإوز الذي يقدم للآله بدلا من الثيران^(١) .

انظر ! إن الجوارى . . . يقدمن الإوز . . . السيدات . . .

انظر ! إن السيدات الشريفات يهربن . . . وأطفالهن ، ويلقى بأطفالهن خوفا من الموت

انظر ! إن رؤساء البلاد يهرولون دون أن يكون لهم أى عمل بسبب الحاجة ...

انظر ! إن الذين كانوا يملكون الأسرة أصبحوا يرقدون على الأرض . وذلك الذى كان

ينام فى الأوساخ أصبح يملك الآن سريرا

انظر ! إن السيدات الشريفات قد أصبحن جائعات ؛ ولكن القضاة أصبحوا

فى كسطة متخمين من الشعب بما يعملونه^(٢) .

انظر ! فإن الوظائف ليست فى موضعها الصحيح مثل القطيع المذعور الذى لا راعى له .

انظر ! إن الماشية قد تركت تفضل سبيلها ولا إنسان يجمعها ويلبسها . فكل إنسان

يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يُعلمها)

انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى نفسه

انظر ! إن من كان يملك زوج ثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن

يحصل على ثيران للحراث أصبح يملك قطعانا

انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرا . ومن كان يبحث لنفسه

عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويجمعها توزع

انظر ! إن من كان لا يملك أتباعا أصبح رب عبيد . ومن كان من عليا القوم أصبح

الآن ينفذ أوامره غيره

(١) المعنى المحتمل هو أن الأغنياء المحدثين يفضلون أن يقدموا الإوز قربانا للآله بدلا من الثيران التى يأكلونها

(٢) أى أنهم يأكلون لحوم الحيوانات التى يذبحونها (راجع Blackman. Journal of Egyptian

انظر ! إن عظماء الأرض أصبحوا ولا أحد يخبرهم عن حالة عامة الشعب . وكل شيء آيل للخراب !

انظر ! لا صانع يعمل ، والبدو يحرم البلاد حرفها .

انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرث لنفسه عملاً مخزونه ... وإن الحصاد يحرث ، ولكن لم يذكر عنه شيء ، والكاتب يجلس في مكتبه ، ولكن يديه لاتعملان شيئا ؟ ؟ ...

[الشعر الثالث والرابع]

(بعض أبيات ناقصة وممزقة كل منها يتتدى بكلمة « مدمر » وفي الفقرة التي قبل الآخر يمكن أن تفهم ما يأتي) . الرجل الفقير يستيقظ عند ما يشرق نور النهار عليه دون أن يخافه ، وإنها لخيام قد صنموها مثل المتوحشين .

(والبيت الأخير) : لقد أتلّف تنفيذ ما أرسل من أجله الخدم بأمر من أسيادهم ، فإنهم أصبحوا غير وجلين

انظر ! إنهم كانوا خمسة رجال^(١) . وهم يقولون : اذهبوا أنتم على الطريق الذي ترفونه . أما نحن فقد وصلنا (إلى موطننا)
(وتبّع ذلك فقرة منفردة)

إن الدلتا تبكى . ومخزن الملك أصبح ملكا مشاعا لكل فرد . ولا ضرائب تجبى للقصر كله ، ومع ذلك فإن له قانونا شعيرا وقجا ودجاجا وسحكا ، يملك النسوج الأبيض والتيل الجليل والنحاس والزيت ، ويملك الحصيد والبُسْط .. وعحفة وكل المحاصيل الجميلة ... فإذا لم يعلن ذلك إلى الآن في القصر فينثذ ...

أما الشعر الرابع الذي لم يبق منه إلا نصف فإن ستة الأبيات التي يحتويها يتتدى كل منها : دَمَرُ أعداء الحق الملكي العظيم ، (ومن ذلك يستنتج أنه يحتوى بلا شك على الأمر بمقاومتهم)

وقد نمت هنا مقر الملك بصفات مثل صاحب الموظفين المتفوقين ، وصاحب القوانين العدة ، وصاحب الوظائف العدة ، وفي البيت الأول يمكن قراءة الكلمات الآتية : المشرف على العاصمة . يخرج بدون شرطة

(١) كانت هناك عصابات مكونة من خمسة رجال ولم يوردوا يكلفون أنفسهم مشقة القيام بمهمات . بل انتظروا أن يقوم بها الرؤساء أنفسهم

[الشعر الخامس]

نجد فيه ثمانية أبيات أو أكثر تبتدىء بكلمة « تذكر » ، وهى خاصة بعبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيها مضى ، وما سيؤول إليه أمرها فى المستقبل .
وكل ما يمكن أن يقال عن البيت الأول أنه يذكر فردا فى ألم ويذكر كذلك إلهه تذكر . . . كيف يضمنخ بالبخور ، والماء يقدم من إبريق فى فلق الصبح .
تذكر كيف تجلب الإوز سمينة ، ويُقَرَّبُ الإوز والبط والقرايين الإلهية إلى الآلهة تذكر كيف كان يضمنخ النطرون^(١) ويجهز الخبز الأبيض فى اليوم الذى يبلل فيه الرأس^(٢) .

تذكر كيف كانت تنصب الأعلام^(٣) ، وتنقش ألواح القربان ، وكيف كان الكهنة يطهرون المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، وكيف كان يعطر الأفق^(٤) ويخلد القربان من الخبز .
تذكر كيف كانت ترعى الأنظمة ، وتوزع أيام الشهر ، ويمزل الكهنة الأشرار (؟) .
تذكر كيف كانت الثيران تذبح . . .

[وفى الأبيات الختامية الممزقة نقرأ من بين ما جاء فيها] : وضعت الإوز على النار [طبعا ضحية] .

يتلو ذلك فقرة طويلة فيها يخاطب الحكيم نفسه أولا ثم أشخاصا كثيرين ، ولم يفهم مما حفظ إلا « انظر . أين يبحث هو ليسوى البشر ؟ دون أن يُميّز الرجل الخجول من الرجل الإحمق وهو يجلب البرودة إلى اللهب ، ويقال عنه إنه راعى الإنسانية ولا يحمل فى قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محمومة (من الحزن) »

« وليته عرف أخلاقها فى الجيل الأول فمتدئذ كان فى مقدوره أن يضرب^(٥) الشر وكان

(١) كان الكاهن يطهر فمه بماء النطرون

(٢) المعنى غامض

(٣) عند مدخل المعبد . والفقرة تشير إلى استعادة المعابد الحربية

(٤) المعبد

(٥) يحتمل أن هذا لإعلاء إلى الخرافة التى تقص أن « رع » حينما حكم العالم فى الزمن الأول لم يدمر الإنسانية جملة كما تستحق بمخزوها . ويحتمل أن يكون المعنى أيضا : ليت رع قد فطن فى ذلك العهد إلى أن الناس لا يمكن ردعهم عن الخطايا وأنه يجب محققهم .

في قدرته أن يمد ذراعه (يعنى الشر) ، وكان في مقدوره أن يقضى على بندرتهم هناك وعلى وراثتهم . فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق الصدفة ينام ؟ ^(١) انظر ؟ إن بأسه لا يرى

إذ عند ما نلتقى في الحزن فاني لم أجذك ، ولم أناد ...
[وبعد عدة فجوات طويلة يصير المتن ثانيا مفهوما]

« إن القيادة والفتنة والصدق معك ^(٢) ، غير أن ما تبثه في طول البلاد هو الفوضى وغوغاء الذين يتخاصمون . انظر ! إن الفرد يرى الآخر ... وإذا سافر ثلاثة رجال على طريق واحد فلا يوجد منهم إلا اثنان ؛ إذ أن العدد الأكبر يذبح العدد الأصغر . أوجد راع يحب الموت ؟ ^(٣) »

« ولكنك ستأمر أن تجاب ... فالأ كاذب تتلى عليك ، والبلاد قش ملتهب ، ^(٤) والناس لا يعتمدون على الشجار ، وكل هذه الأعوام ارتباك . فالرجل يقتل على سطح بيته حينما يكون مراقبا في حدود منزله . ولكن إذا كان قويا فانه ينجى نفسه ويبقى حيا [والناس يرسلون خادما لرجل فقير فيمشى على الطريق إلى أن يرى الفيضان (؟) (ثم يسرق هناك ؟) فيقف مبتسما (؟) ويسرق ما عليه ثم يضرب بالمصا إلى أن ينقطع منه النفس ويذبح ظلما ^(٥) »
« ليتك تذوق بعض هذا البؤس بنفسك وعندئذ يمكنك أن تقول ... »

[الشعر السادس]

[وصف للوقت السعيد الذي يحفظه المستقبل]

« على أنه من الخير عند ما تسير المراكب جنوبا ... »

[بيت مهشم]

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور ^(٦) ...

(١) من المؤكد أن الربان النائم هو الملك

(٢) أى أنك تحرز الصفات اللازمة للهلك ولكنك لا تنتفع بها

(٣) بين قطيعه

(٤) حرفيا (كاك) وهي نبات يحترق بسهولة

(٥) ورد ذكر هذا البيت آنفا

(٦) يقصد بذلك صيد الطيور بالشباك

[بيت بمثل أنه خاص بالطرق]

على أنه من الخير أن تشيد أيدى الناس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشئ للآلهة مزارع فيها أشجار .

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ...^(١) فرحى القلب .

على أنه من الخير أن يكون السرور في أفواه القوم ، وحكام المراكز يقفون وينظرون إلى الأفراح في بيوتهم (؟) وهم مرتدون جميل الملابس ...

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيرة ، ووسادات^(٢) العظماء محمية بالتعاويد ، ورغبة كل إنسان تحقق بسرير مظلل خلف باب مغلق ، (فلا يحتاج ؟) إلى النوم في الأعشاب .

على أنه من الخير عند ما ينشر الكتان الجليل في يوم رأس السنة (؟)

[وبعد سلسلة فجوات في ورقة البردى تأتي فقرة لا بد أنها كانت تحتوى على جواب الملك الذى يجيب عليه الحكيم بعد ذلك . وفيما حفظ من هذه الفقرة يظهر أن ذكر « المقترعين » قد جاء وأن الشباب قد نار وهاجم مصر كالأجانب . ثم أراد أهل الجنوب أن يأخذوا بناصر مصر التى هى بمثابة الأخ والأخت] .

... ولا يوجد أحد يقف لحمايتها ... وإذا كان أى إنسان يحارب من أجل أخيه فإنه يحمى نفسه^(٣) .

والسود يقولون : « سنكون حامين لكم . دع القتال يعظم ليُقهَر « شعب القوس » . وإذا كان فيهم « تمحو » فمضد نعيد الكرة » .

وقوم « المتار » المصادقون لمصر (يقولون ؟) : كيف يمكن أن يكون هناك رجل يريد أن يقتل أخاه ؟

والجنود الذين نجندهم لنا أصبحوا من شعب القوس الذين أرادوا أن يدمروا المكان الذى نبعوا منه ، وهم يظهرون للبدو حالة البلاد ، غير أن كل البلاد الأجنبية خائفة منهم ...

[وبعد فجوة طويلة] : يقول المقترعون ...

(١) نوع خاص من الشراب

(٢) الوسادات الحشوية التى يستند عليها الرأس عند النوم . وكان القوم يميلون إلى تزيينها بأشكال الأرواح المسبية التى يظن أنها تسمى النائمين

(٣) هل هذا نداء مصر طلبا للمعونة من الشعوب الجنوبية ؟

[الباقي كله مستقيم]

وهذا ما قاله « إپور » عند ما أجاب جلالة رب العالمين ... على أن تكون جاهلا به^(١)
فان ذلك أمر يسر القلب . ولقد عملت ما هو صالح في قلوبهم ، وقد جعلت الشعب يحيا
بينهم^(٢) ، غير أنهم لا يزالون يسترون وجوههم خوفا من القدر .
واتفق أن وقف مرة رجل مسنّ أمام الموت ، وكان ابنه لا يزال طفلا لا إدراك له ...
ولم يفتح بعد فاه ليتكلم إليك . وقد اختطفته بموت محتوم^(٣) ...
[وهناك كلمات مفردة لا تزال موجودة تدل على أن الموضوع الذى تحت البحث كان
مستمرًا في سرد حال البلاد : — البكاء ، واقتحام مقاصير القبور وإحراق التماثيل]

المصادر :

المصادر التى اعتمدنا عليها في درس هذا المقال ما يأتى :

- (1) Leyden Papyrus, No. 344.
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p.p. 23 f.f.
- (3) Peet, "A Comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 118 — 119.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 194 f.f.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 92 f.f.
- (6) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage"

(١) قد يعنى بذلك المستقبل

(٢) أى بين المصريين

(٣) ماذا تعنى هذه القصة ؟ هل هو يقصها لفرض الإيضاح أو هل هى مقدمة لكل الكلونة ؟

« نبوءة نفر روهو »

عثر الأستاذ « جولتشف » على بردية موجودة الآن بمتحف « لسنجراد » وهي تحتوي على نبوءات كاهن مرتل اسمه (نفر روهو) . وهو يدعى أنها ألقيت في حضرة الملك « سنفرو » الذي ينتسب إلى أوائل الأسرة الرابعة ، أى قبل العصر الإقطاعي الذي نحن بصددده بما يقرب من ألف سنة

والواقع أن ذلك هو مجرد وضع تمثيلي ليسبغ على كلمات « نفر روهو » الهامة قوة التأثير . ومن حسن الحظ أن كاتبها آخر من عهد الدولة الحديثة ممن عاشوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال حتى إنه لما لم يجد لديه برديا أبيض ينقله فيه أخذ بعض أوراق أخرى مستعملة في تدوين حسابه هو ، ونقل تلك النبوءات على ظهرها . وبذلك بقيت نبوءات « نفر روهو » في تلك الصورة التي وصلتنا عفوا بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التي حدثت عند نقلها بطريق المصادفة كما ذكرنا

والوثيقة تبتدى بمنظر مألوف في كل عصور التاريخ المصرى حتى في النقوش الرسمية ويصور مقدمة للموضوع . فيجلس الملك مع حاشيته يتشاور في أمر أو تقص عليه الحاشية حكاية ، أو كما نجد في غير هذا المكان أن الملك لحب استطلاعها إلى أمور الغيب تتوق نفسه لسماع شيء لم يكن يعرفه

فيقول : « والآن اتفق في عهد جلالة الملك « سنفرو » وهو الملك المحسن في كل هذه الأرض أن موظفى الحاضرة دخلوا يوما القصر ليقدموا للملك تحياتهم ^(١) . ثم جاءوا ثانية ليقدموا تحياتهم كره أخرى كما كانت عاداتهم اليومية . وعندئذ قال الملك لستشاره الذى كان بجانبه : « اذهب وأحضر إلى موظفى مقر الملك الذين خرجوا من هنا اليوم ليقدموا تحياتهم ، فدخلوا عليه وسجدوا وانبطحوا على بطونهم أمام جلالته كره أخرى

وقال لهم جلالته : « يا إخوانى . لقد أمرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من أبنائك يجيد الفهم أو أخ من إخوتكم بارع ، أو صديق من أصدقائكم قد أنجز بعض عمل شريف ، أى فرد يتحدث إلى بكلمات جميلة وألفاظ مختارة عندما تسمعها جلالتي تجد فيها تسلية » .

(١) يقصد « بتقديم التحيات » الأبناء اليومية عن كبار الموظفين وكانت تقدم أولاً إلى الملك ثم

إلى الوزير وغيره من رؤساء الأقسام

وعندئذ سجدوا منبطحين على بطونهم في حضرة جلالته مرة أخرى وقالوا في حضرة جلالته : « يوجد مرتل عظيم للإلهة « باست »^(١) يأبها الملك يا مولانا ، واسمه « نفر روهو » ، وهو شمي قوى الساعد وكاتب حاذق الأنامل ، وهو شخص مسود أغنى أقرانه . ليته يشاهد جلالتك !

فقال جلالته : « اذهبوا وأتوني به » وأدخل عليه في الحال^(٢) وسجد على بطنه في حضرة جلالته . وقال جلالته : تعالى الآن يا « نفر روهو » يا صاحبي وحدثني بيمض كلمات جميلة ، كلمات مختارة حيناً أسمها ربما أجديفها تسلية . فقال المرتل « نفر روهو » : هل ستكون الكلمات من الأمور التي حدثت أو مما سيحدث يأبها الملك يا مولاي ؟ فقال جلالته : لا . مما سيحدث ، إذ أن الحاضر قد دخل في الوجود ويمر الإنسان به

ثم مد يده إلى صندوق مواد الكتابة وأخذ قرطاسا وقلما ومدادا ودون « كتابة ما تحدث به الكاهن المرتل » « نفر روهو » حكيم الشرق التابع للإلهة « باست » ابن مقاطعة « عين شمس » حينما كان يفكر فيما سيحدث في الأرض ، ويفكر في حالة الشرق حينما يأتي الآسيويون بقوتهم ، وحينما يعذبون قلوب الحاصدين ويفتصبون ماشيتهم وقت الحرث .

إن الإشارة للملك « سنفرو » في هذه المقدمة لتنبؤات « نفر روهو » بمبارات تلفت نظر المؤرخ المحقق والأديب الفطن قد أبرزت لنا شخصية هذا الملك وميزته عن فراعنة مصر . إذ الواقع أن الأوصاف المعاصرة التي خلفها لنا التاريخ عن هؤلاء الملوك لا تفيد المؤرخ الباحث أو الأديب الناقد في كشف النقاب عن شخصية أي « فرعون » في صورة واضحة جلية . ولما لنرى في هذه الأوصاف والتموت عقود مدح رسمية متشابهة متوارثة محفوظة عن ظهر قلب ، وقد غالى في نظمها وتديجها الحاشية الملثفة حول الفرعون ، وهي تلك التي نقرؤها في أول كل وثيقة ملكية منقوشة على الأحجار أو مدونة على البردى . وقد تدرجت تلك التموت في الفلو والصمود بصفات الفرعون حتى جعلوه مؤلماً وجعلوا صفاته تخرج عن دائرة بنى البشر عامة . على أن هذه المغالاة في الأوصاف لم تقتصر في مصر على عهد الفراعنة

(١) « باست » هي إلهة الفرح . رأسها رأس قطة وتمبد في تل بسطة من أعمال الدلتا وهي (الزقاق الحالية)

(٢) هذا الاصطلاح عادي في القصص التي من هذا النوع . ولا يجب الأخذ به حرفياً لأن تل بسطة على بعد تسعين كيلو متراً على الأقل من حاضرة « سنفرو »

بل تجدها في كل عصور تاريخها ، فالحاكم فيها ولو كان خصياً أو معتموهاً أو جاهلاً كان يوضع في مرتبة أعلى من مرتبة البشر الذين حوله ، وتلك حالة نلاحظها متأصلة في كل بلاد الشرق عامة . فلا غرابة إذاً إذا وجدنا في مصر أن اسم الملك كان يطنى على كل من حوله من الشخصيات العظيمة فيجعلها مغمورة الذكر ، وربما كان لبعضها الفضل في نهوض البلاد وإصلاحها اجتماعياً ، أو كان لبعض قوادها الفضل الأكبر في إحراز النصر على الأعداء .

وقد بقيت الحال كذلك طوال عهد التاريخ المصرى القديم من البداية إلى النهاية ؛ على أن هذه الحال كانت نتيجة في نظر المؤرخ عكسية بالنسبة للملوك ، إذ ليس في مقدوره أن يصل إلى حقيقة ما قام به كل منهم فعلاً وذلك لتشابه أعمالهم وصفاتهم التي كانت شبه وراثية . من أجل ذلك استرعى نظرنا ما قرأناه في وثيقتنا عن « سنfro » عند ما يقول المتن إنه كان ملكاً محسناً ثم عند ما يخاطب أحد رجال رعيته بقوله : « يا صاحبي » ، وحينما يوجه الكلام إلى رجال حاشيته مخاطباً إياهم بقوله : « يا إخواني » ، وعند ما يراه ينزل عن عليائه الإلهية ويقوم بعمل كاتب ، فبدلاً من أن يأمر كاتبه بإحضار الدواة والقلم ليكتب ما يلقى عليه ، يقوم هو بنفسه ويأخذ القلم والقرطاس والدواة ويكتب هو ما يلقى عليه أحد صغار رعيته . كل هذه المشاهد لم نرها تحدث في بلاط فرعون من فراعنة مصر . وإن ملكاً يتصف بهذه الصفات ويتحدث إلى رجال شعبه بهذه الوداعة والألفة لخليق بأن يعد أول ملك شعبي في العالم . ولا غرابة إذاً في أن نرى الشعب المصرى قد قابل هذه الروح الديمقراطية بطاعة وإخلاص ، فبادل « سنfro » الحب بالحب والاعتراف بالجميل ، وأصبح هذا الحب لذلك الفرعون العظيم ينتقل من جيل إلى جيل طوال التاريخ المصرى ، ولا أدل على ذلك من أننا لا نجد فرعوناً من فراعنة الدولة القديمة الذين ألهمهم الشعب وقدسهم قد استمرت عبادته باقية منتشرة أكثر من الفرعون « سنfro » الذي استمرت عبادته في أكثر من مدينة مصرية حتى عهد البطالسة ؛ هذا إلى أننا نجد اسمه قد رُكب في اسم كثير من المدن المصرية تركيباً مزجياً ، وما ذلك إلا لعظم تقديسه واحترامه .

على أنه لا يمكننا أن نعد الأحداث التي وصلت إلينا عن طريق التقاليد القومية الموروثة معياراً صحيحاً نحكم به على أخلاق الفرعون « سنfro » ولكن من جهة أخرى قد يكون من الصعب علينا أن نعتبر تلك الميزات التي أبرزت لنا شخصية « سنfro » — وهي في ذاتها خارجة عن حد المؤلف في أخلاق فراعنة مصر — على غير أساس من الصحة . وعلى أية حال فإن التقاليد الشعبية الموروثة إذا لم تصل إلى منزلة الحقائق التاريخية فإنها تحتل بغير شك

المنزلة التي تليها . ولممرى هل كان يقصد حكيمنا « نفر وهو » هنا أن يصف لنا « سنفرو » بهذه الصورة المحببة لقلوب الشعب ليضرب مثلاً للحاكم الذي كانت تتطلع إليه البلاد وتقتد ، كما سيجيء . بعد في وثيقتنا ليحذو الملك حذوه في معاملة الشعب بالرحمة والرأفة والحب ، ويكون ديمقراطياً في معاملتهم بمد ما رأى من احتجاج الفرعون في قصره في حين كان الخراب والدمار يعم أرجاء البلاد^(١)

ثم يصف لنا بمد هذه المقدمة التاريخية التي تنسب لذلك المقال كما أوضحنا ، الخراب والفضى اللذين كانا يحيطان به ، ومثله في ذلك مثل خمخبر رع سنب .
إذ يتكلم مع قلبه فتراه يقول : « أنصت يا قلبي وانع تلك الأرض التي منها نشأت . . .

الطقس :

لقد أصبحت تلك البلاد خراباً فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع . فآية حال تلك التي عليها البلاد ؟ لقد حجب الشمس فلا تضيء حتى يبصر الناس . وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الري المظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافاً فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ، وصار الإنسان عندما يريد أن يبحث عن ماء (يعني النهر) لتجرى عليه السفن وجد طريقه قد صار شاطئاً ، والشاطئ صار ماء ، وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو والذين يفزون البلاد ؛ وظهر الأعداء في مصر فأنحدر الآسيويون إلى مصر ... وسأريك البلاد وهي مغزوة تتألم . وقد حدث في البلاد ما لم يحدث قط من قبل . . . فالرجل يجلس في عقر داره مولياً ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره . . . وسأريك الابن صار مثل العدو . والأخ صار خصماً ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه أحبيبي [صياح التكفف ؟] وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت والبلاد تحتضر . . . وأملك الرجل تفتصب منه وتعطى الأجنبي . . . وسأريك أن المالك صار في حاجة والأجنبي في غنى ... وأن الأرض قد نقصت ، وقد تضاعف حكامها ، وصارت الحياة شحيحة مع أن السكياك صار كبيراً ، وتكال الحبوب (أى بجابي الضرائب) حتى يطفح الكيل . سأريك البلاد ، وقد صارت مغزوة تتألم . وإن منطقة « عين شمس » لن نصير بمد مكان ولادة كل إله .

وبعد ذلك يتحول « نفر روهو » من غير تردد أو شك عن تلك الصورة التي يصف فيها القحط الذي وقعت فيه البلاد مناديا بالكلمات التالية الهامة داعيا لظهور الملك الذي سيخلص مصر مما حاق بها ، إذ يقول : « سيأتي ملك من الجنوب اسمه « أميني » ، وهو ابن امرأة نوبية الأصل ، وقد ولد في الوجه القبلي وسيتسلم التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج ، وسينشر السلام في الأرضين (يعني مصر) فيجبه أهلها . . . وسيفرح أهل زمانه . وسيجعل ابن الإنسان يبق أبداً الأبدن . أما الذين كانوا قد تأمروا على الشر ودبروا الفتنة . فقد أخرسوا أفواههم خوفاً منه . والأسويون سيقتلون بسيفه ، واللويون سيحرقون بلهيبه ، والثوار سيستسلمون لنصائحه ، والعصاة إلى بطشه ، وسيخضع المتمردون للصل الذي على جبينه . . . وسيقيمون (سور الحاكم) حتى لا يتمكن الأسويون من أن يغزوا مصر ، وسيستجدون الماء حسب طريقتهم التقليدية لأجل أن تردها أنعامهم . والعدالة ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفي من الأرض . فليتهج من سيراهها ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك » . فظهور الملك المخلص للبلاد بالفعل ومجيئه كان هو الأمل الذي ينشده الحكيم « إپور » ثم عرّف ذلك الملك « نفر روهو » بالاسم ورسم كتابة الاسم « أميني » الذي استعمله « نفر روهو » وهو اختصار مشهور للاسم الكامل « أمنمحات » وهو بالبداية المؤسس العظيم للأسرة الثانية عشرة ، والمصلح الذي أعاد توطيد سلطان مصر في العهد الإقطاعي حوالي ٢٠٠٠ سنة ق . م . وقد ذكر عنه في نقش تاريخي بعد ذلك العصر بثلاثة أجيال بشكل بارز : « أنه قد محّا الظلم لأنه أحب العدل كثيراً (يعني « ماعت »)^(١) وقد كان عرفنا هنا واثقاً من أن بطله « أمنمحات » سيستولى على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة مصر السفلى ومصر العليا وأنه سيفتح عصرًا جديدًا ، غير أنه يرجي الإصلاح العظيم على وجه عام إلى المستقبل . وذلك يضع أمامنا سؤالاً جديداً وهو : هل هذا التأكيد القوي مجرد نبوءة ، عن حادثة قبل وقوعها ؟ وهل كان ذلك إعلاناً ينم عن الظفر يلقاد بطل منتصر قد نجح نجاحاً عظيماً في إصلاح مصر العليا ، حتى إن انتصاره النهائي وإصلاحه لسكل مصر كان متوقعاً حدوثه ؟ . أو هل كان « نفر روهو » « مرسلًا من قبيل » « أمنمحات » إلى مصر السفلى ليعلن قدومه إليها ؟ أو هل كان كأي شخص من أنصار « أمنمحات » قد عظم إصلاحاته فصوره بصورة تبرزها إذا قامها بما صارت إليه البلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه ؟

وإنه لمن المستحيل أن يعطى الإنسان جوابا شافيا عن تلك الأسئلة ، ولكن يظهر أنه يوجد سبب قوى يدعونا إلى الاعتقاد بأن « نفرروهو » كان حقيقة محاطا في زمنه بالخراب الذى صورته لنا بصورة حقيقية ، وأن تاريخ حياة « أمنمحات » الذى كان رائده النجاح فى مصر العليا قد جمل الأمل بنجاحه فى إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه ، وإرجاع مجدها القديم متوقما . ومن الدهش حقا أن « نفرروهو » يذكر لنا هنا صراحة أن الفرعون الجديد ليس من سلالة البيت المالك القديم ، ولا شك فى أنه كان هناك مطالبون بالعرش فى البلاد أو مدعون له كثيرون ، فظهر مطالب آخر مثل « أمنمحات » ليس بالأمر الغريب . على أن تسمية « أمنمحات » (ابن الإنسان^(١)) كما ذكر ذلك فيما سلف على لسان ذلك المتنبئ^٢ يلفت نظرنا كما يوحى إلينا فى الحال بوجود علاقات بين هذه التسمية والتسمية التى تطلق على المسيح عليه السلام . إذ أن ذلك التعبير قد استعمل فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » ليدل على « ابن رجل ذى أهمية » ، وقد جرى فى بلاد بابل القديمة استعمال تعبير مشابه لذلك التعبير . وذلك الإعلان الذى أعلنه ذلك المتنبئ^٣ يشمل القيام بعملين يتمهد بإنجازها مليكه ، وهما من الأهمية للشعب البائس فى مصر الطريحة بمكان ، وهذان العملان هما :

أولا — القضاء على الميرين وأخذ العدة لدفع الغارات المقبلة .

ثانيا — إصلاح النظام الداخلى .

(فسور الحاكم) الذى سبق ذكره كان قلعة قديمة لحماية الدلتا الشرقية ، وكان واقعا على التخوم الآسيوية . وقد بنى لحراسة الطريق من آسيا إلى مصر فى عهد بناء الأهرام ، وقد أعلن « نفرروهو » أن الملك سيعيده كما كان من قبل .

والصور التى رسمها لنا ذلك المتنبئ^٤ عن الحالة التى نتجت عن دخول الآسيويين تذكرنا بما ورد فى الرواية العبرانية الخاصة برحلة دخول أجدادهم إلى مصر .

أما إعلان الإصلاح الذى حدث فى النظام الداخلى فإنه يسترعى الأنظار لقصره وبساطته إذ يقول : « إن العدالة ستعود إلى مكانها — والظلم سينبذ بعيدا — » فكانت إذن « ماعت » القديمة هى التى سيميدها الملك الجديد فى شكل نظام ثابت يكون رقيبا ومهيمننا على حياة الشعب المصرى الاجتماعية .

(١) « ابن الإنسان » اسم يطلق على المسيح عليه السلام .

وقد رجع إلى « ماعت » — وهى ذلك النظام القديم الذى مكث ألف سنة مرشدا ومهيمنًا على الحاكم وحكومته — سلطانها مرة أخرى من جديد .
ومن المحتمل أن الابتهاج الذى يظهره ذلك المتنبيء العتيق كان يعنى المثل العليا القديمة للأخلاق الفاضلة والسعادة القويمة . غير أن تلك الحالة كانت — مع الأسف — بعيدة عن الحقيقة الواقعة ؛ فإن « أمنمحات » — وهو من كبار الإداريين فى العالم القديم ، وكان قد وهب الله فطنة عظيمة حتى أعاد بلا نزاع ذلك النظام القديم بقدر ما سمحت له الأحوال — قد حتمت عليه الظروف أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة شئون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا ونشئوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى جاء عقب عصر الأهرام وأشربت قلوبهم حب الفوضى والفساد ، مما أدى إلى قتله ونصحه لابنه بعد موته بألا يعتمد على أحد كما فصلنا من قبل (انظر ص ١٩٨) .

المصادر :

أم المصادر التى يرجع إليها فى دراسة هذا المقال ما يأتى :

- (1) Papyrus Petersburg No. 1116 B (recto).
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 15.
- (3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 120 f.f.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 200 f.f.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 110 f.f.
- (6) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. I p.p. 100 f.f.
- (7) Gunn, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. XII (1926), p.p. 250 f.f.

المدارس واللغة

إن من ينظر بإمعان إلى نظام الكتابة المصرية القديمة منذ نشأتها وإلى التطورات التي مرت بها يجد أنها كانت في بادئ الأمر بسيطة سهلة التداول ثم أخذت تتعقد بمرور الزمن وازداد تعقدها حتى أصبح هجاء الكلمات من أصعب الأمور ، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد في عهد الدولة القديمة ولا في عهد الدولة الوسطى ما يشير إلى اهتمام التلاميذ بهجاء الكلمات بالدرجة التي وجدناهم عليها في عهد الدولة الحديثة حينما كان كل من التلميذ والمعلم يصرف معظم همه في تعلم هجاء الكلمات الصعبة ؛ فقد عثر على كومات من قطع الخرف وشظايا الحجر الجيري الملساء (ويطلق عليهما لفظة استراكا) وعلى أوراق البردى التي كتب عليها التلاميذ تمارينهم تطبيقاً على دروس الهجاء وحفظ قطع الأدب المختارة . ولا غرابة في ذلك فقد أصبح نظام الكتابة معقداً في ذلك العهد كما عرفت ، وزاد على ذلك أن دخل اللغة ألفاظ أجنبية كثيرة كان يجمل كتابتها التلاميذ والكتاب أنفسهم . من أجل ذلك كان الاهتمام عظيمًا بتقوية التلاميذ في الإملاء وفي حفظ قطع الأدب ؛ ولهذا فإننا مدينون بخالص شكرنا لنشاط هؤلاء الصبية القهري ذلك النشاط الذي وضع أمامنا مجموعة عظيمة من الكتابات التي أنتجتها مدارس الدولة الحديثة . ولا إخال القارىء إلا متشوقاً ليعلم شيئاً عن نظام التعليم الذي خلف لنا هذا الإرث .

ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا معلومات معينة عن المدرسة ونظامها في الدولة القديمة ولا في الدولة الوسطى . غير أننا نجد من وقت لآخر إشارات بعيدة تدل على وجود هذه المدارس وبخاصة في الألقاب العدة التي تركتها لنا الدولة القديمة . ففي مقبرة من مقابر تلك الدولة وجدنا لقب « معلم أولاد الملك » ويرجح أن مدارس تلك الدولة كانت ضمن مباني المعبد^(١) أو في عاصمة الملك . أما في عهد الدولة الوسطى فقد أخبرنا « خيتي » صراحة أن المدرسة كانت في مقر الملك^(٢) .

والظاهر أن المدارس في عهد الدولة الحديثة كانت على درجتين . فالأولى وهي التي تعادل بوجه عام ما نسميه نحن (المدرسة) ويسمونها المصريون (بيت الحياة) وفيها كان يعلم

(١) وقد ذكرت جملة في تعاليم « آني » تشعر بأن المدن كان فيها مدارس .

(٢) انظر تعاليم « خيتي » لابنه .

الأولاد الكتابة والأدب القديم . وقد استعملوا الكتابة تمارينهم كما ذكرنا قطعا من الحرف وشظيات الحجر الجيري التي كانت لا تكلف شيئا بدلا من صحائف البردي الباهظة الثمن . وقد أسعدنا الحظ ببعض معلومات عن واحدة من هذه المدارس وقد كانت تابعة للمعبد الذي بناه « رعسيس الثاني » للاله « آمون » في الجهة الغربية من « طيبة » وهو الذي يطلق عليه الآن اسم « الرمسيوم » ، وقد كانت ضمن المباني العظيمة الخاصة بالإدارات المحيطة بالمعبد من جهاته الثلاث ، وقد عثر في هذا المكان على عدد عظيم من (الاستراكا) يسترعى النظر وبخاصة ما وجد منها على كومة صغيرة من الأوساخ . وتدل ظواهر الأمور على أن مدرسة المعبد كانت قائمة في هذا المكان ويبدو أن التلاميذ عندما كانوا ينتهون من كتابة بعض هذه (الاستراكا) كانوا يلقون بها في هذه البقعة ، وبدرس هذه القطع التي كان ينسخها التلاميذ وجدنا أنها فوق احتوائها على بعض الموضوعات الإنشائية التي تنتمي لعصر الدولة الحديثة ، تتألف من ثلاثة كتب عثر منها على مقتطفات عدة مكررة ، وهي تماثيل الملك « أمنمحات » وتماثيل « خيتي » بن « دواوف » وأنشودة النيل ، وكلها تنسب إلى عهد الدولة الوسطى . ومما يسترعى النظر أن هذه القطع الأدبية الثلاث عثر عليها جميعا على ورقتين من البردي تدل الظواهر على أنهما ترجعان إلى أصل « منفي » ، ولا شك في أنهما كانتا تؤلفان الموضوع الرئيسي المعتاد لنهاج المدرسة ، وقد وجدت مدونة بأكلها على هاتين الورقتين . أما ما وجد على قطع (الاستراكا) فكان يشتمل على مختارات قصيرة من هذه الموضوعات ومن كتابات أخرى لمعطاء الكتاب . ومما يلفت النظر أننا نجد باستمرار في معظم الأحيان نفس المختارات ممادة ، ولا يبعد أنها كانت القطع المنتخبة المقررة التي كان لزاما على كل فرد متملم أن يحفظها . وحينما كان يتخطى التلميذ هذا الدور الابتدائي من التعليم كان يقيد كاتباً في إدارة ما ثم يستمر في تحصيل العلم هناك على يد موظفين كبار ، ويجوز أنهم كانوا رؤساء المباشرين . وفي الدولة القديمة نجد أن الأب هو الذي كان يستمر في تلقين ابنه العلم إذا كان من كبار الموظفين ، ولا أدل على ذلك من « بتاح حتب » حينما طلب إلى « الفرعون » أن يسمح له بأن يعلم ابنه ليخلفه في وظيفته ، وكان على الطالب أثناء تلقيه هذا التعليم العالي أن يستمر في كتابة نماذج إنشائية لا تقف عند نقل بعض سطور ، كما كان يفعل من قبل ، بل تشمل قطعا كبيرة . وقد وجدنا أن طالبا قد كتب ثلاث صحائف في يوم واحد . وقد لوحظ أن خطأ التلميذ يصححه معلمه على هامش البردية ، ولكن لسوء حفظنا لم يكن يعنى المعلم كثيراً بما كتبه الطالب من الألفاظ التي تفسد المعنى ، بل جعل

معظم عنايته لشكل الحروف ، فكان درسه أقرب إلى تجويد الخط منه إلى دراسة اللغة وتحقيقها .
وتدل معظم النسخ الخطية المدرسية بوضوح على الأغراض الحقيقية من التعليم عندهم ،
فكان الغرض منه أولاً التربية ، وثانياً التمرين على الأعمال التجارية وحسن الخط . والواقع
أن موضوع الإملاء لم يكن بالأمر الهين كما ذكرنا . إذ أن نظام الكتابة الميروغليفية
أكثر استعمداً لقبول الأغلط ، ولا يعدله في ذلك نظام آخر في العالم . لذلك كانت العناية
بهذا الموضوع عظيمة جداً . ولدينا كتاب يدلنا على عناية القوم وحرصهم على كتابة
الكلمات الفردية كتابة صحيحة . ولا بد أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال في المدارس ،
وقد وضعه كاتب كتاب الإله في بيت الحياة (« أمنموني » بن « أمنموني » ، وقد عثر
منه على ثلاث نسخ .

وقد اتخذ كاتب هذه الوثيقة لنفسه دور الكاتب الذي أراد أن يعلم التلاميذ العلوم كافة ،
لذلك يحمل كتابه عنواناً مطولاً . إذ يقول : « التعاليم التي تجعل الفرد أربياً ، وتعلم الجاهل
علم كل كائن ، وكل ما صنمه « بتاح » وما سجله « نحت » والسماء وبجوها والأرض
وما عليها وما تخرجه الجبال وما تجود به البحار وماله علاقة بكل الأشياء التي تضيئها الشمس
وكل ما ينمو على الأرض » . ولا جدال في أن هذا العنوان له رنة عظيمة في الآذان ، إذ يحمل
المتسمع ينتظر معلومات ضخمة تكشف له الفطاء عن علوم هؤلاء القوم ، غير أن الأمر
أهون من ذلك ؛ فالكتاب في خد ذاته لا يخرج عن مجموعة كبيرة من أسماء وألقاب بعضها
متداول معروف ، وبعضها نادر غير مألوف ، وقد وضعت بنظام مرتب ترتيباً منطقياً لا بأس
به ، فيذكر لنا أولاً السماء وما فيها : السماء ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجوزاء ،
واللب الأكبر ، والقرد ، والمارد ، والخزيرة ، والسحاب ، والمصفة ، والفجر ، والظلام
والضج والنيء . . . وأشعة الشمس . ثم يتلو ذلك أشكال المياه الموجودة في الطبيعة ،
فيذكر النهر والبحر والبركة وخزان المياه ، ثم ينتقل إلى موضوع الصور الأرضية والنباتات
والثروة ، ثم يذكر في ست مجاميع الألفاظ التي تدل على الكائنات الحية ، فيذكر العلوية
منها أولاً ، وهي الآلهة والإلهات والأرواح المذكور منها والإثبات ، ثم يمدد لنا المخلوقات
البشرية مرتبة حسب مراتبهم في المجتمع ، فنجد أولاً الملك ، ثم الملكة ، ثم يذكر لنا بعد
ذلك كبار الموظفين ، فرؤساء رجال الدين والعلماء ، ويلي ذلك الهواد الأعظم من صفار
الموظفين وأصحاب الحرف ، وبعد ذلك يضع أمامنا التماثيل التي يعبر بها عن بني البشر
والجنود وأسماء الشعوب الأجنبية والأماكن المختلفة ، ثم ينتقل إلى ذكر أسماء ست وتسمين
مدينة مصرية واثنين وأربعين اصطلاحاً للبناء وأجزائها ، ومسميات للأراضي والحقول . ثم

يعدّد لنا كل ما كان يأكله الإنسان أو يشربه ، ويدخل في ذلك ثمانية وأربعون نوعا من اللحم المطبوخ ، وأربعة وعشرون نوعا من الشراب ، وثلاثة وثلاثون نوعا من اللحم النيء . وفي الجزء الختامي الذى وجد محطما ، كان قد كتب عليه مسميات عن مختلف الطيور وعدد عظيم من أسماء الماشية وغير ذلك من الأسماء التى جمعها « أمنموبى » بعناية ليضع أمام العالم صورة عن كل كائن ، شاكرًا للآلهين « بتاح » و « نحت » . ولا شك فى أن غرضه من جمع تلك المسميات وترتيبها تعليم تلاميذه كتابة المفردات كتابة صحيحة . وكما أسلفنا كانت كتابة الكلمات الأجنبية الكثيرة والأسماء الغريبة التى اندمجت بوفرة فى اللغة المصرية الجديدة عقبة كثودا حتى للطلبة المتقدمين ، ولذلك كانت تبذل عناية خاصة لتعليمها ؛ فمن ذلك أن تلميذا من الأسرة الثامنة عشرة يضع كل همه فى أن يكتب على لوحة أسماء فى « كفتيو » (كريت) وسنرى فيما بعد أن نماذج الخطابات التى أوردناها فى هذا الكتاب هى من هذا النوع ، فنشتمل على كلمات وأسماء ليتعلم منها التليذ كتابة الكلمات الأجنبية كما كان يتعلم من وثيقة « أمنموبى » .

والواقع أن قائمة « أمنموبى » هذه لا يمكن أن تعد فهرسا لسرد أسماء وحسب ، وإن كان هذا هو مدلولها العملى كما يظهر لنا من ترتيبها وتنسيقها ، ولكن إذا أمعن الإنسان فى النظر إلى كنهها بعين فاحصة وجد أنها الخطوة الأولى نحو فكرة تأليف قاموس ، إذ نجد أن الترتيب الذى وضعت به يتم عن ترتيب منطقي مميز داخل كل مجموعة . كما نلاحظ علاقة ظاهرة بين كل لفظة ومسبقها ؛ وأعنى بذلك أن الكاتب رغم أنه لم يعطنا إيضاحا عن تلك الألفاظ أكثر مما كنا نعرف إلا أنه مكنتنا من أن نفهم علاقة الكلمة بسابقتها من مركزها فى القائمة ، فأهمية هذه الوثيقة لفهم اللغة المصرية عظيمة جدا لنا . ويظهر مقدار ذلك جليا إذا علمنا أن الفهارس بمعناها الحقيقى معدومة كلية فى اللغة المصرية . حقا إن لدينا بعض قوائم لأنواع الكلمات على « الاستراكا » كما توجد فى متون مشهورة مثل أسماء البلاد السورية التى ذكرها كاتب ورقة أنستاسى الأولى أو قوائم أسماء المدن التى استولى عليها فراعنة مصر فى عهد الدولة الحديثة^(١) ، والتى نقشوها على جدران معبد الكرنك وغيره ،

(١) راجع :

- List of Thothmes III, (Karnak), Sethe, Urkunden der 18 dyn. p. 805.
- List of Amenhotep III (Soleb), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 889.
- List of Seti I. (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 129.
- List of Rameses II (Abydos), Mariette, "Abydos", Vol. II, Pl. 3.
- List of Rsmeses III (Medinet Habw), Daressy, Receil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archaeologie Egyptienne et Assyriennes", Vol. XX, p. 113. f.f.
- List of Seshonk I (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 252.

وكذلك القوائم التي ذكر فيها أسماء الأمم والأخشاب (والأشياء التي صنعت منها) وعلى الاستراكا . على أن كل هذه القوائم وحتى وثيقة « جلفشيف » التي نحن بصدددها الآن لا يمكن أن تقاس بالفهارس الحقيقية البابلية .

وليس من الصعب أن يعرف الإنسان السبب في وجود هذه الفهارس في بابل وخلو مصر منها ، وذلك أن المصري قد اخترع الكتابة بنفسه لنفسه ليمبر عن لفته ، وقد نجا سوا في موطن واحد بميدان عن التأثير الخارجي ، ولكن في بلاد النهرين أي (بابل) كان للسومريين كتابة خاصة بهم ، غير أن قوما من الساميين الذين لا يعرفون الكتابة غزوا هذه البلاد ، ولما أقاموا فيها رأوا الفوائد التي تعود عليهم لو اقتبسوا منها نظام الكتابة ، فأخذوه عنها واستعملوه في التعبير عن لغتهم فنقلوا أولاً الكتابة السومرية الأصلية كما شاهدوها ، ولكنهم قرءوها بما يقابلها في لغتهم « الأكادية » ، وتعلموا بعد وقت أن يضموا للكلمات السومرية ما يقابلها في لغتهم ، ومن ذلك ألفوا لأنفسهم فهرسا باللغتين ، وقد دفعهم إلى هذا حاجتهم الملحة للتفاهم بينهم وبين القوم الذين غزروهم . ولكن مصر لم تكن في يوم في حاجة إلى ذلك ، وكذلك نجد أن اللغة الإغريقية التي تعد من أعرق اللغات لم تأخذ في وضع قاموس للغتها إلا بعد انقضاء العصر « الكلاسيكي » فيها .

ومما سبق نعلم أن المصري كان يضع مثل هذه القوائم لإعداد التلميذ لإتقان فن الإملاء ولإعطائه نظرة عامة بكل ما يحيط به ، وكان أعظم من كل ذلك عناية الأستاذ بتعليم تلميذه الأسلوب الصحيح والتعابير المختارة لكتابة الرسائل .

من أجل ذلك كان التلميذ ملزماً بنقل نماذج رسائل من كل نوع ، حقيقية كانت أو إنشائية ، ونقل النصائح والتحذيرات التي كانت تصلح لهذا النوع من التعليم ، إذ كان يكتبها في شكل رسائل ، ولذلك كان يطلق على ما يسطره التلميذ على ورق البردي اسم (تحرير الرسائل) وفي غالب الأحيان كان يضع التلميذ اسمه في الخطابات الشخصية واسم معلمه كأنماها يتراسلان ، فنجد التلميذ يكتب لنفسه أنه كسلان وفاسق وعاهر ، وأنه يستحق مائة جلدة . ويدل ما لدينا من الوثائق على أن بعض الموظفين من مختلف الطبقات كانوا يستقلون بتعليم تلاميذ لهم ، فنجد كاتب خزانة فرعون ورئيس سجلات الخزانة وكاتب مصنع فرعون وغيرهم لهم تلاميذ يتعلمون عليهم . وسيرى القارئ في المناقشة الأدبية (ورقة أنستاسي الأولى) أن الموظف وإن كان في الاصطبل الملكي كان في قدرته أن يكون معلماً ماهراً .

ولقد كانت مهنة التدريس متفائلة في نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها في وسط أعمالهم . إذ نجد أن أحد الموظفين الذين كانوا يشرفون على

تحت قبر « رعمسيس التاسع » في صحراء وادى « أبواب الملوك » لم يطق صبوا على ترك مهنة التعليم حتى فى ذلك المكان المنزل القفر ، فكان يكتب مساعده أو تلميذه أشياء مختلفة بمثابة تمارين على شظيات كبيرة من الحجر الجيرى المتخلفة من النحت ، وقد عثرنا منها على نموذج خطاب وقصيدة قديمة « لرعمسيس الثانى » وصلوات جميلة لشخص اضطهد ظمًا^(١) ونرى يد المعلم قد تناولتها بتصحيح بعض الأخطاء .

ولما كانت معظم كتابات هذا العصر قد تحولت إلى صور رسائل إنشائية وحقيقية وجدنا أنه من الضرورى أن نفرّد فصلاً خاصاً للرسائل وتاريخها منذ نشأتها والتطورات التى مرّت بها ، ثم نورد بعد ذلك بعض الأمثلة من كل نوع ليقىسها القارىء برسائلنا وليعلم مقدار ما وصلت إليه مصر فى هذا النوع من الأدب وسنضطر أن نقصر أمثلتنا على الدولة الحديثة لأنه لم يصلنا حتى الآن رسائل أدبية أو تعليمية من الدولتين القديمة والوسطى^(٢) إلا النزر اليسير .

المصادر :

- (1) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 185 ff.
- (2) Pap. Hood, Maspero, "Etudes Egyptiennes", II, 1. ff.
- (3) Glanville, "Journal of Egyptian Archaeology," Vol. XII, pp. 171. ff.

الرسائل

إن أقدم ما وصل إلينا من الرسائل التى كان يتبادلها أفراد الشعب المصرى القديم ، وتصدرها أو تلقاها المصالح الحكومية فى داخل البلاد وخارجها ، يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة ، غير أنه لم يصل إلى أيدينا إلا عدد يسير جداً من هذه الدولة . أما الدولتان الوسطى والحديثة فقد عثر على مقدار لا بأس به من الأولى وعدد عظيم من الثانية . وإذا تتبعنا هذه الرسائل من أول ظهورها حتى أواخر الدولة الحديثة ، وجدنا أن لكل

(1) Zeitschrift für Agyptische Sprache, Vol. XXXVIII, p. 19. ff.

(٢) اشترى الأستاذ ولسن عدداً قليلاً من « الاستراكا » حوالى عام ١٩٢٩ — ١٩٣١ ويدل الفحص الذى قام به أنها من الدولة الوسطى وأنها كانت من الاستراكا التى كان يستعملها التلاميذ لكتابة تمارينهم المدرسية وتحتوى على رسالة تم عن الأدب ، وقد وجد ملاحظة مدرس على واحدة منها . وعلى أية حال يقول إننا سنعلم الكثير عن رسائل الدولة الوسطى حينما نعلم نتيجة فحص « الاستراكا » التى وجدها متحف مترو بوليتان والتى يرجع عهداها إلى الدولة الوسطى . راجع Wilson. « Melanges » Vol I. pp. 901 ff.

عصر أسلوباً منفرداً وذوقاً خاصاً . هذا إلى أن رسائل كل عصر كانت تتأثر بسابقتها ، ويظهر ذلك جلياً في رسائل الدولة الحديثة التي ورثت كثيراً من خصائص رسائل الدولة الوسطى ، وبخاصة ما نشاهده من الأثر الذي تركته رسائل أبو غراب في رسائل الأسرة التاسعة عشرة (راجع K.P., Vol. I, p. 91).

طبقات الرسائل :

وصل إلينا ثلاثة أنواع رئيسية من الرسائل المكتوبة على البردى أو على قطع الخرف وهي (١) رسائل شخصية حقيقية .

(٢) مراسلات تعليمية أو موضوعات إنشائية أدبية يرجع أصلها إلى خطابات حقيقية أو إنشائية كان المقصود منها أن تستعمل نماذج للتعليم .

(٣) خطابات نموذجية كان التلميذ يتمرن عليها أو مسودات لرسائل حقيقية ، وكان النوع الأخير يكتب عادة على قطع الخرف .

والرسالة الحقيقية كانت تتألف من العناصر التالية : (١) الصيغة الافتتاحية وتشمل اسم المرسل ثم اسم المرسل إليه . (٢) الدباجة ، ومن الجائز أن تكون مطولة مملدة للدرجة يضعف معها الغرض الأصلي من الرسالة . (٣) موضوع الخطاب . (٤) الصيغة الختامية . (٥) عنوان الرسالة^(١) .

وهذه العناصر للرسالة المحبوبة الأطراف لا نجد لها مجتمعة إلا في عهد الدولة الحديثة على وجه عام .

أما رسائل الدولة القديمة فإنها حسب رأيناه في العدد الضئيل الذي وصل إلينا كانت بسيطة في تركيبها ، إذ كانت تتألف من صيغة افتتاحية ثم ينتقل بعدها الكاتب إلى موضوع الرسالة مباشرة ثم العنوان . انظر Smithers, an Old Kingdom Letter J. E. A. Vol. 28 P. 16 ff.

ولكن في حالات أخرى كان يتبدى الخطاب بالتاريخ ثم الصيغة الافتتاحية ويعقبها

مباشرة موضوع الرسالة . راجع Gardiner, J. E. A., Vol. XIII, P. 75.

وهذه الرسالة الأخيرة تلفت النظر لأنها لا تحمل في سطورها اسم المرسل أو اسم المرسل

(١) ونجد في الخطابات النموذجية أن الصيغة الافتتاحية والدباجة والعنوان قد حذفت .

إليه ، وقد عُرِّف الأول بـلقبه . راجع كذلك رسالة « يبي الثاني » « لخرخوف »
Breasted Ancient Records Vol I. P. 159.

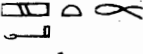
وقد كانت عناصر الرسالة في الدولة الوسطى تماثل الدولة الحديثة التي سنبجها فيما يلي :
إن عناصر الرسالة الخمسة التي ذكرناها آنفا لا توجد دائماً مجتمعة في رسالة واحدة ،
ووجودها مجتمعة أو إغفال بعضها كان يتوقف على مكانة المتخاطبين وعلى نوع الرسالة ،
وعلى مقدار المادة التي يريد الكاتب أن يضمها رسالته . فنجد أن الرسائل الحقيقية التي
كتبت على البردى قد كتبت عنواها على ظهر البردية التي كانت تطوى على هيئة حزمة
صغيرة ثم تربط بخيط وتختَم^(١) .

أما الرسائل الحقيقية المكتوبة على قطع الخزف فليس لها عنوان مستقل ، بل كان ضمن
الصفة الافتتاحية ويمكن رؤيته ، لأن الكتاب مفتوح ، بخلاف البردية المطوية التي كان
لا بد من تسجيل عنوان على ظاهرها .

سميات الرسائل الحقيقية :

لقد كان المصري دقيقاً غاية الدقة في تحديد سميات الرسائل الشخصية التي يتبادلها
أفراد الشعب والرسائل الرسمية التي كانت تجرى بين كبار موظفي الدولة أو التي كان يأمر
بكتابتها الفرعون وبخاصة في عهد الدولة الحديثة ، ففي الدولة القديمة كان المصري يستعمل
كلمة « مجات » للدلالة على كلمة « رسالة » ، غير أن هذه التسمية قد فقدت معناها الأصلي ،
وأصبحت تدل على « بردية » أو كتاب أو « وثيقة » على وجه عام في عهد الدولة الحديثة .
ومنذ الدولة الوسطى حتى باكورة الأسرة التاسعة عشرة كان المصري يستعمل كلمة « شش »
للدلالة على معنى كلمة « رسالة » (انظر . Cairo No. 58053) .

هذا إلى أن المعنى العام لهذه الكلمة « وثيقة مكتوبة » .

أما في عهد الدولة الحديثة فقد كانت كلمة « شعت »  (راجع Cairo
58058, 1—2 & Amarna 2, 15) تعني « رسالة » شخصية . وأقدم مثال لها بهذا المعنى
وجد في ورقة إبرس (Pap. Ebers, 4901)

(١) وقد جاء في صبح الأعشى جزء ٦ : ثم للناس في صورة الطي طريقتان الأولى : أن يكون لفة
مدورا كأنبوبة الرمح وهي طريقة كتاب الشرق من قديم الزمان . والطريقة الثانية : أن يكون طيه
مبسوطا في قدر عرض أربع أصابع مطبوقة والأصل فيه أن يبتدىء باسم المكتوب منه ثم باسم المكتوب
إليه وهو الترتيب الذي تشهد به العقول (ص ٣٥٠) .

الداخل^(١) . وبعد ذلك كان يُشَنَّى الخطاب نصفين ، ثم ربط بخط ثم يختم بقطعة من الطين يطبع عليها خاتم المرسل . وقد كان يكتب اسم المرسل إليه وعنوانه على ظاهر الرسالة ، وأحيانا كان يدون اسم كاتب الرسالة والرسول ، وذلك بعد إتمام حزم الرسالة وأحيانا قبل الطية الأخيرة .

ولم يصلنا بطبيعة الحال إلا عدد يسير من الرسائل بأختامها سليمة ، وما وصلتنا على هذه الحالة هي سلسلة موجودة في ليدن (Leyden, 360, 363, 364, 365, 366, 367) ، وقد نشرها العالم « ليمان » بأختامها ثم سلسلة في برلين (Berlin 10487 — 9) وقد نشرها الأستاذ « إرمان » ("Ein Fall abgekurzter Justiz," P. 15) . ففي رسائل « ليدن » نجد أن السكاتب الذى كتب الرسائل رقم ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ كان اسمه « مرى اتف » ، وأن الخاتم الذى وجد على ثلاث منها كان واحدا أيضا ، وكان عليه طابع يمثل (خرطوش) « تحتمس الثالث » بين جناحي جمل منتشرين (انظر أمثلة لهذا الطابع في Hall, "Cat. of Egyptian Scarabs", Vol. I, Nos. 767, 779.)

وكان هذا يقوم مقام خاتمه ، ورغم أن هذا الخاتم يحمل اسم الفرعون « تحتمس الثالث » الذى عاش فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فإن الرسالة التى نحن بصددنا يرجع تاريخها للأسرة التاسعة عشرة . ولم يكن من الأمور النادرة أن نجد جمارين من هذا العصر ومن عصور متأخرة تحمل (خرطوش) « تحتمس الثالث » ، وذلك لأن اسم هذا الملك كان يعتبر بمثابة تعويذة قوية الأثر لما كان له من بطش وقوة خلفها بعده فى نفوس القوم .

أما الخاتمان ٣٦٠ ، ٣٦٣ من مجموعة ليدن فيشبهان أختام عهد الهكسوس فى رسومها غير أنهما قد استعملتا هنا (راجع J. E. A., Vol. II P. 221) بعد عصرهما بما يقرب من ٤٠٠ سنة بدلا من خاتم المرسل .

المكتابات على الاستراكا

الظاهر أن الحسابات والتمارين المدرسية ومسودات الرسائل الهامة ، والرسائل النموذجية والمكتابات الحقيقية التى كان يتبادلها أفراد من مرتبة واحدة ، أو من درجات مختلفة كانت


(١) انظر صبح الأعشى جزء ٦ ص ٣٥٦ حيث الكلام على صور الختم الثلاث . ثم كذلك ما كتب على الخاتم من المبارات . أما عن الرسول الذى كان يحمل السكاتب فانظر ص ٣٥٨ الخ .

في المادة تكتب على قطع من الخزف ويستعملها الأشخاص الذين يعجزهم غلاء ثمن البردى خاصة .

وكانت « الاستراكا » كما أسلفنا من قبل على نوعين : شظيات من الحجر الجيري الأبيض اللساء والحصول عليها ميسور من أى بقعة يقام فيها بناء . وقطع من الخزف المتخلقة من الفخار المهم ، وكانت أقل استعمالا من سابقتها لأن لونها كان في معظم الأحيان قائما من الاستعمال ، ووجهها الخارجى الأملس هو الذى كان يستعمل في الكتابة . ولا كانت شظيات الحجر الجيري تستعمل عادة في الكتابات القليلة الأهمية فإنه كان من الجائز أن تدون عليها الرسائل الرسمية التي كانت تتبادل محلياً . على أن استعمالها لم يقتصر على أفراد الطبقة الدنيا (راجع Inst. Français. Cat. ostr 129) حيث نجد رسالة من حامل المروحة « خى » إلى رئيس العمل « نب نفر » ، وهي مدونة على شظية من الحجر الجيري الأبيض .

والدليل على أن الاستراكا كانت تعتبر أقل قيمة من البردى ما نجده من الاعتذارات المتعددة في الرسائل القبطية التي كانت تكتب على هذه المادة . مثال ذلك ما كتبه المرسل قائلا : ممذرة لأنى لم أجد برديا في تلك اللحظة ليتناسب مع مقام قداستكم . راجع (Crum. "Epiphanius", I. P 187) ، وقد كانت طريقة الكتابة على الاستراكا هي نفس الطريقة التي كان ينتهجها الكاتب على البردى عدا العنوان الذى كان يكتب على ظاهر البردية فقد أغفل على الاستراكا ، يضاف إلى ذلك أن الصيغة التقليدية التي كان يُعنون بها المكتوب كانت تختصر أو تغفل لصغر رقعة الاستراكا كما كانت تحذف أحيانا عند ما تكون الكلفة مرفوعة بين المراسلين .

البريد

الواقع أن وجود عنوان على الرسائل المصرية يمد في ذاته برهانا على قيام شخص معين بتوزيعها يقابل في عصرنا ساعي البريد . ولو كان الأمر مقصورا على حمل رسالة واحدة لا احتاج الأمر إلى كتابة عنوان ، إذ كان في قدرة حاملها أن يحفظه عن ظهر قلب . وأول وثيقة عرفنا منها لفظ « ساعى بريد » رسمى يرجع تاريخها للأمر السادسة ، وكان ذلك في رسالة شكوى جاءت فيها لفظة « ساعى بريد » مرتين . راجع Gardiner, J. E. A. Vol. XIII P. 75 . والكلمة الدالة على ساعى البريد هي  (أرى مجات)

في عهد الدولة القديمة ، وبذلك تكون أقدم مظهر للبريد في العالم^(١) .

أما في الدولة الحديثة فنعرف أن حامل البريد الرسمي كان يسمى « حامل الرسالة الرسمية » (فاى وخا) (راجع 5. 126, 12; Gardiner, L. E. M., P. 62, 12) ، ونعرف مما جاء في ورقة «أبوت» أن رجال الشرطة^(٢) كانوا يكلفون توزيع وثائق رسمية . أما ما يختص بالرسائل الشخصية فالظاهر أنه لم يكن لها بريد منظم كما نفهمه الآن ، بل كانت الرسائل تمهد إلى أشخاص مسئولين يكونون مسافرين إلى الجهة التي يقطن فيها المرسل إليه . ويمكن استنباط ذلك من الملتصقات التي كانت تكتب في الرسائل ويطلب فيها من المکتوب إليه إرسال أخباره « وأن تعطى الرسالة أى شخص يكون حاضرا من عنده » (راجع Gardiner, J. E. M., P. 5, 10) ، وكذلك كانت الرسائل الخاصة ترسل مع خادم المرسل الخاص (راجع 7 etc 364; Leyden) أو على يد أى إنسان معروف للمراسلين (راجع Cairo 58059. etc) أو يحملها أحد رجال الشرطة مع الرسائل الرسمية (راجع Cerny. L. R. L, 33, 4 — 5; 48, 2 — 4; 64, 6 — 8; 70, 3 — 4)

وكان من الجائز أن يحمل حامل البريد الرسمي رسائل شخصية إذا اتفق أنه ذاهب إلى مكان المکتوب إليه (Cerny L. R. L. 62, 12 — 13) ، وقد عثر على رسالة شخصية عهد بها إلى رئيس رامي النبال ليسلمها إلى المکتوب إليه (راجع Cerny, L. R. L., P. 125, 15 — 16)

ولدينا وثيقة تبرهن على وجود مصلحة خاصة لنقل البريد الرسمي في عهد الدولة الحديثة (راجع 31, 32. Gardiner, L. E. M. P 31, 32 & Smithers, J. E A. Vol. 25, P. 103) . أما في عهد الدولة الوسطى فكان يذكر اسم الرسول الذي فرض أنه سيوصل الرسالة على ظاهر الخطاب . ويكتب ذلك في العادة على الجانب الذي يوجد فيه اسم المرسل فيكتب « أحضره فلان » .

أما في عهد الدولة الحديثة فكان يندر كتابة اسم الرسول في العنوان . غير أنه كان من الجائز ذكره في صلب الرسالة أو في نهايتها . وعندما كان المرسل يريد ذكر اسم الرسول فإنه كان يكتب في عهد الدولة الوسطى جملا كالآتية « سأرسل إليك لأعلمك على يد فلان » أو « إني عهدت بهذا الخطاب لعناية فلان . . . لأخبرك » (Cerny, L. R. L, 33, 4—5)

(١) قد تكلم صاحب صبح الأعشى في الجزء الرابع عشر صفحة ٣٦٦ عن معنى كلمة بريد لغة واصطلاحاً ثم تكلم بعن ذلك عن أول من وضع البريد في الجاهلية وما آل إليه أمره في العصور الإسلامية . (١) ولدينا وثيقة يفهم منها أن البريد كان يحمل إلى البلاد الأجنبية بوحاطة الجياد التي كان لها محاط خاصة لتغييرها في الطريق وقد استعملت طبعاً في خلال الدولة الحديثة والظاهر أن مصر كان لها قصب السبق في ذلك على أمم العالم القديمة قاطبة (The Chester Beatty Papyri No. I P. 29) .

(48, 2-4) أو « إن خطابي يصلك على يد فلان » . راجع Gardiner, L. E. M, 68.
11-12 أو « تأمل لقد أرسلت « خطابا » ليكون دليلا لديك على يد فلان » . راجع
(Cerny, L. R. L., 70, 3-4) ففي كل حالة من هذه الأحوال قد كتب اسم الرسول .

العنوان

إن المفروض في عنوان الرسالة أن يكون اسم المرسل إليه هو المهم . ونجد في الرسائل
المكتوبة على البردى أن اسم المرسل إليه وعنوانه كانا يكتبان على ظاهر الرسالة المطوية
المختومة ، وأحيانا نجد كذلك اسم المرسل واسم الرسول . وفي خلال الدولة القديمة نعرف مما
وصلنا حتى الآن أن اسم المکتوب اليه هو الذى كان يكتب في العنوان فقط . راجع
(J. E. A., Vol. 28, P. 16, 17) . وفي حالة أخرى وجدنا أن الرسالة لا تحمل عنوانا رغم
أن الوثيقة كانت بلا نزاع رسالة حقيقية . راجع (J.E.A. Vol. 13 P75-6) .

أما في عهد الدولة الوسطى فنجد في العنوان اسم المرسل والمرسل اليه ، ونجد أحيانا مع
ذلك التاريخ واسم الرسول . راجع (Griffith, K. P. Vol. I, P.P. 72. Pap. I. 7 &
(P. 74, Pap. VI. 4)

وفي عهد الدولة الحديثة كنا نجد أحيانا أن اسم المرسل إليه الذى في العنوان لا يتفق مع
الاسم الذى ذكر في صيغة الخطاب الافتتاحية (Cerny. L. R. L. No. 35. P. 54) ، وفي
هذه الحالة يجب أن نفرض أنه كان لزاما على المرسل إليه أن يسلم الرسالة إلى الشخص الذى
ذكر في الصيغة الافتتاحية .

وقد جرت العادة أن يكون العنوان مختصرا بقدر المستطاع ؛ لذلك كانت ألقاب المرسل إليه
تختف أحيانا على أنها كانت تذكر كاملة في الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid, L. R. L., P. 44)
أما في الرسائل المكتوبة على الاستراكا فإن الصيغة الافتتاحية كانت تقوم مقام العنوان .
وعند ما يذكر اسم المرسل والمرسل إليه في العنوان كان يفصل بينهما إما بكتابة العنوان قبل
العلية الأخيرة من الخطاب بصورة تجعل اسم المرسل على جهة من ظاهر الخطاب واسم المرسل
إليه على الجهة الأخرى مع العنوان (وهذا ما كان يحدث في عهد الأسرة الثامنة عشرة
وبداية الأسرة التاسعة عشرة) أو كان يفصل بين اسم كل من المرسل والمرسل إليه هكذا -
وإذا حذف اسم المرسل فإن العنوان يسبق بخط أفقى كالسابق يأتي بعده اسم المرسل إليه .
راجع (Leyden No. 365, 367) وهذا الخط الأفقى يبادل كلمة إلى . أو كان العنوان يسبق

بكلمة « هو » (أى الخطاب) يرسل إلى » ويأتى بعد ذلك اسم المرسل إليه . راجع
(Cerny, L. R. L. 7, 15, 29; Berlin 8523)

الصيغة الافتتاحية

إن الصيغة التى تفتح بها الرسالة تختلف فى تركيبها باختلاف رتب المتراسلين ومادة الرسالة التى يكتبون فيها ، وبهذه المناسبة يجب أن نذكر هنا أن اسم المرسل كان يسبق اسم المرسل إليه إلا فى حالات قليلة. وعلى مر الأيام وجدنا أن بعض الصيغ كان شائع الاستعمال ، ولكن الصيغة التى كانت سائدة هى : « فلان يكتب إلى فلان » . وأهم الصيغ الافتتاحية التى عثر عليها حتى الآن ما يأتى :

أولاً — فى خلال الدولة القديمة كانت الصيغة الافتتاحية على ما يظهر غاية فى البساطة فكان يكتب « المرسل فلان يقول » . راجع — Gardiner, J. E. A., Vol. 13, P. 75
6; & Smithers J. E. A., Vol 28 P. 16, 17.

ونجد فى الرسالتين الملكيتين إلى « سنزم لب » (الأسرة الخامسة) وإلى « خرخوف » (الأسرة السادسة) أن الصيغة الافتتاحية فى الأولى هى « أمر ملكي إلى » . راجع Breasted, "Ancient Records Vol 1, P. 122.

وفى الثانية « مرسوم ملكي إلى » . راجع (ibid, P. 160)
أما فى الدولة الوسطى فكان يكتب : « المرسل فلان يقول إلى المرسل إليه (داعياً له)
بالسمادة والصحة » . راجع (Griffith, K. P. PP. 67 ff)

أما فى عهد الدولة الحديثة فكانت تكتب الصيغ الآتية : « المرسل فلان يكتب إلى فلان المرسل إليه » . راجع (Gardiner L. E. M. 8,10 ff) أو « المرسل فلان يسأل عن حالة فلان (المرسل إليه) » . راجع (Brit. Mus 1010 7, & Gardiner, ibid, 67, 11 ff)
أو « المرسل فلان يقول حينئذ يسأل عن حالة فلان المرسل إليه » . راجع (Inst Francais Ostrakon No. 322, 19 Dyn) أو « فلان يقول لفلان » . راجع (Cairo, 58053 etc)
وأخيراً كان يكتب باختصار : « فلان إلى فلان » .

وأحياناً كان يضاف إلى ذلك عبارات منمقة مثل « لأجعل القلب سعيداً » أو « لتكون مسروراً » على أن مثل هذه الصيغة عندما توضع تمهيداً للدخول فى موضوع الخطاب كانت تشير بأن ما يأتى بعدها يريد به الكاتب خبراً ساراً ، ولكنها أصبحت فيما بعد عبارة ثابتة فى الخطابات

حتى أسيء استعمالها ، فزى الخبر الذى يأتى بعدها أحياناً يكون شيئاً مما يدل على أنها فقدت معناها الأصلي . راجع (Urk IV, 138, 12) . والصيغة « لأجعل قلب سيدى سعيداً أو مسروراً » تستعمل فى الكتابة إلى رئيس ، وبذلك لا تجدها فى الرسائل الحقيقية التى كتبت على الاستراكا لغير الرؤساء . اللهم إلا إذا كان ما يكتب مذكرات قصيرة محلية . وإذا لم تظهر هذه الصيغة على الاستراكا فإن ذلك يدل على أحد أمرين ، أن يكون الخطاب نموذجاً أو مسودة لخطاب حقيقى .

والصيغة « فلان يسأل عن حالة فلان أو عما يحتاج إليه فلان » تشعر باهتمام المرسل ، وكذلك يلحظ فيها ألفة وود بين المتراسلين . لذلك تجدها فى رسائل متبادلة بين أعضاء الأسرة الواحدة . راجع (The two Amarna Letters, Bologna, 1086, Cairo 58C56) أو بين أصدقاء أو أشخاص فى منزلة اجتماعية واحدة . راجع (Brit. Mus. 10103, Gardiner L. E. M. 5, 13 ff.) وكذلك تجدها فى رسائل من سيدات . راجع (Gardiner L. E. M., 6, 15 ff; 9,3 ff; 88, 17 ff) على أننا لا نجدها فى الكتابة إلى مرءوسين ، ولا توجد إلا نادراً على الاستراكا . وقد أخذت هذه الصيغة تختفى تدريجياً حتى أغفلت كتابتها بحلول الأسرة العشرين .

أما الصيغة « فلان يقول لفلان » فكانت تستعمل فى الرسائل الرسمية ومكاتبات المعاملات وفى الخطابات التى كان قد حذف منها قصداً عبارات التهئة المنمقة .

وقد عثر على خطاب مكتوب على الاستراكا من ابن لوالده ، وقد استعملت فيه هذه الصيغة ولكن وجودها بهذه الصورة قد يعزى إلى صغر رقعة الرسالة التى تحت تصرف الكاتب . راجع (Inst Français, 328. 19 Dyn)

وقد ذكرنا فيما سبق أن الصيغة الافتتاحية قد اختصرت حتى أصبحت فى صورتها تشبه العنوان « فلان إلى فلان » وقد ظهرت هذه الصيغة كثيراً على أوراق البردى . راجع (Cerny L. R. L. etc) . غير أننا نجدها قد اختصرت فى الاستراكا حتى أصبحت « إلى فلان » أى بحذف اسم المرسل . راجع (Berlin Ostraca Nos. 10627—8) وهذه الصورة لم تستعمل قط فى الرسائل المكتوبة على البردى .

وفى عهد الأسرة العشرين عثرنا على أمثلة قد قلبت فيها هذه الصيغة فنقرأ « المرسل إليه للرسول » بدون أى علامة فاصلة ، وقد استعملت فى مخاطبة الرؤساء (Cairo Ostraca No 25744) . وفى مثل هذه الحالة يمكن معرفة شخصية المرسل إليه ببعض فقرات

في صلب الخطاب (راجع Cerny L. R. L. pp. XXII, XXIII) . وهذه الصيغة بجدها في الرسائل النموذجية المكتوبة على البردى في عهد الأسرة التاسعة عشرة . ولكننا لا نجد الصيغتين « فلان إلى فلان » أو « إلى فلان » قبل الأسرة التاسعة عشرة .

الديباجة

إن ديباجة الرسالة كانت توضع بعد الصيغة الافتتاحية وقبل موضوع الخطاب . ولكننا نجد في الرسائل التي وصلتنا من الدولة القديمة أن الديباجة لا وجود لها وكان موضوع الخطاب يأتي مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية .

أما في رسائل الدولتين الوسطى والحديثة فقد وجدنا أن الديباجة تنقسم قسمين: أولها عبارة يذكر فيها أسماء الآلهة الذين يتضرع إليهم ليرعوا المرسل إليه . وثانيها يذكر فيه الإحسان الذي يبتغى منهم ، وهذان يتألف منهما ديباجة كاملة ، غير أنه يندر وجودها على الاستراكا ، وذلك لضيق رقعتها من جهة ولأن الموضوع الذي كانت تحتويه مختصرا فلا يحتاج إلى ديباجة من جهة أخرى .

والآلهة التي كان يتضرع إليها في عهد الدولة الوسطى تتوقف على المكان الذي أرسلت منه الرسالة . إذ جرت العادة أن التضرعات توجه إلى الآلهة المحلية . ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا في رسالات ورق اللاهون أن الآلهة التي كان يتضرع إليها الكاتب هي الآلهة المحلية لهذه الجهة . فمثلا نجد أن الإله « سبك » (التمساح) قد ذكر سبع مرات بنعوت مختلفة . ولا غرابة إذا وجدناه يذكر هنا بكثرة في رسائل اللاهون فإنها تقع في المقاطعة التي كانت يعتبر فيها هذا الإله من أعظم الآلهة عبادة (الفيوم) ونجد كذلك ذكر الإله « حور » والآلهة « حتحور » .

ونجد في خطابات اللاهون كذلك أن الآلهة الآتية كان يتضرع إليها لرعاية المرسل إليه وهي الإله « منتو » (سيد طيبة) والإله « آمون » (رب عرشى الأرضين) وكل الآلهة (راجع Griffith, K. P. P. 80)

أما في الدولة الحديثة . فكانت الآلهة التي يتضرع إليها هي صور الإله « آمون » المختلفة ونالوته أى (آمون) ، والآلهة (موت) ، وهي الأم ، والإله « خنس » وهو الابن . وكذلك كان يتضرع للإله « بتاح » والإله « آتون » (رب الأرضين في عين شمس) والآلهة « حتحور » (سيدة الغرب) وغير أولئك من الآلهة .

وفي خلال الدولة الحديثة نلاحظ أن البركات والنعم التي كان يلتمسها المرسل من الإله للكتوب إليه في الديباجة ، كان يعبر عنها بصيغ مختلفة . ففي عهد الأسرة التاسعة عشرة كان المرسل يتمنى لمن يرسل إليه .

(١) « أن يكون في خير » (٢) أو « أن يعيش » (٣) أو « أن يسعد » (٤) أو « أن يعود إليه الشباب » (٥) أو « أن يكون في حظوة الإله » ؛ فثلا يكتب « أتمنى أن تكون بخير ، وأتمنى أن تعيش ، وأتمنى أن تكون سعيدا ، وأن تكون في حظوة الإله . . . » راجع (Leyden 360, 5—6) .

وفي الديباجات المطولة تذكر تمنيات من جانب المرسل يتمنى تحقيقها المرسل إليه . فيقول مثلا : « أتمنى أن أراك بخير ، وأن أضمك إلى صدري » . راجع (Leyden 361, 3) . غير أن هذه الصيغة الأخيرة لا تجدناها في خطابات قبل الأسرة الثامنة عشرة . وأسلوب التضارعات الذي يبتدىء بتمنى الصحة من خصائص الأسرة التاسعة عشرة .

أما الذي يبتدىء بالصيغة الفعلية فنجده في الأسرتين العشرين والحادية والعشرين مسبوqa بلفظة التمني : فيكتب أرجو لك (١) الحياة (٢) السعادة (٣) الصحة (٤) حظوة الإله . . . أو الرئيس . . . (٥) أو حياة طويلة (٦) أو عمرا طويلا مباركا . كل هذه التعبيرات نجدناها في صور مختلفة ، إذ نجد أن الكاتب قد اختار بعضها ووضعها في رسالة واحدة أو صاغها في تراكيب مختلفة .

وفي الرسائل النموذجية من عهد الدولة الوسطى نجد في الديباجة التعبير التالي ، « أرجو أن تنال حظوة الملك . . . وكل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا) »^(١) . راجع (Griffith. K. P. Vol I, PP. 67. Letter I. P. 69, Letter 5) أو « أتمنى أن تكون في حظوة الملك . . . المغفور له كما يحب لك الخادم هناك » . راجع (Ibid 169, Letter 4) أو « أن تكون في حظوة الإله . . . كما يحب لك الخادم هناك » . راجع (ibid P. 68, Letter 2; P. 69) .

ونجد في بعض الحالات أن هذه الصيغ يأتي بعدها : « إنها رسالة إلى السيد (داعيا له)

(١) هذا التعبير (الخادم هناك) هو ما يعبر عنه في اللغة العربية (بالمبد الفقير) عندما يتكلم شخص عن نفسه ، وهو تعبير كان شائعا في خلال الدولة الوسطى ، ثم أخذ في الاختفاء فلم نجده إلا نادرا في عهد الدولة الحديثة .

ibid, P. 67. راجع . الرسالة . Letter I ; P. 6. 8, Letters 2 ; 69 4, 5, 6, 7 ; P. 70 letters 9.

وفي حالات أخرى نجد أن هذه الجملة الأخيرة تكون بمفردها بمثابة ديباجة للرسالة حقيقية أو إنشائية فتأتى مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid., P. 69. Letter 3 ; P. 80, Pap. VI 9 ; Pap V, I)

وهذه الصيغة قد ظهرت أكثر من مرة في صلب الرسالة إلا أنها كانت تستعمل في هذه الحالة بداية لفقرة جديدة تبدأ موضوعاً جديداً في الرسالة نفسها . راجع ibid, . P 69 Letter 3 ; P. 71, Pap I, 7 etc . وأكثر الصيغ استعمالاً في هذا العصر الصيغة التالية « إنها رسالة إلى السيد في حياة وسعادة وصحة نخبراً إياه أن كل أحوال السيد (فلان) « داعياً له » بالحياة والسعادة والصحة سليمة ونامية في كل أماكنها ، وذلك برعاية الآلهة (. . .) ، وكل الآلهة المحليين الذين يحبونك ، لا تفعله كل يوم أى من يوم ولادتك إلى يومنا هذا ، أو برعاية كل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا) » . راجع (K. P. Pap I 7 ; P71.) وأكبر دليل على أن هذه الصيغة كانت تقليدية ، وقد فقدت مدلولها الأصلي ، ما نجده في رسالة امرأة قد استعملتها في الكتابة إلى رجل ذاكرة له أخباراً سيئة (راجع K. P S. 75) ، وقد ورد في الدولة الحديثة ما يشابه ذلك من إساءة استعمال مثل هذه الصيغ حيث يقول الكاتب : « موضوع آخر يسر سيدى الخ » ، ثم يذكر بعد ذلك أن ثلاثة من عبيده قد هربوا .

أما في عهد الدولة الحديثة فكان أكثر الصيغ شيوعاً في الديباجة ما يأتى : « أتمنى أن تمنح الحياة والسعادة وطول الأمد والعمر الطويل المبارك ، وأتمنى أن تمنح الخطوة في كنف الإله أوفى كنف سيدك » . راجع Cerny L. R. L. P. 13, 4 — 4 ; L. R. L. 5. 7 ; L. R. L. 29, — 8 — 9

أما في عهد الأسرة الثامنة عشرة فكانت التبركات يعبر عنها بما يأتى « أتمنى أن يمنحك هو أو هم الخطوة . »

الديباجة في الصيغ المحربية :

نجد في بعض الرسائل التمجيدية ومسودات الرسائل الحقيقية في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين أن الديباجة كان يعبر عنها كالآتى : « أتمنى أن يحفظ الفرعون سيدنا » . راجع (Gardiner ; L. E. M. 66, 11 ff etc) . غير أنه قد لوحظ أن المتراسلين في

مثل هذه الرسائل كانوا من رجال الجيش الذين هم في درجة واحدة أو كان المرسل أقل درجة من المرسل إليه . غير أن هذه لم تكن قاعدة متبعة . راجع (Cerny. L. R. L. 41, 11 ff).

الصيغة الختامية

لم نجد فيما وصل إلينا من خطابات الدولة القديمة ما يدل على وجود صيغة ختامية للرسائل . ولكننا من جهة أخرى نجد معظم الخطابات الحقيقية وبعضها من الخطابات النموذجية التي تمرى إلى الدولة الوسطى لها صيغة ختامية تختلف في تركيبها حسب مراتب المتراسلين وحسب موضوع الخطاب . وأقدم هذه الصيغ الختامية « أتعنى أن يكون ما تسمعه حسنا » (راجع Scharff. A. Z. 59, 20 — 51, Griffith, K. P. Vol. I. PP. 67. ff).

ولدينا ورقة مفيدة في بابها عثر عليها في اللاهون (راجع K. P. P. 76) وهي تحتوي على خطاب والجواب عليه ، وكلاهما طريف في أسلوبه لأنه هجاء لا مدح وقد يكون القصود منهما هجاء حقيقيا أو مداعبة من صديقين ، فالخطاب قد كتب بالمداد الأسود وجاء فيه : « رسالة يخبر فيها العبد الفقير السيد في حياة وسعادة وفلاح ؟ ليأتى إلى بلدة « عنخ سونسرت » في اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الحصاد ، أنت يأبها الخبيث المضاعف « أتعنى أن تأتى في حياة وخير » . وقد رد المرسل إليه على تلك الصيغة الختامية الفذة في بابها بالمداد الأحمر : « أرجو أن يكون كل كلامك خبيثا برعاية الإله سبك » (رب رهن) وكل من يرى بك إلى الدمار برعاية روحه ، وعلى ذلك فإن روح الكاهن « حكاك بي » قد أرسلتك إلى جهنم أبد الآبدين « أرجو أن يكون ما تسمعه ضارا وطاعونا »

فترى من تلك الخاتمة أنه بدلا من استعمال « أتعنى أن يكون ما تسمعه حسنا » استعمل « أتعنى أن يكون ما تسمعه ضارا وطاعونا » . ويلاحظ هنا أن الرد كان بالمداد الأحمر ، وذلك علامة على الشر لأن اللون الأحمر يمثل الإله « ست » . ومما يبرهن على ذلك ما جاء في كتاب تفسير الأحلام فإن تفسير الأحلام الدالة على الشر قد كتبت بالمداد الأحمر . راجع (Gardiner, "Hieratic Papyri in the British Museum", Vol. I. P. 9.) على أننا نجد في ورقة اللاهون رقم ٣ (راجع K. P. III, 4) أن الصيغة الختامية هي صيغة مختصرة من ديباجة الرسالة وهي : « هذه رسالة إلى السيد له الحياة والسعادة والصحة لأخبره أن كل أشغال السيد له الحياة والسعادة والصحة (نامية) » . راجع (Griffith. K. P. P. 677) وقد عثر على الصيغة الختامية « أتعنى أن يكون ما تسمعه

حسنا» في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، غير أن هذا الاستعمال يعتبر قديما . (راجع Leyden Letter. No 361) . وفي هذه الحالة نجد مستعملا بين أشخاص من درجة واحدة . أما الاستعمال الذي قد حل محله في الدولة الحديثة فهو «أتمنى أن تكون في صحة جيدة» ، وكان يستعمل حينما يكون الكاتب والمكتوب إليه من درجة واحدة أو يكون المرسل إليه أعلى درجة .

وهذه الصيغة نجدها في الرسائل التي تشتمل على ديباجة كاملة بقطع النظر عن صورة الصيغة الافتتاحية التي تحتويها الرسالة على وجه عام . ولدينا رسالة نموذجية من أوراق «شستر بيتي» (راجع Chester Beatty V verso 2, 1 — 6) تحتوي على ديباجة كاملة ، وقد كان المنتظر أن نجد الخاتمة المعتادة وهي «أتمنى أن تكون في صحة جيدة» . ولكن لما كانت الرسالة من رئيس إلى مرءوس فقد وجدنا أن الخاتمة قد عبر عنها بعبارة «خذ علما بها» . وفي رسالة أخرى خاصة بمعاملات محضة نجد أن الكاتب قد اعتبر صيغة «أتمنى لك صحة جيدة» عبارة تقليدية توضع قبل خاتمة الرسالة الحقيقية التي يعبر عنها : بعبارة «خذ علما بها» . (راجع Chester Beatty V. verso 1, 9 — 2, 5)

على أن هذه الصيغة قد نجدها في وسط الرسالة ، ولكن في هذه الحالة تكون نهاية الفقرة والخطاب يستمر بعدها . وفي هذه الحالة (راجع Cerny L. R. L. 15 13, 38, 8, 21, 24) يلاحظ أن كل فقرة من الرسالة تعتبر كأنها وحدة منفصلة وتكون لها اجزاؤها الخاصة المكونة لها ، أي تكون لها صيغة افتتاحية مبتدئة بعبارة «كلام آخر» بدلا من اسم المرسل وديباجة وموضوع وخاتمة .

ونجد أحيانا أن صيغة «أتمنى لك صحة طيبة» يتبعها «في بيت آمون» ملك الآلهة (راجع Gardiner L. E M, 10, 12) أو «في حضرة آمون» (راجع Berlin Ostraca No. 10628, 10630) .

ونجد على وجه عام أن الرسائل المكتوبة على «الاستراكا» قد حذف منها الصيغة الختامية ، وذلك طبعا لضيق رقعتها كما أسلفنا ، ولأنها تعتبر بطاقات صغيرة تتبادل داخلها وقد شذ من ذلك رسالتان كتبتا على الاستراكا . (راجع Berlin Ostraca No. 10628, 10630) وأحيانا نجد أن الخاتمة «أتمنى لك صحة جيدة» تعقب الجملة «إني مرسل إليك لأعلمك أو إني مرسل إليك لأعلمك بمكاتبة الملك على يد حامل البريد الرسمي فلان» . (راجع

(Cerny, L. R. L, 49, 7 & Gardiner, L. E M., 126, 5 — 6)

ويقابل هذه الصيغة صيغة أخرى كانت تستعمل بوجه خاص في عهد الأسرة التاسعة عشرة، وهي بلاشك صيغة ختامية ترجع جزئيا إلى الدولة الوسطى وتم عن أدب في التعبير وهي « إنها رسالة لأحيط سيدى علما ». ويلاحظ هنا أنها كانت تستعمل في مخاطبة من هو أعلى مكانة . وقد ذكر التاريخ مع هذه الصيغة الختامية في رسالتين . راجع Anastasi (1) 56.1 IX, Vs. 3 & L. E. M. أما في الدولة الوسطى فنجد الصيغة الختامية : « إنها رسالة لذلك السبب (الذى وضع في الخطاب) (K. P. L VI, 1 V. s & VI. 9. Griffith K. P. PP. 82, 80)

غير أنها لم تكن تختتم بها الرسالة عادة في هذا العهد . بل إنها تستعمل أحيانا بمثابة خاتمة لفقرة من الرسالة (راجع ibid Pap VI 4, K. P. P 74) . وفي نفس أوراق اللاهون (Pap. VI. 5 Griffith K. P. P. 81) نقرأ : « إنها رسالة لذلك » وبمعناها : « أرجو أن يكون سيدى في حياة وسعادة وصحة ، حسن الاستماع » . وفي رسائل المعاملات نجد أن الصيغة الختامية كانت « خذ علما بذلك » (أى محتويات الرسالة » .

وفي خلال الأسرة القامنة عشرة نلاحظ أن الرسائل لم يكن لها خاتمة معينة كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة .

وقد لوحظ أنه توجد مساحة بيضاء قبل الصيغة الختامية سواء أكانت « أتمنى لك صحة جيدة » أم « خذ علما بذلك » . وذلك في رسائل الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين . غير أن هذا الفراغ لم يرقط في الرسائل النموذجية . وخلاصة القول أن الصيغتين : « أتمنى لك صحة جيدة وخذ علما بذلك » كانتا الصيغتين الأساسيتين لختام المراسلات في عهد الدولة الحديثة . أما الصيغة : « إنها رسالة لأعلم سيدى » فإنها كانت خاصة بالأسرة التاسعة عشرة

تأريخ الرسائل :

كان تاريخ الرسالة كما ذكرنا آنفا يوضع في أول الرسالة في خلال الدولة القديمة . أما في عهد الدولة الوسطى فكان يوضع على ظاهر الرسالة عند نهاية العنوان، غير أنه كان يسبق اسم الرسول (Griffith, K, P. P72, 74, 77) . أما في عهد الدولة الحديثة فكان يوضع عادة في نهاية الرسالة (Ghurab, ibid. P, 91; Gardiner L. E. M. 84, 4.)

أسلوب تحرير الرسائل

لاشك في أن موضوع الرسالة كان يُصَب في عبارات ومصطلحات تنتخب وفق قواعد وعوامل لا بد من مراعاتها ، تتفق والعصر الذي كتبت فيه الرسالة ، ومرتبة كل من المرسل والمرسل إليه ، والعلاقة التي تربطهما ، ثم الموضوع الذي كان يتناوله الكاتب . وهذه النقطة قد تكلمنا عنها فيما سبق وبخاصة فيما يتعلق بالصيغة الافتتاحية والديباجة والصيغة الختامية وكذلك أساليب موضوع الرسالة ومحتوياتها .

بعض أساليب خاصة بالرسائل :

هناك أساليب خاصة نجدها مكررة في الرسائل كما ذكرنا ، غير أنها تختلف باختلاف الموضوع الذي يتناوله الكاتب .

الأهميّة : لقد وصلنا جواب من عهد الملك « اسيسي » أمر بتحريره إلى أحد أشرف حاشيته « سنزم اب » ردّا على رسالة له وقد ابتدأه بما يأتي : « إن جلالتى قد شاهدت رسالتك هذه التى أرسلتها لى لتجبرنى » . . . وكذلك الجواب الخاص بالجريمة المنسوبة إلى النبيل « سابى » من عهد الدولة القديمة فإنها كانت جواباً على رسالة سابقة وقد قال فيها بعد الصيغة الافتتاحية « إني أنا أخوك قد وجهت عنايتى الخاصة للموضوع الذى أرسلت لى عنه (راجع Smithers, J. E. A, Vol 28, P. 16) . ومما يؤسف له أن قلة الوثائق فى هذا العهد لاتمكننا من معرفة الطريقة التى كان يفتح بها موضوع الرسالة فى ذلك العهد ، على أن الجواب الذى أرسله « بيبى الثانى » إلى « خرخوف » يبتدىء بأسلوب مشابه للجواب الملوكى السابق ، إذ يقول : « لقد علمت موضوع خطابك هذا » . (راجع Breasted, "Ancient Records," Vol. I P. 160) . ونجد أن الكاتب وهو يتكلم عن بعض ما جاء فى تلك الرسائل الملكية يستعمل أمثال الجمل الآتية :

« لقد قلت فى جوابك هذا » و « لقد قلت لجلالتى » الخ

أما فى عهد الدولة الوسطى فلدينا رسالة تبتدىء بهذه العبارة : « حقا فإنه بخصوص ما قد أرسلت لى عنه » . (راجع Griffith, K. P. Vol, I, P. 72) وفى صلب الرسالة نجد « لقد سمعت بالأشياء التى ترسل عنها » (راجع Pap XII, I, ibid, P. 79)

أما فى عهد الدولة الحديثة فنقرأ فى أجوبة الرسائل التعبير الآتى « لقد سمعت كل الأشياء

التي أرسلت لي عنها » وحرفيا « القول الذي عملته أو الرسالة التي عملتها قاتلا » :
ثم يأتي بعد ذلك اقتباس من الرسالة الأصلية ، وينتهي هذا الاقتباس بالجملة التالية :
« هكذا قلت » ، وهذه الصيغة كانت تستعمل عادة في نهاية عصر الرعامسة . راجع
(Cerny, L. R. L. 9, 10 ; 34, 11.)

ونجد أحيانا أن الكاتب يختصر صيغة الاعتراف بوصول الرسالة في جوابه بقوله :
« لقد سمعت » . Gardiner L. E M. 123, 8. وهذه الصيغة قد تكتب كذلك في صلب
الجواب حينما يذكر المرسل إليه أشياء أخرى قد وصلتته في رسالات سابقة .

تعليمات :

نجد في الرسائل أن الكاتب كان يعبر عن الأوامر التي يريد إرسالها بطرق مختلفة
تناسب مع المرسل إليه ، فنجد مثلاً في الدولة الوسطى أن الأوامر قد صيغت في رسالة واحدة
كالآتي : « يجب أن ترسل إلى رسالة بخصوصها » ، « إنه يجب عليك أن ترسل لي رسالة » ،
« يجب أن ترسل لي بخصوصها » . راجع (Griffith, K. P, P. 74 Pap. IV, 4.) .
وكذلك كان يكتب : « مر بأن يحضر إلى » . راجع (K. P P 78) وفي أخرى « مر
بأن يؤتى إلى » و « مر بأن يحضر إلى » . راجع (ibid P. 82) ، وهذا الأمر الأخير هو
من رئيس لمروسة .

أما في عهد الدولة الحديثة ، فقد كان الكاتب يتجنب الأوامر المباشرة ، ويعطى تعليماته
كما يأتي « حينما تصل إليك رسالتي بنبني أن تفعل كذا وكذا » . راجع (Amarna
Letters II, 15, Cairo No, 58058)

الطلبات :

كانت الطلبات في رسائل الدولة القديمة يعبر عنها بطريقة طبيعية مباشرة كما يشاهد في
جواب « حرخوف » ، ولكن بظهور الدولة الوسطى ظهرت عبارات مختارة كالآتية : « إن
الخدام هناك (العبد الفقير) يرسل رسالة بخصوص أن يأمر (سيدى) بأن يعطى » . راجع
(Griffith, K. P., P. 75, Pap IV, 6.)

وكذلك نجد التعبير التالي « إن الخدام هناك يرغب أن يعرف ... » . راجع Griffith
K. P. P77. أو « إنها رسالة إلى سيدى له الحياة والصحة والسعادة قصد أن يجعل قلبه يهتم
بى . . . » . راجع (ibid, P. 72, 79)

أما في عهد الدولة الحديثة فكان يمر عن الالتماس كما يأتي « واجمل التفاتك إلى » وكان ذلك التعبير يستعمل عند ما يريد الكاتب أن يطلب إلى المکتوب إليه تنفيذ شيء في أدب . راجع (Cerny L. R L. 14, 4, 20, 17)، وكذلك وجدنا التعبير التالي « لا تكن متوانياً في » راجع (ibid 14, 11).

الاهتمام المرسل بالمرسل إليه :

كان يمر عن هذه الماطفة في عهد الدولة الوسطى بالطريقة الآتية « إنها رسالة إلى السيد له الحياة والسعادة والصحة ليأمر بالكتابة للخادم هناك (العبد الفقير) فيما يختص بحياة وسعادة وصحة سيدي (الذي أرجو له الحياة والسعادة والصحة) . راجع Griffith, K. P, P. 75, Pap. L, VI ومن الطريف أننا نجد في رسالة أخرى أنه قد ذكر بعد الصيغة السابقة « لأن قلب الخادم هناك (العبد الفقير) يكون فرحاً عندما يسمع بحياة وسعادة وصحة سيده ، الذي أرجو له الحياة والسعادة والصحة » . راجع (ibid, P. 81) . والواقع أن مثل هذا الاهتمام والدعاء نجده في المكاتبات المربية غير أنه يوضع في صورة مترادفات أخرى . أما في عهد الدولة الحديثة فنقرأ « لا تتوان في أن ترسل إلى عن حالتك » . راجع Cerny L R. L. 15, 12 — 13.

وقد يضاف إلى ذلك « لأنني مشغول البال من جهتك » (Gardiner, L. E. M, 68, 1—2) وكان الرد على ذلك « لا تشغل قلبك من جهتي » . راجع (ibid 7, 4) أو « إني في صحة اليوم . أما الغد ففي يد الله » . راجع (ibid 16, 3) ، وفي رواية أخرى لهذه الصيغة من الأسرة التاسعة عشرة نقرأ « نحن بصحة اليوم غير أننا لا نعرف ما ستؤول إليه حالنا في الغد » . راجع (Leydén, No. 360) .

ردوس فقرات هدية في الرسالة :

كان الكاتب المصري عند ما يريد أن يبتدىء موضوعاً جديداً في صلب رسالته يستعمل لذلك ألفاظاً وأساليب خاصة ، ففي الدولة القديمة كان يستعمل لفظة «والآن» أو «وبعد» أو «وفضلاً عما ذكر» . راجع Smithers, J. E, A Vol. 28, P. 16, Gardiner J E, A. Vol B P.75 أما في عهد الدولة الوسطى فإن التعبير الذي ذكرناه فيما سلف وهو « إنها رسالة إلى سيدي له الحياة والسعادة والصحة » كانت غالباً يستعمل في بداية فقرة

جديدة كما كان يفتح به الرسالة (راجع Griffith, K. P. PP. 67, ff) ونجد في بعض الرسائل من ذلك العهد أن الرسالة كانت تفتح بكلمة « تأمل ». راجع (ibid P. 71, —75) أما في عهد الدولة الحديثة فكانت تستعمل العبارات التالية (١) « كلام آخر » . راجع Cerny L. R. L. 36, 11 (٢) « رسالة أخرى لسيدي » Anastasi IX; 1 (٣) « إنها رسالة لأحيط بها علم سيدي » وهذه الصيغة الأخيرة نجدها في الرسائل النموذجية من عهد الأسرة التاسعة عشرة وفي رسالة من عهد الأسرة العشرين . راجع Gardiner, L. E. M. 115, 13 (٤) « لقد أحضرت إليك هذه الرسالة المكتوبة قائلة... » وهذه الصيغة أصبحت لا تستعمل في عهد الأسرة العشرين راجع Cairo No 58055, 2

تعبير كاتب الرسالة عن نفسه :

كان الكاتب يعبر عن نفسه في تواضع بالمباراة الآتية « العبد هناك » بدلاً من كلمة « أنا » وهي ما تقابل في التعبير العربي (العبد الفقير) وقد كان ذلك خاصاً بالدولتين القديمة والوسطى كما سبق ذكره

أما في الدولة الحديثة فقد كان نادر الاستعمال (راجع قصة المحاصمة بين حور وست) على أنه لدينا رسالة من عهد الدولة الوسطى من رجل إلى امرأة لم يستعمل في مخاطبتها هذا التعبير ، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن الرجل كان لا يستعمله عند مخاطبة المرأة أو إلى أنها كانت أقل منه درجة في الهيئة الاجتماعية (راجع Griffith, K. P, pp. 72, 73) وقد استعمل الكاتب في رسالته المباراة التالية متكلاً عن نفسه « الشريف هنا » وفسرها بعد ذلك في صلب الخطاب بلفظة « أنا » وهذا يدل بطبيعة الحال على أن الرسالة كانت من رئيس عظيم إلى مرءوس صغير . (راجع Ibid P. 82, Pap. LXV, 1)

هذه نظرة عامة عن الرسائل المصرية من أول نشأتها حتى نهاية عصر الرعامسة وقد توخينا في ذلك الاختصار حتى لا نخرج عن الغرض الذي رُمي إليه وهو أن نضع أمام القارئ صورة موجزة عن تاريخ هذه الرسائل بقدر ما وصل إلينا من المعلومات ، وسنورد فيما يلي بعض النماذج من هذه المراسلات . وسنوجه عنايتنا فيما سنورده هنا إلى الرسائل التعليمية والنماذج الإنشائية التي كان يهتم بها المصريون في عهد الدولة الحديثة، وسنضرب صفحاً عن رسائل المعاملات والرسائل الأخرى المملة التي لا يستفيد منها القارئ إلا شيئاً من الوجهة

الاجتماعية . وسنتكلم عن ذلك في موضعه من تاريخ مصر القديمة وبخاصة في عهد الدولة الوسطى . هذا إلى أننا قد استعنا بما وصل إلينا من كل المصور في الشرح الذي وضعناه بين يدي القارئ والذي يمكن تطبيقه على الأمثلة التي سنورها هنا . والأمثلة التي سنضعها أمام القارئ تنقسم خمسة أقسام وهي :

- (١) تعاليم وتحذيرات للتلاميذ
- (٢) رسائل حقيقية استعملت نماذج إنشائية للتلاميذ
- (٣) رسائل نموذجية من إنشاء المعلمين
- (٤) تهنئات إلى المعلمين والرؤساء
- (٥) منافسة أدبية

الحياة في المدرسة^(١)

ينصح الوالد في هذه الرسالة ابنه بعد أن أدخله المدرسة أن يثابر على تحصيل العلم ليكون كاتباً ، والكتابة أعظم الحرف في كل زمان ومكان في مصر القديمة ، إذ بها يمكن الإنسان أن يرتفع إلى أعظم المناصب الحكومية ، ثم نراه يضع أمام ابنه القواعد التي يجب أن يسير على نهجها حتى يصل إلى غرضه ، ثم هو يحذره التراخي في اتباع نصائحه وإلا كان العقاب الجفائي جزاءه فيقول :

إني أضحك في المدرسة مع أولاد العطاء لأرييك ولأجعلك تعلم هذه الحرفة التي تعظم صاحبها .

انظر إني أقص عليك كيف يكون حال الكاتب حينما يكون . . . استيقظ ، في مكانك ، إن الكتب قد وضعت أمام زملائك . ضع يدك على ملابسك وانظر إلى نعليك (؟) «
وعندما تأخذ (فرضك) اليومى . . . ، لاتكن كسلان . . . (٢)

. . . . وقرأ بجد في الكتاب . ولاتدع كلمة تسمع عندما تحسب في صمت (أى حساب عقلى)

اكتب بيدك ، وقرأ بعينك . واستشر من هم أبه منك (؟) ، ولا تتراخ ولا عض

(١) راجع Pap Anastasi V. 22 6 ff.

(٢) يحتمل أن تكون التريبات الحسائية هي موضوع الفقرة التي حذفت

يوما في الكسل ، أو يلحق الويل أعضائك ! واعمل على فهم طريقة أستاذك واضح
إلى تلميحه

... انظر إلى معك كل (يوم ؟) احذر أن تقول ... ؟ »

كن مجتهدا

وهنا يبحث على الاجتهاد ، ويفريه بما ينتظره من المستقبل إن اجتهد ، ويخوفه العقاب
إن أهمل ، وكفى عن أثر الضرب المفيد في التعليم كناية طريقة فجمل أذن الولد مركبة في
ظهره ، وضرب له الأمثلة على أن التعليم أصبح يصل إلى الحيوان والطيور ، والإنسان
لاشك أجدر به منهما قال :

(٢) [كمه مجتهدا]^(١) يأبها الكاتب لاتكن كسلان، لاتكن كسلان ، وإلا فانك
ستعاقب عقابا صارما . ولا تجمعن قلبك بنفس في اللامى ، وإلا فصيرك الخراب ،
واكتب بيدك واقرا بفمك واستشر من هم أعلم منك .

وحصل لنفسك وظيفة حاكم حتى يمكنك أن تصل إليها عندما تصير مسنا . والكاتب
الذى ينبغ في حرفته سميد فهو أستاذ تربية . وثابر كل يوم ، وبذلك ستفوق فيها (الكتابة
أو معرفة الكتابة) . لا تمض يوما في الكسل أو تضرب . وإن أذن الولد على ظهره فهو
يسمع حينما يضرب . واجمل قلبك يصنى إلى كلماتي ؛ فأنها ستكون نافمة لك . وإن
« الكارى »^(٢) يعلم الرقص ، والخليل يكبح جاحها ، والحدأة (؟) توضع في عش (؟)
وجناحا الصقر يشدان^(٣) (أى لأجل أن يصير مدريا) . ثابر في طلب النصيحة ولا تهملها
لا تملن الكتابة . دع لبك يصنع إلى كلماتي وستجدها مفيدة .

وفي هاتين الرسالتين يبين أنه بذل المستطاع لتعليمه ، وجلب له معلم صبيان بالليل وآخر
بالنهار حتى يقوى على الدرس والتحصيل ، فبدا أنه أقل اعتمادا من الأسود في ترويضها ،
والطيور في تعليمها ، والخليل في تدريبها ، وأن النصيحة غير مجدية فيه ، والضرب لا يردعه
عن تهاونه . فثله مثل الحمار العنيد أو العبد الغفل الذى لم يصقله الثقافة ولا التهذيب . قال :

(١) راجع Pap. Anastasi III. 3. 9. ff.

(٢) حيوان أنثوي

(٣) إذا تمكن هض من تدريب هؤلاء فمن الممكن أن يصل للثلث ملك

(٣) [كنه مجنهرًا]^(١) لا تكن رجلا غنيا لاعلم عنده .

ففي الليل يدرس لك واحد ، وبالنهار يعلمك آخر ، غير أنك لا تصنى إلى التعليم ، بل تعمل حسب ميولك . إن « الكايرى » يصنى إلى الكلمات حينما يجلب من « أنيوييا » والأسود تدرب ، والخيول يكبح جماحها ، ولكنك لا يشابهك إنسان في كل الأرض . أرجو أن تفطن لذلك .

(٤) [كنه مجنهرًا]^(٢) إن قلبى قد سئم إعطاءك دروسا (أكثر مما أعطيتك) ، ويمكننى أن أضربك مائة ضربة ، ومع ذلك فإنك تلقى بها جميعا ظهريا . وإن مثلك عندى كحمار قد ضرب ولكنه عنيد (؟) ، وكذلك مثلك عندى كمثل عبد أسود يزجر . قد أحضر مع الجزية^(٣) إن الحدأة توضع في العش ، وجناحاها يوثقان . وإنى لجاعلك تلعب دور الرجل يأبها الولد الردىء . أرجو أن تفطن لذلك .

وزى الوالد في هذه الرسالة يزهّد ابنه في معاقرة الخمر ومخادنة الحسان ، ويصور لابنه حاله عندما يكون ثملا مترنحا يخيف الناس ، ويخرج عن جادة العقل فيقصف ويلهو ويتمرغ في التراب ويتمسح بالقيان ، ويصدق مع الصادحات ، ويذهب بوقاره ما يصدر عنه من لغو ومن تأثيم ، فتراه يقول له :

(٥) [الجمعة والعزاري]^(٤) لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأنتك أسلمت نفسك (؟) للملاذ ، وأنتك تتسكع من شارع إلى شارع حيث رائحة الجمعة . إلى التلف ؟ إن الجمعة تفزع الناس (منك) وتودى بروحك إلى الدمار (؟) ومثلك كمثل سكان السفينة المكسور الذى ينقاد إلى كلا الجانبين ، وكالقصورة من غير إلهها ، وكالبيت من غير خبز . وقد وجدت تتسلق جدارا وتكسر ال وقد فر الناس من أمامك لأنك تنزل بهم جروحا . فليتك كنت تعلم أن الخمر إثم ، وأن تقسم ألا تشرب « الشدة »^(٥) وألا تسلم قلبك للزجاجة (؟) وأن تنسى شراب « ريلك »^(٦)

(١) Pap. Bologna 1094. 3. 5. ff.

(٢) Pap. Sallier I, 7. 9. ff.

(٣) العبد الذى جلب حديثا ولا علم له باللغة المصرية فهو يزجر

(٤) Pap Anastasi IV 11. 8 ff. & Pap Sallier. 1, 9. 9ff.

(٥) شراب حلو مسكر

(٦) كلمة أجنبية لنوع من الشراب

قد عُلِّمَتَ كيف تنفى على القيثارة وتضرب على الأرغول . وتنفى على كتنور (العود) مترعاً . وتنفى على النزع^(١) وتجلس في البيت وتحيط بك البنات ، ثم تقف وتعمل . . . أنت . . . وتقدم أمام قَيْسَنَة ، وترش بالمطور وتيجانك المصنوعة من زهر « أَشْتِ بنو » تتدلى حول نحرِكَ ، وتطبل على جوقك ، وبعد ذلك تسقط على بطنك وتلطن بالأوساخ . . . وهنا يرى الوالد ابنه أن من حام حول الحمي يوشك أن يواقعه ، وأن التسكع في الطرقات يجر إلى الزلل ، ويضرب له الأمثال على أن من عانى التعليم في صغره يدرك ما تصبو إليه نفسه في كبره ، فقال :

(٦) [التلميح في الأرغول]^(٢) « لقد سمعت أنك تنتسلم للملاذ . لا تولين ظهرِكَ إلى كلماتي . هل تسلمن عقلك لكل أنواع الأشياء الصماء ؟ . . . سأجعل قدمك تزل (؟) حينما تنزلق إلى الشوارع (أى تسكع في الشوارع) وستضرب بسوط من جلد فرس البحر .

ومهما يكن من أمر فإني رأيت كثيراً من أمثالك قد جلسوا في قاعة الكتابة ، ولم يقولوا « بالله » (من غير أن يقسموا) : « بأن الكتب (لا تساوى) شيئاً مطلقاً » ، ومع ذلك فإنهم صاروا كتاباً ، وذكر الواحد (الملك) أسماءهم ليرسلهم في مهمات .

وإذا نظرت إلى حينما كنت صغيراً مثلك وجدتنى مضيت وقتى والأغلال في يدي ، وقد شدت أعضائي بها ، وقد مكثت بها مدة ثلاثة شهور ، وسجنت في المبد في حين أن والدي ووالدتي وأخي كانوا في الأرياف ، ولما فككت عنى (الأغلال) وأصبحت يدي طليقة فقت ما كنت عليه فيما مضى ، وكنت أول زملائي وتفوقت عليهم في الكتب .

افعل ما أقول وسيكون جسمك سليماً وستجد في الصباح^(٣) ألا أحد يملو عليك . (الذين هنا مضطرب غامض ، ويظهر من خلاله أن الوالد يضرب لابنه الأمثال على تحبسه في حياته ، وعلى أن نتيجة مثل ذلك الخيبة والفشل) . قال الوالد :

(١) كلها كلمات أجنبية ؛ كتنور هي قيثارة أجنبية ، وكفلك يحتمل أن « نزع » مثلها . أما لفظة انن فيجوز أن معناها الترنم

Pap. Anastasi V. 17. 3 ff (٢)

(٣) كتب التلميح كلمة الصباح خطأ وصحها معلمه بكلمة شهر خطأ أيضاً (وهناك تشابه بين كلمة صباح وشهر في الكتابة)

(٦) [كن مجرماً]^(١) « حُذِثْ أَنْك تَهْجُر الْكِتَابَةَ ، وَأَنْك تَسَافِر وَتَهْرَب . وَأَنْك تَهْجُر الْكِتَابَةَ بِقَدْر مَا تَسْتَطِيع قَدَمَاكَ مِنَ السَّرْعَةِ ، وَأَنْك فِي هَذَا كَحَصَانِينَ . . . (ومن يقرأ هذا التعبير يثب إلى ذهنه « فرسا رهان » التعبير العربي ، ولكن لم يكن في مصر في ذلك الوقت سباق للخيل إذ كانت الخيل تجر العربات فقط) وقلبك يرفرف . وإنك لكالطير المسمى (إخى) ، أذنك . . . وإنك لكالحمار حينما يضرب . وإنك لكالغزال الشارد .

ولكنك لست بصائد الصحراء ولا « ماتوى » الغرب .

ولكنك لست بالأصم الذى لا يقدر أن يسمع فيكلمه الإنسان باليد (بالإشارة) وإنك مثل رفيق ربان ماهر فى السفينة^(٢) حينما ينوب عن زميله فى قيادتها ويقف فى المقدمة (؟) وهو لا يلتفت إلى الرياح العكسية ، ولا يبحث عن الموجة (أى لا يلتفت إلى التيار) فإذا ما انفلت الحبل الخارجى الـ . . . الحبل يعلق حول رقبته وعندما يشد الحبل . . .

كل الكلام الآتى مبهم ، ونعلم أنه يقطف الأزهار على الشواطىء ، ومن الجائز أن هناك وصفا مضحكا للملابسة : شعره الستعار بخصلته المجعدة التى تضرب إلى قدميه من صنع « أثيوبى » الخ .

والخاتمة هى : وله أذن صماء فى يوم^(٣) الحمار ، وهو مجداف محرك فى يوم السفينة ، وسأفعل كل ذلك له^(٤) إذا ولى ظهره إلى حرفته .

وفى الرسالة الآتية يرغب الوالد ابنه عن الفلاحة بذكر الجوائم التى تجتمع على الفلاح فتحرمه ثمار كده من قاذح الضرائب ومختلف الآفات ، ومن ضروب الإهانات التى تقع عليه ، ولا يسلم منها زوجها وبنوه ، ثم يرغب فى الكتابة ويزين له الاشتغال بها فيقول :

(٧) [لا تسلمه فمواها]^(٥) « لقد أخبرت أنك تهجر الكتابة وتسترسل فى الملاذ ، وأنك قد صممت على العمل فى الحقل وحولت ظهرك عن كلمات « الله »^(٦) . ألم تفكر كيف تكون

(١) Pap. Koller 2. 3. ff. = Pap. Anastasi IV. 2. 4. ff.

(٢) يجوز أن المقصود هنا نوتى يضع نفسه موضع ربان السفينة ثم يجيب فى محاولته .

(٣) معنى ذلك أن التلميذ لا يسمع ، والجملة التى فيها تعود على ما سبق ذكره عن الحمار والسفينة .

(٤) ليس فى الجملة أى تهديد له ويجوز أن فى الكلام المبهم تهديداً ولكن لم نفهمه .

(٥) Pap. Sallier 1. 5. 11 = Pap. Anastasi V, 15. 6. ff. & Journ. of Egypt. Archelogs

Vol 27. p. 19. ff.

(٦) الكتابة الميروغليفية والنون القديمة .

حال الفلاح حينما يسجل الحصاد^(١) . وقد أكل الدود نصف الغلة والتمهم فرس البحر ما تبقى . وعندما يزخر الحقل بالفيران ، والجراد يجتاحه ، والماشية تلتهم ، والمصافير تسرق ، فالويل للفلاح وقتئذٍ (؟)

والبقية الباقية في الجرن يأتى اللصوص على آخرها . ال . . . من النحاس محطمة .
والحصانان يموتان في اللرس والحرت .

والآن يرسو الكاتب إلى الشاطئ ، ويأخذ في تسجيل المحصول والحراس يحملون عصيا والمبيد يحملون جريد نخل . ويقولون : « هات غلة » « ليس هناك غلة » وعندئذٍ يطرح أرضا ويضرب ، ثم يوثق ويلقى في التربة ويمس في الماء منكسا ، وزوجه توثق أمامه وتوضع أطفاله في الأغلال (؟) وجيرانه يولون الأدبار ، وبعد ذلك تطير غلثهم . أما الكاتب فإنه يدير عمل كل الناس . وليس عليه ضريبة لأنه يدفع جزيته بالكتابة ، وليس عليه جزية . أرجو أن تظن لذلك .

وفي هذه الرسالة الآتية يرفع من شأن الكاتب كمادته ميثنا نفوذه ومنزلته ، وينفض من شأن الجندي فيكشف عما يلاقيه من عنت الرؤساء ، وهم كثيرون يتدرجون في الرتبة ويتباينون فيها ، وإن اتفقوا على تكليف الجندي بشاق الأعمال ، وهو لذلك ينأى بابه عن أن يتخذ الجندي حرفة له .

(٨) [لا تكلم جنربا]^(٢) « ضع الكتابة^(٣) في صدرك حتى تقى نفسك أى عمل شاق ، وتكون حاكما ذائع الصيت . ألا تذكر الفرد الخامل المغمور الاسم ؟ إنه سيحصل كالحمار ، حينما يقف أمام الكاتب الذى يعرف قيمته (؟)

تمال ، ودعنى أخبرك سوء حال الجندي بالنسبة لمرءوسيه العديدين — القائد ، فقائد الرديف ، « والسكت الذى على رأسهم » ، وحامل العلم ، وضابط الصف ، والكاتب ، وضابط الخمسين ، وقائد عساكر « أداى » (الذين يستخدمون خاصة في الخارج) وهم يروحون ويفدون في حاشيتهم في القصر الملكى ويقولون : « دعهم ؟ يعرفوا ؟ العمل » .
ويستيقظ بعد مضى ساعة (من نومه) ويساق كالحمار ويشغل إلى أن تغيب الشمس

(١) اى هند ماؤخذ منه الضرائب .

Ostracom in Florence; (Erman, A. Z. Vol, XVIII P. 96. & Blackman (٢)
J. E. A. XI PP. 291.

(٣) يقصد بالكتابة هنا اللون القديمة والكتابة المقدسة .

تحت ظلام الليل . فيصير جوعان وجسمه . . . ، وكأنه ميت ولا يزال حيا » .
وفي الرسالتين التاليتين مقابلة بين الكاتب والجندى رفع فيهما منزلة الكاتب وهوى
بمنزلة الجندى ، وبين ما يلحقه من عنت وإرهاق وأذى واحتقار فقال :

(٩) [لو تكلم منبريا]^(١) « آه . ماذا تعنى بقولك : « إنه يظن أن الجندى أسعد حالا
من الكاتب ؟ » . دعنى أحدثك عن حال الجندى الذى يضرب غالبا ، حينما يؤتى به وحينما
لا يزال ... طفل ، ليحبس فى المسكر (؟) . ثم إنه يضرب ضربة موجعة على جسمه وضربة
محطمة على عينيه وضربة تسكبته على جبينه ، ورأسه يشج ببحر ، وهو يطرح أرضا ويضرب
كوثيقة (كما تضرب ورقة البردى عند صنعها ؟) وهو يكسر ويجرح بالجلد . . . تعال . دعنى
أخبرك كيف يذهب إلى سوريا ، وكيف يسير على الجبال . وخزئه وماؤه على كتفه كحمل
الحمار . ويحملون رقبته مثل . . . مثل رقبة الحمار . وفقرات ظهره قد حنيت . وشربه ماء
أسن . وإذا أغفى من السير كُتِفَ بالحراسة . وعندما يصل إلى الأعداء يكون كالطائر فى
الأحبولة ، وليس فى جسمه قوة . وإذا عاد إلى مصر كان كالخشب الذى نخّر بتأثير السوس ،
فهو مريض طريح الفراش ، ويؤتى به ثانية على حمار وملابسه تسرق وخادمه يولى الأدبار .
بأيها الكاتب إننا (٢) لا نعتقد أن الجندى أسعد حالا من الكاتب » .

(١٠) [لو تكلم منبريا]^(٣) « ول وجهك شطر الكتابة نهارا ، واقرأ ليلا لأنك تعلم
ماذا يفعله المليك فيما يمس كافة إجراءاته . فكل رعاياه تمرض ويؤخذ أحسنهم . فالرجل
يصير جنديا والشاب يصبح مقترعا . والولد يربى فقط لينتزع من حضن أمه ، وإذا بلغ
أشده حطمت عظامه .

هل أنت حمار يساق لأنه لا عقل له فى جسمه ؟ .

اكتسب لنفسك هذه الحرفة العظيمة ، مهنة الكاتب ، فإن دوانك وقرطاسك
يكونان مبتهجين ومفعمين بما يملكان . وتكون فرحا كل يوم . أرجو أن تظن لذلك » .
وهنا حمل الوالد على الفارس الذى يسوس جياد العربات مبينا كدحه فى سبيل أداء واجبه ،
وما ينفقه ثمنا للعربة والمجلات ثم سوء ما يلاقيه من الجزاء بعد إنفاق القوة والوقت والمال .
ومن الدهش أن هذه كانت أشرف مهنة فى خلال الدولة الحديثة ، وبخاصة فى عهد الأسرتين

(١) Pap. Anastasi IV. 9. 4 ff. = ibid III 5. 6.

(٢) اسم التلميذ الذى نسخ هذا الخطاب

(٣) Pap. Sallier. I. 3. 6 ff. = Pap. Anastasi V 10. 3 ff.

الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . إذ كان لا يحترفها إلا أولاد علية القوم وأهل اليسار ، وذلك لأن الخليل كانت قد جلبت للبلاد حديثا ، وكان لا يستعملها إلا الملوك وأولادهم وأصحاب النفوذ ، ولا أدل على ذلك من أن « تيمس الثالث » كانت له اصطبلات خاصة لتربية الخليل وتعليم ابنه « المنحوت الرابع » سياستها وتدريبها ، والغريب في كل ذلك أن القوم كانوا لا يمتطون ظهورها ، بل كانوا يستعملونها في جر العربات وحسب .

(١١) [لوتكى فارسا] ^(١) « وطن نفسك على أن تكون كاتباً حتى يمكنك أن تدير جميع الأرض . تعال ودعنى أحدثك عن حرفة نمسة ، وهى مهنة فارس العربية (الخيال) . فانه يوضع فى الاصطبل (الملكى) بوساطة والد أمه (لأنه من أسرة طيبة) ومعه خمسة عبيد ، رجلان منهم يساعدانه (؟)

وهو يهرول ليحضر جياداً من الحظيرة فى حضرة جلالاته . وحيناً يحصل على خيل جميلة يصير فرحاً مرحاً ، ويأتى بها إلى بلده ويطؤها بالقدم (المدينة) بلذة . وما أسمعده حين يطؤها بالقدم . . . غير أنه لا يعرف للآن ما قدر له . وهو ينفق ماله الذى ورثه من والد أمه ليحصل على عربية ، عجلتها تكلفه ٣ دين ، والعربة نفسها تتكلف ٥ دين ^(٢) ، ثم يسرع ليشى بالقدم من عليها ، ثم يمد نفسه ليلبس حذاء . . . ثم يأخذ نفسه ويضع رجله فى نملين (؟) ثم يرمى بها (العربة) فى الغابة وتجرح قدماه بالنملين (؟) ويمزق الشوك جلبابه .

وعندما يأتى (الملك) يستعرض الجنود فانه يكون معذباً عذاباً ألماً (؟) ويضرب وهو على الأرض مائة جلدة .

ولا يزال صاحبنا هنا يبعد ويبدى فى الكتابة . فهى هدفه الذى يسعى ليصل ابنه إليه . فلا غرابة إن رفعها على أنقاض الحرف الأخرى ، وخص بهجومه فى هذه المرة الجندى والكاهن والخباز ، وإن لم يسلم منه أضرابهم من أصحاب المهن الأخرى . قال :

(١٢) [لوتكى جندياً وخبازاً وملكاً] « كن كاتباً تنج من السخرة وتضمن من كل عمل . فهو معنى من العزق بالفأس ، وليس عليك أن تحمل الكتل . إنها تخلصك

Pap. Anastasi III 6. 2. ff. (١)

(٢) أى يكون ذلك ٢٧٣ و ٤٥٥ جراماً من الفضة (إذا كان المقصود هنا هى الفضة) ، وذلك مبلغ عظيم .

(بهيئة الكاتب) من الجدف بالمجداف ، وإنها خالية من الكدر . وليس فوقك عدة رؤساء ولا جم غفير ممن هم أرق منك .

وسرعان مايخرج الرجل (غير الكاتب) من فرج أمه حتى يطرح أرضا أمام رئيسه . فالولد يصير تابعا للجندى ، والشاب يصبح مقترا ، والرجل الكهل يصير فلاحا ، والمدنى يصبح سائسا ، والأعرج (؟) — يصير بوابا ، والقصير النظر ؟ يطعم الماشية . ، والدجاج يذهب على الـ والسمك يقف في البلل . وملاحظ الإصطبل يقف عند العمل ، على حين أن جياده تترك في الحقل^(١) ، ويرعى بالغلة إلى زوجه وبنته على الشاطئ (؟) ، وإذا تركته جياده وهربت فإنه ؟ يجند في فرقة « أواي » (الرجال)^(٢) .

والجندى حينما يذهب إلى سوريا يذهب من غير عصا ولا نملين . ولا يعلم إذا كان سيموت أو يبقى حيا بسبب الأسود المتوحشة (؟) ، والعدو يرقد مختبئا في عشب أو يقف مستعدا للمعركة ، والجندى يمشى ويتضرع لربه : « تعال إلىّ وخلصنى ! »

والكاهن يقف هناك كالفلّاح ، والكاهن المطهر يشتغل في التربة^(٣) ويبلل في النهر ، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف أو إذا كان الجو عاصفاً أو ممطراً . والخباز يقف ويمجن وعند ما يدرس رأسه في الفرن ليضع الخبز على النار يكون ابنه ممسكا بقوة على قدميه ، وإذا اتفق أنه أفلت من يد ابنه سقط في اللهب . أما الكاتب فإنه يدير كل عمل في هذه الأرض .

والوالد في هذه المرة يريد أن يضمن لابنه نوعا من الترف لا يجده إلا عند الموظفين ، فال موظف سيد يقدم له الماء ويصنع له الخبز ، وليس عليه إلا أن يأمر فيطاع ، فهو قطب المجالس وعماد الدوائر ، ولذلك يزين لابنه أن يكون موظفا حتى يقضى وقته بين الدفاتر والمحابر ، وينجو من الأعمال الأخرى الشاقة المرهقة .

(١٣) [كن موظفا]^(٤) « لا تدعن قلبك يهتز كورقة أمام الريح ... ولا تسلمن قلبك للملاذ ؛ فإنها بكل أسف لا تفيد ولا تؤدي للإنسان أى خدمة ... وحينما يشتغل (بيده)

(١) عليه أن يغتش العمل في الحقل . وما يأتي بعد لابد أن يعنى أنه عند اشتغاله بذلك لا يكون في قدرته أن يلتفت إلى شئون أسرته

(٢) ربما يقصد أنه خلال خلوه من الأعمال الحربية إذا فقدت جياده فإنه يضم إلى الرجال ليجد بينهم عملا

(٣) حق الكاهن كان لا يعنى من السخرة

(٤) Pa^١ Sallier I, 5. 4. ff. (٤)

وكان من نصيبه أن يخدم مجلس الثلاثين^(١) حرم القوة والاستجمام^(٢) . لأن العمل الشاق لا ينقطع عنه ولا خادم يقدم له الماء ولا امرأة تصنع له الخبز . على حين أن إخوانه^(٣) يعيشون كما يرغبون ، وخدمهم يشتغلون بدلا منهم^(٤) . ولكن الرجل الذى لا إحساس عنده يقف هناك ويشقى ، وعيناه تنظران حسدا إليهم^(٥) . من أجل ذلك تَبَصَّرَ أيها الولد الشقى ، أيها العنيد الذى لا يريد أن يصنى حينما يُتحدث إليه ؛ أسرع إلى تلك الحرفة بسرور ...^(٦) إنها هى الصناعة التى تدير كل مجالس الثلاثين^(٧) ورجال حاشية الدائرة الملكية .

أرجو أن تفطن لذلك .

وهنا أيضا يحاول الوالد أن يجذب ولده إلى الكتابة وينحيه عن الملاذ فيقول له :
(١٤) [قطعة] ^(٨) « لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأسلمت نفسك للملاذ ، وأنتك أدت ظهرك إلى كلمات « الله » وفررت من صناعة « تحوت » . إن قلبك لا يعرف أنك ... لتقود الآخرين ... »

(موضوع القطعة التالية لهذه يحتمل أن يمدد ويلات الجندى)

وهنا يخلع صاحبنا على الكتابة كل ما يحب ابنه فيها ونخوفه الجندية وحياتها . قال :
(١٥) [كسر لابتا] ^(٩) « واستعمل قلبك فإنها صناعة أنفع من أية صناعة ، وكل إنسان يحترم بوظيفته ، فاجتهد فى الحصول عليها لنفسك ، وضع كلماتى فى أذنك حتى تصبح رجلا ، وتتمكن من أن تكون ذا حيئية لأن المؤلم أن تعمل جنديا يساق كالحمار ، وإذا أرسل للجيش فى سوريا أو إلى السودان وترك وراءه أولاده وملابسه فى بيته ، كان طعامه كلاً الحقل كالسائمة ، وإنى أرجو أن تفطن لذلك ! »

(١) جامعة كبار للموظفين

(٢) لا يمكن أن ينام ويستريح

(٣) وهم الذين أصبحوا كتابا

(٤) يشتغلون بدلا منهم فى الواجبات المنزلية أو أعمال السخرة فى جسور النيل

(٥) إلى زملائه أيام المدرسة الذين أصبحوا كتابا

(٦) مهنة الكاتب

(٧) وعلى ذلك يظهر أنه كان هناك عدة مجالس من هذا النوع

(٨) Pap. Anastasi V. 6. 1. ff.

(٩) «The Hieratic Papyri in The British Museum», Vol. I P. 47.

وفي الخطاب التالى نجد الكاتب أسعد حالا من الفلاح والخدام والنسال والبحار ، وفي هذا الخطاب يحاول الكاتب التهمك على الحرف ، ولكن قلته يقصر عن بلوغ ذلك . فإن تشبيهاته فقيرة وفيه نقط غير مفهومة .

[كن تبا] ^(١) « وأسلم قلبك لها (أى صناعة الكاتب) حتى تخلص نفسك من أن يكون عليك رؤساء كثيرون ، وحتى يمكنك أن تصير كفتا في القد ، فكل حرفة عليها ضريبة ، وكذلك كل أجير ، فالذين في الحقل يحرقون ويحصدون ويخزنون ويدرسون في الجرن . والخدام تسلق التين ، والنسالون على شاطئ النهر وينزلون الماء والبحار — كما يقولون — إن التماسيح تقف هناك ، على حين أن القارب وهو مدينته يوم (؟) لأن البحار قد أتهك والمجداف في يده ، والسوط على ظهره ، وجوفه خال من الطعام ، ولكن الكاتب يجلس في حجرة السفينة وأولاد المظلاء يُجذفون له ، وليس عليه حساب يدفعه ، والكاتب ليس عليه ضرائب يؤديها . فافطن لذلك » .

وهنا أيضا يحذره أن يكون جنديا ويعدد له متاعب الجندي ومخاوفها ، ويلبس الكاتب ثوبا براقا من السرور والثراء والهيمنة على شئون العباد .

(١٦) [كن تبا ولا تكن منديا] ^(٢) « تعال ودعنى أصف لك حالة الجندي ذلك الفرد الذى يعذب كثيرا يوم أن تدعى طيبة لإقامة الأفراح في الهواء الرطب في الشهر الثانى من الشتاء ، فالرء (أى الجندي) يكون في موقف مؤلم عندما يتمثر في طريقه من غير حذاء ، والحلفاء تعوق طريقه ، والحشائش تكون كثيفة مشتبكة ، والأعشاب منيعة ، والضباط من خلفهم بالمصى ، ويضربون ثم يضربون ، ويكون عطشان . على أن شرب الماء لا يتغلب على القيظ والمرض ، و" ، في وقت ظهور الفرعون بفخامته في أول يوم الاحتفال بالتتويج ، وهو اليوم الذى تؤن فيه « عين شمس » بإقامة الأعياد . تعال ودعنى أخبرك بزولة (أى الجندي) إلى سوريا ومشيه على قم التلال . وخبره وماؤه على كتفيه مثل حمل الحمار ، وهو يشرب الماء الآسن ، ولا يقف عن السير إلا وقت الحراسة بالليل . فهل أنت حمار سيسوقه الإنسان ؟ هل الجسم خلو من الفهم ؟ اعتنق الحرفة التى يحترفها الحكام ، وإن أدوات كتابتك تغدق عليك السرور والثراء ويكون قلبك فرحاً كل يوم . فافطن لذلك » .

ولدينا ققرة كتبت في شكل خطاب ولكنها في الواقع تكاد تكون مقتطفات من نصائح «آنى» جاكها الكاتب بمهارة وهى :

(١٧) [أخذ لنفسك زوجة]^(١) «وأنت لا تزال فتى وعلمها لتكون امرأة (أى رحيمة) حتى تنتج لك أولادا وأنت صغير السن وحتى يكون لك خلف . والواقع أن الرجل النتج يحترمه الناس خلفه . تأمل فإنى أعلمك طريقة الرجل الذى يجد فى تأسيس بيت له . فاصنع لنفسك حديقة وحوط لنفسك بقعة من الخيار فضلا عن حقلك ، وأخذ لنفسك الأزهار التى تراها عينك لأن الإنسان قد يشمر بالحرمات منها كلها ، وإنه لحسن إذا لم يُحرّمها الإنسان . فافطن لذلك .

[خطابات مقببة نموذجية للتوميز]

وتكشف ديباجتها عن مراسلها وعن دعوات طيبة للمرسل إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى الغرض من الرسالة :

(١٨) [إقفاء أمر عبر هارب]^(٢) إن قائد رديف «زكو»^(٣) كما كور يكتب إلى قائد الرديف «آنى» وإلى قائد الرديف «بكتبتاح» (داعيا لها) بالحياة والفلاح والصحة وأن يكونا فى حظوة «آمون رع» ملك الآلهة . وفى حظوة حضرة الملك «سيتى الثانى» سيدنا الطيب^(٤) . وإنى أقول «لرع — حارختى» : «احفظ فرعون» سيدنا الطيب فى صحة (٩) ودعه يحتفل (بعلاين) الأعياد الثلاثينية . ونحن كل يوم فى حظوته .

وبعد : فقد أرسلت من قاعات القصر الملكى وراء هذين المبدئين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث فى فصل الصيف وقت المساء ، ولما وصلت إلى حصن «زكو» فى اليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الشتاء علمت أن الأخبلاء من الجنوب يقول إنهما قد مرّا ذاهبين اليوم من الشهر الثالث من فصل الصيف ، ولما وصلت إلى القلعة أخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء (وأعلن) أنهما تخطيا الحدود شمال حصن (مجدول)^(٥) «سيتى» الذى . . مثل «ست» (الآلهة) .

(١) ibid. P. 50

(٢) Anastasi V. 19. 2. ff.

(٣) بلعة على الحدود بالقرب من البحيرات المرة

(٤) يهوى متمنيا أن يصله الخطاب وهو فى حياة وصحة الخ

(٥) حصن بلعة كنعان

وعندما يصل خطابي إليكم اكتبوا إلى بكل ما حدث عندكم . أين وجد أثرها ؟ وأى حارس عثر عليه ؟ ومن هم الرجال الذين اقتفوه . اكتبوا إلى بكل ما عمل من أجلهما . وكم رجلا اقتنى أثرها . ولتميشوا سعداء ؟ »

وفي الرسالة الآتية يظهر حزم الأمر واستعلاؤه وتهديده المستور .

(١٩) [أمر بإجاز عمل] ^(١) « يقول كاتب الملك وقائده «راموزا» إلى البناء «أورى»

لقد أحضر لك هذا الخطاب .

وبعد : فعندما يصل إليك خطابي ، عليك أن تذهب إلى بلد . . . « رع » في بوبسطة (تل بسطة) وعليك أن تنفذ كل أمر ، ثم عليك أن تحضر وتقدم إلى تقريراً ، تبصر فيه ثم اعتن ، واحترس لنفسك ! ولا تتوان بأية حال ! وسيصلك خطابي على يد الكاهن « رع موزه » وقد (كان ؟) حاضرا حينما جئت إلى بجوار التربة وضربتك وقتئذ قائلا لك « كيف تهمل عملي ؟ سأجعلك تشتغل في التربة » أرجو أن تفتن لذلك .

وهذه رسالة إخبارية تبتدى بالدعاء للسيد المرسل إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى ذكر بعض الأشياء التي تهمل المرسل إليه لأنها تتعلق بمصالحه ويسردها سردا .

(٢٠) [أشغال مختلفة الأنواع] ^(٢) « إن الكاتب « باوحم » يسر سيده « أتخورخ »

داعيا بالحياة والفلاح والصحة . قد كتب هذا لأحيط علم سيدي . ولأمر آخر يسر سيدي . لقد سمعت الأمر الذى أرسله لى سيدي لأعطى خيل الإصطبل الكبير الذى يملكه « رععمسيس » محبوب « آمون » علفا وكذلك خيل العظيم اصطبل « بنرع » محبوب « آمون » ^(٣) التابع للحاضرة .

أمر آخر يسر سيدي وهو أنه قد هرب ثلاثة من فلاحى أملاك الفرعون التى فى عهدة سيدي من ملاحظ اصطبل الخيل المسمى « نفر حتب » وذلك بعد أن ضربهم ، والآن انظر . إن حقول ضياع الملك التى فى عهدة سيدي قد أهملت ، وليس هناك من يفلحها وقد حرّر هذا ليعلم به مولاي .

وفي الرسالة الآتية يقدم كاتبها بين يدي ملتسمه دعوات حارة بالحياة وطيب العيش يرجو من ورائها أن يتوسط صاحبها فى تخفيف الضريبة عنه لأنها لا تتناسب مع ثروته وعمله

Pap. Anastasi V 21. 8. ff. (١)

Pap. Bologna 1094. 2. 7 ff. (٢)

(٣) هو « مهنبتاح » الملك الحاكم فى ذلك الوقت (١٢٣٠)

وحملها بثقل كاهله ، ويرى أن إجابة طلبه من الأمور اليسورة لصديقه لأنها ضئيلة بالنسبة إلى همته الكبيرة فيقول :

(٢١) [التماس للمساعدة في موضوع ضرائب]^(١) « إن » راحب « كاهن معبد » سوخ « يسأل عن مدير البيت » سبتى « داعيا له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون في حظوة » آمون رع « ملك الآلهة ؟ إني أقول » لرع — حاراختى « و » لست « ، ولنفتيس ولكل الآلهة والإلهات » بنوزم « ليتك تفلح ، وليتك تعيش ، وأتمنى أن أراك ثانية في أمان وأضمتك إلى صدرى . وبعد ، فقد سمعت بالأشياء الحسنة المدة التي عملتها لسفينتى ، وذلك أنك أرسلتها إلى . أرجو أن يكافئك » منتو « وأرجو أن الشمس ربك الطيب^(٢) يكافئك ؟

وعندما يصلك خطابى يجب عليك أن تذهب مع حامل العلم^(٣) « بتاح ممنو » ، ويجب أن تملن الوزير بأمر القضة الكثيرة التي يقول عنها الخادم « إئناى » « سلها » ؛ وإن كانت ليست ضريبتى قط ، وخذ نسخة من القضة (الضريبة) ومن الموائد كتابة إلى الجنوب^(٤) وضعها أمام الوزير وأخبره ألا يفرض على ضريبة خاصة بالناس (المال) لأنى « شخصا » ليس لدى أناس ، ولأنى مسئول عن السفينة وعن بيت « نفتيس »^(٥) . وانظر إلى المدد العظيم من المعابد التي في المركز ، فليس ذلك مريحا لى وإنى تمس جدا بل في منتهى التمس بسبب ما عمل لى^(٦) .

والآن تأمل وتكلم مع شخص آخر من جهة العمل الإدارى المضنى الذى قد وضع على عاتق نحو معبد « سوخ » وأمالك الفرعون التي في عهدتى ضريبة على . انظر ! إن هذا بالنسبة لك أمر صغير فلا تحذف منه شيئا أنت وحامل العلم « بتاح ممنو » ومع السلامة .

(٢٢) [استعزمات]^(٧) « إن الكاتب » پوحم « يسر مولاه » عو « كاتب مصنع الفرعون في حياة وفلاح وصحة . قد حرّر هذا ليعلم مولاي . وشىء آخر ليسر مولاي :

Pap. Bologna. 1094. 5. 8. ff. (١)

(٢) أى الملك (٣) أحد الضباط

(٤) الوزير سيكون في طيبة

(٥) لا يمكن أن أدفع الضريبة بنسبة عدد الأفراد الذين يفتلون عندي فهم يؤدون عملا في أملك الحكومة التي — لسوء حظي — يجب على أن أديرها .

(٦) وإنه لأمر خارج عن طائقي بسبب ظروف الشخصية أن أجبر على ملاحظتها كلها .

Pap. Cologna. 1094. 4. 10 ff (٧)

لقد أرسل الوزير ثلاثة أولاد قائلاً: « نصبهم كهنة في معبد » « مرنبتاح » في بيت « بتاح » (ولكن) الملك قد وضع يده عليهم وأخدمهم وقال: « إنهم سيكونون جنوداً » . فأرجو أن تسرع وتقرهم وتكتب لي عن حالهم . وكذلك انظر إذا كان التاجر قد عاد من سوريا .

وكذلك لا بد أن تمر عليّ في « منف » ، إن قلبي غير منشراح ولا يمكنني أن أكتب لك (في ذلك) . أرجو أن ترسل إلى الخادم « تنانا » واكتب إليّ عن حالك مع أي فرد يكون قادماً من عندك . مع السلامة ! »

(٢٣) [مظاب أسرى] ^(١) « إن الكاتب « أنمنوسى » يسأل عن والده قائد فرقة الرديف « بكتنبتاح » داعياً له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون في حظوة « آمون رع » ملك الآلهة . أقول و (أنضرع) إلى « رع حار اختى » وإلى « آتوم » وإلى « التاسوع » متمنياً أن تكون في صحة يومياً .

وبعد أرجو أن تكتب لي عن صحتك مع أي إنسان يكون قادماً إلى هنا من عندك لأننى أرغب في أن أسمع أخبارك كل يوم . وأنت لا تكتب إليّ لا خيراً ولا شراً ، ولا أحد ممن ترسل يمر بي ليخبرني كيف حالك . أرجو أن تكتب لي عن حالك وعن حال خدمك من جهة أشغالهم لأننى في غاية الشوق إليهم .

وبعد : لقد أحضرت لك خمسين رغيفاً كيلستس طيبة فقط ، لأننى أجمال رى منها ثلاثين قائلاً : « إنى مثقل أكثر مما يجب » ولم ينتظرني لأحضر له خضراً من الخزن (?) . على أنه لم يخبرني في أى مساء سيحضر إلى . وإنى مرسل لك طبقين من الدهن للدهان . مع السلامة ! »

وهنا تهنئة بمنصب رفيع وإظهار لشعور الكاتب نحو صديقه ، ودعوات للفرق بالتوفيق الدائم ، وبختم المهني رسائله برغبته في أن يقف على حال الصديق وحال أسرته ، ويطمئنه على نفسه وعلى ضياع الملك :

(٢٤) [نراه] ^(٢) « من قائد الرديف وملاحظ البلاد الأجنبية » بنامون « إلى قائد الرديف « بحرى بيد » في حياة وفلاح وصحة ، وفي حظوة « آمون رع » ملك الآلهة ، وحضرة الملك « سبتى الثانى » ^(٣) ! إنى أقول (إنى أدعو) « رع — حار اختى » :

Pap. Anast asi V. 20. ff. (١)

Pap. Anastasi V. 11. 7. ff. راجع (٢)

(٣) سبتى الثانى الذى خلف مرنبتاح « على عرش مصر »

احفظ الفرعون سيدنا الطيب في صحة . وأتمنى أن يحتفل بالآلاف آلاف الأعياد ، وأنت^(١) في حظوته كل يوم .

وبعد ، فقد سمعت بما كتبت وقلت فيه . إن الفرعون ربى الطيب قد أظهر ميوله الطيبة نحوى . فقد عيني ضابطاً أول لرديف البئر^(٢) هكذا قد كتبت لى .

إنه لتعطف طيب من « رع » أن تكون الآن محل والدك . « مرحا » ؟ أرجو لك مثل ذلك مرة ثانية ؟

ولما وصلنى الخطاب فرحت جد الفرح . أتمنى أن « رع — حاراختى » يمنحك حياة طويلة وأنت تملأ مركز والدك ! ، وأتمنى أن يطف عليك فرعون مرة أخرى ! وأتمنى أن تصبح أكثر قوة وتكتب لى عن حالك وعن حال والدك مع أحد رجال البريد الذين يأتون إلى هنا من عندك . وبعد : فإن أحوالى تسير على ما يرام ، وكذا أحوال ضياع الملك^(٣) . لاتشغل نفسك من جهتي . مع السلامة .

وهنا توبىخ لموظف كبير تجاوز حدود عمله ، وتصرف على غير ما يهوى أميره فقرعه وأوعده شرا مستطيرا ، وأضاف ذنباً آخر إلى ذنبه الأول هو إهماله فى الاستعداد للزيارة الملكية لعين شمس ، وينكر عليه تقصيره ، ويأمره بإصلاح ما أفسد .

(٢٣) [تقرير موظف كبير]^(٤) « إن هذا الأمر الملكى أحضر إليك .

مأعلاقك « بتكتن » التابع لإقليم الواحة حتى ترسل كاتبك هذا ليفصلهم من جنودهم (تياو^(٥)) ؟ والآن إذا . . . « رع » و « بتاح » لم يسمحا لنا أن نصنى لأى شىء من هذه الإشاعات التى يسمعها الإنسان » . وبعد ذلك يكتب هذا الأمير قائلا :

« يجب عليك أن تُحضر إلى هنا « التكتن » الذى يمكنه أن « يتجسس » فإلى أين تولى وجهك ؟ وإلى بيت من ستذهب ؟ فهو ينصب فوق رأسك مثل تل من الرمل ، ثم تساق وتوضع هناك . . . ذلك إلى جانب غلطتك الأخرى الشنعاء التى ارتكبتها : بأن

(١) هو الشخص المرسل إليك

(٢) إحدى المحطات المحصنة المجهزة بيئر على الطريق إلى فلسطين

(٣) وهى الأرض التى يديرها الكاتب

(٤) Pap. Anastasi IV. 10. 8 & ibid V

(٥) الفكف وتياو وم متوحشون من جنسين وقد كانوا يضعون فى الصحراء الغريبة بمثابة حراس

جعلت فرعون يأتى لينذهب إلى عين شمس دون أن تستحضر آلات للمصنع استعدادا وراء سيدك ألم تعين في مكان ملاحظين آخرين لبیت المال قد تنحوا عن سحب (أخذ) جندى نكتن من « نياو » (أى من فرقته) ، وأنت تفعل هذا فقط ؟

وعندما يصلك قرار فرعون عليك أن تكتب خطايا إلى كاتبك الذى قد أرسلته إلى أرض الواحات قائلا : احذر ! : تخل عن أخذ جندى من « التكتن » ، وإلا عد ذلك جريمة منك تعاقب عليها « بالموت » ويجب عليك أن تعطى خطابك تابعا من أتباعك وترسله مع بريد^(١) بكل سرعة .

(٢٤) السامرة في مله منغل [٢] هذا خطاب خاص لضابط أجبر على إقامة مبانٍ على الحدود ، لا من الذهاب إلى فلسطين . غير أنه لم يكن في مقدوره أن يأتى بأى عمل ، بل كان في مقدوره أن يعطى معلومات عن الكلاب والحمل فقط ، وكل عبارة الخطاب بالطبع تهكمية .

« إنى أقيم فى كنكتناوى^(٣) ، وليس لدى عدة . وليس هناك أناس لصنع اللبن ، وليس فى البقعة تبين^(٤) .

أين هم الذين يحضرون إلى ؟ . . . أليس هناك حمير ؟ . إنها سرقت . إنى أمضى اليوم متأملا ما فى السماء كأنى أصطاد طيوراً . وعينى تنظر خلسة إلى الطريق لأذهب إلى فلسطين .

وإنى أمضى الليل تحت أشجار لا تحمل فاكهة (؟) للأكل .

أين بلحها ؟ ليس فيها بلح (؟) لأنها لا تحمل .

والخلة موجودة هناك وقت السحر ، والخلة « زوت » عند الظهيرة . . .

وهى تمتص كل شريان

وإنى أسير مثل العظام المتحركة ، وأخترق الأراضى على قدمى^(٥)

وإذا فتح إنسان زجاجة ملأى بجمعة (كدى) وهجم الناس على . . . القدح فى

(١) ساعى البريد الذى كان يقوم بتبادل الرسائل مع الواحات

(٢) Pap Anastasi IV. 12. 5. & Pap Anastasi V.

(٣) مكان مجهول والاسم معناه « جلد مصر » ويحتمل أن ذلك من باب التنكيث

(٤) وهو لازم لصناعة الطوب

(٥) أى يشكو عدم وجود حمار ليركبه

الخارج^(١) ويوجد هنا مائتا كلب كبير ، وثلاثمائة كلب من نسل الذئب ومجموعها خمسمائة^(٢) ، وهي تقف كل يوم على باب البيت مستعدة في أى وقت أخرج فيه لأنها شمت السبر^(٣) عندما فُتح الإبناء . ومع ذلك (؟) أليس عندى فى البيت (الكلب الصغير) المستذئب ملك « تهر هو » كاتب الملك (؟) فهو يخلصنى منها . وفى أى وقت أخرج فيه فإنه يكون معى دليلا فى الطريق ، فبمجرد ما ينبج أسرع إلى إغلاق الباب^(٤) .

و « أشب » اسم كلب مستذئب ، أحر ، طويل الذنب .

فيذهب ليلا إلى حظائر الماشية وبيتدى بأكبرها^(٥) أولا لأنه لا يُميز حينما يكون مقترسا . والله^(٦) ينجى من يشاء من هذه النار التى هنا والتى لا ترحم (؟)

وزيادة على ذلك ... فإن ممي هنا كاتبنا وكل شريان من شرايين وجهه ... المرض قد استفحل فى عينيه والدود يعمث فى سنه . وإبنى لا يمكننى أن أتركه بأثسا وفرقتى سائرة إلى الأمام . لذلك دعه يُعطَ طعامه هنا حتى يمكنه أن يستريح فى جهة « كنكتناوى » .

وفى الرسالة الآتية تصوير شعري لشوق الكاتب إلى « منف » :

(٢٥) [الشوق الى منف]^(٧) « تأمل ! إن قلبى قد ذهب خلسة ، وإنه ليسرع إلى مكان يعرفه ، وإنه يسبح منحدرًا مع التيار ليرى (منف) ... ولكنى أجلس هنا منتظرا (رسولا) ليخبرنى عن حال (منف) ، ولم تصلنى أية رسالة ولذلك يخفق قلبى فى مكانه . تعال إلىَّ يا « بتاح » لتأخذنى إلى (منف) ودعنى أنظر إليك على عجل .

لانى أمضى اليوم وقلبى فى حلم (؟) وإن قلبى ليس فى جسمى ، وكل أعضائى ... وعينى متعبة من النظر^(٨) وأذنى لا ... وصوتى ... وحتى إنه يقول كل الأشياء معكوسة . كن رحيما بى واسمح لى أن أصعد (؟) إليهم .

(١) هل المني أن الإنسان يكون مسرورا حتى إذا أمكنه أن يستحسن شرابا كهذا فى الخارج ؟

(٢) يقصد بذلك كلاب الشوارع

(٣) يستدل من كتابة الكلمة على أن هذا نوع من الشراب أو ما يشبهه

(٤) يحتمل أن يكون المعنى — هذا الكلب يمنعنى من الخروج (٥) أى الماشية

(٦) والإله (هنا الملك) لئنه يجعلنى أذهب من هذا المكان

(٧) Pap. Anastasi IV. 4. 11 ff. ومن الجائز أن هذا الخطاب لإنشائي لا حقيقي

(٨) فى انتظار رسول

نماذج خطابات إنشائية

(٢٦) [مريخ في المدينة الجديدة المسماة بيت رعميسيس ^(١)] بيت رعميسيس هو اسم الحاضرة الفرعون « رعميسيس الثاني » التي أنشأها حديثا وتقع على أنقاض ، وقد كانت تعد مركزاً لامبراطورية تشمل فلسطين ومصر . ومن المحتمل أن الخطاب قد أُلِف على أساس قصيدة تشبه التي سنذكرها فيما بعد احتفالاً بقدوم الملك إلى هذه المدينة :

« إن الكاتب » بيبس » يرحب بسيدته الكاتب « أمنموبى » ^(٢) في حياة وفلاح وصحة ! قد حُرر هذا ليكون سيمدى على علم به .

ترحب ثان بسيدى : لقد وصلت إلى مدينة بيت رعميسيس — « محبوب آمون » ووجدتها غاية في الازدهار ، وهى عرش (؟) جميل منقطع النظر ، وهى على طراز طيبة وإن « رع » هو الذى أسسها بنفسه ، فهى المقام الذى تلذ فيه الحياة .

حقلها مملوء بكل ما طاب ، ولديها مؤن وذخيرة كل يوم ، بركةا تزرع بالسّمك وبحيراتهما بالطيور ، حقولها يانعة بالبقل وشواطئها محملة بالبلح ... ومخازنها مفعمة بالشعير والقمح ، وهى تناطق السماء فى ارتفاعها . وفيها الثوم والكراث للطعام وخس ال ... جنينة وفيها الرمان والتفاح والزيتون ، والتين من البساتين . وخمر كنكمة ^(٣) اللذيذة التى تفوق الشهد حلاوة . وفيها سمك « وز » الأحمر من قناة ... ، وسمك « بن » من بحيرة « نهر » ، ... ^(٤) وسيهور ^(٥) تنتج الملح ويستخرج من بحيرة « هر » النترن ، وسفنها تروح وتغدو إلى الميناء وفيها المؤن والذخيرة كل يوم ، وينشرح الإنسان بالمقام فيها ولا أحد يقول لها : « ليت كذا » ! والصغير فيها مثل العظيم ^(٦) . تعال ، ودعنا نحتفل بأعيادها السماوية ^(٧) وأوائل فصلها السنوية

(١) راجع Pap Anastasi III 1. 11 ff.; Pap. Rainer. & J. E A. V P. 185 & ibid Vol.

XI pp 293 ff

(٢) هو المدرس و « بيبس » هو التلميذ

(٣) كرم يذكر كثيرا ربما كان موضعه بجوار بيت رعميسيس

(٤) يأتى بعد ذلك خمسة أنواع من السمك من برك مختلفة وكلها ليست معروفة لدينا

(٥) رقعة الماء التى تكون حد مصر وقد ذكرت فى العهد القديم أيضا : فرع النيل البلوزى ومن

هنا يستخرج الملح

(٦) الرجل الوضع هنا يعيش كالرجل العظيم فى مدن أخرى

(٧) الأعياد التى تحدد بجوارث فى السماء (الهلال وطلوع القمر الخ) تميزها لها من الأعياد

التقليدية مثل عيد رأس السنة وعيد أول يوم فى الشهر الخ

على أن مستنقعات « زوف » تبت لها البردى و « سيهور » تعدها باليراع ، وغرائس
 العنب تأتي إليها من البساتين ، وتيجان الأزهار من الكروم . وتجلب إليها الطيور من
 الماء البارد ... والبحر فيه سمك يج سمك أد والمستنقعات تهدي إليها وشباب «عظيمة
 الانتصارات»^(١) يلبسون حلل الصيد كل يوم ، وراء وسهم (مضمخة) بزيت ذكي الرائحة في
 الشعر الرجل حديثا . ويقفون بجوار أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار ؟ والنبات الأخضر
 من بيت «حتحور» وبالكثان من بحيرة «حر» ، في اليوم الذي يدخل فيه رعمسيس ، فهو
 « منتو »^(٢) في — كلتا الأرضين صبيحة عيد كيهك . وعندئذ يدلى كل إنسان وزميله
 كذلك بملتمسه ونسيم «عظيمة الانتصارات» حلو ، وشرابها «تبي»^(٣) مثل (الفاكهة)
 «شاو» وشرابها «خيو» طعمه كطعم الفاكهة «إنو»^(٤) فهو يفوق الشهد حلاوة . وجمة
 « كدى » (سيلسيا) (ترد) من الميناء والنيذ من الكروم .

والروائح العطرة يؤتى بها من مياه «سجين» وتيجان الأزهار من ال ... جنينة .
 أما مغنيات «عظيمة الانتصارات» ذات الصوت العذب فقد تملن الفناء في « منف »
 اسكن (هناك) سميدا وامش مرحا ولا تفادرها يا «سرمارع» — المختار من «آمون»
 يا «منتو» — في الأرضين . يارعمسيس — محبوب «آمون» أنت أيها الإله !
 وترى في هذه الرسالة حاكما يستنهض همه تابعه في أن يرسل إليه الجزية المفروضة وأن
 يزيد فيها بما يبرهن على حذقه وكفايته وإخلاصه في عمله ولملكه ، ويحذره التقصير ،
 وغضب الفرعون .

(٢٧) [رسانه حاكم الى تابع] ^(٥) إن حامل الروحة التي للملك وضابط الرديف
 وملاحظ الأراضي الأجنبية الأثيووية «باسر»^(٦) يخاطب حامي قومه ^(٧) . هذا الخطاب قد
 أرسل اليك .

(١) اسم لبنت رعمسيس

(٢) إله الحرب

(٣) نوع من الشراب

(٤) نوع من الفاكهة

(٥) Pap. Koller 3. 3 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 40

(٦) أحد حكام أثيوبيا بهذا الاسم كان يعيش في عهد «رعمسيس الثاني» وآخر في عهد الملك «آي» .

(٧) من المحتمل أنه حاكم نوبي صغير

وبعد : فعندما يصل إليك خطابي ، يجب عليك أن تدفع الضريبة^(١) مع كل ما يتعلق بها من ماشية ومن عجول وثيران ذات قرون قصيرة ومن غزلان وتيتل وأوعال ونعام . وإن قوارب حملها وسفن نقلها مستعدة في الحال (؟) وبجارتها وملاحوها مجهزون للسفر . وتدفع ما عليك من ذهب كثير قد صيغ أطباقا ، وذهب صاف بالكيال . وتبر حسن (؟) من الصحراء موضوع في حقيبة من الكتان الأحمر ، وكذلك تدفع ما عليك من العاج والأبنوس وريش النعام وثمر النبق مثل وخبز النبق وشكر كايا ومينخيس وبهلك وشسا^(٢) التي تشبه جلد الفهد . ومن الصمغ وحجر الدم وحجر اليشب الأحمر والجمشت والبلور ومن قطط من « ميو » وقردة ونسانيس ... وعدد عظيم من قبيلة « أرمي »^(٣) يمشون أمام الجزية وبعضهم إبرز مطعمة بالذهب ...^(٤) ورجال طوال القامة من « تيرك » في ... ملابس ، ومرادوهم ذهبية لابسين ريشا طويلا ، وأساورهم مشغولة بالنسيج (؟) وعبيد كثيرون من كل الأنواع

زد جزيتك كل عام ، وحاذر على رأسك ، وتخل عن الخمول ... حافظ عليها والتفت وكن على حذر ! أذكر اليوم الذي تحضر فيه الجزية ، حينما تمر أمام الفرعون تحت النافذة^(٥) والمستشارون مصطفىون على الجانبين أمام جلالته ، ورؤساء كل البلاد وسفراؤها يقفون هناك مظهرين دهشتهم وهم يشاهدون الجزية وأنت خائف ... ويدك تفيض ، ولا تعرف ما ينتظرك من الموت أو الحياة . ولديك القوة فقط لتدعو آلهتك : « نجوني » ، « هبوا إلى النجاح هذه المرة وحسب ! »

[استعمراد لسيامة ملكية]^(٦) إن الكاتب « أمنموني » يقول إلى الكاتب « ييبس » هذه الرسالة أرسلت إليك . أما بعد : اتخذ العدة لتقوم بكل الاستعدادات أمام فرعون ربك الطيب بنظام جميل ممتاز ، ولا تجلبن اللوم لنفسك . فانظر إليها والتفت وكن على حذر ولا تكن متراخيا .

(١) التي تدفع إلى الملك

(٢) من المحتمل أن تكون كلها أسماء فاكهة . ويلاحظ أن الكاتب يضع الكلمات الأجنبية متراصة

(٣) قبيلة أجنبية

(٤) سلسلة كلمات همجية ربما تشير إلى حلى القوم

(٥) نافذة القصر العظمى التي يطل منها الملك في أوقات الاحتفالات

(٦) Pap Anastasi IV. 13. 8 ff.

قائمة بكل ما يجب أن تعدّه : استحضّر ما يلزم لصنّاع السلات من قصب وقش ، وكذلك أنجز صنّع عشر سلات مفرطحة للأكوام ، ومائة سلة مستديرة للعرض ، وخمسمائة سلة لمواد الأكل (؟)

قائمة بالأشياء التي تعمل لأجلها (السلات) : أنواع مختلفة مشتملة في النهاية على ألف ومائتي رغيف أسوي متنوعة ، ثم كمك في سلات وأقداح ، وعلى مائة سلة من اللحم المقدد ، وعلى مائتين وخمسين حفنة من (الكرشة) ، وستين كيلا من اللبن ، وتسعين كيلا من الزبد ، هذا إلى مائة كومة من الخضر ، وخمسين إوزة ، وسبعين كبشا ، وعناقيد من العنب ورمان وتين وأزهار وتيجان ... الخ وخشب للوقود وفحم .

تأمل ! إنني أكتب إليك لأعلمك قواعد إعداد المواني^(١) . وهي التي يجب أن تنفذها أمام الفرعون سيدك الطيب . وبهذا لا تنقصك نصائح تحتاج إليها ، ولا تدعن نفسك في حاجة للفهم و... ولا تدعن نفسك في حاجة للنشاط في الاستعداد . (ثم تأتي بعد ذلك ملاحظة إضافية عن الشهد والسكرات الخ)

وفي الرسالة الآتية قائمة بالمعدات التي يطيب لها قلب جلالة الفرعون ، وتلزمه في رحلته ، وقد نسب كل نوع إلى الجهة التي تشتهر به :

(٢٩) [الاستعداد للملك]^(٢) اتخذ العدة لعمل الاستعدادات أمام فرعون سيدك الطيب بنظام حسن ممتاز بالخبز والجمعة واللحم والفطير ... وكذلك بالبخور وبالزيت العطر (هنا يتلو سبعة أنواع مختلفة من الزيت تحمل أسماء أجنبية من ممالك « أرسا » و« خاتي » و« سنجار » و« عامور » و« تخيس » و« النهرين ») وكثير من زيوت الميناء لتدليك رجالاته وخيالاته ، وبالثيران ، والثيران القصيرة القرون الجيدة الخصاء من الغرب ، وبالمجول السمينة من الجنوب ، وكثير من الطيور السمينة من مستنقعات القصب (يتلو ذلك اثنا عشر نوعا من السمك ، مع ذكر أسماء الجهات التي نشأت فيها) ، ثم سمان سمين وحمام من فصل الحصاد^(٣) ، وزيادة على ذلك شهد وزيت للأكل ودهن أوز وزبد ولبن وعدس الخ الخ ، وأوان ملأى بشراب « بور » للخدم^(٤) وجعة من « كدى » ونبذ من سوريا وفول في كومات

(١) إعداد المواني معروف لدينا من عهد « تحتمس » الثالث إذا كان يعمل سنويا

(٢) Pap. Anastasi IV. 15. ibid III. 8. I. ff.

(٣) التي قد سمئت في الحقول

(٤) أي أنه شراب من نوع ردى .

وزجاجات (?) وأقداح من فضة وذهب^(١) موضع مصفوفة تحت نافذة القصر وعبيد من أرض « كركي » وشبان ، الجماعة منهم تلو الأخرى ، ليكونوا ساقين لجلالته ، على أن يستحموا ويدلكوا ويكسوا ؟ حينما يمرون تحت النافذة . والرجل الذي يكون بينهم يخصص للمطبخ ويجهز جمعة « كدى » للقصر وعبيد كنعانيون من سوريا ، وشبان حسان ، وسود حسان من أثيوبيا يخصصون لحمل المروحة ويجب أن يتملوا بنعال بيضاء ويرتدوا (?) وأساورهم في معاصمهم .

ثم يتلو ذلك كل أنواع الأثاث الذي يحتاج إليه الملك
أولاً : طيب من أرض « إمور » التي تصنع عصبها من خشب « مري » مطعمة
بشغل أرض قليقيا (سليسيا) .

وثانياً : عربات جميلة من خشب « يري » التي تلمع أكثر من اللازورد ، (وقد عدد من أجزائها أحد عشر جزءاً ، وفي كل حالة تذكر المادة التي صنع منها هذا الجزء ، والقطر الذي يحلب منه) وزيادة على ذلك : أقواس وجعب السهام وسيف وحرية ومدية وأسلحة حسنة لجلالته وأسواط جميلة من خشب « ساجا » وسيورها من التيل الأحمر : وعصى طويلة لجلالته مزينة مقابضها بالذهب الخ الخ (كلها تحتوي على كلمات أجنبية وأسماء عدة بقدر المستطاع) .

وأكوام عدة من الدقيق ، وأكوام من دقيق القمح والبول وتين سوريا والمان والتفاح وأخيراً الفحم . . . وأرغفة كبيرة حسنة الصنع مخصصة لطعام الأمراء . وأرغفة أسيوية متنوعة مصنوعة من القمح لأجل طعام الجند موضوعة أكواماً تحت نافذة الجهة اليمنى وسبائك عدة من نحاس عُقْل ، وأباريق من . . . ، والتي تحضرها أطفال « أرسا » (قبرص) على رقابهم هدايا لجلالته ، والقرن التي يحسونها في أيديهم مملؤ بزيت . . . وجياد جميلة ربيت في « سنجار » وعجول من أحسن نوع من أرض « خاني » وأبقار من « أرسا » (قبرص) قد أحضرها أمراؤها الذين يقفون في الخناء تحت النافذة . . .

وتصف لنا هذه الرسالة عربية الحرب ، وما يجب أن يعد لها ويلزمها من الأدوات ويلزم راكبها من الطعام والرافق .

(٣٠) [اعداد عربية حرب]^(٢) وبعد . التفت تماماً لتمتع زوج الخيل للذهاب إلى سوريا

(١) يظن أن وثيقة أخرى تتبدى هنا وتصف تقديم الجزية

(٢) Pap. Koller I. 1 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 36. (٢)

ومعهما رجال اصطبلهما وسائسهما ، وكسوتهما تكون . . . ، وأن يشبع^(١) باللف والتبن وأن يسحبا مرتين تماما . وحقائهم (أى الرجال) ملأى بنخب « كلستس » ، وكل حمار مفرد يحمل المؤن بين رجلين^(٢) . أما العربات فإنها من خشب « برى » ومفعمة بالأسلحة ، وعلى أن يكون فى جعبة السهام ثمانون سهبا . ويوجد . . . الحربة والسيف والمذبة . . . والسوط المصنوع من خشب « ساجا » فيكون مجهزا تماما بالسيور (؟) وكذلك عصي العربى وهراوة الحارس ، وحرية أرض « الخاني » . . . أسنانها^(٣) من برز من سبيكة مركبة من ستة معادن منقوشة . . . ودروعهم موضوعة بجانبهم . والأقواس . . .

تهانٍ للمعلمين والرؤساء

(٣١) [الى المدرس]^(٤) . « لقد ربيتى صغيرا حينما كنت معك ، وقد ضربت ظهري ولذلك دخل تعليمك أذنى . وإنى كالجواد الشارد ، فلا يأتى النوم نهائياً إلى قلبى ، ولا يأخذنى ليلاً لأننى أريد أن أكون مفيدا لسيدي كالخادم النافع لصاحبه .

وإنى أحب أن أقيم لك قصرا جديدا على أرض مدينتك مغروسا بالأشجار على كل جانب من جوانبه . والحظائر الداخلية تزخر بالماشية ومخازنه مفعمة بالشعير والقمح ، وتكون الغلة فيها و . . . الفول والعدس . . . الكتان والخضر . . . و « تفاح الحب »^(٥) الذى يكال بالسلات .

وقطيعك تضاعف ظهورها (عددها) وأبقارك للولادة ملقحة . وسأزرع لك خمسة أفدنة حديقة خضراء فى جنوبى مدينتك مملوءة بالخيار و . . . كثير فى عدده كالرمال ، وسأجعل السفن تأتى لتزورها على ظهورها ، وبذلك يمكنك أن تعرف ماذا تقدمه إلى « بتاح نفرحر » حتى ينجز لك رغبتك » .

وفى هذه الرسالة اعتراف بمنزلة المدرس وتقدير له يظهران من هذه الآمال التى يرجوها الكاتب له ، ويدعو الله أن يحققها بما يكفل للمدرس حياة طيبة سعيدة . وظهور هذه العاطفة

(١) زوج الخيل (؟)

(٢) أى أن الحصانين معصوبان نصف من الحمير يحمل المؤن للذين كلفوا بخدمتهما

(٣) الأسلحة

(٤) Pap. Anastasi IV. 8. 7 ff. V J. E. A. XI P. 293.

(٥) فاكهة يرد ذكرها كثيرا فى أشعار ذلك الوقت وترجمتها « تفاح الحب » أى الطماطم (؟)

في مثل هذا العصر القديم يدل على مالأصحابها من عقل سليم واعتداد بالثقافة :

(٣٢) [الى المدرس] ^(١) « ليت آمون يمنحك السرور في قلبك ، وليته يهبك عمراً طويلاً حسناً حتى تعيش عيشة سعيدة ، وحتى تبلغ العلا ، وتكون شفتك في صحة ، وأعضائك نامية وعينك تبصر على بعد .

وترتدى التيل الجميل ، وتركب الجياد ^(٢) (التي في العربة) ، وييدك سوط ذهبي ، ويكون لك ... جديد ، والسرّج من صنع سوريا . والعبيد تجرى أمامك ، وتنفذ كل ما تريد أن تفعله ، وتنزل في سفينتك المصنوعة من خشب الأرز والمجهزة بالمجاديف من المقدمة إلى المؤخرة ، وتصل إلى قصرِكَ الجميل الذي قد بنيته لنفسك .

وفك مفعم بالنبيذ والجمعة والخبز واللحم والفطير ، وتذبح الثيران ، وتفتح أواني الخمر ، وأمامك الفناء الحسن .

ورئيس الدلكين يدلكك بمطر (كى) ، ومدير برّكك يحمل تيجان الأزهار ، ورئيس فلاحيك يحضر الطيور وسماكك يقدم السمك .

وسفينتك تأتي من سوريا محملة بكل ما طاب ، وحظيرتك ملأى بالمجول وقطيعك ^(٣) يتكاثر وتخلّد . أما عدوك فيفنى ، ويهلك كل من يسىء إليك بكلام ، وتدخل أمام تاسوع الآلهة ، وتخرج ظافراً ^(٤) مُسبّراً .

ولقد حظى الموظف أيضاً بشيء من التقدير يقارب إلى حد ما ما ورد في الرسالة السابقة عن المدرس .

(٣٣) [الى الموظف] ^(١) « إنك تعيش وتفلح وتصح . إنك لست تمسا ولا تعاني أى بؤس . . . أنت تخلّد كالساعات ^(٢) وتبقى نصيحتك مدى عمرِكَ ، وكلامك ممتاز ، وعينك ترى كل جميل ، وأنت تسمع كل لذيذ . . . أنت الراعى الذى وهبه الإله ، وتهتم بالكثيرين فتتمد يدك للبائسين ، وترفع من هوى .

وإنك تخلّد . أما عدوك فقد فنى ، ولقد هلك من أساء إليك .

إنك تدخل أمام تاسوع الآلهة وتخرج مظفراً . »

(١) Pap. Anastasi IV. 3 ff.

(٢) تسوق عربتك (٣) بعد الموت

(٤) راجع Pap. Anastasi V. 14. 6 ff & Verst Pap. Anastasi ii

(٥) التى تكرر بدون انقطاع

والرسالة الآتية أمان يرجوها أصحابها للمدرس ودعوات له بالصحة والنضارة :
(٣٤) [للمدرس]^(١) سيدى الطيب . إنك ستبقى ، وسيكون لديك طعام كل يوم بجانبك ، وستكون فرحا سعيدا كل يوم وممدوحا مرات يخطئها المد .
والفرح والسرور يضمن نفسيهما إليك وأعضاؤك ثم عن الصحة .
وكل يوم تزداد شبابا ولا شيء مضر يتسلط عليك .
وسياتى عام فيه يذكر الإنسان جمالك ، ولن يوجد مثلك ، عيناك براقتان كل يوم ،
وأذنك مرهفة (؟) ولديك سنين عدة جميلة . وشهورك (تمضيها) فى فلاح ، وأيامك فى
حياة وساعاتك فى صحة . إلهتك مرتاحة إليك مسرورة بكلماتك . أنت تقصى عنك القرب
الجميل^(٢) ، ولن تصبح مستنبا ، ولن تكون مريضا وستعمر مائة سنة بعد العاشرة على
الأرض . وأعضاؤك قوية كحال من يثنى عليه مثلك ، عندما يكافئه إلهه .
وبعد ذلك يجعلك رب الآلهة ودبعة عند أبواب الجبل الغربى^(٣) . وتقدم لك طاقات الزهر
فى أبى صير^(٤) ، وماء بارد فى الجنة . وتخرج روحك (من القبر) لتجول حيث تشاء^(٥) .

(١) راجع . Pap. Anastasi III. 4. 4.

(٢) لا كان الغرب هو عالم الأموات فيقصد من ذلك : أنك تؤخر يوم الموت

(٣) عندما يرسل الإله الموت إليك أخيرا

(٤) بلدة « أوزير » المقدسة فى الدلتا

(٥) رغبة الميت كانت : أن يكون فى قدرته أن يخرج من قبره ويمود إليه كما يشاء

مساجلة أدبية

مقدم

تمد هذه الوثيقة من أروع ما كتب في الأدب المصرى القديم في عهد الدولة الحديثة . وتدل الشواهد على أنها كتبت في النصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة . فقد وجدنا أن رعمسيس الثانى قد ذكر فيها عدة مرات . وقد عثر على عدة « استراكا » وقطع من البردى كتب عليها أجزاء من هذه المناقشة . وتاريخها كلها لا يتخطى منتصف الأسرة العشرين . على أن مجرد الاقتباس منها في هذا العصر للدليل ناطق على انتشارها في مدارس عهد الرعامسة .

ومن يقرأ تاريخ الأدب في هذا العصر يسهل عليه أن يعرف السبب في شيوعها . فنلاحظ أولاً أن الموضوع الذى تدور حوله المناقشة هو حرفة الكاتب ، وهو الهدف الذى كان يرمى إليه بخاصة كل تلميذ في عصر الرعامسة ، إذ كانت تمد أعظم المهن وأشرفها ، فالمناقشة التى نحن بصدها الآن تعد من جهة نوعاً من الكتابات التى كانت تفيض بها كتب هذا العصر لحث التلميذ على الجد في الوصول إلى حرفة الكاتب ، ومن جهة أخرى تعد نموذجاً للأسلوب الحسن ولتعليم الإملاء ، لما ظهر فيها من غرارة المادة وتنوع المفردات . يضاف إلى ذلك أن استعمال الألفاظ الأجنبية بكثرة والتفاخر بالعلم واستعراض أسماء البلاد الأجنبية غير المألوفة أحياناً يتفق مع ما نعرفه عن ميول هذا العصر الأدبية . وأخيراً نرى التهمك اللاذع منتشر في نواحي هذه الوثيقة ، ويرجع منشؤه إلى حب الأجوبة المسكتة عند المصرى وميله إلى التهمك ، ونرى ذلك واضحاً في المحاورات القصيرة التى نجد مداً فوق المناظر المصورة على جدران المقابر وفي الصور الملونة والنحت وفي الصور الهزلية التى بقيت لنا من رسومهم وكذلك الشأن في أدبهم ^(١) . غير أننا لم نجد في كل هذه المصادر ما يشفي القلة في باب التهمك والفك مثلاً بدا في وثيقتنا هذه .

ولكن مما يؤسف له أن الوثيقة في صورتها التى وصلت بها إلينا لا يمكن ترجمتها ترجمة

(1) Pap. Bibl. Nat. 198, 2 Spiegelberg Correspondences du Temps des Rois pretres p 68—74

مرضية إلى أية لغة حديثة ، حتى ولو كنا أكثر تمكنا من مفرداتها مما وصلنا إليه الآن .
والوثيقة كما هي غامضة في كثير من جملها ، وذلك لجهلنا لكثير من مرادفات الكلمات الحقيقية .
وقد زاد الطين بلة تعدد الفجوات التي في الورقة والأعطال التي في المتن نفسه .

ولكن على الرغم من كل هذا سيجد القارئ الشرقي في هذه المناقشة لذة لا يشعر بها
القارئ الغربي الذي لا يمكنه أن يتذوق تماما ما فيها من النكات والمداعبات ، فضلا عن أنها
تعرض أمامنا سلسلة صور هامة عن العالم المتمدين في هذا العصر وبخاصة في موضوع الرحلة
في فلسطين ، وإن بولغ في تصويرها ووصفها .

وقبل سرد ملخص هذه الوثيقة يجب أن نعرف هنا أن مؤلفها يدعى « حورى » وأن
خصمه يدعى « أمنموبى » وقد اتفقت جميع النسخ التي وقعت تحت أيدينا على هذه التسمية .

ملخص المناقشة :

كان الكاتب « حورى » من حملة الأقلام ، وكان موظفا في الإسطبلات الملكية ،
وقد كتب لصديقه « أمنموبى » كتابا تمني له فيه الفلاح والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة .
وقد رد عليه « أمنموبى » مظهرا أسفه لهبوط مستوى كتابة صديقه ، مع عجز « أمنموبى »
عن الانفراد بالرد عليه ، واستعانت به بكثير من المساعدين .

وعندئذ قام « حورى » بذوره يعلى مساجله « أمنموبى » قوارص الكلم ولاذع
التهكم ، مصرحا بمجزه مرة ، ومكنيا أخرى ، متتبعا ما عالج « أمنموبى » من الأمور ،
ومظهرا ما فيه من النقص . ولم يكن « أمنموبى » بالكاتب المتحفظ الذى يلتزم أدب التراسل
والمساجلة ، فإنه حذف السلام العادى من صدر رسالته ، وعبر عن احتقاره لمقدرة « حورى »
وتمككه من مادته ، فما كان من هذا الأخير إلا أن تهكم عليه ما وسعه التهكم ، وسرد أمثلة
عدة لأناس وصلوا إلى أعلى المراتب مع ما فيهم من نقص عقلى وجسمى ، وفى ذلك ترميض
« بأمنموبى » الذى وصل إلى مرتبة سامية على غير كفاية رزقها . واندفع « حورى » رد
هجمات « أمنموبى » بقسوة لا ذعة وطلب أن يحكم بينهما الإله « أنوريس » ، وتابع تحديه
لزميله بأن ينفرد بحل مسألة حسائية تتناول بناء مطلع ، أو نقل مسلة ، أو إقامة تمثال ضخم
أو غزوة لبلد أجنبي وما تتطلبه من المؤن والذخائر .

وعندئذ ادعى « أمنموبى » أنه يحمل لقب « ماهر » فاتخذ « حورى » من هذا الادعاء
مادة لإثبات عجز منافسه وجهله ، فسرد على « أمنموبى » عددا عظيما من بلدان شمال سوريا

التي يجهلها ، وصور له المتاعب التي سيتعرض لها في حياته بحمله هذا اللقب ، ثم سأله ساخرا من ضالة معارفه عن بلاد فينيقية ، والبلاد التي إلى الجنوب منها ، وبلاد أخرى كان يختلف (الماهر) إليها ، ثم تصور « أمنموبى » في صورة خيالية يقاسى فيها تجارب الحياة التي يسببها له هذا اللقب ، فيتعرض لاختراق أقاليم جبلية ، ولخاطر الحيوان المفترس ، ولتحطيم عربته ثم وصوله إلى يافا ، وإصلاح العربة وابتداء رحلة جديدة .

ولم يكتف بذلك « حورى » بل واصل استجواب صديقه عن أسماء الأماكن التي تقع على الطريق العام الموصل إلى غزة فيتضح جهله كذلك بها .

وإلى هنا قد وصل « حورى » إلى هدفه من إظهار فوقه على مناظره ، وبأخذ في الإجهاز عليه بأن يقف منه موقف الناصح الخبير ، فيسأله ألا يغضب ، ويطلب إليه أن يستمع في هدوء حتى يتعلم ، ويستطيع التحدث عن البلاد الأجنبية ، ويقص حوادث السياحة .

هذا ما حدث بين الأدبيين ، ويؤسفنا أننا لم نصل أحيانا إلى الكنه الحقيقي لبعض الأساليب ، لأن لكل أمة في لغتها طريقها الخاصة في التعريض والتلويح والتلخيص والرمز والإشارة ، وما إلى ذلك مما يكسب الكلمات معنى مجازيا قد يكون بينه وبين المعنى الحقيقي مراحل واسعة .

١ — مناقشة أدبية^(١) ورقة أنستاسى الأولى

[أثر القريحة الممتازة] . الكاتب ذو التفكير المختار الرزين في المناقشة (؟) والذي ينشرح الناس من ألفاظه عند سماعها ، المُتَفَقِّه في كلمات الله^(٢) ، وليس هناك شيء لا علم له به . وهو بطل في شجاعته وفي عمل « سشات »^(٣) ، وخادم رب « هرموبوليس » (الأشمونين) في مدرسة كتابته ، وأستاذ المدرسين المساعدين في دار الكتب . وأشهر زملائه والمتفوق على قرائه ، وأمير معاصريه ، والمنقطع القرين . وهو الذى يظهر فضله في كل الصبية^(٤) ؛ نشيط اليد ، وأصابه تجمل الطفل عظيما ، وهو نبيل حاد الذكاء حاذق

(١) محفوظة بأكلها في ورقة « أنستاسى » في لندن وقطعة في ورقة تورينو وقطع متفرقة على ثمان قطع من الخزف . وأول من بحث في موضوعها هو شاباس سنة ١٨٦٦ وقد عرف موضوعها أرمن سنة ١٨٨٥ ثم كتب عنها الأستاذ « جاردنر » كما سيأتى بعد .

(٢) الكتابة والكتب المقدسة

(٣) إلهة الكتابة

(٤) لتعلمه

فى العلم ، وهو بذلك مجدود ، وحامى نفسه بصفاته الحسنة . محبوب من قلوب الناس دون أن يقاوم (؟) ويرغب الناس فى مصاحبته دون سآمة . سريع فى كتابة الصحف البيضاء . ممتلئ شبابا ، فائق الرقة حلوالرشاقة ، وهو الذى يشرح القطع الصعبة كأنه هو الذى ألفها^(١) وكل ما يخرج من فيه مغموس فى الشهد ، وبه تشفى القلوب كأنه دواء . وهو سائس جلالته^(٢) الذى يصحب المليك ويسوس أمهار الملك ؛ ومرب غيور للاصطبل^(٣) ، والمسئ الذى يعمل مثله بفشل ومن يحل النير ، . . « حورى » بن « ونفر » من العراة المدفونة إقليم الصالحين^(٤) ، والذى ولدته أمة « توزرع » فى مقاطعة « بارست »^(٥) معنى « باست » فى حقل الإله^(٦) .

(٢) [برسل نخباء لصاحب الطاب أمنموى] إنه يسأل عن صحة صاحبه ، وأخيه الممتاز ، والكاتب الملكى قائد الجيش المظفر ، وصاحب الذوق السليم ، والخلق العظيم ، والحكيم الفهم ، المنقطع النظر فى الكتابة ، والعزیز عند الناس أجمعين . وإن رشاقة جماله لمن ينظر إليه كجمال نبات البردى فى قلب الأجانب^(٧) ، وهو كاتب فى كل معنى ، فهو لا يفوته عرفان شئ . والناس تبحث عن أجوبته لسدادها ، نبيه رحيم القلب ، محب للناس ، ويسر للعلل الحق ويؤلى ظهره للعسف . كاتب الجياد (؟) . . . « أمنموى » بن مدير البيت « موسى » المرحوم^(٨) .

(٣) [مقدمة الخطاب]^(٩) « أتمنى أن تحيا وتفلح وتكون فى صحة جيدة يأخى العزيز ، وأن تكون مثرىا متين الحال مدركا كل ما تتمناه (؟) . وأن يكون عندك ما يحتاج

(١) فى الكتب جل عامضة ، وقد أبدى الكتاب فى كل مكان رغبتهم فى فهمها كما التمسوا هذه الرغبة عند إلههم « تحوت »

(٢) هذه وظيفته الفعلية وهو يعطى تعاليم كهوية . ولما كانت المهارة فى ذلك الوقت أتمن مقتنيات الملك لم تكن وظيفة حورى وضيعة بالرغم من أنه لم يكن بالتأكيد من أسرة رفيعة

(٣) عامل مجد

(٤) مدينة « أوزير » إله الموتى

(٥) بلدة فى الدلتا وهى بليس الحالية

(٦) إقليم تل بسطة

(٧) يظهر إلههم هذا النبات المصرى العادى شيئا غريبا

(٨) ومن هنا نعلم أن والده قد توفى .

(٩) هذه الفقرة مقصود أن تكون جملها مبالغا فيها

إليه طول الحياة من ذخيرة ومثونة ؛ وأن يجتمع السرور والفرح في طريقك . . . ليتك ترى أشعة الشمس وتنمس نفسك فيها ، ليتك تُنمّسى مدة حياتك ... وآلمتكم مرراحة إليكم وليست غضبي . ليتك تتسلم مكافآت بعد عمر طويل وحبك في قلوب أهل العدل^(١) ليتك تدخل قبرك في الجبانة وتختلط بالأرواح الصالحة ؛ ليتك تحاكم بينهم وتبرأ ساحتك في « بوصير » أمام « ونفر »^(٢) ، وتسكن في العرابة بجوار « شو أوتوريس »^(٣) ليتك تمسّر « بكر »^(٤) في ركاب الإله . ليتك تحترق لإقليم الإله (؟) في ركاب « سوكاريس »^(٥) ليتك تنضم إلى نواقي القارب « نشمت » من غير أن تمنع . ليتك ترى الشمس في السماء حينما تفصل العام^(٦) .

ليت « أنويس » يصل رأسك بظلامك^(٧) . ليتك تخرج من المكان الخفى دون أن تتلف . ليتك ترى نور الشمس في العالم السفلى حينما تمر بك^(٨) . ليت بجرا عظيما يفيض في بيتك^(٩) ليضر طريقك ، وليته يعلو بارتفاع سبعة أذرع بجوار قبرك . ليتك تقعد على شاطئ النهر في ساعة راحتك تفسل وجهك ويدك . ليتك تتسلم القربان ، وليت أنفك يستنشق النسيم . ليتك تريح حنجرتك ... ليت إله الغلال يمطيك خبزا « وحتحور » جعة ، ليتك ترضع ندى البقرة « سخايت » وليت أحسن العطور (؟) تفتح لك (؟) . . . ليت تمثالك المجاب^(١٠) يساعدك ويحمل رملاً من التل الشرقى إلى التل الغربى . ليت جيزتك^(١١) تبلل حنجرتك دون أن تتلف ، وليتك تصد أعداءك ، وليتك تكون قويا على الأرض ، وليتك تكون مشرقا ، وليتك تحول نفسك إلى أى شىء تريد مثل

(١) كل التمنيات التالية تشير إلى الحياة بعد الموت

(٢) اسم لأوزوريس

(٣) أوتوريس اسم للإله « شو » وبهذا الاسم كان يعبد في العرابة المدفونة

(٤) مكان في العرابة لعب دورا في احتفالات أوزير

(٥) إله الموتى في منف

(٦) في يوم رأس السنة

(٧) كما فعل لأوزير

(٨) تفرح الأموات حينما تمر بهم الشمس أثناء الليل في العالم السفلى

(٩) يحتمل أن يكون المعنى : ليتك لا تحتاج إلى ماء في قبرك

(١٠) وحى التماثيل الصغيرة المفروضة فيها أن تقوم بالعمل (الزراعة) في الآخرة بدل الميت . وقد

ذكر هنا لهذه المناسبة « نقل للرحل » ولو أننا لا نعرف ماذا يقصد به . وربما يقصد به حفظ جسم الميت من التلف .

(١١) هي الشجرة التي منها تخرج الآلهة لتعطى الميت الطعام والشراب ولذلك حرم قطعها في أيامنا هذه

« الفنكس » ، وإلى كل شكل يماثل صورة الإله .

(٤) [كيف تسلم الخطاب] . وبعد تسلمت خطابك في ساعة فراغ (٩) وأخذت رسالتك ، وأنا قاعد بجوار الجواد الذي في عهدتي ، وكنت سميذا وممتلئاً فرحاً وعلى استعداد للإجابة . ولما دخلت حظيرتي لأفحص^(١) رسالتك وجدتها خالية من المدح والذم ، وعباراتك مضطربة ، وكل كلماتك مقلوبة ، ولا روابط بينها . وكل تخيلاتك وتخلط الغث بالسمين ، والحسن بـ وكلماتك ليست (٩) بالعذبة ولا بالمرّة فهي نبذ مخلوط بشراب عفن « بور »^(٢) .

(٥) [لم تكتب خطابك بمفردك]^(٣) . أكتب إليك لأساعدك كما يساعد الصديق المتعلم الأكبر منه ليصبح كاتباً ناهياً . وعند ما تكتب سأجيب على كتابتك : تأمل فإن كلماتك ليست إلا كلاماً بارداً وإنك تعمل مثل إني لم أف مرتاعاً منك ، لأنني أعرف طبيعتك . وقد خيل إلى أنك ستجيب عليه بنفسك في حين أن حماك (مساعديك) ينفقون وراءك ، إنك تحصل لنفسك على عدة . . . بمثابة مساعدين كأنك تتطلب الحكام لعقد جلسة (؟) ، وكأنني بك ونظراتك مضطربة عندما تقف هناك متملقاً المساعدين (؟) قائلاً : تعالوا معي ومدوا إليّ يد المساعدة ، وتقدم إليهم الهدايا كل على حدة ، ويقولون لك : « تشجع سنتغلب عليه^(٤) » ، وأنت تقف هناك مضطرباً و . . . ويقعد سبعة الكتاب يفكرون ، وإنك تسرع معهم . . . وتكلف^(٥) كل واحد (من سبعة الكتاب) بفقرتين (من الإجابة) حتى تتمكن من إتمام رسالتك المؤلفة من أربع عشرة فقرة (فواحد ؟) يؤلف مدائح ، واثنان يهجون ، وآخر يقف ويملمهم القواعد ، والخامس يقول : لا تسرعوا (؟) تأنوا (؟) واجعلوه نموذجاً ، والسادس يسرع ليقبس التربة بالذراع لأجل أن تحفر ليجعلها تسلم ، والسابع يقف عن كسب يتسلم أرزاق الجند و . . . أرزاق^(٦) إن أوامرك مرتبكة ، ولم يعبر عنها بطريقة صحيحة (؟) وإن (خريوف)^(٧) يلعب دور الرجل الأصم

(١) لأقرأ رسالتك (٢) شراب رديء

(٣) على حسب المعنى يجب أن تبدأ هنا فقرة جديدة

(٤) ولهذا قد طال هذه المناظرة وقتاً

(٥) راجع Melanges Maspero I P. 330

(٦) ليسلمها لحورى

(٧) من المحتمل أنه رئيس مخزن الغلال ، فهو لا يسلم العلة نظراً لتلك التعليقات التي لا تتم عن صراحة . ونحن بدورنا نعرف رئيس مخازن الغلال الذي يحمل هذا الاسم وعلى أكثر تقدير يكون جداً للشخص الذي نتكلم عنه الآن

فلا يسمع شيئاً ، ثم يحلف « بيتاح » يمينا قائلاً : إني لا أسمح للختم أن يوضع على مخزن الفلال^(١) ويخرج غضبان . فكم (جالونا ؟) تنقصك وكم (هن) ناقصة من كل كيل (؟) انظر ! إنك كاتب تصدر الأوامر إلى الجيش ، والناس يصفون لما تقوله ، ولست محتقرا . وإنك كاتب ماهر وليس هناك شيء لا تعرفه ، ومع ذلك فإن رسالتك موضوعة وضعاً رديئاً فوق ما يتصور لتجمل الإنسان يصنى إليها . . .

خاتمة الفقرة غير مفهومة ؛ فنجد « أمنموبى » يتكلم عن شيء ما : يوضع على أصابع كوزقة البردى على رقبة رجل مريض^(٢) . . . فلا تصير متعبة وتربط بخيط خاتمي^(٣)

(٦) [هوبانى سيكره أمسى به رسالتك] . إني أجيئك كذلك برسالة جديدة من أولها (؟) الخ (؟) وهى ملأى بتعابير من شفتى قد صفتها بنفسى منفرداً ، ولم يكن أحد آخر معى . أقسم بروح (كا) (إلهى ؟) تحوت ، أنى ألفتها بنفسى دون أن أطلب أى كاتب^(٤) ليساعدنى .

وإنى سأعطيك أكثر (أكتب خطاباً أطول) فى عشرين فقرة وأكرر لك ماقلته (واضعاً) كل فقرة فى مكانها من الأربع عشرة فقرة (المؤلف منها) خطابك^(٥) . أقبض على القرطاس لاخبرك بأشياء عدة ، ولأفوض عليك كلمات مختارة كأنها نيل^(٦) وصل إلى أقصى فيضانه ، مياها مضطربة اللعان فى فصل الفيضان ، حينما يغمر كل الحقول (؟) إن كل كلماتى عذبة حلوة . . . وإنى لن أفعل فعلك ، لأنك تبتدىء بذى فى أول فقرة ، وفى فاتحة رسالتك لم تسأل عن صحتى . وكل ما تقوله^(٧) بعيد عنى ولا يؤثر فى ، لأن إلهى « تحوت » و « رع » لى ، وإنى أقسم بقوة « بتاح » رب الصدق . . . انظر ! إن

(١) من الجائز أن ملاحظ الفلال كان يختم المخزن بعد كل عملية تسليم فاذا تركه دون ختم اعتبر ذلك دليلاً على ارتباك الأمور

(٢) تيمية

(٣) الأختام قديماً كانت تعلق بخيط حول العنق

(٤) أى كما فعلت أنت

(٥) المقصود من ذلك أن حورى عازم على كتابة عشرين فقرة ١٤ منها ستكون خاصة بالفقرات التى تتألف منها رسالة « أمنموبى » وفى الحقيقة أن المحس أو الست فقرات التى تعتبر كقدمة قد أتت بأربع عشرة فقرة أخرى ، وهذه تحتوى كل المناقشة الحقيقية

(٦) من البلاغة

(٧) قد تكون إهانة « أمنموبى » فى خطابه وخاصة كما يظهر فيما يلى — عند ما أظهر رغبته فى أن يبقى بدون لحية

ماقلته ربّما لا يحدث ، وإن كل ما خرج من فيك قد ينقلب على عدو آخر ! ومع ذلك سأدفن في الرّابة المدفونة في مقر والدى (لأنى) ابن رجل مستقيم في مدينة رب الحق (؟) وسأدفن بين عشيرتى في تل « تاجسر » (الجبانة) .

في أى شيء كنت قد أسأت إليك في قلبى حتى تهاجنى كذلك ؟ ولمن ذكرتك بشر ؟ لقد كتبت إليك كتابا يشبه الداعبة اللذيذة التى تسلى كل إنسان^(١)

(٧) [« إجابة على هجو « أسمرى »] لقد قلت عني إننى مكسور الجناح^(٢) خائر القوى ، وقد حقرتنى كتابيا وقلت . . . « هو لا يعرف شيئا ! » هل أمضى وقتى بجانبك متملقا وقائلا : « كن حاميا لى إذا اضطهدنى شخص آخر ؟ » فبحكم الرب المظفر صاحب الاسم العظيم ، والذى ترتكز قوانينه على أساس متين مثل قوانين « نوحوت » إني أنا نفسى نصير كل أقاربى^(٣) . . .

ولكنى أعرف عدة أناس تموزم القوة^(٤) ، مكسورى الجناح ومقطعين إربا إربا ، ومع ذلك فإنهم أغنياء ، في بيوتهم الطعام والمؤن ، ولا يقولون عن أى شيء « آه : إذا كنت أملك ؟ » تعال . دعنى أحدثك عن حال الكاتب « روى » الذى يدعى « محور نار » صاحب مخزن اللال ، فهو لا يتحرك ولم يَجر منذ ولادته ، وهو يحقّ عمل الرجل النشط ولا يعرفه ، وإنه قد ذهب فضلا إلى الغرب^(٥) ، رغم أن أعضائه كانت لا تزال في صحّة ؛ وهو لا يخاف الإله الطيب^(٦) .

وإنك لا تكثر تفغيلا من « كسا » حاسب الماشية^(٧) ... أسرع فساخبرك بشكله ... ولا شك فى أنك قد سمعت عن اسم « آمون — واح — سو » وهو أحد رجال الخزانة المسنين فهو يعضى حياته مراقبا فى المصنع بجوار الحداد^(٨) .

(١) لن تؤول مداعبتى البريئة بشأن خطابك تأويلا جديا !

(٢) كناية عن الضعف

(٣) فلتست فى حاجة لى حمايتك

(٤) المحول الذى تصفى به موجود فى آخرين والموظفون الحاملون الذين يتحدث عنهم سيكونون

من المؤكّد أصدقاء معروفين لأنسوى

(٥) كاليت (٦) الملك

(٧) نعرف شخصا بهذا الاسم كان المراقب على الماشية واسمه مكتوب على آنية للأحفاء موجودة

بمخفف برلين . ويحتمل أن يكون هو الشخص المقصود لأن اسم هذا الشخص نادر الوجود

(٨) ويعنى بذلك أنه بدلا من القيام بواجباته كان يجلس دائما ويتكلم فى مصنع كأنه هو الموظف

الأكبر الذى بيده السلطة هناك

تعال كي أحدثك عن « ناخت » صاحب مخزن الخمر^(١) ، فإنه أحسن لك عشر مرات من هؤلاء . وإني أحدثك عن ضابط الرديف الذي كان في « عين شمس » وقد أصبح الآن من كبار رجال القصر . فهو أصغر من قط تام النمو وأكبر من قرد^(٢) ! إنه مثر في بيته ... على حين أنك ستكون هنا في الحظيرة إلى الأبد...؛ ولقد سمعت باسم « كسب » ... الذي يتحرك على الأرض دون أن يلتفت إليه ، وهو غير مرتب الملابس وموثق القهاط (؟) وإذا نظرت إليه عند المساء في الظلمة فإنك تقول : « إنه طائر يمر » ضعه في كفة الميزان لتعرف وزنه ؛ فهو وزن نحو عشرين « دينا »^(٣) وإذا نفخت بجواره حينما يمر سقط من خالق كأنه ورقة غصن .

وإذا حدثتكم عن « واح » صاحب حظيرة الماشية ، فإنك تعطيني مقدار وزني ثلاث مرات من خالص النضار^(٤) . إني أقسم بربي « هرمبوليس » و« بنحم أوأيت »^(٥) أنك قوى الذراع وستغلب عليهم^(٦) . دعهم يفحصوا أولئك وهؤلاء حتى أضربهم بذرأعي ولن يقلت من يدى أحد منهم .

يا سيدى الطيب ويا صديقى الذى لا يعرف مايقول . انظروا ! إني أحل لك مصاعبك الأليمة وأجعلها لذيدة لك^(٧) .

(٨) [إنك تلعب دور الحكيم] لقد أتيت مزوداً بأسرار عظيمة . وتجبرنى بمثل من أمثال « حردادف »^(٨) على أنك لا تعلم إذا كان حسناً أو رديئاً . فأخبرنى ماهو الفصل الذى يسبقه (المثل) [وما الذى يأتى بعده] ... إنك رجل عالم على رأس إخوانه^(٩) وعلم الكتب (؟) منقوش على قلبك ؛ ولسانك سميد (؟) وكلماتك واسعة والمثل يخرج من فيك يزن أكثر من ثلاثة « دين » أرتال . . . عينائى تنهران لما تفعل وأفقر فى عندما تقول : « إني بوصنى

(١) يحتمل أن يكون السكير

(٢) من الجائز أنه يعنى « أكبر من القرد عمرا » على أن موضع الفكاهة فى هذا التعبير غير واضح .

(٣) ١٨٢٠ جراما

(٤) يقصد من ذلك معنى تهكميا

(٥) تحوت وزوجه وكانا يعبدان فى الأشمونين

(٦) تهكم : لا شك أنك الآن ستهاجهم بسبب وصفى هذا

(٧) تؤدى إلى الفصل الآتى

(٨) ابن « خوفو » وقد ترك بعد وفاته كتابا فى الحكم وقد اقتبس « أمنموبى » . منه مثلا فى

خطابه مع أنه من المحقق أنه لم يقرأ الكتاب البتة (٩) تهكم

كاتباً منغمساً في السماء وفي الأرض وفي العالم السفلي أعرف الجبال بالرطل والهن^(١) ، وإن بيت الكتب مخفي ولا يرى ، وناسوع آلهته غبابة وبعيدة عن . . .^(٢) وإني هكذا أجيئك : احذر ألا تقترب أصابعك من كلمات الله^(٣) وعن كل ما يأتي لا نفهم إلا : مثل يجلس ليلعب النرد .

(٩) [بسر صواباً أنه نفسك في علمي] لقد قلت لي : « إنك لست بكاتب ، وإنك لست بمجندي (؟) لقد كونت نفسك لتكون رئيساً ولست في القائمة » والآن إنك كاتب الملك الذي يجند الجنود والذي أمامه السماء^(٤) مفتوحة أمامك . أسرع حينئذ إلى مكان الكتب حتى يدعوك ترى الصندوق الذي فيه السجلات . وإذا أخذت منك طاقة أزهار إلى هرش^(٥) فإنه سيفتح لك بسرعة وستجد اسمي في القائمة ضابطاً في الاصطبل العظيم « لرعميس » محبوب « آمون » . وعندك برهان آخر على رابتي في الاصطبل^(٦) فإن لي مراتب طعام مقيدا باسمي ، وعلى ذلك فإني خدمت جندياً وكاتباً وليس هناك شاب من جيلي يمكنه أن يقرن نفسه بي « دع الرجل يسأل عن أمه^(٧) » ! فأسرع إذن وسل رؤسائي الضباط وهم يخبرونك عنى .

(١٠) [أما ما نطلبه مني فأرني أرو كيف نعمل أنت] ، وقد قلت لي مرة أخرى : إن سلسلة جبال عالية^(٨) تقف أمامك . أدخل في هذه السلسلة الخفية ، وإن كنت لا تعرفها^(٩) ادخل أمامي وإني سأقي على أترك ، وعلى أية حال (؟) فإنك لم تدن من حماها ولم تقترب منها . فإذا عُثر عليك فيها حينئذٍ فإني سأذهب هناك أيضاً خلفك . واحذر أن تضع يدك لتجترى إلى الخارج (؟)

(١١) [أنتك في مراهب « حورى » مرة أخرى] ^(١٠) لقد قلت لي : « إنك لست بأية

(١) إني أعرف مقدار ما تزن ومقدار ما تسع (٢) مها يكن سرا فإني أعرفه

(٣) يجوز أن المعنى هو : احتس حق من عناصر العلم التي لا نفهم منها شيئاً

(٤) لا بد أن يكون هذا تعبير صريح لحبرة الكاتب

(٥) اسم كاتب السجلات ، أما طاقة الزهور فأنها تكون هدية

(٦) يحتمل أن يكون القرار الصادر بجديد ضريبة (٧) يجوز أن يكون مثلاً

(٨) يظهر أنه جبل تطل عليه غابة وذلك على حسب الكتابة

(٩) قال هذا « أمنموي » طبعا من باب التشبيه بمعنى قم بالعمل الذي كلفت به

(١٠) يعود « أمنموي » في كتابه مرة أخرى إلى هذه الشكوك . ولما كان « حورى » يعالج

خطابه قرة قرة كان لا بد له من أن يعالج الموضوع ثانية

حال كاتباً فهو اسم أجوف بارد (؟) ^(١) ، وإنك تحمل الدواة خطأ وهكذا تأخذ العدة لنفسك ضدى ثانية ، ولكنها أقوال تجحف بحق ولن يُصنى إليها ، دع رسائلك تحضر أمام « اوزيريس » ليرى أينما حق حتى لا تنضب ^(٢) .

(١٢) [أُنصوبى لا يمكنه أنه بحسب كما ظهر ذلك في مصر بحيرة وبناء مطلع] موضوع آخر . انظر إنك تأتى وتدل بوظيفتك ^(٣) . وإنى سأجملك تعرف كيف تكون الأمور معك حيناً تقول : « إبنى الكاتب الذى يصدر الأوامر للجيش » هب أنك أعطيت بحيرة لتحفرها وقد أنيت إلى التسألنى عن أرزاق الجند : وتقول : « احسبها » فأنت تهجر وظيفتك ، وعلى ذلك فواجب تعليمك إنجازها يقع على عاتق :

تعال لأخبرك بأكثر مما قلت ^(٤)

إبنى أجعلك تنجبل (؟) حيناً أكشفك بطلب من سيدك ، الذى أنت كاتبه الملكى ، وذلك حيناً يؤتى بك تحت نافذة ^(٥) لأى عمل عظيم ، حيناً تخرج من الجبال آثار عظيمة « لخور » رب الأرضين ^(٦) لأنك تأمل ، أنت الكاتب الماهر الذى على رأس الجند ^(٧) ؟ (مطلوب) بناء مطلع ^(٨) طوله ٧٣٠ ذراعاً ^(٩) وعرضه ٥٥ ذراعاً ^(١٠) يحوى ١٢٠ حجرة ^(١١) مملوءة بالقصب وعروق الخشب ^(١٢) وارتفاعه من القمة ٦٠ ذراعاً ، و ٣٠ ذراعاً فى الوسط و ١٥ ذراعاً و ٥ أذرع وكية اللبن اللازمة له مطلوبة من القواد ، وقد اجتمع الكتاب معاً دون أن يعرف واحد منهم أى شئ ، وكلهم يضعون

(١) يحتمل أن المعنى : أنك تحمل فقط اسماً بدون لقب

(٢) يقترح الآن فصل الأمر بواسطة الوصى ، وكانت هذه طريقة شائعة فى هذا العصر وفى هذه

الأحوال كانت توضع كتابتان أمام الإله : واحدة إثبات والثانية نقي ، ويفصل الإله بينهما بهزة من رأسه

(٣) من المحتمل أنك تتكلم عنها بمقدار عظيم

(٤) شئ لم يذكر فى خطابك

(٥) نافذة القصر التى منها تصدر الأوامر وما شاكلها

(٦) حيناً يأمر الملك بقطع الأحجار التى تستعمل لأغراض البناء

(٧) منهكاً : يجب أن تفهم كل شئ

(٨) لرفع الأحجار الضخمة اللازمة للبناء كانت تعمل منحدرات من الطوب تجر عليها الأحجار

(٩) القدرام يساوى ٥١ سم

(١٠) توفيراً للبن كانت تترك حجرات كبيرة ثم تملأ بالرمل

(١١) الحوائط الكبيرة المبنية باللبن كانت تسند بعروق من الخشب والحصير موضوعة بين

نقتهم فيك ، ويقولون إنك كاتب ماهر يا صديقي (١) قرر لنا بسرعة ! انظر . إن اسمك شهير ،
دع واحداً يوجد في هذا المكان ليظلم الثلاثين الآخرين (٢) . ولا تجعل أحداً يقول إن
هناك شيئاً لا تعرفه . أجب كم عدد اللبنة اللازمة له ؟
انظر . إن كل مقاساته (؟) أمامك . وكل حجرة من حجراته طولها ٣٠ ذراعاً ،
و ٧ أذرع في العرض (٣) .

(١٣) [كذلك يوضحهم « أنصوبى » كيف يقرر وزنه مسد] آه يا سيدى الطبيب ،
أنت أيها الكاتب اليقظ ، الذى يرأس الجيش ومن يُتميز نفسه حينما يقف عند البابين
العظيمين (٤) ، والذى ينحنى بخضوع تحت النافذة !

وصلت رسالة من ولى العهد فى « راکا » لتسر قلب « حور » الظفر وتهدى الأسد
الفاضب ، وتجبره كيف صنعت مسلة جديدة منقوشاً عليها اسم جلالته طولها ١١٠
أذرع وقاعدتها ١٠ أذرع والقطعة التى فى نهايتها مقياسها ٧ أذرع من كل جهاتها .
والجزء المدب يبلغ ذراعاً وإصبعاً ، والجزء الهرمى يبلغ طوله ذراعاً و . . . مقياسه إصبعين .
فاحسب الآن (؟) حتى يمكنك أن تجلب كل رجل يحتاج إليه لجرها وأرسلهم إلى الجبل
الأحمر ، وانظر . إنهم فى انتظارهم (٥) .

كن مساعداً لولى العهد ابن الشمس . قرر لنا كم رجلاً يلزم لجرها ، ولا تجعلهم
يرسلون إلينا مرة أخرى لأن الأثر ملق على استعداد فى الحجر ! . أجب بسرعة ولا تردد !
انظر . إنك تبحث عنها بنفسك (٦) . استمر ! تأمل . إذا نشطت نفسك جعلتك سعيداً .
لقد تعودت فيما مضى أن أجهد نفسى مثلك . وعلى ذلك دعنا نلتحم فى المركة (٧) سويًا
(حل المسألة) فإن قلبى ذكى وأصابى سهولة القيادة وماهرة حيث تفضل أنت . تقدم ولا
تبتك إن مساعدك يقف خلفك ، وسأجعلك تقول « يوجد كاتب ملكى مع « حور » الثور
القوى » (٨) ، وعليك أن تأمر أناساً ليصنعوا صندوقاً توضع فيه الرسائل (الباقي غير مفهوم)

(١) هل ينشون كلهم لجامعة الثلاثين الذين كثيراً ما يرد ذكرهم ؟

(٢) يلاحظ أن هذه الجملة فى غير موضعها . إنما وضعها الكاتب « حورى » بكل هدوء كما

لو كان الإنسان قد نسى فى سياق حديثه شيئاً ثم يضعه فى النهاية

(٣) بابا القصر

(٤) يقصد بذلك أن ولى العهد قد كتب للملك بأن المسلة جاهزة للنقل

(٥) إنك تجتهد أولاً لتحلها منفرداً ولكن لم تنجح

(٦) مركة المسألة التى اكتسبت منها التجارب لمدة طويلة

(٧) لن تذكر اسمي طبعاً على عادتك ولكنك ستلتفت إلى أن ما كتب قد أصاب الخبز

(١٤) [كذلك عند إقامة تمثال ضخم بطنى ، « أُنمورى » الحساب] ، وقد قيل لك :
أُخِلَ المخزن^(١) المملوء بالرمل الموجود تحت أثر سيدك^(٢) الذى قد أحضر من الجبل
الأحمر ، ويبلغ طوله ثلاثين ذراعاً ، وهو ممتد على الأرض ، وعرضه عشرين ذراعاً . (من
الجل التالية نعلم فقط أن « المخزن » يشمل عدة أقسام مملوءة بالرمل المجلوب من شاطئ
النهر ، وكلها تبلغ خمسين ذراعاً فى الطول) ، وإنك مكلف الآن أن تجد ، (والأمر الذى
يشغل بال الملك (؟) هو^(٣)) : « كم رجلاً يلزم لهدمه فى ست ساعات » ؟ وإن قلوبهم
مستعدة^(٤) ، ولكن رغبتهم لهدمه ضئيلة لأن الوقت الذى يمطاه الجند للراحة ليأخذوا
فيه غذاءهم^(٥) لم يحسب . دع الأثر ينصب فى مكانه لأن رغبة الملك أن يراه جيلاً .

(١٥) [أُنمورى غير قادر على حساب المئونة الموزنة لحمة عسكرية] إنه الكاتب
النبه ذو القلب الذكى — والذى لا يفوته معرفة أى شىء مهما كان ، أيها الصباح فى الظلام
أمام الجحيم الفير ليعطيهم نوراً ! هب أنك أرسلت فى مأمورية إلى فينيقيا (؟) على رأس
جيش مظفر لتقهر هؤلاء الثائرين المسمين « نعرين »^(٦) وعدد من تقودهم من الرديف ١٩٠٠
و ٥٢٠ شردانيين^(٧) و ١٦٠٠ كهك (و ١٠٠) ماشوشا و ٨٨٠ من السودان . والكل
٥٠٠٠ عدا ضباطهم .

وقد أحضر أمامك هدية من الخبز والنبيد^(٨) . غير أن عدد الرجال كبير (جدا) عليك^(٩)

(١) صومعة الفلال

(٢) تمثال الملك الفخم . هذه الجملة تشير إلى الطريقة التى كانت تستعمل فى مصر لإقامة الأحمال
الثقيلة فكانت تمر إلى أعلى فوق حجرة (المخزن) مملوءة بالرمل ثم كان يفرغ الرمل من تحت الأثر
تدريجاً حتى ينتهى الأمر إلى أن يستقر الأثر فى المكان المرغوب وضعه فيه

(٣) أى مما يفضل البال أكثر أنك لا تعرف

(٤) يفهمون علمهم

(٥) المعنى المحتمل (انظر الصفحة التالية) أن عدد الرجال الذين يشتغلون وفقاً لنصيحتك ليس
بكاف لأنك فرضت أنهم سيشتغلون ٦ ساعات متواصلة بدون فترة راحة لأن رغبة الملك كانت متجهة
إلى فحص التمثال . وعلى هذا الأساس كان الشرط ست ساعات عمل بدون انقطاع لإنجاز العمل

(٦) محاربون شبان من كنعان

(٧) الشردانا قوم ملاحون كانوا فى ذلك الوقت قد تعودوا زيارة مصر ودخلوا فى خدمة
المصريين وكانت الحال كذلك مع قبائل الهويين والمشوشا والكهك

(٨) التى أرسلها سكان البلدة

(٩) أن تطعمهم من هذه الهدية

والثونة قليلة جداً بالنسبة إليهم : ٣٠٠ رغيف من القمح ، ١٨٠٠ . . . رغيف ، ١٢٠ من الماعز المختلفة الأنواع و ٣٠٠ كيل من النبيذ — والمساكر عذم عظيم والثونة قدرت بأقل منهم (؟) . . .

وتسلمت الثونة ، وهي موضوعة الآن في معسكرك . وجيشك مستعد ومسلح ؛ فطليك إذن أن تقسمها بسرعة وتمطى كل رجل نصيبه . والبدو عندئذ ينظرون خلسة (يقولون ؟) « أيها السهريود ^(١) » (الكاتب الفطن) . وقد أتى وقت الظهر والمسكر حار (والجند) يقولون : « حان وقت السير » . « لاتمضين يا قائد « الرديف » . لا يزال عندنا كثير لنقطمه » ونحن نقول « لماذا لا يوجد إذن خبر ؟ إن مراكر معسكرنا الليلة بعيدة جداً ! فامعنى أنك تضربنا أيها السيد الطيب مع أنك كاتب ماهر ^(٢) ؟ اقتررب لتمطى الطعام على أنه قد تمر ساعة يكون الإنسان فيها من غير كاتب من قبل الحاكم . (فعلى الرئيس أن يقوم مقام الكاتب . على أنك تأخذ على عاتقك أن تضربنا ، فإن ذلك ليس بالحسن أيها الزميل ، لأن (الفرعون) يسمع بذلك ويرسل بعزلك ^(٣) .

(١٦) [إنك لا تعرف إلا القليل عن سوريا] . في خمس الفقرات الأخيرة ، وهي التي تبدئ هنا وجه « حورى » عناية إلى نهاية رسالة قرنه ، والظاهر أنها بوجه خاص قد سلته « بكلماتها الضخمة » ، وفيها لفت « أمنموي » الأنظار إلى أعماله العظيمة وتجاربه في سوريا ، وأعطى لنفسه بكبرياء نعتاً أجنبياً هو « ماهر ^(٤) » أى بطل (وهي كلمة كنعانية) . ورى أن « حورى » يمتحن هذه القصة ويتبع كل سياحة قرنه من شمال سوريا إلى « تخوم مصر » . ولكنه يصور السياحة بأنها ملأى بمخاطرات قاسية صغيرة وكبيرة ، وقد يجوز أن يكون هذا حقيقياً حسب رأيه ، يضاف إلى ذلك أنه يلح بواسطة أسئلة حاذقة أن معلومات قرنه قليلة جداً عن البلاد التي زارها ، وأنه لم يشاهد فيها إلا شيئاً يسيراً جداً . ولقد كان من الضروري علينا ، لتذوق هذه السخرية أن نعرف قصة « أمنموي » نفسه التي قد حرفها هنا ، غير أنه على الرغم من هذا التحريف يمكننا أن نتذوق الوصف الحى الذى وضعه

(١) كلمة أجنبية

(٢) كان يجب أن تسلم الجند نصيبهم في الصباح قبل بدء السير ولكنهم لم يتسلموه للآن ، ولذلك لم يأخذوا في السير حتى الظهر فاستولوا عليهم القلق واشتكوا فضر بهم

(٣) سيثكون للملك الذى يعزلك

(٤) وهي كلمة تطلق على الضابط المصرى الذى يرحل في سوريا

أمامنا لفلسطين ، وهي بلاد كان يعرفها « حورى » على ما يظهر جيدا ، وعلى أقل تقدير كان يعرفها أحسن من قرنه المتفاخر بملحه : إن رسالتك مفعمة بالهجمات (؟) وتنوء تحت عبء الكلمات الضخمة . انظر . فإنهم سيكافئونك كالذين يبحثون وراء حمال وسيثقلونك أكثر مما تود ^(١) .

أنت تقول مرة أخرى إني كاتب ، وماهر ، ونحن بدورنا نقول إن كلماتك صادقة . فابرز حتى تمتحن ، فقد أسرج لك جواد سريع كابن آوى مع . . . وكأنه عاصفة الريح حينما ينطلق . وإنك ترخي العنان وتقبض على القوس ، سترى ماذا تفعل يدك ، وسأشرح لك طبيعة « ماهر » وأريك ماذا يفعل . ألم تذهب إلى أرض « خاني » ألم تر أرض « يوب » ^(٢) ؟ « وخدم » ، هل تعرف طبيعتها « وإحدى » كذلك أى شيء تشبه ؟ و « سومر » التابعة « لسمى » ^(٣) على أى جانب منها تقع بلد « خرة » . . . ؟ وماشكل مجرى مائها ؟ ألم تسر إلى « قادش » ^(٤) « وتوينخي » ؟ ألم تذهب إلى إقليم البدو مع جند الجيش الرديف ؟

ألم تتطأ طريق « مجر » ^(٥) حيث السماء مظلمة نهارا ويفزر فيها نحو المليك (؟) والبلوط وأشجار الأرز التي تناهض السماء ؟ . وهناك أسود أكثر من الفهود والضباع ، ويحيط بها البدو من كل جانب . ألم تتسلق جبل « شوى » ؟ ألم تتطأ وبداك موضوعتان على . . . ، وعربتك قد كسرت من الجبال عندما يجرون حصانك ^(٦) ؟

أرجوك . دهنى أخبرك عن . . . « برت » . إنك تنفر من تسلقها وتفضل عبور نهرها . . . وسترى ما يكون عليه الإنسان لأجل أن يصير « ماهرا » ، وذلك حينما تحمل

(١) المعنى : لقد أثرتى والتمن مردود لك

(٢) مكان بجوار دمشق . أما عن أحاء الأماكن الكنعانية التي ستظهر فيما يلي فبعضها معروف لنا من العهد القديم ومن المتون السكيونوفورية ومن المصادر اليونانية وهذه يمكن أن يكتبها الإنسان بشكلها الصحيح ، أما الأسماء الأخرى فيجب أن يجعلها الإنسان قابلة للنطق ، وعلى ذلك تستعمل طريقة وضع حروف متحركة لها . ومن أراد معرفة الحروف الساكنة التي تتألف منها كل كلمة فعليه أن يرجع للفتن الأصل

(٣) « سسى » هو الاسم الم محبوب « لرعمسيس الثانى » وسومر (فيما بعد زمير) في فينيقيا ، وإضافة رعمسيس لها يدل على أن الملك أقام بناءً عظيماً هناك

(٤) البلدة الواقعة على نهر العاصى

(٥) من المحتمل أن تكون جزءاً من لبنان

(٦) ومعنى ذلك أن الحيل والعربة كانت تنسلق بصعوبة كبيرة

عربتك على كتفك . . . وحينما تقف عن المسير في الساء ترى جسمك كله مهدما . . . وأعضاءك مكسرة . . . وتستيقظ عند ساعة الرحيل في . . . ليل . وأنت وحدك تسرج الحصان ، والأخ لا يأتي لأخيه^(١) ، والهاربون (؟) قد أتوا إلى المسكر ، وحل قيد الجواد . . . قد نهبت بالليل وسرقت ملابسك . وسائسك قد استيقظ بالليل وعرف ماقد ارتكبوه ؟ فأخذ ما تبقى . وانضم إلى صف الخونة واختلط بقبائل البدو وغير نفسه إلى أسوي ، وقد أتى المدو لينهب سرّاً ، وقد وجدك لا حراك بك . ولما استيقظت لم تجد لهم أي أثر ، وقد أخذوا كل متاعك . وقد صرت « ماهرة » كامل العدة وقبضت على أذنك^(٢)

(١٧) [فخرى فينيقيا] سأحدثك عن مدينة أخرى سرية ، اسمها « جبيل » فاشكلها ؟ وإلهتهم ماشكلها^(٣) ؟ ألم تطأها قدماك ؟

تعال ؟ وعلمني شيئاً عن « بيروت » وعن « صيدا » و « سريتا » وأين نهر « زن »^(٤) وما شكل « وس » ، ويقولون إن مدينة أخرى واقعة على البحر اسمها « صور » الميناء ؟ يؤخذ^(٥) إليها الماء في قوارب ، وهي غنية بالسماك للدرجة أنه فيها أكثر من الرمال . (١٨) [مرمه مرمه] سأحدثك عن بؤس آخر — عبر « سرام » ، وإنك ستقول : « إنه يحرق أكثر من لدغة^(٦) » وإن حال « الماهر » سيء جداً .

تعال وضعني على الطريق المؤدية إلى الجهة الجنوبية لإقليم « عكا » ، وأين الطريق إلى « اكساف » ؟ بجانب أي مدينة هو ؟

أرجو أن تعلمني شيئاً عن جبل « وسر » وما شكل قته ؟ وأين جبل « شم » ؟ ومن الذي سيأخذ . . . ؟ و « الماهر » أين يعمل السياحة إلى « هازور » ؟ وما شكل نهرها ؟

أرشدني الطريق إلى « حماه » وإلى « دجر » وإلى « دجرال » ميدان لعب كل « ماهر »

(١) بدون أية مساعدة كما هو واضح من الجملة التالية

(٢) من المحتمل أن هذه كانت إشارة للأسف (كامل العدة) يقصد بها التهم

(٣) إلهة هذه البلدة كانت تمثل عند المصريين بالإلهة « حاتحور » وكانت مبيجة كثيراً عند

(٤) نهر في لبنان يصب في البحر شمالي صور

(٥) كانت هذه الحال مع سكان صور لأن المدينة تقع على جزيرة صغيرة صخرية ونحن نعلم ذلك

من مصادر أخرى

(٦) يظن أن هناك تورية في الكلمة الكنعانية « الزناير »

أرجو أن تعلمنى شيئا عن طريقه ، وأرنى « يان » . وإذا كان إنسان مسافرا إلى « إدم » فأين يُوتى وجهه ؟
فلا تولّ ظهرك عن تعليمنا (؟) وأرشدنا إلى معرفتها . (أى بكل ما ذكرت من الأماكن) .

(١٩) [المرحه الأخرى] تعال ودعنى أحدثك عن مدن أخرى واقصة فوقها (؟)
(أى التى ذكرت) . ألم تذهب إلى أرض « تحسى »^(١) و « كفر مهران » و « تمت »
و « قادش » و « دبر » و « آزى » و « حارنى » ؟ ألم تر « كراجات أناب » و « بيت
صوفر » ؟ ألم تعرف « إدرن » ؟ و « زربت » أيضا ؟ ألم تعرف اسم « خلز » التى فى أرض
« وبى » ، كالشور على تخومها ، وهى ميدان مواقع كل المحاربين^(٢) ؟

أرجو أن تعلمنى شيئا عن هيئة (؟) « كين » وتعرفنى ما « رهب » فسر لى « بيت —
شائيل » ، « كراجات — ثيل » (؟) ؛ نهر الأردن كيف يعبر ؟ وأرنى كيف يمر
الإنسان إلى « مجدو » الواقعة فى أعلاه^(٣) إنك « ماهر » حاذق فى ضروب الشجاعة
المظيمة ! و « ماهر » مثلك عنده من الصفات (؟) ما يجعله يسير (؟) على رأس الجموع ! إلى
الأمام يا « مرين »^(٤) « لتصطاد ! انظر . يوجد (؟) ال . . . فى واد عمقه ألفا ذراع مملوء
بالحصى والرو . إنك تلف (؟) وإنك تقبض على القوس ، وإنك . . . على شمالك ،
وتدبح الرؤساء^(٥) يرون كل لذيذ لأعينهم حتى تسكل يدك : أبات كمو آرى ماهر نام^(٦)
(إنك تقتل كالأسد ، يأبها الماهر اللطيف) إنك اكتسبت اسم . . . « ماهر » (بين)
ضباط مصر . وكذلك أصبح اسمك مثل اسم « كازردى » رئيس « إيسر »^(٧) حينما وجدته
الضبع فى شجرة القار . انظر . إن هناك (؟) مضيقا قد حفه بالمخاطر البدو الذين يكمنون تحت
الأشجار ، بعضهم يبلغ أربع أذرع أو خسا من الأنف إلى أخمص القدم ، وجوهم
متوحشة وقلوبهم غليظة ولا يصغون إلى اللطافة .

(١) بلاد تذكر كثيرا كانت واقعة فى الشمال

(٢) مكان واقع على الحدود كثيرا ما قام تنازع عليه

(٣) تقع مجدو شمالى كرمل

(٤) تعبير مشابه لاهر وكثيرا ما يرد ذكرها فى أماكن أخرى

(٥) البربر المالحفوت

(٦) تفسيرها هو المحصور بين القوسين . وهى كلمة سريانية ونطقها غير محقق

(٧) يظهر أنه يشير إلى أسطورة كان يعرفها القارىء المصرى

والآن إنك وحيد ولا مساعد لك ولا جيش خلفك ، ولا تجد دليلاً (١) يهديك إلى الطريق لتبر . وإنك تصر (٢) على السير إلى الأمام ، مع أنك لاتعرف الطريق . فالرعدة تستولى عليك ، وشعر رأسك يقف . روحك توضع في يدك (٣) وطريقك مملوءة بالحصى والمرو ، وليس هناك مسلك ممهد للسير لأنه قد كسى بـ . . . الشوك ونبات « نه » ونبات خافر الذئب (٤) . والوادي على أحد جانبيك ، والجبل يشرف على الجانب الآخر . وإنك تسير قداما وتقود (٥) عربتك بجانبك وتخاف أن . . . جوادك . وإذا كبا الجواد فإن يدك (٦) تسقط وتترك خالية (٧) . . . و . . . جلد يسقط . وتزرع سرج الجواد لتصلح اليد التي في وسط (٨) المر الضيق ، وإنك لست بماهر في طريقة ربطها ، ولا تعرف كيف تربطها سوا (٩) وال . . . تسقط من مكانها ، وقد كان الجواد مثقلا جدا لتضيفها إلى حمله . وإنك لسقيم القلب ، وقد بدأت تجد السير على القدم والسماء صافية (١٠) (حارة) ، ويخيل إليك أن العدو وراءك ، وحينئذ تأخذك الرعدة . آه ليت لك حجراً . . . حتى يمكنك أن تضعه على الآخر ! والجواد قد أعياء النصب إلى أن تجد مأوى لليل ، عندئذ تعرف طعم الألم . وعندما تدخل « يافا » تجد المراعى نامية خضراء في أوانها (١١) ، وتشق لنفسك طريقا في (١٢) . . . وتجد المذراء الرشيقة التي تحرس الكروم فتأخذك لنفسها صاحبا تمطيك لون صدرها (١٣) . إلا أنك قد عرفت واعترفت (١٤) ؛ وقد وضع « الماهر » تحت التجربة فتبيح جلبابك المصنوع من كتان مصر العليا الجيد (١٥) . . . وتنام كل مساء ، وليس لك لباس إلا خرقة (١٦) من الصوف ولا حراك بك و . . . قوسك . . . مدية وجعبة سهامك قد سرقت وعنانك قد قطع في الظلام .

وجوادك قد ذهب و . . . على الأرض التي تزل القدم عليها . والطريق تمتد أمامك . وتحطم عربتك . . . وأسلحتك تسقط على الأرض وتدفن في الرمل . . .

(١) أى أنت أشبه بالأموات أو نصف ميت (٢) اسم نبات

(٣) أحد أجزاء العربة وذلك مثل كلمات أخرى في الجملة التالية غير معروفة

(٤) لا سحب فيها

(٥) أى الفصل الذى تكون فيه أبهى ما تكون

(٦) خلال حائط الكروم

(٧) تسلل لك جملها

(٨) أى تعرف

(٩) معنى هذه الفقرة أن أهالى يافا يسمحون بدفع غرامة من أجل هذه القطة الضئيلة

إنك تتكف: « أعط طعاما (١) وماء لأنى وصلت سالما » إلا أنهم يعطونك أذنًا صماء ولا يسمعون ، ولا يعيثون بقصصك .

ثم إنك تقصد دكان الحداد والمصنع يلتف حولك ، والحدادون والأساكفة^(١) كلهم يحيطون بك . ويفعلون كل ما تريد ، ويمتنون بمررتك فتكف عن التراخي^(٢) .
ك... قطعت تماما (٣) . . . وضعت فى مكانها ، ويضعون جلدا . . . على يدك (جزء من العربة) ويصلحون نير العربة . ويصلحون . . . التى نقشت . . . ويمطون . . . سوطك ويضعون له سيورا (٤) ثم تنطلق مسرعا لتجارب فى ميدان الواقعة لتقوم بجلبيل الأعمال الدالة على الشجاعة^(٥) .

(٢٠) [محاط المرود ونهاية الموضوع] أيها السيد الطيب والكاتب المختار و « الماهر » الذى يعرف يده^(٦) وقائد « النمرين » ورئيس « الزابا »^(٧) (الجيش) . لقد وصفت لك المالك الأجنبية إلى أقصى أرض كنعان . ولم تجبني لا بالحسن ولا بالقبيح ، ولم ترسل إلى أى تقرير . تعال إذن حتى أحدثك بأكثر مما سبق إلى غاية (؟) حصن « ممرات » « حور »^(٨) وسأبدؤك بيت « سسى » (رعمسيس الثانى) ألم يطأها قدمك قط ؟ ، ألم تأكل سمك ماء . . . ؟ ألم تستحم فيها ؟ تعال دعنى أذكرك « بهزن » . أين قلعتها ؟ تعال دعنى أحدثك عن إقليم (بوتو) رعمسيس وعن « يت — انتصارات » أوسمارع (رعمسيس الثانى) وعن « أسب إيل » وعن « ابسكب » . وسأحدثك عن حال « أنين » ، ألا تعرف قانونها (؟)^(٩) ؟ ثم « نخسى » و « خبرت » . ألم ترها منذ ولادتك ؟ يا « ماهر » أين هما . و « رفح »^(١٠) فاشكل جدارها ؟ وكم ميلا تبعد عنها « غزة » ؟ أجب بسرعة !

(١) لتصليح الأشياء المصنوعة من الجلد

(٢) يصلحونها . أما ما ذكر بعد من أجزاء العربة فهو لسوء الحظ غير معروف لدينا

(٣) تهكم بالطبع : إن « أمتنوى » قد انتهى تقريبا من رحلته وتعد له العربة ليظهر بها فى

مصر بمظهر جميل

(٤) يصيب الهدف جيدا

(٥) كلمة كنعانية بمعنى الجيش

(٦) وهو حصن زارو الواقع عند الحدود المصرية . والأماكن التى ستذكر بعد بعضها محطات فى

الصحراء بالقرب من الحدود

(٧) ما معنى ذلك ؟ (٨) جنوبي « غزة »

قدم لى تقريراً حتى يمكننى أن أطلق عليك اسم « ماهر » ويمكننى أن أنفر باسمك للآخرين ، سأقول لهم عنك إنك « مارين » .

وإنك غضبان الآن مما أقوله لك . إني قلبك فى كل الحرف . وقد علمنى والدى ماعرفه ، وعلمنى مرآت يخطئها المدّ ، وإني أعرف كيف أقبض على العنان أحسن بكثير مما تعرف . ولا يوجد شجاع يمكنه أن يتفوق على^(١) ، وإني حاذق فى خدمة « موتو »^(٢) .

إن كل ما جاء على لسانك مضر جداً و . . . ألفاظك جداً ، وإنك وأنت تأتى إلى منغمسا فى الارتباك ومحملاً بأغلاطها ، وإنك تقسم الكلمات كالإنسان الذى يندفع غير مبال ، ولا تمل من

كن قويا ! وإلى الأمام ! أسرع ! هلاً تنزل من عليائك ؟ . وما معنى أن الإنسان لا يعرف ما قد وصل إليه ؟ . . . إني أتهقر (؟) انظر . إني قد وصلت (؟) « أحنى » ، وإذا كان قلبك مثقلاً فإنه هكذا قد ركب . لا تفضبن^(٣) !

. . . . لقد قطعت من أجلك آخر رسالتك وأجبتك عما قلته ، وكل أحاديثك كانت مجموعة على لسانى ، وبقيت على شفتى . وإنها لمرتبكة حينما تُسمع ولا يقدر شخص غير متملم أن يفهما ، وهى كحديث رجل من الدلتامع آخر من « الفتتين »^(٤) . حقا إنك كاتب البابين العظيمين (القصر) ذلكم الرجل الذى يكتب التقارير عن كل حاجات البلاد للملك . وإنها لجيدة حسنة لمن يراها^(٥) . لا تقولنى : إنك جعلت اسمى ثلثاً أمام الآخرين وأمام الكل . انظر لقد أخبرتك كيف يكون الإنسان « ماهراً » ، وقد اخترقت من أجلك أرض « رتنو » (فلسطين) ووضعت أمامك كل البلاد الأجنبية جماء ، والمدن على حسب ترتيبها (؟)

أحن نفسك أمامنا (اخضع) وانظر إليها (البلاد) بهدوء حتى يمكن أن تصبح قادراً على وصفها^(٥) (فى المستقبل) ، وحتى يمكن أن نعدك ناصحاً

(١) إله الحرب . وبذلك حقر « أمنوبى » أعمال حورى الحرية

(٢) كن مصادفاً

(٣) أسلوبك غير مفهوم تماماً لأن الألفتين يتكلمون بلهجات مختلفة فلا يفهم الواحد منهما الآخر

(٤) ربما كان المعنى ليس من الضروري فى درجتك العالية أن تكتب بوضوح لأن ما تكتبه يكون

حسناً فى أعين كل من يقرؤه

(٥) لا تفضبن بل كن فرحاً حينما تتعلم عنى

فهرس الموضوعات

الأهداء

تمهيد

مقدمة ١

لمحة عن التاريخ المصري ٨ : الدول القديمة - العصر الإهناسي - الدولة الوسطى - عهد الهكسوس - الدولة الحديثة .

نظرة عامة في الأدب والكتابة المصرية ١٥ : تطور الأدب - عصور الأدب المصري القديم - الكتاب المتملون - الفنون والقصصيون - أوزان الشعر المصري - الكتابة والكتب - فوهنا للمتون المصرية .

القصص المصرية ٣٠

قصص الدولة الوسطى

قصة سنو هيت ٣١ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة المفيرس ٤٧ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة الفروع الفصيح ٥٤ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة :

الشكوى الأولى - مقدمة للشكوى الثانية - الشكوى الثانية - الشكوى الثالثة

الشكوى الرابعة - الشكوى الخامسة - الشكوى السادسة - الشكوى السابعة

الشكوى الثامنة - الشكوى التاسعة - الخاتمة .

قصة الراعي : مقدمة - متن القصة .

قصة هموك الانسانية ٧١ : ملخصها - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة الملك خوفو والسحرة ٧٤ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصص الدولة الحديثة ٨٧

قصة الأمير ٨٧ : مقدمة - ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - نص القصة .

الأمير المسموم ١٠٠ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

قصة الملك أبوفيس وسفره ١٠٥ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة -

المصادر .

قصة الامينوس على يافا ١٠٩ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

قصة اريسيس والد الشمس ١١٢ : دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

عن ملك والسنة ١١٦ : مقدمة - القصة - المصادر .

قصة عن عشتارث ١١٧ : المصادر

قصة عفريت ١١٨ : المصادر

الشجاء بين الجسم والرأس ١٢١ : مقدمة - القصة - المصادر .

قصة عماء العصور ثم الانحزام ١٢٢ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر

مقن القصة

قصة المخاصمة بين هور وست ١٢٧ : ملخص القصة - دراسة القصة - قصتنا ملحمة

أديبة - موقف أوزير في القصة - موقف الإله رع - موقف إزيس - موقف

الإله ست - موقف الإله تحوت - الموقف التاريخي الذي توضحه القصة -

مجلس الثلاثين - أوزير والمهد الاقطاعي - أسلوب القصة ولغتها وطريقة إنشائها -

المصدر - مقن القصة .

قصة سياحة ونأموره ١٦١ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - مقن القصة .

الحكم والتأملات ١٧١

مقدمة ١٧١ .

الحكم والتعاليم ١٧٥ :

أمثال وحكم بناع حنب ١٧٦ - ١٨٧ - المصادر .

تعاليم لا موني ١٨٨ - المصادر .

التعاليم التي كتبت للحملك مريكم ١٩٠ - ١٩٦ - المصادر .

التعاليم المنسوبة الى أئتمحات الأول (كتبها خيتي بن دواوف) ١٩٨ - ٢٠١ : مقدمة -

نص التعاليم - المصادر .

تعاليم خيتي بن دواوف لابنه يبي : ٢٠٧ - ٢١٦ - المصادر .

تعاليم سنب أبرع ٢١٧ : مقدمة - المتن - المصادر .

نصائح آني : ٢٢٩ - ٢٣٠ - المصادر .

تعاليم أمموري ٢٣١ : مقدمة - المصادر - العصر الذي كتبت فيه التعاليم - المتن

المقدمة - المؤلف - الابن الموجهة إليه هذه التعاليم - الفصل الأول (واجب

التلميذ) - الفصل الثاني (الإنسانية ونصائح متنوعة) - الفصل الثالث (الحزم في

المنافسة) - الفصل الرابع (الرجل الأحمق والرجل الحليم) - الفصل الخامس

(الأمانة والزمانة في المبد) - الفصل السادس (التعدي على أرض الغير) - الفصل السابع (البحث وراء الثروة) - الفصل الثامن (لا تفل ثراً) - الفصل التاسع (تجنب الرجل الأحمق وسبله) - الفصل العاشر (الإخلاص) - الفصل الحادي عشر (التابع) - الفصل الثاني عشر (الدافع الشريف) - الفصل الثالث عشر (كاتب الحسابات الطيب) - الفصل الرابع عشر (الكرامة) - الفصل الخامس عشر (الإله تحوت والكاتب) - الفصل السادس عشر (الموازين المشوشة والمزيفة) - الفصل السابع عشر (كيل الفلال) - الفصل الثامن عشر (تفاقم المهم) - الفصل التاسع عشر - (الكلام في المحكمة) - الفصل العشرون (الأمانة في الوظيفة) - الفصل الحادي والعشرون (الصمت) - الفصل الثاني والعشرون (المحاورة) - الفصل الثالث والعشرون (تجنب أكل السحت) - الفصل الرابع والعشرون (الأمين) - الفصل الخامس والعشرون (احترام الماهة) - الفصل السادس والعشرون (معاملة من هم أكبر مقاماً في المجتمع) - الفصل السابع والعشرون (الخنوع للسنن) - الفصل الثامن والعشرون (كرم الأخلاق) - الفصل التاسع والعشرون (عبور النهر) - الفصل الثلاثون (الختام) .

تطبيق على تعاليم أمنموي - التعاليم كتبت شعراً - أمنموي يحمل رسالة خاصة إلى العالم - الآلهة التي ذكرت في التعاليم - سفر الأمثال نقل عن ترجمة لا عن أصل مصري . كتاب سفر الأمثال وتعاليم أمنموي ٢٧١ - ٢٨٠ .

التأملات ٢٨١

شجار بين انسانه شتم الحياة ويعين روم :

٢٨٢ مقدمة - الشعر الأول - (مقت اسمه ظلماً) - الشعر الثاني - الميزات السامية للقاطنين في الآخرة - المصادر .

شكوى خفيضة روع سن ٢٩٠ - المصادر .

تحذيرات منبهي يدهي «أبور» ٢٩٤ : سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية - الشعر الأول - الشعر الثاني - الشعر الثالث والرابع - الشعر الخامس - الشعر السادس - المصادر .

نبوة نفر وهو ٣١٨ : مقدمة - المتن - المصادر .

المدارس واللفظ ٣٢٥ - ٣٣٠ .

الرسائل ٣٣٠

طبقات الرسائل - مسميات الرسائل الحقيقية - تدوين الرسائل - المكاتبات على

الاستراكا — البريد — العنوان — الصيغة الافتتاحية — الديباجة — الديباجة في الصيغ الحربية — الصيغة الختامية — تأريخ الرسائل .
أسلوب تحرير الرسائل ٣٤٦ : بعض أساليب خاصة بالرسائل — اهتمام المرسل بالمرسل إليه — ردوس فقرات جديدة في الرسالة — تعبير كاتب الرسالة عن نفسه .
أمثلة للرسائل ٣٥٠ .

(١) الحياة في المدرسة :

كن مجتهدا ٣٥١ — الجمعة والعداري ٣٥٢ — التلميذ في الأغلال ٣٥٣ — كن مجتهدا ٣٥٤ — لا تكن فلاحا ٣٥٤ — لا تكن جنديا ٣٥٥ — لا تكن فارسا ٣٥٧ — لا تكن جنديا ولا كاهنا ولا خبازا ٣٥٧ — كن موظفا ٣٥٨ — قطعة ٣٥٩ — كن كاتباً ٣٥٩ — كن كاتباً ولا تكن جندياً ٣٦٠ — اتخذ لنفسك زوجة ٣٦١ .

(٢) خطابات حقيقية نموذجية للتلميذ :

اقتفاء أثر عبد هارب ٣٦١ — أمر بإنجاز عمل ٣٦٢ — أشغال مختلفة الأنواع ٣٦٢ التماس للمساعدة في موضوع ضرائب ٣٦٣ — استعلامات ٣٦٣ — خطاب أسرى ٣٦٤ — تهنان ٣٦٤ — تقرير موظف كبير ٣٦٥ — السأمة في مكان منزل ٣٦٦ — الشوق إل منف ٣٦٧ .

(٣) نماذج خطابات انشائية :

مدح في المدينة الجديدة السماة « بيت رعمسيس » ٣٦٨ — رسالة حاكم إلى تابع ٣٦٩ استعداد لسياحة ملكية ٣٧٠ — الاستعداد للملك ٣٧١ — إعداد عمرة حرب ٣٧٢ .

(٤) نراه للمعلمين والرؤساء :

إلى المدرس ٣٧٣ -- إلى الموظف ٣٧٤ — للمدرس ٣٥٧ .

(٥) مساجد أدبية : ٣٧٦

مقدمة — ملخص المناقشة — كيف تتسلم الخطاب — لم تكتب خطابك بمفردك — جوابي سيكون أحسن من رسالتك — الإجابة على هجو أمنموبى — إنك تلعب دور الحكيم — ليس صواباً أن تشك في علمي — أما ماتطلبه منى فأرني أولاً كيف تعلمه أنت — أشك في مواهب حورى مرة أخرى — أمنموبى لا يمكنه أن يحسب كما ظهر ذلك في حفر بحيرة وبناء مطلع — كذلك لا يفهم أمنموبى كيف يقدر وزن مسلة — كذلك عند إقامة تمثال ضخم يخطئ أمنموبى الحساب — أمنموبى غير قادر على حساب المثونة اللازمة لرحلة عسكرية — إنك لا تعرف إلا القليل عن سوريا — بخصوص فينيقيا — مدن متنوعة — المدن الأخرى — محاط الحدود ونهاية الموضوع .

فهرس الأعلام والأماكن .. الخ

هذا فهرس بأسماء الأعلام والبلدان وغيرها مما جاء ذكره في هذا الجزء من الكتاب وقد حدث في بعضها أخطاء مطبعية ، فتلافيناها هنا بوضع الاسم الصحيح في مكانه وشفعناه بعلامة (*) وكذلك وضعنا النطق المصرى القديم لبعض الألفاظ بين قوسين ليقرن القارى بين النطق الأفرنجى الحديث ، وبين النطق المصرى القديم ، الذى كتب بحروف سياكنة وحسب .

ونطق الأسماء المصرية التى جاء ذكرها هنا لا يرتكز على أساس لانعدام الحركات فى اللغة المصرية القديمة ، ولذلك نجد كل عالم أثرى ينطق الأسماء والألفاظ حسب تخيله هو ، ولكن النطق العلمى المتفق عليه هو أن تكتب الكلمة بالحروف الهجائية التى تحتوى عليها وحسب .

(١)

- | | |
|---|---|
| آبيس (العجل المقدس) : ٩٧ ، ١٤٧ | ابرس (جورج) (كاتب) : ١٠٠ ، ٣٣٢ |
| أنحور رح : ٣٦٢ | إيسا : ٥٧ |
| آتوم (إله الشمس وقت الغروب) : ٤٢ ، ١١٣ ، | أبسقب (اسم بركة) : ٣٩٤ |
| آتون (قرص الشمس) : ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٣٤٠ | إسماتيك الأول (فرعون من الأسرة السادسة والعشرين) : ١٤ |
| إثاى (اسم علم) : ٣٦٣ | ابن العميد (كاتب عربى فى العهد العباسى) : ١٦ |
| أثيوبيا : ٩٩ ، ٣٥٢ ، ٣٧٢ | آبو (زهرة) : ١١ |
| أثيوبى (فتح) : ١٤٠ ، ١٣٢ | أبواب الملوك (وادی) : ٣٣٠ |
| أحمس (ملك) : ١١ | أبو الهول : ١٠ |
| إخميم : ٢٣٥ ، ٢٦٢ | أبوبى (ثعبان عدو لإله الشمس) : ١٣٦ ، ١٤١ ، |
| أخى (اسم طائر) : ٣٥٤ | ٢٦٦ ، ٢٤٤ |
| أداى (اسم طائفة من الجنود) : ٣٥٥ | أبوت (ورقة) : ٣٣٦ |
| ادرن (وهى بلدة دورا الحالية فى إقليم يودا الجنوبية بفلسطين) : ٣٩٢ | إبور (كاتب) : ٢٩٤ — ٣١٧ ، ٣٢٢ |
| إدفو : ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٩ | أبو فيس (أحد ملوك الهكسوس) : ٢٠ ، |
| (*) ادم (يدمبى) على الحدود بين بنيامين ويوده بفلسطين : ٣٩٢ | ١٠٥ — ١٠٩ |
| أدنب : ٥٣ ، ٥٤ | إبى (عطور) : ٥٣ |
| آرامية (لغة) : ٢٧٠ | آبى (مكان إخيم وقد بقى الاسم المصرى القديم فى كفر أبو القريب من إخيم) : ٢٣٥ ، ٢٣٦ |
| ارسا (قبرص) : ١٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ | |
| ارسافيس (إله فى اهناش المدينة) : ٦٤ | |

١٧٥، ١٧٧، ١٤٢، ١٤١، ١٣٥.

٣٧٦، ٣٤٩، ٣٤٧، ٢٢١، ١٩٨

المصر المباني الثاني : ٤، ١٦، ٢١٩

الماضي (نهر) : ٣٩٠

المرابطة المدفونة : ٣٨٠

الفريق (قصة) : ٣٠، ٨٩

ألف ليلة وليلة : ٤٩، ٧٤، ٨٩، ١١١

الفلاح القصص (قصة) : ٤، ٧، ٣٠، ٤٨

الفتنين : ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٧٤، ٢٠٤

٣٩٥، ٣٠٥

القاضي القاضل (كاتب) : ١٦

السكرنك (الحورنق) معبد بمدينة طيبة (الاقصر

الحالية) : ١٢، ٤٢، ١٧٠، ٣٢٨

اللاهون (ورقة) : ١٤١، ٢٦٢، ٣٤٨

الاشت (قرية) : ٤٤

إله الشمس : ١٦٥

اما (ماردة) : ١٤٧

المحوتب (حكيم) : ١٧٣

المسيح : ٦، ٣٢٣

المصرية الجديدة : ١٧

الواحد (= الملك) : ٩٧ — ٩٩

آمو (أمير) : ٣٦، ٣٩

أمور (أرض) : ٣٧٢

آمون : ١١، ١٢، ٤٢، ١١١، ١١٨

١٢٣، ١٢٦، ١٣٠، ١٤٠، ١٦١

١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠

٣٢٦، ٣٢٨، ٣٤٤، ٣٤٠

٣٧٤

آمون رع : ١٠٨، ١٢٠، ١٦٣، ١٦٤

١٦٧، ١٦٩، ٣٦١، ٣٦٤

آمون - واح - سو : (علم) ٣٨٣

امنبوي (تعاليم) : ٤، ١٧٤، ١٧٥، ٢٣١ —

٢٨٠، ٢٢٧، ٣٢٨، ٣٧٠

٣٧٧ — ٣٩٥

امنبوسي (اسم علم) : ٣٦٤

امنبوتب الثالث : ١٢، ٢٥

امنبوتب الرابع (اختانون) : ١٢، ١٧، ٧٥، ٣٥٧

امنبوتب الأول : ١٠ — ٣١، ٣٦، ١٣٠

ارمن (أدولف) : ٣٣، ٥٦، ٧٢، ٧٧، ٩١

١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٧، ١١٨

١٢١، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٠

٢٧١، ٢٨٩، ٣٣٤

أرميا : ٢٣٩

أرمي (اسم قبيلة) : ٣٧٠

(*) أرينار (إقليم) : ٩٠

أري مجات (سامي البريد) : ٣٣٥

ازيس : ٢١، ٨٤، ٨٥، ١١٢ — ١١٥

١٢٧، ١٢٨، ١٣٠ — ١٦١، ٢٣٦

ازي (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٢

استراكا (قطع خرف للكتابة) : ٣٢٥، ٣٢٦

٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩

٣٤٤، ٣٧٦

أسرى : ٥٧

اسكاف (عكسابو — تقع على الجبال التي تحد

الشاطئ الأيسر لنهر القاسمية) : ٣٩١

اسيسى (ملك) : ١٧٦، ٣٤٦

أشب (نوع من السكالب) : ٣٦٧

أشب بنو (نوع من الزهر) : ٣٥٣

آشور (بلاد) : ١٧١

اطفيح : ٥٧

افرديتي (إلهة الحب والجمال) : ١١٧

افلاطون (حكيم يوناني) : ٧٢

الأهرام : ١

الأدب الإغريقي أو اليوناني : ٣، ٧

الأدب البابلي : ٢، ٥

الأدب العبري : ٢، ٣، ٧، ١٨٠

الإغريقي : ٣، ٦، ١٥

الاسكندر الأكبر : ١٤

الأشموين : ٢٥١، ٢٦٨، ٣٧٨، ٣٨٤

الإلياذة (ملحمة) : ٦، ١٢٩، ١٣١

الأقباط : ٢١

الأقصر (معبد) : ١٢

الإنياد : ٦

الحيتا (بلاد) : ١٢

الدير البحري : ١٢

الرعامة : ١٣، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣

ليل (جبال) : ١٧٢

أيوب (النبي) : ١٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

(ب)

با : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧

بابل (مملكة) : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٧١ ، ٣٢٩

باني (اله) : ١٣٤ ، ١٤٧

باتا (اسم علم) : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ — ٩٩ ، ١٠٢

باريست (= بلبيس) : ٣٧٩

باريس (ورقة) : ١٨٨

باست أو باسنت (الهة في صورة قطة) : ١٤٧ ، ٢١٨ ، ٣١٩ ، ٣٧٩

باسر (اسم علم) : ٣٦٩

بالامون (بلهة بلهون الحالية) : ١٢٦

بانوبوليس (إخم الحالية) : ٢٣٥ ، ٢٦٢

باوحم (اسم علم) : ٣٦٢ ، ٣٦٣

بيس (اسم علم) : ٣٧٠

بيلوس (بلهة) : ١٦٢

بيون (اله) : ١٤٧

بتاح : ٧٧ ، ١٧٧ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢

بتاخ - ام - تحوي (اسم علم) : ١٧٣

بتاح - تانين (اسم اله) : ١٤٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥

بتاح - حنب : ٤ ، ٣ ، ٩ ، ٦٣ ، ١٧٣ — ١٧٥

١٧٦ — ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٦٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

بتاح ممبو (اسم علم) : ٣٦٣

بتاح - نفر - حر : ٣٧٣

بتن (اسم مكان) : ٣٦ ، ٣٦٨

بجة (مكان) : ٥٠

بحري - بيد (اسم علم) : ٣٦٤

بدج (ولس) : ٢٣١ ، ٢٣٢

بدر (اسم علم) : ١٦٣

برت (اسم مكان) : ٣٩٠

برجان : ١٢٠

برستد (هنري) : ٥٥ ، ٢٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨

١٨٧ ، ١٩٨ — ٢٠٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٤

٣٠٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩

امنمحات الثالث : ١١ ، ٢١٧

اميني (اسم امنمحات الأول) : ٣٧٢

أمانا : ٨٧

أنبي (نبات) : ٥٧

انف العظيم (ملك) : ١٩٠

انفري موهوا (الكتاب الفرنسي) : ٥

انستاسي أو انستاسي (ورقة أولى) : ٤ ، ١٠١

١٢٣ ، ١٤٢ ، ٢٧٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩

٣٤٥ ، ٣٧٨ — ٣٩٥

انست (نبات) : ٥٧

انتانا (علم) : ٣٥٦

أنو (فاكهة) : ٣٦٩

اوبليس (الله) : ٨٧ ، ٦٩ — ٩١ ، ٩٥

٩٧ ، ٩٨ ، ٣٨٠

انوريس (الله) : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧

٣٧٧ ، ٣٨٦

انهاى (ورقة) : ٢٦٧

آني (نصائح) : ١٠١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٩ —

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧

٣٢٥ ، ٣٦١

(●) انين (عين) مكان مجهول الموقع : ٣٩٤

اھناس المدينة (انظر هراكليوبوليس) : ١٠

٥٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٩٠ ، ١٩١

٢٠٨ ، ٣٠٢

أواريس (صالحجر الحالية) : ١١٠ ، ١٠٦

١٠٧

أوديسا (قصة) : ٢٣ ، ١٦٢

أوري (علم) : ٣٦٢

أوزير : ٢١ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٢٣

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٦١

٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠

آي (فرعون من الأسرة ١٨) : ٣٦٩

إيميلخوس (كاتب) : ١٢٨

إيميس (طائر) : ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

ايتوب (كاتب) : ١٠٦ ، ١٠٧

إيسر : ٣٩٢

إيفان : ٩٠ ، ٩١

ناسوع الآلهة : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٣٦٤
 تانيس : ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٣
 تاور (مكان) : ٢٣٥
 تاي (مكان) : ٢٤٤ ، ٢٧٧
 تابت (إلهة) : ٤١
 تبسو (نبات) : ٥٨
 تي (شراب) : ٣٦٩
 تخمس الأول : ١١
 تخمس الثالث : ١١ ، ٢٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
 تخنو (قوم من اللوبيين) : ٣٤
 تحو (واحة الفرافرة) : ٥٧
 تحوت : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٩٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٧٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤
 تحوت نخت (اسم علم) : ٥٧ ، ٥٥ ، ٥٧ — ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٠
 تحوتى (اسم علم) : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦
 تحسى (بلاد) : ٣٩٢
 تحيس (مملكة) : ٣٧١
 تحيس (عطر) : ٥٤
 تفتف (أزهار) : ١٨٠
 تفتوت (إلهة) : ٧٣ ، ١٤٤ ، ٢٣٦
 تكتن (قبيلة من الحراس) : ٣٦٥ ، ٣٦٦
 تل المارئة : ٣٧٠
 تل بسطة : ٣١٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩
 تحو (قوم من اللوبيين) : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣١٦
 تحت (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٢
 تنانا (اسم علم) : ٣٦٤
 تنقامون (ملك) : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٧
 تنفتوت (مغنية) : ١٧٠
 تنسون (الشاعر الإنجليزي) : ٥
 نم (نبات) : ٥٧
 نهر هو (علم) : ٣٦٧

برش (الأثرى) : ١١٨
 برلين (متحف) : ١١٦ ، ٢٢٠ ، ٣٣٣
 بروسست (ماوسل) : ٣ ، ٥
 بطالسة : ١٢٨ ، ٣٢٠
 بكنيتاج : ٣٦١ ، ٣٦٤
 بكر (مكان مقدس بالمرابة المدفونة) : ٣٨٠
 بللوزي (فرع للنيل) : ٣٦٨ .
 بلوتارخ (المؤلف اليوناني) : ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٤٧
 بمو (اسم علم) : ٢٦١
 بنامون (اسم علم) : ٣٦٤ .
 بنت : ٤٢ ، ٥٣
 بنتاور (كاتب) : ١٣ ، ٢٩
 بنوع : ٣٦٢
 بنيان (جون) [مؤلف] : ١٢٣
 بور (شراب رديء) : ٣٧١ ، ٣٨٢
 بوتو (ابطو الحالية) : ٤٢ ، ٣٩٤ .
 بوصير : ١٦١ ، ٣٨٠
 بوغاز كوي : ٢٧٠
 بوفرع (أمير) : ٧٩
 بيانكف (الكسندر) (مؤلف) : ٢٠٧
 بليس (اسم علم) : ٣٦٨
 بيبي : ٢٠٧ — ٢١٦
 بيبي الأول : ٢٩٥
 بيبي الثاني : ٢٩٥ ، ٣٣٢
 بيبير (ماكس) : ١ ، ٣٤ ، ٩١
 بيت (مؤلف) : ٣٣
 بيت انتصارات وسمارع : ٣٩٤
 بيت - شائل (قريبة من رهب في اقليم الكرمل) : ٣٩٢
 بيت صوفر (مكان يقع في الاقليم الجبلي من بلاد يوده في جنوب فلسطين) : ٣٩٢
 بيتوبستس (ملك) : ٢٠
 بيروت : ٣٩١
 بيروقراطية : ١٩
 (ت)
 تاجسر (جبانة) : ٣٨٣

جولنيسف : ٥٠٠ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٩
جوليس Jolles : ١٣١
جيته : ٦

(ح)

حتحور : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٩٥
١٠٢ ، ١٤٧ ، ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠
حاتنوب (مكان) : ١٤٠
(*) حار-مع-خر (حورماخر) (اسم علم) : ٢٣٦ ، ٢٦٢
حافر الذئب (نبات) : ٣٩٣
حتف (ملكة) : ١٧٠
حربوخراد (حور الطفل) : ١٤٣ ، ١٤٦
حرحور (ملك) : ١٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧
حرخوف (علم) : ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
حردادف (علم) : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٧٣ ، ٣٨٤

حرشاف (إله) : ٦٤
حروور - رع (إله) : ٤٢
حزقيا (نبي) : ٢٧٠
حزقيا شينا (علم) : ٢٧٠
حمي (إله النيل) : ٦٢
حكاك بي (كاهن) : ٣٤٣
حككت (إله) : ٨٤
حككنو (عطر) : ٥٣ ، ٥٤
حقل الملح (مكان) : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧
حاة : ٣٩١
حور : ٢ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤١ — ٤٤ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ — ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
حور - حكنو (إله) : ١١٣
حور - مين (إله) : ١١٦
حورى (اسم علم) : ٣٧٧ — ٣٩٥
حوني (ملك) : ١٨٨

(خ)

خاني (ملكة) : ٣٧١ — ٣٧٣ ، ٣٩٠

تويخي [يحتمل أن تكون بلدة صغيرة في جنوب دمشق وحدث بلدة تبناخ التي جاء ذكرها في التوراة] : ٣٩٠

توت عنخ آمون : ١ ، ١٢ ، ٧٢
توراة : ١٧١ ، ١٧٦
تورين (متحف) : ٢٣٣ ، ٣٧٨
توزرع (اسم علم) : ٣٧٩
توزيري (اسم علم) : ٢٦٢
توسرى (اسم علم) : ٢٣٦
توم (العم) : ٢٨١
تياو - أو تيا (وهم متوحشون من جنسين وقد كانوا يوضعون في الصحراء الغربية بمثابة حراس) : ٣٦٥
تيتونس (بطل يوناني أخو ملك طرواده وقد منح الخلود ولم يمت الشباب الأبدى) : ٢٣
تيرك (مكان) : ٣٧٠

(ج)

جاردنر (المؤلف) : ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٦ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٧٨
جب (إله الأرض) : ٧٣ ، ١٣٠ ، ١٤٤
جبيل (يلوس) : ٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٩١
جرصمان : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠
جرفت (علم) : ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ — ٣٤٩
جرمان : ٩٠
جرم (هيوبارت) : ٢٧١
جزيرة الوسط (مكان) : ١٤٣
جلجاش (كتاب) : ٦
جم (طير) : ٣٠٣
جن (مؤلف) : ٢٠١
جنبنت (نبات) : ٥٧
جو (بلدة) : ٣٥
جورج ملر : ٢٦٦

دجر [مكان مجهول الموقع] : ٣٩١
 دجرايل (بلد) : ٣٩١
 ددى (علم) : ٨١ — ٨٤
 دد- سنفرو (بلد) : ٨١
 دراما منفية : ١٣٠
 دواوف (تعاليم) : ٢٩ ، ١٧٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٧
 — ٢١٦ ، ٣٢٦
 دور (مكان) : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤
 دى بك (أثرى هولندي) : ١٢٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٣
 ديدور (المؤرخ) : ١٢٨ ، ١٤٧
 دير المدينة (معبد) : ١٢٧ ، ٣٩٢
 دى روجيه (أثرى) : ١٠٩
 ديفو (أثرى) : ١٧٦

(ذ)

ذو النؤابة (نبت إله) : ٧٤

(ر)

راكا (مكان) : ٣٨٧
 راحب (كاهن) : ٣٦٣
 راموزا . أو (رع-مس) : ٣٦٢
 رتنو العليا (فلسطين) : ٣٦ ، ٣٩٥
 (●) رخرع (وزير تحتس الثالث) : ١٩٨
 رد- ددت (علم) : ٨٣ ، ٨٧
 رع : ٤١ — ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ — ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٢ — ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٨٢
 رع - آتوم (إله) : ١٤٥
 رع - حطب (علم) : ١١٨ — ١٢٠
 رع - حور - أختي (إله) : ٩٣ — ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ — ٣٦٥
 رعسيس الثاني : ١٢ ، ١٣ ، ١١٧ ، ١٤٥

خاهوس (رئيس كهنة) : ٢٠ ، ١٦٩
 خبرت (إقليم في فلسطين الجنوبية غير معروف) : ٣٩٤

خبرى (إله) : ١١٤ ، ١٤٣
 خبر كارع (لقب ملكي) : ٤٠ ، ٤١
 خبرور (نبات) : ٥٧
 خدم (مكان في فلسطين موقعه مجهول) : ٣٩٠
 خريوف (علم) : ٣٨١
 خسات (عطور) : ٥٣ ، ٥٤
 خمي (اسم علم) : ٣٣٥
 خصنبر - رع - سنب : ١٧٣ ، ٢٩٠ — ٢٩٢ ، ٣٢١

خفرع : ٩ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٢٩٠
 خلز (مكان مجهول) : ٣٩٢
 خنتكاوس : ٨٤
 خنتكش (بلاد) : ٤٣
 خنتواش (علم) : ٤٣
 خنس أر خنسو (إله) : ٣٤٠
 خنس أحب (اسم علم) : ١١٩

خنسحب (علم) : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٩
 خنوم (إله) : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٤٥ ، ٢١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

خوفو : ٦ ، ٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٧٤ — ٨٩ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٣٨٤

خنوب آتوب (علم) : ٥٦
 خنقي (حكيم وكاتب) : ١٠ ، ٢٩ ، ٥٤ ، ١٧٣ — ١٦٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ — ٢١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

خيروف (موظف عظيم في عهد امتحوتب الثالث) : ٢٠

خيو (شراب) : ٦٩

(د)

دار مستاد (متحف) : ١١٠
 دبر (يحتمل أن تكون بلدة قريبة جداً من قادش) : ٣٩٢
 داود : ٣٠٠

ساحو - رع (ملك) : ٨٥
 سا سكوت (نبات) : ٥٧
 ساليه (ورقة) : ١٤١
 ساهوت (نبات) : ٥٧
 سب ايل (مكان) : ٣٩٤
 سيدو (اسم لله في صورة صقر صفت الحنة) : ٤٧
 سبك (إله) : ٤٢ ، ١٤٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣
 سبهرود (الكتاب الفطن) : ٣٨٩
 سب : ٢ ، ٢١ ، ٥٠ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ٢١١ ، ٣٤٣
 ٣٦١ ، ٣٦٣
 ست - تيفون (إله القمر) : ١٤٧
 ستروف (أثرى روسي) : ٢٠٧
 سحبت - أب - رع (لقب أمنمحات الأول) : ٣٦ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 سخايت (إلهة تلعب دور أوزيريس) : ٣٨٠
 سخبو (مكان) : ٨٤ ، ٨٣
 سفت حوت (بلد) : ٦٠
 سخمث (إلهة) : ٣٦ ، ٦٢ ، ١١١ ، ٢١٨
 سرام (سرهم) : [مكان في فيثيا] : ٣٩١
 سرجا (مكان) : ٣٩١
 سسم (خشب) : ٨١ ، ٣٠٥
 سسي (اسم مدلل لرعمسيس الثاني) : ٣٩٠
 سش (رسالة) : ٣٣٢
 (●) شات (الهة الكتابة) : ٣٧٨
 (●) سسم (سكلم) (جبل إبال) : ٣٩١
 سفر الأمثال : ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ -
 سفينة لللاين : ١٤٨
 سقارة : ١٨٦
 سقنوخ (ملك) : ١٠٥ - ١٠٨
 سكب (خشب) : ٧٩
 سلبيا (كليزيا) (اقليم) : ٣٦٩ ، ٣٧٣
 سلن (عالم) : ٢٧٥
 سليان (أشال) : ٣ ، ٤ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٣٢ ، ٢٧٠
 سميسن (عالم) : ٢٧٥ ، ٢٧٧
 (●) سمسرو (إله في صورة إنسان له رأس صقر وناج بريثتين) : ٤٢

٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠
 رعمسيس الثالث : ١٣ ، ٧١ ، ٢٠١
 رعمسيس الرابع : ١٤٠
 رعمسيس السادس : ٢٥٢
 رعمسيس التاسع : ١٦٩ ، ٢٥٢ ، ٣٣٠
 رع وسر (علم) : ٨٤ ، ٨٦
 رعوت (قصة) : ١٦٧
 رفع (بلد) : ٣٩٤
 رمبونيئس : ٢٠
 رمت (نبات) : ٥٨
 رمت (أهل مصر) : ٣٠٤
 رمسيوم (معدن) : ١٤٠ ، ٣٢٦
 رنزي (علم) : ٥٧ ، ٦١ - ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠
 رنث أورنتوت (إلهة الحصاد) : ١١٧ ، ٢١٦
 ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧
 رهب (بلد في إقليم الكرميل) : ٣٩٢
 رهنث (مكان) : ٣٤٣
 روي (اسم علم) : ٣٨٣
 ريد (شارلز) : ٢٨١

(ز)

زازا مننج (علم) : ٨٠ ، ٨١
 زاكراجل (أمير) : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠
 زدبت [مكان مجهول الموقع] : ٣٩٢
 زيد فرع (ملك) : ٩
 زكو (بلدة) : ٣٦١
 زليخا : ٨٩
 زمير (أزمير) : ٣٩٠
 زوت (اسم حفرة) : ٣٦٦ ، ٤٦٩
 زوسر (ملك) : ٩ ، ٧٧ ، ١٧٣
 زجه (عالم آثري) : ١٧١
 زيوس (إله) : ٢٣ ، ٢٤

(س)

سابني (علم) : ٣٤٦

شمس (ملك) : ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
١٦٨
سنود : ١٤
سنزم - اب (علم) : ٣٣٨ ، ٣٤٦
سنجار (مملكة) : ٣٧١ ، ٣٧٢
سنوسرت الأول : ١٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ،
١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٩٨ — ٢٠٥
سنوسرت الثاني : ٢٩٠
سنوسرت الثالث : ١٠ ، ١٣٧ ، ١٨٧ ، ٢٦٢
سنفرو (ملك) : ٤ ، ٣٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٣١٨
٣٢١ ، ٣٢٠

(ص)

صا الحجر : ١٣ ، ١٠٦ ، ١٤٥
صبح الأعشى : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦
صحراء النطرون : ٥٥
صلاح الدين : ٢٠
صور (بلد) : ١٦٤
صومال (بلاد) : ٤٧ ، ٥٣
صيدا (بلد) : ١٦٦ ، ٣٩١

(ط)

طيبة : ١٠ — ١٣ ، ٤٢ ، ١٠٦ — ١٠٨ ،
١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،
٣٢٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٤٠ ، ٣٦٨
طينة (بلد) : ١٤٤ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ، ٣٠٥

(ع)

عاقنزع (انقار ابو فيس) : ١٠٦
عامور (مملكة) : ٣٧١
عباو (أحجار) : ٥٧
عبد الله النديم : ٢٨١
عرش الأفقيين : ١١٣
عشتارت (إلهة) : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٤٦
عكا (بلد) : ٣٩١
(*) عنات أو أنات (إلهة) : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦
عنترة العيسى : ٢٠

سنمديس (ملك) : ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
١٦٨
سنود : ١٤
سنزم - اب (علم) : ٣٣٨ ، ٣٤٦
سنجار (مملكة) : ٣٧١ ، ٣٧٢
سنوسرت الأول : ١٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ،
١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٩٨ — ٢٠٥
سنوسرت الثاني : ٢٩٠
سنوسرت الثالث : ١٠ ، ١٣٧ ، ١٨٧ ، ٢٦٢
سنفرو (ملك) : ٤ ، ٣٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٣١٨
٣٢١ ، ٣٢٠

(*) سننموت (مستشار حثبوس) : ٥١ ، ٥٠٠
سنو (علم) : ٢٦١
سنوت (أحجار) : ٥٧ ، ٢٣٥
سنوهيت : ٤ ، ٦ ، ٣١ — ٤٦ ، ٨٨ ، ١٠١ ،
١٤٢ ، ١٦٢ ، ٢٠٠
سهل (جزيرة بالشلال الأول) : ١٤٥
سوخ (الإله) : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦٧ ،
٣٦٣

سورة البقرة : ١٨٢
سوكريس (إله) : ٣٨٠
(*) سومرسسي (بلدة سمر الحالية على نهر الكلب) :
٣٩٠

سومرية (كتابة) : ٣٢٩
سيتي الأول : ١٢ ، ٧١ ، ١١٦ ، ١٩٨
سيتي الثاني : ٣٦١ ، ٣٦٤
سيناء : ٤٧ ، ٥١
سيهور (مكان) : ٣٦٩

(ش)

شاس (عطر) : ٥٤
شاو (فاكهة) : ٣٦٩
شاي (إله القدر) : ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧
شابس (أثرى) : ٣٧٨
شباكا (ملك) : ٨
(*) شيجل (أثرى) : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٦٣
شردانا (جنود مهترقة) : ٣٨٨

قناة السمكتين : ٨٤

قنيت (مجلس) : ١٤٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦

(ك)

كا (القرينة أو الروح) : ٤٢ ، ٨٢ ، ١٧٩ ،

٣٨٢ ، ١٨٢

كا جني (حكيم) : ١٧٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩

كا جيو (علم) : ٨٧

كار (ماشية) : ١٢٢ ، ١٢٦

كارس (كاتب) : ١٧٣ ، ١٧٤

كازردى (علم) : ٣٩٢

كا كا (نبات) : ٣١٥

كا كاي (لقب الملك نفر اركاروع) : ١٥

كاموز (ملك) : ١١

كانخت (علم) : ٢٣٥ ، ٢٦٢

كاهون (اللاهون) [ورقة] : ١٤١

كاو (فاكهة) : ٥١

كاوو (أرواح) : ٧١

كايبرى (حيوان) : ٣٥١ ، ٣٥٢

ككلى (جمعة) : ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢

ككدى (اقليم) : ٤٣

(*) كراجات اناب (قيراث عنب) [مكان يقع في

بلاد يودة الجبلية] : ٣٩٢

(*) كراجات ليل (قيراث ايل) [مكان يقع في بلاد

يودة الجبلية] : ٣٩٢

كرحت (حية) : ٣١٠

كركى (اقليم) : ٣٧٢

كرت (كفتيو) : ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨

كسا (علم) : ٣٨٣

كسب (علم) : ٣٨٤

كفر صردن (كور صردن) [مكان مجهول الموقع] : ٣٩٢

ككو : ٨٥

كلاسكى (عهد) : ١١ ، ٣٢

كليوباتره : ٩٠

ككى (مصر) : ٣٧٤

كنعان (اقليم) : ١٨ ، ٣٩٤

كنكة (خر) : ٣٦٨

كنكتاوى (بلد) : ٣٦٦ ، ٣٦٧

عنق (اله) : ١٣٤ ، ١٣٥

عنقيو (عطر) : ٥٣

عنخ سنوسرت (علم) : ٣٤٣

عنخو (خنخبر - رع - سنبل) (علم) : ٢٩٠

عهد الإقطاع : ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢٩٤

عيسى : ٥٥

عين شمس (بلد) : ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٩٠ ، ٢٩٠ ،

٢٩٢ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ،

٣٨٤ ، ٣٦٦

(غ)

غزة (بلد) : ٣٧٨ ، ٣٩٤

(ف)

فتح اثيوبى : ١٤ ، ١٣٢

فتح آشورى : ١٤ ، ١٣٢

فتح الفرس : ١٣٢

فجر الضمير (كتاب) : ٥٥

فرجيل (شاعر يونانى) : ٦

فرنسا (متحف) : ١٢٠

فلسطين : ١١٢

فخو (بلاد) : ٤٣

فنكسى (طائر) : ٣٨١

فوجزايغ (أثرى) : ٥٦

فبير (أثرى) : ١٤٧

فيلة (معبد) : ١١٦

فينا : ١١٦

فيتقيا : ٣٨٨

(ق)

قادش (موقعة بين رمسيس ومملكة الحيثا) : ٣٩٠

قبرص (جزيرة) : ١٠١ ، ١٧٠ ، ٣٧٢

قدى (مكان) : ٣٦ ، ٤١

قفط (بلد بالصعيد) : ١٢٢

قبيز (ملك الفرس) : ٢٠

قر الزمان : ٨٩

قور (جزيرة) : ٣٦

المتد من النحدر الغربى لبلاد لبنان حتى البحر

الأبيض : ٣٩٠

مجلس الثلاثين : ١٣٩ ، ٣٥٩

محو (علم) : ٣٦٣

محورت (إلهة) : ١١٤

محور نار (لقب كاتب) : ٣٨٣

مدينت (اسم مكان) : ٥٧

مرنبتاح (ملك) : ١٣ ، ١٠٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤

مرو (علم) : ٥٧ — ٦١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠

مري اتف (اسم علم) : ٣٣٤

مريكارع ملك : ٢٨ ، ١٧٥ ، ١٩٠ — ١٩٦

٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣

مريث (صفة لسان) : ٣٩٢

مزامير : ١٧١

مسخنت (إلهة) : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٦

مكر (إقليم) : ١٦٤

مكى (اسم رجل) : ٤٣

ملحمة : ١٣١

ملخيت (حجر) : ٨٠

ملر (جورج) : ٢٦٦

ملوى : ١٤٠

ممرات حور : ٤٤ ، ٣٩٤

ممتاننى (كاتب) : ٥٠

منتو (إله) : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٤٠ ، ٣٦٤

٣٦٩

منتوحتب (منتحجب) : ١١٩

منتوكا (علم) : ١٢٠

منجبت (اسم قائد سوري) : ١٦٣

منغير رع (لقب تحتمس الثالث) : ١١١

منديس (بلد) : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥

١٤٧

منف : ٤٤ ، ٧٧ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٤٣

١٩٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠

منكاورع : ٩ ، ٨٣

منوس (علم) : ٤٣

موت (إلهة) : ٣٤٠

مور (نوع من الرقص الدينى) : ٤٧

موسى (علم) : ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ٣٧٩

كهك (قبيلة) : ٣٨٨

كبرى (حيوان) : ٢٢٩

كيس (الأستاذ) : ١٤٠

(*) كين [قبن] (مكان بالقرب من مجدو) : ٣٩٢

(ل)

لاكو (الأثرى) : ١٤

لوفر (متحف) : ١١٠ ، ١٢٠

لوكاس (كياوى) : ٣٣٣

لنجا (أثرى) : ٢٣٢ ، ٢٩٤

ليبرج (متحف) : ١٤٧

ليدن (متحف) : ٢٦٢ ، ٢٩٤ ، ٣٣٤

ليدن (ورقة) : ١٩٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٨

ليسيرس (ملك) : ١٠٦ ، ١٠٧

ليمان (أثرى) : ٣٣٤

لينجراد (ورقة ومتحف) : ٢٨ ، ٥٠ ، ١٩٠

٣١٨

(م)

ماترخ (لوحة) : ١٢٨ ، ١٣٠

ماتوى (اسم علم) : ٣٥٤

ماسيرو : ٣٤ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨

١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١

ماشوشا (جنس من الناس) : ٣٨٨

ماعت (العدالة) : ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

٣٢٢ ، ٣٢٣

ماكس مولر (أثرى) : ٧٢

مانيتون (مؤرخ) : ٨ ، ١٤٧ ، ٢٩٥

ماهر (علم بمواقع البلدان وطبيعتها) : ٢٧٠ ، ٣٩١

مناو (قوم) : ٣١٦

مقربوليتان (متحف) : ٣٣٠

متون الأهرام : ١٢٨ ، ١١٢ ، ٢٥ ، ١٣٠ — ١٤٧

مجات (رسالة) : ٣٣٢

مجدو (بلد) : ٣٩٢

مجر (يحتمل أن يكون جزءاً من لبنان وهو السهل

ني - معات - رع (لقب للملك المنحلت الثالث) :

٢١٨

نباو (فرقة من الجند) : ٣٦٦

نيوبري (أخرى) : ١١٨

(هـ)

(*) هازور [حازور] (بلدة قريبة من قادش) :

٣٩١

هرست (حجر) : ١٨٣

هرش (اسم علم) : ٣٨٥

هرموبوليس (انظر الأشمونين) : ٣٨٤ ، ٣٧٨

(*) هرنبي (مكان مجهول) : ٣٩٢

(*) هزن (حوثينا) وهو تصغير حصن وتقع على

الطريق بين مصر وفلسطين : ٣٩٤

هكسوس : ١١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ، ٢١٩ ، ٣٣٤

٢١٩ ، ٣٣٤

هليوبوليس : ٨٣

هنري جيمس : ٦ ، ٢

هوسر (الشاعر) : ١ ، ٦ ، ١٣١

هيرايطي : ٢٧

هيراكليوبوليس (انظر اهناس المدينة) : ١٠ ، ٥٤ ، ١٤٠ ، ١٩٠

١٩٠ ، ١٤٠ ، ٥٤

هيردوت : ٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩

هيروغلي : ٢٧

(و)

واج (عيد الحصاد والحر) : ٣٨٤

وادي الأرز : ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧

وادي العريش : ١٢٨

وادي التطرون : ٥٦ ، ٥٥

وازيت (الهة) : ١٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦

واوات (بلاد) : ٥١

وباوتر (علم) : ٧٧ ، ٧٩

وبن (نبات) : ٥٧

وبن - ناخت (علم) : ٢٥٢

وبي (إقليم في أقصى شمال سوريا ومن مدنه دمشق) :

٣٩٢

ميسون (نبات) : ٥٧

مين - حور (إله) : ٤٢

مين (ملك) : ٣٠ ، ٢٩٢

ميو (قط) : ٣٧٠

(ن)

ناخت (علم) : ٣٨٤

ناقيل (أخرى) : ٧٢

نبا (ملك) : ٧٧ - ٧٩

نيكاورع (ملك) : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٩

نب - نمر (علم) : ٣٣٥

نحري (علم) : ١٤٠

نحم اوايت (زوجة نحموت) : ٣٨٤

نحس (نهر أو غدير في فلسطين أو سوريا غير

معروف) : ٣٩٤

نزن (نهر) : ٣٩١

نشمت (قارب خاص بأوزير) : ٣٨٠

نطرون (وادي) : ٣١٤

نمرين (محاربون شبان من كنان) : ٣٨٨

نمريون (صفة) : ٣٩٤

ننقيس أو (نفيس) : ٨٤ ، ٣٦٣

(*) نرباو (اسم إله غير معروف) : ٤٢

نفر حب (علم) : ٣٦٢

نفر رهو (ورقة) : ٤ ، ٢٨ ، ٢٠١ ، ٣٠٢

٣١٨ - ٣٢٤

نفر كارع تاري (ملك) : ٢٢٠ ، ٢١٩

نفر (أميرة) : ٣٤ ، ٤٠ ، ٥٧

نفرى (اسم كاتب) : ١٧٣

نقطانب (ملك) : ١٤ ، ٢٠ ، ١٠٦

نسكوت (اسم فاكهة) : ٥١

نسعو (اهناس المدينة) : ٥٧ ، ٥٨

ننقى (اسم علم) : ٣٦ ، ٣٩

ن (نبات) : ٣٩٣

نهرين (بلاد) : ١٠١ ، ١٠٣ ، ٣٧١

نوت (الهة) : ٧٣ ، ١١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨

نون (إله) : ٧٣

نبت (الهة) : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

نير (إله الفلال) : ١٩٩ ، ٢٠٤

ونفريس (انظر ونفر) : ١٢٣	وجس (طير) : ٥٧
ونفر (اسم أوزير بعد الموت) : (٢ ، ١٤٤ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٢٣٦)	وخا (رسالة) : ٣٣٣
	ورت (علم) : ١٦٤
(ى)	(*) وس (يشو) [بلد في فينقيا تقع في شمال صور] : ٣٩١
يا. (بلاد) : ٣٨ ، ٤٤	وستن (خطاب) : ٢٣٣
يافا : ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣	وستكار (ورقة) [قصة خوفو والبحيرة] : ٢٧٧
ياوت (ماشية أو وظيفة) : ١٣٥	وسر (جبل) : ٣٩١
(*) يحدى (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٠	وسرحات (اسم قارب آمون) : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٦
(*) ينان (يان) [مكان مجهول الموقع] : ٣٩١	وسر - كاف (اسم ملك) : ٨٥ ، ١٨٦
يوب (بلاد واقعة في أقصى شمال سوريا) : ٣٩٠	وسر مارع (لقب رمسيس) : ٣٦٩
يوسف (نبي) : ٨٩	ولز (كاتب) : ٣
يونس (قصة) : ١٦٢	ولسن (أثرى) : ٣٣٠
يونكر : ١٣٢	وناس (ملك) : ٩

اختصارات أسماء بعض الكتب

- A.Z. = "Zeitschrift für Ägyptische Sprache."
J.E.A. = "The Journal of Egyptian Archaeology."
K.P. = "Kahun Papyri." (Griffith.)
L.E.M. = "Late Egyptian Miscellany." (Gardiner)
L.R.L. = "Late Rameside Letters." (Cerny).

رقم الإيداع ١٣٩٣٣ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي I.S.B.N 977-01-6907-2



تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع

شركة نهضة مصر للطباعة والنشر